

جلد ثانی تاریخ ابن خلکان

ادب



۸۴۰

جلد ثانی تاریخ ابن خلکان

ادب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

ابو سعيد المهلب بن ابي صفرة كانت له بنت اسمها صفرة وبها يكنى واسمه ظالم
بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحرث بن العتيك بن الازد ويقال
الاسد بالسين بن [illegible] بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس
بن ثعلبة بن مازن بن الازد الازدي العتكي البصري قال الواقدي كان اهل دبا اسلموا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا ومنعوا الصدقة فوجه اليهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه
عكرمة بن ابي جهل المخزومي رضي الله عنه فقاتلهم فهزمهم واثخن فيهم القتل وتحصنوا في حصن لهم
وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان فقتل منهم مائة من اشرافهم وسبى ذراريهم
وبعثهم الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيهم ابو صفرة غلام لم يبلغ فاعتقهم ابو بكر وقال
اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان ابو صفرة ممن نزل بالبصرة وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف
هذا الحديث باطل اخطا فيه الواقدي لان ابا صفرة لم يكن في هؤلاء ولا رآه ابو بكر قط وانما وفد الى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو شيخ ابيض الراس واللحية فامره ان يخضب فخضب وكيف يكون غلاما في
زمن ابي بكر وقد ولد المهلب وهو من اصاغر اولاده قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين سنة
وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة واكثر وكان المهلب المذكور
من اشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز واستقصى ابو العباس
المبرد في كتاب الكامل فهي تسمى بصرة المهلب لذلك ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت
طرفا منها وكان سيدا جليلا نبيلا روي انه قدم على عبد الله بن الزبير ايام خلافته بالحجاز والعراق
وتلك النواحي فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال من
هذا الذي شغلك يا امير المؤمنين يومك هذا قال اوما تعرفه قال لا قال هو سيد اهل العراق
قال فهو المهلب بن ابي صفرة قال نعم قال المهلب من هذا يا امير المؤمنين قال هذا سيد قريش قال
فهو عبد الله بن صفوان قال نعم وقال ابن قتيبة في المعارف ايضا ولم يكن يعاب بشيء الا بالكذب
وفيه قيل راح يكذب ثم قال ابن قتيبة بعد هذا وانا اقول كان المهلب اتقى الناس لله تعالى و
اشرف وانبل من ان يكذب ولكنه كان محربا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وكان
يعارض الخوارج بالكلمة فيوري بها عن غيرها يرهب بها الخوارج وكانوا يسمونه الكذاب فيقولون راح يكذب
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها وقال ابو العباس المبرد في الكامل
من شرح ابيات رمي فيها المهلب بالكذب ما صورته وقوله كان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين رجلين
وكذب الرجل لامراته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وكان المهلب ربما صنع الحديث

ليشد به

ليشد به امر المسلمين ويضعف به من امر الخوارج وكان حي من الازد يقال لهم الندب اذا راوا
المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب يكذب وفيه يقول رجل منهم: انت الفتى كل
الفتى لو كنت تصدق ما تقول. وذكر المبرد في كتاب الكامل في اواخره في قتال الخوارج
وما جرى بين المهلب والازارقة وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب
ركابه فينقطع فاذا اراد الضرب والطعن لم يكن له معين او معتمد فامر المهلب فضربت الركب
من الحديد فهو اول من امر بطبعها واخبار المهلب كثيرة وتنقلت به الاحوال واخر ما ولي
خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره فانه كان امير العراقين وضم
اليه عبد الملك خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان المهلب المذكور وعلى سجستان
عبد الله بن ابي بكرة فورد المهلب خراسان واليا عليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد
اصيب بعينه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما في خلافة
معوية بن ابي سفيان فانه كان معه في تلك الغزوة وقلعت عين سعيد المذكور ايضا
وفيها قلعت ايضا عين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات
المشهور بالكرم والجود وفي ذلك يقول المهلب ... لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي
وفيها بحمد الله عن تلك ما يغني . اذا جاء امر الله اعيا حيارنا . ولا بد ان تعمى
العيون لدى الرمس . وقيل ان المهلب قلعت عينه على الطالقان ولم يزل المهلب
واليا على خراسان حتى ادركته الوفاة هناك ولما حضره اجله عهد الى ولده يزيد الآتي
ذكره ان شاء الله تعالى واوصاه بقضايا واسباب ومن جملة ما قال له يا بني استعقل
الحاجب واستظرف الكاتب فان حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه ثم توفي في ذي الحجة
سنة ثلاث وثمانين للهجرة بقرية يقال لها زاغول من اعمال مرو الروذ من ولاية
خراسان رحمه الله تعالى وله كلمات لطيفة واشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته
في حسن الثناء والثناء الجميل فمن ذلك قوله الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة
ولو اعطيت ما لم يعطه احد لاحببت ان تكون لي اذن اسمع بها ما يقال في غدا اذا مت وقد
قيل ان هذا الكلام لولده يزيد والله اعلم وكان المهلب يقول لبنيه يا بني احسن ثيابكم
ما كان على غيركم وقد اشار الى هذا ابو تمام الطائي فيما كتبه الى من يطلب منه كسوة [illegible]
[illegible] اي وصية كان اوصى في الثياب المهلب وذكر الطبري في تاريخه انه توفي سنة
اثنتين وثمانين والله اعلم والكلام على وفاته مذكور في ترجمة ابنه يزيد فلينظر هنالك
فانه مستوفى ولما حضره اجله دعا بنيه بسهام فحزمت وقال اترونكم كاسريها مجتمعة
قالوا لا قال افترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم مات ولما مات
رثاه الشعراء واكثروا فمن ذلك قول نهار بن توسعة الشاعر المشهور ...

الا ذهب الغزو المقرّب للغنى ❊ ومات الندى والجود بعد المهلب
اقاما بمرو الروذ لا يبرحانها ❊ وقد غيّبا عن كل شرق ومغرب

وخلف المهلب عدة اولاد نجبا كرما اجوادا امجادا وقال ابن قتيبه في كتاب المعارف ويقال انه دفع الى الارض من صلب المهلب ثلثمايه ولد وقد تقدم في حرف الزا ذكر حفيده روح بن يزيد بن ابى حاتم بن قبيصة بن المهلب وسياتى ذكر يزيد في حرف اليا ان شا الله تعالى ومن سراة اولاده ابو فراس المغيره وكان ابوه يقدمه في قتال الخوارج وله معهم وقايع ماثوره تضمنتها التواريخ ابلا فيها بلا ابان عن نجدته وشهامته وصرامته وتوجه صحبة ابيه الى خراسان واستنابه بمرو الشاهجان وتوفى في حيوة ابيه سنة اثنين وثمانين في رجب ورثاه ابو امامة زياد الاعجم وهو زياد بن سليمان ويقال ابن جابر وهو من عبد القيس الشاعر المشهور بقصيدته الحايية السايره التى اولها

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ❊ للباكرين وللمجد الرايح
ان الشجاعة والمروة ضمنا ❊ قبرا بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به ❊ كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ❊ فلقد يكون اخا دم وذبايح
واظهر ببرته وعقد لوايه ❊ واهتف بدعوة مشفقين سرايح
آب الجنود معاقبا او قافلا ❊ واقام رهن حفيره وضرايح
وارى المكارم يوم زال سفينه ❊ زالت بفضل فواضل ومدايح
رجفت لمصرعه البلاد واصبحت ❊ منا القلوب لذاك غير صحايح
الان لما كنت اكمل من مضى ❊ وافتها عن شاه القادح
وتكاملت فيك المروة كلها ❊ واعنت ذلك بالفعال الصالح
وكفى لنا حزنا ببيت حله ❊ اجرى المنون فليس عنه بنازح
نعفت منابره وحط سروجه ❊ عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرء فتعلمن ❊ ان المغيرة فوق نوح النايح
تبكى المغيره خيلنا ورماحنا ❊ والباكيات برنه ونضايح
مات المغيرة بعد طول تعرض ❊ للقتل بين اسنة وصفايح
واذا الامور على الرجال تشابهت ❊ وتنوزعت بمغالق ومفاتح
فقد المغيرة بمبرم ذى مرة ❊ دون الرجال بفضل عقل راجح
وارى الصعالك للمغيرة اصبحت ❊ تبكى على طلق اليدين السامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندا ❊ وخبت لوامع كل برق لايح
كان المهلب بالمغيرة كالذى ❊ القى الدلا الى قليب الماتح

واظهر برّته وعقد لوائه / واهتف بدعوة مصلتين شرائح / [illegible]

فاضاف

فاضاف جمه ما استقى فسقى له ❊ في حوضه بنوازع ومواتح
ايام لو يحيل وسط مفاره ❊ فاضت مغالقها بشرب سايح
ان المهلب لن يزال لها فتا ❊ يحوى قوادم كل حرب لاقح
بالمقربات لواقحا الحالها ❊ تجتاب سهل سباسب وصحاصح
متلبيا يهفو الكتاب حوله ❊ مسلح المنون من النصيح الراشح
ملك اغر متوج تسمو له ❊ طرف الصديق بغض طرف الكاشح
دماع الوية الحروب الى العدا ❊ يعود طير سوانح وبوارح

وهذه القصيدة من غرر القصايد ونخبها ولولا خوف الاطالة لاتيت بها لحسنها وهى طويلة تزيد على خمسين بيتا وقد ذكرها ابو على القالى المقدم ذكره في حرف الهمزة في كتابه الذى جعله ذيلا على اماليه وتكلم على بعض ابياتها وقال انها قد نسبت الى الصلت بن العبدى الشاعر المشهور لكن الاصح انها لزياد الاعجم والبيت الثانى منها يستشهد به النحاة في كتبهم على جواز تذكير المؤنث اذا لم يكن له فرج حقيقى وهو اشهر بيت هذه القصيدة لكثرة استعماله وقد اخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث والرابع فقال

احملانى ان لم يكن لكما عقر ❊ الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كان ❊ دمى من نداه لو تعلمان

وصاحب هذين البيتين هو الشريف ابو محمد الحسن بن محمد بن على بن ابى الفتح العلوى الحسنى نقيب مشهد باب التبن ببغداد من جملة قصيدة يرثى بها النقيب الطاهر والد عبد الله ذكر ذلك العماد الكاتب في كتاب الجريده وقال ايضا ان الشريف المذكور توفى سنة سبع وثلثين وخمسمايه ببغداد رحمه الله تعالى ثم بعد وقوفى على ما ذكره العماد في الجريده وجدت هذين البيتين في كتاب معجم الشعرا تاليف المرزبانى لاحمد بن محمد الخثعمى وكنيته ابو عبد الله ويقال ابو العباس ويقال ابو الحسن وكان يتشيع ويهاجى البحترى وكان المغيرة بن المهلب المذكور قد مزق قباديباجا على زياد الاعجم فقال زياد في ذلك

لعمرك ما الديباج مزقت وحده ❊ ولكنما مزقت عرض المهلب

فبلغ ذلك المهلب فارضاه واستعطفه وذكر ابو الحسين على بن السلامى في كتاب تاريخ ولاة خراسان ان رجلا سمع من زياد الاعجم هذه القصيده قبل ان يسمعها المهلب فجا المهلب وانشده اياها فاعطاه مايه الف درهم ثم اتاه زياد الاعجم فانشده اياها فقال قد انشدنيها رجل قبلك فقال انما سمعها منى فاعطاه مائة الف درهم وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبه وفيهم يقول بعض شعراء الحماسه وهو الاخنس الطائى يمدح المهلب ❊

نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل
فما زال بي معروفهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم اهلي

والوزير ابو محمد المهلبي المقدم ذكره في الحاء من قبيلته ايضا رحمهم الله اجمعين وفي اوايل هذه الترجمة اسما تحتاج الى الضبط والكلام عليها فاما العتيك والازد فقد تقدم الكلام عليهما واما مزيقيا فهو بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وسكون الياء الثانية وبعدها همزة ممدودة وهو لقب عمرو المذكور وكان من ملوك اليمن وانما لقب بذلك لانه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا امسى مزقهما وخلعهما وكان يكره ان يعود فيهما ويانف ان يلبسهما احد غيره وهو الذي انتقل من اليمن الى الشام لقصة يطول شرحها والانصار من ولده وهم الاوس والخزرج وحكى ابو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه القصد والامم في انساب العرب والعجم وهو كتاب لطيف الحجم ان الاكراد من نسل عمرو مزيقيا المذكور وانهم وقعوا الى ارض العجم فتناسلوا بها وكثر ولدهم فسموا الكرد وقال بعض الشعرا في ذلك وهو يعضد ما قاله ابو عمر بن عبد البر

لعمرك ما الاكراد ابناء فارس ... ولكنهم ابناء عمرو بن عامر

واما ابوه عامر فانه لقب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه شبه بالغيث واما المنذر بن ماء السماء اللخمي احد ملوك الحيرة فان اباه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي وماء السماء امه وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط وانما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها واما دبا بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها الف مقصورة فهو اسم موضع بين عمان والبحرين اضيف جماعة من الازد اليه لما نزلوه وكان الازد عند تفرقهم حسبما ذكرناه اضيفت كل طايفة الى شي تميزها عن غيرها فقيل ازد دبا وازد شنوة وازد عمان وازد السراة ومرجع الكل الى الازد المذكور فلا يظن ظان ان الازد مختلف باختلاف المضافين اليه وقد قال الشاعر وهو النجاشي واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن كعب بن الحارث الحارثي

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل بها ريب من الحدثان
فاما التي صحت فازد شنوءة ... واما التي شلت فازد عمان

ولما هزم المهلب قطري بن الفجاءة المقدم ذكره بعث الى مالك بن بشير فقال اني موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك وبعث اليه بجايزة فردها وقال انما الجايزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة ثم قال كيف تركت المهلب قال ادرك ما امل وامن ما خاف قال كيف هو لجنده

قال

قال والد رؤف قال فكيف رضاهم عنه قال وسعهم بالفضل واقنعهم بالعدل قال فكيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا قال فما حال قطري بن الفجاءة قال كادنا بمثل ما كدناه به قال فما منعكم من اتباعه قال راينا المقام من ورايه خيرا من اتباعه قال فاخبرني عن ولد المهلب قال رعاة البيات حتى يومنوه وحماة السرح حتى يردوه قال ايهم افضل قال ذاك الى ابيهم قال لتقولن قال هم كحلقة مفرغة لا يعلم طرفاها قال اقسمت عليك هل رويت في هذا الكلام قال ما اطلع الله احدا على غيبه فقال الحجاج لجلسايه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قلت كان حق هذا الفصل ان يكون متقدما لكنه كذا وقع

مهيار الشاعر الديلمي

ابو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي المشهور كان مجوسيا فاسلم ويقال ان اسلامه كان على يد الشريف الرضي ابو الحسن محمد الموسوي المقدم ذكره وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر وقد وازن كثيرا من قصايده ذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه انه اسلم في سنة اربع وتسعين وثلثماية فقال له القاسم بن برهان يا مهيار قد انتقلت باسلامك في النار من زاوية الى زاوية فقال وكيف ذاك قال كنت مجوسيا فصرت تسب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعرك وكان شاعرا جزل القول مقدما على اهل وقته وله ديوان شعر كبير يدخل في اربع مجلدات وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصايده ذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد واثنى عليه وقال كنت اراه يحضر جامع المنصور في ايام الجمعات يعني ببغداد ويقرا عليه ديوان شعره ولم يقدر لي ان اسمع منه شيا وذكره ابو الحسن الباخرزي المقدم ذكره في كتاب دمية القصر قال في حقه هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر وكاتب تحت كل كلمة من كلماته كاعب وما في قصيده من قصايده بيت يتحكم عليه بلو وليت فهي مصبوبة في قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب ثم عقب هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره وابيات من جملة قصايده وذكره ابو الحسن علي بن بسام في كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة وبالغ في الثناء عليه وذكر شيا من شعره ومن نظمه المشهور قصيدته التي اولها

سقى دارها بالرقمتين وحياها ... ملث يحيل الترب في الدار اموها
وكيف يصل الحبل من ام مالك ... وبين بلادنا زرود وجبلاها
يراها بعين الشوق قلبي على النوى ... فيحظى ولكن من لعيني برؤياها
فلله ما اصفى واكدر حبها ... وابعدها مني الغداة وادناها

اذا استوحشت عيني انست بان ارى * نظائر تصبيني اليها واشباهها
واعتنق الغصن الرطيب لقدها * وارشف ثغر الكاس احسب فاها
ويوم الكثيب استشرفت لي ظبية * مولهة قد ضاع بالقاع خشفها
تدله خوف الثكل حبة قلبها * فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها
فما ارتاب طرفي فيك يا ام مالك * على صحة التشبيه انك اياها
فان لم تكونها خدها وجبينها * فانك انت الجيد او انت عيناها
الرامة في حب دار عزيزة * يشق على رغم المطامع مرماها
دعوه ونجد انها شان قلبه * فلو ان نجدا تلعة ما تعداها
وهبكم منعتم ان يراها بعينه * فهل تمنعون القلب ان يتمناها
وليل بذات الاثل قصر طوله * سرى طيفها اها لذكرته اها
تخطت الي الهول مشيا على الوجى * واخطاره لا يصغر الله ممشاها
وقد كاد لشد اتى الدجان يضلها * فما دلها الا وميض ثناياها

ولـه من ابيات

ان التي علقت قلبك حبها * راحت بقلب منك غير علوق
عقدت ضمان وفائها من خصرها * فوهى كلا العقدين غير وثيق

ومن شعره ايضا قوله

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار اماما
وبعرج الحي قلبي فج بالحمى * واقرا على قلبي السلاما
درحل فيحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم اقاما
قل لجيران الغضا اها على * طيب عيش بالغضا لو كان داما
نصل العام وما نشعركم * وقصارى الوجد ان نسلخ عاما
حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وثماما
وابعثوا اشباحكم لي في الكرى * ان اذنتم لجفوني ان تناما

وهذه قصيدة طويلة اقتصرت منها على هذا القدر طلبا للاختصار ومن رقيق شعره قصيدته التي منها * ارقت فهل لها خبر بلعلع * على الارقين اثلاث ترف
سالتك بالمودة ان تروى * فانك بي من ابن ابي احق
اسل الجزع دمعك ان عيني * اذا استنزلتها دمعا تعق
وان شق البكاء على المآقي * فلم اسالك الا ما يشق

وله في القناعة ولقد احسن

تلحا على البخل الشحيح بماله * افلا تكون بماء وجهك ابخلا
اكرم يديك عن السؤال فانما * قدر الحياة اقل من ان يسالا
ولقد اضم الي فضل قناعتي * وابيت مشتملا بها متزملا
وارى العدو على الخصاصة شارة * يصف الغنى فيخاله متمولا
واذا امرؤ افنى الليالي حسرة * واما نيا افنيتهن توكلا

ومن بديع مديحه قوله من جملة قصيدة

واذا راوك تفرقت ارواحهم * فكانها عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تفل كتيبة * لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ابيات تتضمن العتب وهي

اذا صدوا الاشواق لي كيف كنتم * وكيف اذا ما عن ذكري صبرتم
نعست عن عتب فؤاد مصمم * به ولساني للحفاظة مجمجم
وفي فمي ماء من بقايا ودادكم * كثير به عن ماء وجهي ارقم
اخاف فمي فيما عليه وبينه * وبين انسكاب ريثما اتكلم

وديوانه مشهور فلا حاجة الى الاطالة في ايراد محاسنه ويعجبني كثيرا قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو * ما انتم من ظاعنين وخلفوا * قلوبا ابت ان تعرف الصبر عنهم
وتوفي في ليلة الاحد لخمس خلون من جمادى الاخرة سنة ثمان وعشرين واربعمائة وفي تلك السنة توفي الرئيس ابو علي بن سينا الحكيم المشهور حسبما تقدم ذكره في ترجمته رحمهما الله تعالى ورايت في بعض التواريخ انه توفي سنة ست وعشرين والاول اصح والله اعلم وذكر الباخرزي المذكور في كتاب الدمية ايضا ولده الحسين بن مهيار ونسب اليه القصيدة الحائية التي من جملتها * يا نسيم الريح من كاظمة * شد ما هجت البكا والبرحا وهذه القصيدة طويلة وهي من مشاهير قصائد مهيار وما اعلم من اين وقع له هذا الغلط ومهيار بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحت ثم هاء ساكنة وهما اسمان فارسيان لا اعرف معناهما

حرف النون

نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ابو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر كان ديلميا واصابه مولاه عبد الله في غزاة وهو من كبار التابعين الصالحين سمع مولاه وابا سعيد الخدري وروى عنه الزهري وايوب السختياني ومالك بن انس رضي الله عنهم وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار قال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا ابالي ان لا اسمعه من احد

واهل الحديث يقولون رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب
لجلالة كل واحد من هولاء الرواه وحكى الشيخ ابو اسحق الشيرازي رحمه الله تعالى
في كتاب المهذب في باب الوليمة عن نافع قال كنت اسير مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع فلت
لا فاخرج اصبعيه عن اذنيه ثم رجع الى الطريق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنع وفي هذا الاثر اشكال فسئل عنه الفقها وهو ان ابن عمر كيف سد اذنيه عن سماع
الزماره ولم يامر مولاه نافعا بفعل ذلك بل مكنه منه وكان يسئله كل وقت هل انقطع
الصوت ام لا وقد اجابوا عن الاشكال بان نافعا كان حينئذ صبيا فلم يكن مكلفا حتى يمنعه
من الاستماع ويرد على هذا الجواب سوال اخر وهو الصحيح ان اخبار الصبي غير مقبول
فكيف ركن ابن عمر الى اخباره في انقطاع الصوت وهذا الاثر يعضد حجة من قال ان رواية
الصبي مقبولة وفي ذلك خلاف مشهور وليس هذا موضع الكلام عليه واخبار نافع كثيرة وتوفي
سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومايه رضي الله عنه **نافع** احد القرا السبعة
كان امام اهل المدينة الذي صاروا الى قراءته ورجعوا الى اختياره وهو من الطبقة الثالثه
بعد الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكان محتسبا فيه دعابه وكان اسود شديد السواد
قال ابن ابي اويس قال لي مالك رضي الله عنه قرات على نافع قال الاصمعي قال لي نافع
اصلي من اصبهان هكذا قاله الحافظ ابو نعيم في تاريخ اصبهان وكان قرا على ابي ميمونة
مولى ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له راويان ورش وقالون وقد سبق
ذكرهما في حرف العين وتوفي نافع المذكور سنه سبع وخمسين ومائة وقيل سنة
تسع وخمسين وقيل غير ذلك بالمدينة والاول اصح وقيل ان كنيته ابو الحسن وقيل
ابو عبد الله وقيل ابو عبد الرحمن وقيل ابو نعيم والله اعلم بالصواب وجعونه
بفتح الجيم وسكون العين المهمله وفتح الواو والنون وبعدها ها ساكنه وهو في
الاصل اسم الرجل القصير ثم سمي به الرجل وان لم يكن قصيرا او جعل علما عليه وكان
جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب وقيل حليف العباس بن عبد المطلب رضي الله
عنه وقيل حليف بني هاشم وشعوب بفتح الشين المعجمه وضم العين المهملة وسكون الواو
وبعدها باء موحده وهو في الاصل اسم المنية والشجعي بكسر الشين المعجمه وسكون الجيم
وبعدها عين مهملة هذه النسبة الى بني شجع وهم من بني عامر بن ليث ولم يتعرض
السمعاني الى ذكر هذه النسبة **المطرزي** ابو الفتح ناصر بن ابي المكارم عبد السيد
بن علي المطرزي الفقيه الحنفي النحوي الاديب الخوارزمي كانت له معرفة تامة بالنحو
واللغة والشعر وانواع الادب اخذ في ذلك ببلده على ابيه وعلى ابن المويد بن الموفق بن

احمد

احمد بن محمد المكي خطيب خوارزم وغيرهما من ابي عبد الله محمد بن علي بن ابي سعيد
التاجر وغيره وكان تام المعرفه بفنه واماما في الاعتزال داعيا اليه ينتحل مذهب
الامام ابي حنيفه رضي الله عنه في الفروع فصيحا وكان في الفقه فاضلا وله
عدة تصانيف نافعه منها شرح المقامات للحريري وهو على وجازته مفيد محصل
للمقصود وله كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب
وهو للحنفية بمثابة كتاب الازهري للشافعية وما قصر فيه فانه اتى جامعا للمقاصد
والمعرب في شرح المغرب وهو كبير وقليل الوجود والاقناع في اللغة ومختصرا
صلاح المنطق والمصباح في النحو والمقدمه المشهورة في النحو ايضا وله غير ذلك وانتفع
به الناس ويكتبه ودخل بغداد حاجا سنه احدى وستمائة وكان معتزلي
الاعتقاد وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء واخذ اهل الادب
عنه وكان سائر الذكر مشهور الصيت وله شعر فمن ذلك

وزند ندى فواضله وري * ورند ربا فضائله نضير
ودر جلاله ابدا ثمين * ودر نواله ابدا غزير

وله: واني لاستحيي من المجد ان ارى * حليف غوان او اليف اغاني

وله: تغاضى زماني عن حقوقي وانه * قبيح على الزرقاء تبدي التغابيا
فان تنكروا فضلي فان دعاءه * كفى لذوي الاسماع منكم مناديا

وله اشعار كثيرة يستعمل فيها التجانس وكانت ولادته في رجب سنة ثلث وثلثين
وخمسمايه بخوارزم وهو كما يقال خليفة الزمخشري فانه توفي تلك السنة بتلك البلاد
كما سبق في ترجمته وتوفي المطرزي المذكور يوم الثلثا الحادي والعشرين من جمادى
الاولى سنة عشر وستمايه بخوارزم ايضا رحمه الله تعالى ورثي باكثر من ثلثمائة
قصيده عربية وفارسية والمطرزي بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد
الرا وكسرها وبعدها زاي هذه النسبة الى من يطرز الثياب ويرقمها ولا اعلم هل
كان يتعاطى ذلك بنفسه ام كان في ابائه من يتعاطاه فنسب اليه والله اعلم وتوفي
الموفق الخطيب المذكور في حادي عشر من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة
بخوارزم رحمه الله تعالى **العزيز بالله العبيدي** ابو منصور نزار الملقب العزيز بالله
بن المعز بن المنصور بن القايم بن المهدي العبيدي صاحب مصر وبلاد المغرب
وقد تقدم ذكر والده واجداده واحفاده ولي العهد بمصر يوم الخميس رابع عشر
ربيع الاخر سنة خمس وستين وثلثمايه واستقل بالامر يوم وفاة ابيه وكا
يوم الجمعه حادي عشر الشهر المذكور في ترجمته وسيرة وفاة ابيه وسلم عليه بالخلافه

وكان كريما شجاعا حسن العفو عند القدرة وقصته مع الفتكين التركي غلام معز
الدولة مشهوره وعفا عنه لما ظفر به وكان قد عزم على محاربته مالا جزيلا
ولم يؤاخذه بما صدر منه وقد سبق في ترجمة عضد الدولة بن بويه المقدم ذكره
في حرف الفا طرف من خبره ولا حاجة الى اعادته وهي قصة تدل على حلمه وحسن عفوه
وذكره الامير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه انه الذي اختط اساس الجامع
بالقاهره مما يلي باب الفتوح وحفر وبنى وبدا بعمارته سنة ثمان وثلثمائة
في شهر رمضان ثم قال المسبحي ايضا وفي ايامه بني قصر البحر بالقاهره الذي لم يكن مثله
في شرق ولا غرب وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس وكان اسمر
اصهب الشعر اعين اشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر
سفك الدما بصيرا بالخيل والجارح من الطير محبا للصيد مغرما به وبصيد السباع ويعرف
الجوهر والبز وكان اديبا فاضلا ذكره ابو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر و
اورد له شعرا قاله في بعض الاعياد وقد وافق موت بعض اولاده وعقد عليه الماتم وقال

نحن بنو المصطفى ذوو محن ✽ يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الانام محنتنا ✽ اولنا مبتلى وخاتمنا
يفرح هذا الورى بعيدهم ✽ طرا واعيادنا ماتمنا

ثم قال بعد فصل طويل وسمعت الشيخ ابا الطيب يحكي ان المرواني صاحب الاندلس
كتب اليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه اما بعد فانك قد
عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك والسلام فاشتد على نزار وافحمه عن الجواب وذكر
ابو الحسن الروحي في كتاب تحفة الظرفا في تاريخ الخلفا ان هذه الواقعة كانت من الحكم
المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو المرواني صاحب الاندلس وبين
العزيز المذكور وان المستنصر كتب الى العزيز يسبه ويهجوه فكتب اليه العزيز
هذه الكلمات والله اعلم بالصواب وقد تقدم في ترجمة جده المهدي عبيد طرف من
اخبار نسبهم والطعن فيه واكثر اهل العلم بالنسب لا يصححونه وتقدم في ترجمة الشريف
ابي محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز في امر النسب
ومما اجاب به المعز وصار هذا كالمستفيض بين الناس في مبادي ولاية
العزيز المذكور وصعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقه فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا ✽ يتلى على المنبر في الجامع
ان كنت فيما تدعي صادقا ✽ فاذكر ابا بعد الاب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته ✽ فانسب لنا نفسك كالطائع

او لا دع الانساب مستورة ✽ وادخل بنا في النسب الواسع
فان انساب بني هاشم ✽ يقصر عنها طمع الطامع

وانما قال فانسب لنا نفسك كالطائع لان هذه القصيدة جرت في خلافة الطائع لله
خليفة بغداد وصعد العزيز يوما اخر المنبر فراى ورقة فيها مكتوب

بالظلم والجور قد رضينا ✽ وليس بالكفر والحماقه
ان كنت اعطيت علم غيب ✽ فقل لنا كاتب البطاقه

وانما كتبت هذا لانهم كانوا يدعون علم المغيبات واخبارهم في ذلك مشهوره
ولابي الرقعمق احمد بن محمد الانطاكي المقدم ذكره قصيده يمدح بها العزيز
المذكور واجاد مدايحه فيه وزادت مملكته على مملكة ابيه وفتحت له حمص
وحماه وشيزر وحلب وخطب له ابو الذواد محمد بن المسيب وهو اخو المقلد
ابن المسيب العقيلي صاحب الموصل بالموصل واعمالها في المحرم سنة اثنين و
ثمانين وثلثمائة وضرب اسمه على السكة في النقود وخطب باليمن ولم يزل
في سلطانه وعظم شانه الى ان خرج الى بلبيس متوجها الى الشام فابتدات به العلة
في العشر الاخيرة من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ولم يزل مرضه يزيد و
ينقص حتى ركب يوم الاحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة الى
الحمام بمدينة بلبيس وخرج منها الى منزل الاستاد ابي الفتوح برجوان المقدم
ذكره وكان صاحب خزانته بالقصر فاقام عنده واصبح يوم الاثنين فاشتد به
الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلثا وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى
القاضي محمد بن النعمان وابا الحسن محمد بن عمار الكتامي الملقب امين الدولة وهو
اول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها وخاطبهما في امر ولده
الملقب الحاكم المقدم ذكره ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه ايضا بذلك ولم
يزل العزيز المذكور في الحمام والامر يشتد به الى بين الصلاتين من ذلك النهار
وهو الثلثا الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة و
توفي في مسلخ الحمام هكذا قاله المسبحي وقال صاحب تاريخ القيروان ان الطبيب وصف
له دواء يشربه في حوض الحمام وغلط فيه فشربه فمات من ساعته ولم ينكتم موته
ساعة واحدة وترتب موضعه ولده الحاكم ابو علي المنصور المقدم ذكره فبلغ
الخبر اهل القاهره فخرج الناس غداة الاربعا لتلقي الحاكم ووصل البلد وبين يديه
البنود والرايات وعلى راسه المظلة يحملها زيدان الصقلبي المذكور في ترجمة برجوان
الى ان دخل القصر بالقاهره عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه في عمارية

وقد خرجت قدماه منها وادخلت العماريه القصر وتولى غسله القاضى محمد بن النعمان ودفن عند ابيه المعز فى حجرة من القصر وكان دفنه عند العشاء الآخرة واصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والاحوال مستقيمه وقد نودى فى البلد لا مؤنة ولا كلفه وقد امنكم الله على اموالكم وازواجكم فمن غادركم او نازعكم فقد احل ماله ودمه وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة اربع واربعين وثلثمايه بالمهديه من ارض افريقية وقال الفرغانى فى تاريخه الصغير كان مولد العزيز بالله يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة دخلت من المحرم من السنة المذكوره وقال المختار المسبحى صاحب التاريخ المشهور قال لى الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز يا مختار استدعانى والدى قبل موته وهو عارى الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدعانى وقبلنى وضمنى اليه قال واغمى عليك يا حبيب قلبى ودمعت عيناه ثم قال امض يا سيدى والعب فانا فى عافيه قال فمضيت والتهيت بما يلتهى الصبيا من اللعب الى ان نقل الله العزيز اليه قال فبادر الى برجوان وانا على جميزة كانت فى الدار فقال انزل ويحك الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامه بالجوهر على راسى وقبل لى الارض وقال السلام على امير المؤمنين ورحمة الله قال واخرجنى حينئذ الى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لى الارض وسلموا على بالخلافه واخباره كثيرة والاختصار اولى رحمه الله تعالى الخبزارزى ابو القاسم نصر بن احمد بن مامون البصرى المعروف بالخبزارزى الشاعر المشهور كان اميًّا لا يتهجا ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصره وكان ينشد اشعاره المقصوره على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من امره وكان ابو الحسين على بن محمد بن جعفر المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر المشهور مع علو مقداره يأتى دكانه ليسمع شعره واعتنى به وجمع له ديوانًا وكان نصر المذكور قد وصل الى بغداد واقام بها دهرًا طويلا وذكره الخطيب فى تاريخه وقال قرى عليه ديوانه وروى عنه مقطعات من شعره المعافا بن زكريا الحريرى واحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى وعدة جماعة رووا عنه وذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمه واورد له مقاطيع فمن ذلك ؛

خليلى هل ابصرتما او سمعتما ؛ باكرم من مولى تمشى الى عبد
اتى زائرًا من غير وعد وقال لى ؛ اجلك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الوصل بينى وبينه ؛ يدور بافلاك السعادة والسعد
فطورًا على تقبيل نرجس ناظر ؛ وطورًا على تقبيل تفاحة الخد

واورد له ايضًا

الم يكفنى

ن

الم يكفنى ما نالنى من هواكم ؛ الى ان طفقتم بين لاه وضاحك
شماتتكم بى فوق ما قد اصابنى ؛ وما بى دخول النار فى طوع مالك

وذكر له ايضًا

كم اناس وفوا لنا حين غابوا ؛ واناس جفوا وهم حضار
عرضوا ثم اعرضوا واستمالوا ؛ ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا
لا تلمهم على التجنى فلو لم ؛ يتجنوا لم يحسن الاعتذار

ومن شعره ايضًا

وكان الصديق يزور الصديق ؛ لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق ؛ لبث الهموم وشكوى الزمان

ومن شعره ايضًا رحمه الله تعالى

كم اناسى عليك قالًا وقيلا ؛ وعدًا ابايًا يبرى ومطلًا طويلا
جمعة تنقضى وشهر تولى ؛ وامانيك بكرة واصيلا
ان يفتنى منك الجميل من الفعل ؛ تعاطيت عنك صبرًا جميلا
والهوى سوف يبتدى ما لا قالًا ؛ ولكن اسلى قليلا قليلا
ويك لا تامنن صروف الليالى ؛ انها تترك العزيز ذليلا
فكانى بحسن وجهك قد ؛ صاح به اللحية الرحيل الرحيلا
فبدلت حين يكتنك بالورد ؛ ظلامًا وساء ذاك بديلا
فكان لم يكن قضيبًا رطيبًا ؛ وكان لم يكن كثيبًا مهيلا
عندها يشمت الذى لم تصله ؛ ويكون الذى وصلت خليلا

وله ايضًا

رايت الهلال ووجه الحبيب ؛ فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتى فيهما ؛ هلال الدجا من هلال البشر
ولولا التورد فى الوجنتين ؛ وما راعنى من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب ؛ وكنت اظن الحبيب القمر

وقال احمد بن محمد بن حاتم النوشرى انشدنا ابو القاسم نصر بن احمد الخبزارزى لنفسه

رايت الحبيب منادمى ؛ والسكر يصبغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا ؛ صبغ الخمار بمقلتيه
وهبت له عينى الكرى ؛ وتعوضت نظرًا اليه
شكر الاحسان الزمان ؛ كما باعدنى عليه

و ذكر الخطيب في تاريخ بغداد ما مثاله حكى ابو محمد بن عبد الله بن محمد الاكفاني البصري
قال خرجت مع عمي ابي عبد الله الاكفاني الشاعر وابي الحسين بن ككل وابي عبد الله المفجع
وابي الحسن السباك في بطالة عيد وانا يومئذ اصغرهم فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن احمد
الخبزارزي وهو جالس يخبز على طابقه فجلست الجماعة يهنونه بالعيد ويتعرفون
خبره وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد في الوقود فدخنهم فنهضت الجماعة عند
تزايد الدخان فقال نصر بن احمد لابي الحسين بن ككل متى اراك يا ابا الحسين فقال
له اذا اتسخت ثيابي وكانت ثيابه يومئذ جدد على اشد ما يكون من البياض
للتجمل بها في العيد فمشينا في سكة من سمرة حتى انتهينا الى دار ابي احمد المثنى
فجلس ابو الحسين بن ككل وقال يا اصحابنا ان نصرا لا يخلي هذا المجلس الذي
مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ويجب ان نبداه قبل ان يبدانا واستدعى دواة وكتب

لنصر في فؤادي فرط حب ÷ انيف به على كل الصحاب
اتيناه فبخرنا بخورا ÷ من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادرا وظننت نصرا ÷ اراد بذاك طردي او ذهابي
فقال متى اراك ابا حسين ÷ فقلت له اذا اتسخت ثيابي

وانفذ الابيات الى نصر فاملى جوابها فقراناه فاذا هو قد اجاب

منحت ابا الحسين صميم ودي ÷ فداعبني بالفاظ عذاب
اتى وثيابه كقتير شيب ÷ فعدت له كريعان الشباب
ظننت جلوسه عندي لعرس ÷ فجدت له بتمسيك الثياب
فقلت متى اراك ابا حسين ÷ فجاوبني اذا اتسخت ثيابي
فان كان التقزز فيه خيرا ÷ فلم يكنى الوصي ابا تراب

وحكى ابو محمد وابو عثمان سعيد بن هاشم الخالديان الشاعران المشهوران في
كتاب الهدايا والتحف ان الخبزارزي المذكور اهدى الى ابن برداد والي البصرة
وكتب لعمر اهديت مالو ان اضعافه ÷ مطرح عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يبن ÷ اهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك ان ترضه ÷ بان لنا انك ترضانا

قلت والشيء بالشيء يذكر وجدت في هذا الكتاب زيادة طريفة فاحببت ذكرها
وهي كان باصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروة يقال له سماك بن
النعمان وكان يهوى مغنية من اهل اصبهان لها قدر ومعنى تعرف بام عمرو فافرط
حبه اياها وصبابته بها ووهبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتبا وحمل الكتب اليها

على بغل

على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث به الناس واستعظموه وكان باصبهان رجل يعرف
بابن الركاكة يهوى مغنية اخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله ان
سماكا اهدى الى ام عمرو جلودا بيضا لا كتابة فيها وان هذه من الهدايا التي
تحسن ويجل موقعها عند من تهدى اليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين
لتكون هديته ضعف هدية سماك وانفذها الى التي يحب فلما وصلت الجلود اليها
ووقفت على الخبر فيها غاظت عليه وكتبت اليه رقعة تشتمه فيها وتحلف ان لا
تكلمه ابدا وسالت بعض الشعرا ان يعمل لها ابياتا في هذا المعنى لتودعها الرقعة
ففعل وكانت الابيات

لا عاد طوعك من عصاكا ÷ وحرمت من وصلي مناكا
فلقد فضحت العاشقين ÷ بقبح ما فعلت يداكا
اراك من يهدي الجلود ÷ الى عشيقته سواكا
فالظن انك رمت ان ÷ تحكي بفعلك ذا سماكا
ذاك الذي اهدى الضياع ÷ لام عمرو والصكاكا
فبعثت فيه كانك ÷ قد مسخت بهن فاكا
من لي بقربك يا رقيع ÷ ولست اهوى ان اراكا
لكن لعلي ان اقطع ÷ ما بعثت على قفاكا

ونقلت من هذا الكتاب ايضا ان الساوي الشاعر خرج من بعض مدن اذربيجان
يريد اخرى وتحته مهر له رابع وكانت السنة مجدبة فضمه الطريق وغلاما
حدثا على حمار له قال فحادثته فرايته اديبا راوية للشعر خفيف الروح
حاضر الجواب جيد الحجة فسرنا بقية يومنا فانتهينا الى خان خرب على ظهر
الطريق فطلبت من صاحبه شيئا ناكله فامتنع ان يكون عنده شيء فرفقت به
الى ان جاني برغيفين فاخذت واحدا ودفعت الى الغلام الاخر وكان غمي
على المهر ان يبيت بغير علف اكثر من غمي على نفسي فسالت صاحب الخان عن
الشعير فقال ما اقدر منه على حبة واحدة فقلت فاطلب وجعلت له جعلا
على ذلك فمضى وجاني بعد زمن طويل وقال قد وجدت مكوكين عند رجل
حلف بالطلاق انه ما ينقصهما عن مائة درهم فقلت ما بعد يمين الطلاق
كلام فدفعت اليه خمسين درهما فجاءني بملوك فعلقته على دابتي وجعلت احادث
الفتى وحماره واقف بغير علف فاطرق مليا ثم قال اسمعك ايدك الله ابياتا
حضرت فقلت هاتها ÷ ÷ ÷ فانشد

يا سيدي شعري نقابة شعركا * فلذاك نظمي لا يقوم بشكركا
وقد انبسطت اليك في ابيات ما * هو في الحقيقة قطرة من بحركا
امننتني وسررتني وبررتني * وجعلت امري من مقدم امركا
فاريد اذكر حاجة ان يقضها * الا عبد مدحك ما حييت بشكركا
انا في ضيافتك العشية ههنا * فاجعل حماري في ضيافة مهركا

فضحكت واعتذرت اليه من اغفالي امر حماره وانبعت المكوك الاخر بخمسين درهما فدفعته اليه وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود واخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وتاريخ وفاته فيه نظر لان الخطيب ذكر في تاريخه ان احمد بن منصور النوشري سمع منه سنة خمس وعشرين وثلثمائة و لكن نقلت تاريخ وفاته على هذه الصورة من تاريخ ابن الازرق الفارقي والله اعلم

النميري الشاعر ابو المرهف نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن اثال بن ورد بن عطاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحرث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن منصور بن نزار بن معد بن عدنان النميري الضرير الشاعر المشهور قدم بغداد في صباه وسكنها الى حين وفاته وحفظ القرآن المجيد وتفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع الحديث من القاضي ابي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري وابي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي وابي الفضل محمد بن ناصر وغيرهم وقرا الادب على ابي منصور الجواليقي الشاعر ومدح الخلفا والوزرا والاكابر وحدث وكان زاهدا ورعا حسن المقاصد في الشعر له ديوان شعر ذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وذكر اشيا من شعره واورد نسبه على هذه الصورة وقال هو الذي املاه علي وعبيد الراعي المذكور في عمود نسبه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر وكان بينه وبين جرير مهاجاة وكان ابو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدري وعمره اربع عشرة سنة وذكر له العماد في الخريدة هذه المقاطيع من شعره وهو

ترى يتألف الشمل المصدع * واني من زماني ما يروع
وتامن بعد وحشتنا بنجد * منازلنا القديمة والربوع
ذكرت بايمن العلمين عصرا * مضى والشمل ملتئم جميع
فلم املك لدمعي رد غرب * وعند الشوق تعصيك الدموع
بنان عفى الى حسنا قلبي * ودون لقائها بلد شسوع

واخوف

واخوف ما اخاف على فؤادي * اذا ما انجد البرق اللموع
لقد حملت من طول التنائي * عن الاحباب ما لا استطيع

وشعره فيه رقة وجزالة وكان ببغداد كثير الانقطاع الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الاتي ذكره ان شاء الله تعالى وله فيه مدايح وكانت ولادته يوم الثلثا بعد العصر ثالث عشر جمادى الاخرة سنة احدى وخمسمائة بالرقة وتوفي يوم الثلثا الثامن والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد و دفن بباب حرب رحمه الله تعالى والنميري بضم النون وسكون اليا المثناه من تحت وبعدها را هذه النسبة الى نمير بن عامر المذكور في عمود النسب في اول الترجمة والباقي معروف

ابن قلاقس الشاعر ابو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الازهري الاسكندري الملقب القاضي الاعز الشاعر المشهور كان شاعرا مجيدا فاضلا نبيلا ولم يكن له لحية بل كان سناطا وقيل فيه اشعار بسبب ذلك فاضربت عن ذكرها لفحشها صحب الشيخ الحافظ ابا طاهر احمد بن محمد السلفي المقدم ذكره وانتفع بصحبته وله فيه غرر المدايح وقد تضمنها ديوانه وكان الحافظ المذكور كثيرا ما يثني عليه ويتقاضاه بمدحه وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة ميمية احسن فيها كل الاحسان واولها

ما ضر ذاك الريم الا يريم * لو كان يرثي لسليم سليم
وما على من وصله جنة * الا ارى من صده في جحيم
اعيد ما همت به روضة * اعل جسمي كاعتلال النسيم
رقيم خد نام عن ساهر * ما اجدر النوم باهل الرقيم
وكيف لا اصرم طرفي وقد * جمعت في التشبيه لحظ الصريم
وعاذل دام ودام الدجا * بهيمة ما وسناي بهيم
يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم
قلت له لما عدا طوره * والقلب مني في العذاب الاليم
اعدد فؤادي انه شاعر * من حبه في كل واد يهيم
باذن خمر فمه كاسها * لم امتنع من شربها بالتميم
انعت رشفا قبل اعندها * قلت هذا زمزم والحطيم
فاقدر اما عن اقاح الربا * يضحك او در العقود النظيم
او كان قد قيل سحبنا * ما قبل الفاضل عبد الرحيم

وكان كثير الحركات والاسفار وفي ذلك يقول

والناس كثير ولكن لا يتفق لي ❊ الا موافقة الملائم والحاوي

وفي اخر وقته دخل بلاد اليمن وامتدح بمدينة عدن ابا الفرج ياسر بن ابي الندا بلال بن جرير المحمدي وزير محمد بن ابي السعود بن عمران بن محمد بن الداعي سبا بن ابي السعود بن زريع بن العباس صاحب بلاد اليمن فاحسن اليه واجزل صلته وفارقه وقد اثرى من جهته فركب البحر فانكسرت السفينة به وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس فعاد اليه وهو عريان فلما دخل عليه انشده قصيدته التي اولها صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد وهذه القصيدة من القصايد المختاره ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ثم انشد بعد ذلك قصيدة نصف فيها غرقه واولها ❊ ❊ ❊

سافر اذا حاولت قدرا ❊	سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى ❊	طيبا ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيـ ❊	ـسة بدلت بالبحر نحرا

ومنها

بانا وبا عن ياسر خبرا ❊	ولم يعرفه خبرا
اقرا بغرة وجهه ❊	صحف المنى ان كنت تقرا
والثم بنان يمينه ❊	وقل السلام عليك بحرا
وغلطت في تشبيهه ❊	بالبحر فاللهم غفرا
اوليس نلت بذا غنا ❊	جما ونلت بذاك فقرا
وعهدت هذا لم يزل ❊	مدا وذاك يعود جزرا

وهي قصيدة طويلة احسن فيها كل الاحسان ومعنى البيت الثاني منها ماخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات المقدم ذكره في حرف الهمزة في الاول وقد ذكرتها في ترجمته وهي الماء ان طال مكثه ظهر خبثه والبيت الثالث من هذه القصيدة ماخوذ من قول حمديس الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهو

تقلقل وكابك في الفلا ❊	ودع الغواني للخدود
فمحالفوا اوطانهم ❊	امثال سكان اللحود

لولا النقل ما ارتقت درر البحور الى النحور ❊

وله في جارية سوداء وهو معنى غريب ❊

رب سوداء وهي بيضاء معنى ❊	نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون يحسبه الناس ❊	سوادا وانما هو نور ❊

ومحاسن ابن قلاقس كثيرة وكانت ولادته بثغر الاسكندرية يوم الاربعاء رابع شهر

ربيع

ربيع الاخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمايه وتوفي في ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب رحمه الله تعالى ودخل صقلية ودخل صقلية في شعبان سنة ثلث وستين وكان وصوله الى اليمن سنة خمس وستين وكان بصقلية بعض القواد يقال له القايد ابو القاسم بن الحجر فاتصل به واحسن اليه وصنف كتابا سماه الزهر الباسم في اوصاف ابي القاسم واجاد فيه ولما فارق صقلية راجعا الى الديار المصرية وكان في زمن الشتا فرده الريح الى صقلية فكتب الى ابي القاسم المذكور ❊

منع الشتا من الوصول ❊ الى الرسول الى دياري

فاعاده وقلاقس بقافين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة بينهما لام والف وفي اخره سين مهملة وهو جمع قلقاس بضم القاف وهو معروف واللخمي قد تقدم الكلام عليه وكذلك الزهري وعيذاب بفتح العين المهملة وسكون اليا المثناة من تحت وفتح الذال المعجمة وبعد الالف باء موحدة وهي بليدة على شاطي بحر جدة يتعدى منها الركب المصري المتوجه الى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في اغلب الاوقات فيصل الى جدة ومنها الى مكة حرسها الله تعالى مسافة يوم وبجدة قبر ام البشر حوى رضي الله عنها على ما يقال وقبرها هناك ظاهر يزار وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره عند دخوله اليمن ضياء الدين ابن الاثير ابو الفتح نصر الله بن ابي بكر محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب ضياء الدين وكان مولده بجزيرة ابن عمر ونشا بها وانتقل مع والده الى الموصل في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الاحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الاشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين يعني حبيب بن اوس ابا تمام وابا عبادة البحتري وشعر ابي الطيب المتنبي فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت اكرر لها الدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الادمان لي خلقا وطبعا وانما ذكر هذا الفصل في معرض ان المنشي ينبغي ان يجعل دابه في الترسل حل المنظوم ويعتمد عليه في هذه الصناعة ولما كملت لضياء الدين المذكور الادوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته في شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الاخر من السنة المذكورة واقام عنده الى شوال من هذه السنة ثم طلبه ولده الملك الافضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين المقام في خدمته والانتقال الى ولده ويبقى المعلوم بما قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى اليه وكان شابا

فاستوزره الملك الافضل نور الدين علي المقدم ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حالته
عنده ولما توفي السلطان صلاح الدين استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت
امور الناس اليه وصار الاعتماد في جميع الاحوال عليه واستقر ولده الملك الافضل
بمملكة دمشق ولما اخذت دمشق على الملك الافضل وانتقل الى صرخد حسبما شرحناه
في ترجمته وكان ضياء الدين قد اساء العشرة مع اهلها وهموا بقتله فاخرجه الحاجب
محاسن بن عجم مستخفيا في صندوق مقفل عليه ثم صار اليه وصحبه الى مصر
لما استدعي لنيابة ابن اخيه الملك المنصور وقد تقدم ذكر ذلك كله في
ترجمة الملك الافضل فاغنى عن الاعادة ولما قصد الملك العادل الديار المصرية
واخذها من ابن اخيه كما ذكرناه هناك وتعوض الملك الافضل البلاد الشرقية
وخرج من مصر لم يخرج ضياء الدين في خدمته لانه خاف على نفسه من جماعة
كانوا يقصدونه فخرج منها مستترا وله في كيفية خروجه رسالة طويلة شرح
فيها حاله وهي موجودة في ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الافضل مدة
ولما استقر الافضل في سميساط عاد الى خدمته واقام عنده مدة ثم فارقه
في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة واتصل بخدمة اخيه الملك الظاهر صاحب
حلب المقدم ذكره فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم امره وخرج مغاضبا وعاد الى
الموصل فلم يستقم حاله فورد اربل فلم يستقم حاله فسافر الى سنجار ثم عاد الى الموصل
فاتخذها دار اقامته واستقر وكتب الانشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن
الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه المقدم ذكره
في حرف الهمزة واتابكه يومئذ الامير بدر الدين ابو الفضايل لولو وذلك
في سنة ثماني عشرة وستمائة ولقد ترددت من الموصل الى اربل اكثر من عشر مرات
وهو مقيم بها وكنت اود الاجتماع به لاخذ عنه شيئا ولما كان بينه وبين الوالد رحمه
الله تعالى من المودة الاكيدة فلم يتفق ذلك فلما فارقت بلاد الشرق وانتقلت الى
الشام واقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد
الحياة ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وانا بالقاهرة وسيأتي ذكر تاريخه في اواخر
الترجمة ان شاء الله تعالى ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة علمه وفضله
وتحقيق نبله كتابه الذي سماه المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر وهو في مجلدين
جمع فيه فاوعب ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة الا ذكره ولما فرغ من تصنيفه كتبه
الناس عنه فوصل الى بغداد منه نسخة فانتدب له الفقيه الاديب عز الدين ابو
حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد المدايني وتصدى

المؤلفة

لمؤاخذته والرد عليه في ذلك وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه الفلك الدائر
على المثل السائر فلما اكمله وقف عليه اخوه موفق الدين ابو المعالي احمد و
يكنى ابا القاسم ايضا فكتب الى اخيه المذكور ❊

المثل السائر يا سيدي ❊ صنفت فيه الفلك الدائر
لكن هذا فلك دائر ❊ يصير فيه الفلك الدائر

وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمداين يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ست
وثمانين وخمسمائة وتوفي ببغداد سنة خمس وخمسين وستمائة وتوفي اخوه
موفق الدين المذكور ببغداد في سنة ست وخمسين وستمائة بعد ان اخذها
التتر بقليل وكانا فقيهين اديبين فاضلين لهما اشعار مليحة ومولد الموفق ا
المذكور في جمادى الاخرة وقيل في شهر ربيع الاول سنة تسعين وخمسمائة بالمداين
وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن
والافادة وله كتاب المعاني المخترع في صناعة الانشاء وهو ايضا نهاية في
بابه وله مجموع اختار فيه شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي وهو في
مجلد واحد كبير وحفظه مفيد وقال ابو البركات المستوفي في تاريخ اربل
نقلت من خطه في اخر هذا الكتاب المختار ما مثاله ❊

تمتع به علقا نفيسا فانه ❊ اختيار بصير بالامور حكيم
اطاعته انواع البلاغة فاهتدى ❊ الى الشعر من نهج اليه قويم

وله ايضا ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد ومن جملة رسايله
ما كتبه الى مخدومه وقد سافر في زمن الشتاء والبرد الشديد ويصف انه سار عن الخدمة
وقد عصفت الريح فيه بصاردته واسبل عليه ذوائبه وجعل كل قراره حفيرا وكل
ربوة غديرا وخط كل ارض خطا وعاد كل جانب شطا كانه يوازي يد مولانا
في شيمة كرمها والنبات مورد نعمها والمملوك يستغفر الله العظيم من هذا القول
العادي عن فائدة التفصيل وفرق بين ما يملا الوادي بمائه ومن يملا النادي
بنعمائه وليس ما ينبت زهرا يذهبه المصيف او ثمرا ياكله الخريف كمن ينبت ثروة يعز
عن الاعطاف وتاكل المربع والمصطاف ثم استمر على تفاسي الارض ورحلها والسماء
ووبلها ولقد جاد حتى اكثر وواصل حتى اضجر واسرف حتى اتصل بره بالعقوق
وما خاف المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ولم يزل من مواقع قطره في حرب
ومن شدة كره برده في كرب والسلام ولما سمع عيسى بن نصر بن بهرام المعروف
بالحاجري الاربلي المقدم ذكره هذا المعنى وهو قوله من شدة برده في كرب اعجبه

ونظم ابياتا ومن جملتها بيت اودعه هذا ∴ وهو ∴

ويلاه من نود رضاب له ∴ اشكو الى العذال منه الحريق

ومن وقف على هذا البيت ربما يتوق الى الوقوف على بقية الابيات وهي قليله
ولا باس بذكرها وهي ∴ بين لوى الجزع ووادي العقيق ∴ من لا الى السلوان عنه طريق ∴

جاني جنى النحلة من ريقه ∴ حلو الثنايا والثنايا رشيق

لو لم تكن وجنته جنة ∴ لما انبتت ذاك العذار الانيق

ويلاه من برد رضاب له ∴ اشكو الى العذال منه الحريق

واعجبا يفعل بي في الهوى ∴ ما يفعل الاعداء وهو الصديق

ووجه هذا الظبي الذي قد لا ∴ يفعل فعل المهري الرقيق

وقد سبق في ترجمة المعين القطريسي في حرف الهمزة بيت من جملة ابياته الكافيه
يتضمن لهذا المعنى وهو قوله ∴ احرقت بالثغر الحبيب ∴ حتى لما ذقت بردك ∴
واصل هذا المعنى لابن التعاويذي المقدم ذكره في بيت من جملة قصيدته النبوية الشهي

يذكي الجوى بارد من ثغره شبم ∴ ويوقظ الوجد طرف منه وسنان

ومن رسايل ضيا الدين ما كتبه عن مخدومه الى الديوان العزيز من جملة
رساله وهو ودولتها القاهرة وان كان نسبها الى العباس فهي خير دوله
اخرجت للناس كما ان دعاتها خير امة اخرجت للناس ولم يجعل شعارها بالحب
الذي لا يبلى والوصل الذي لا يصرم وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها
وهو مما لم تخطه الاقلام في صحفها ولا اطالت الخواطر في افكارها ولعمري ما
انصف ضيا الدين في دعوة الاختراع لهذا المعنى وقد سبقه اليه ابن التعاويذي
ايضا في قصيدته السينيه التي مدح بها الامام الناصر لدين الله ابا
العباس احمد اول يوم جلس في دست الخلافة وهو يوم الاحد مستهل ذي القعده
سنة خمس وسبعين وخمس مايه واول القصيده ∴

طاف يسعى بها على الجلاس ∴ كقضيب الاراكة المياس ∴ ومنها عند التخلص
وهو المقصود بالذكر هاهنا ∴ يا نهار المشيب من لي ∴ وهيهات بليل الشبيبة الدهماس

حال بيني وبين لهوي ∴ دهر احال صبغة راسي

وراى الغانيات شيبي فاعرض ∴ وقلن السواد خير لباس

كيف لا يفضل السواد وقد ∴ اضحى شعارا على بني العباس

ولا شك ان ضياء الدين زاد على هذا المعنى لكن ابن التعاويذي هو الذي فتح الباب
واوضح السبيل فسهل على ضيا الدين سلوكه ومن جملة رسالة في ذكر العصا الذي

يتركا عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب وهذا البيت اضحى خبر ولقوس
ظهري وتر وان كان الفاوها دليلا على الاقامة فحملها دليل على السفر
وله وصف الناس من جملة كتاب يتضمن الناس السيره ولهزيمة
الكفار وهو قوله فسلبوا وما صدهم الدما عن اللباس فهم في صورة
عار وزيهم ذي كاس وما اسرع ما حبط لهم لباسها المحرد غير انه
لم يجب عليهم ولم يز ذرو وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقي
على الدهر وهو نسيج الشان الخارق لا الصانع الحاذق ولم يغب عن لابسه
الا ريثما عانق البيض في الطلا والهام والف بين الطعن الف الخط واللام
واول هذا الفصل ماخوذ من قول البحتري ∴

سلبوا واشرقت الدما عليهم ∴ محمره فكانهم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصريه وهي طويلة ومن جملتها فصل في نيلها
وقت زيادته وهو معنى بديع غريب لم اقف لغيره على اسلوبه وهو قد لاب رضابه
فضاهى جنى النحل واحمر صفحته فعلمت انه قد قتل المحل وهذا المعنى في نهاية
الحسن ثم اني وجدت هذا المعنى لبعض العرب وقد اخذه ضياء الدين منه
وهو قوله ∴ لله قلبي ما يزال يروعه ∴ برق الغمامة منجدا او مغورا

ما احمر في الليل البهيم ∴ مجردا الا وقد قتل الكرا

ولقد احسن في اخذه وتلطف في نقله الى هذا المعنى ومثله قول عبد الله بن
المعتز المقدم ذكره في غلام ارمد ∴ قالوا اشتكت عينه فقلت لهم ∴ من كثرة القتل مسها
الوصب حمرتها من دماء من قتلت ∴ والدم في النصل شاهد عجب ∴ وله كل معنى مليح
في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسايله فاذا انشا رسالة انشا
مثلها وكانت بينهما مكاتبات ومجاوبات ولم يكن له في النظم شي
حسن وسا ذكر منه انموذجا وهو ∴

ثلاثة تعطي الفرح كاس وكوب وقدح ما ذبح الزق لها ∴

الا وللهم ذبح ∴ وكان كثيرا ما ينشد ∴

قلب كفاه من الصبابة انه لبى داعيها ∴ الظاعنين وما دعي ∴ ومن الظنون الفاسدات توهمي

بعد اليقين بقاه في اضلعي ∴ وهذان البيتان من جملة
ابيات للفقيه عمارة اليمني المقدم ذكره ومحاسنه كثيرة وقد طال الشرح وذكره
ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وبالغ في الثناء عليه وقال ورد اربل في شهر ربيع
الاول سنة احدى عشرة وستمائة وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في يوم الخميس العشرين

من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفي في احدى الجمادين سنة سبع وثلثين
وستمائة ببغداد وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلي عليه من الغد
ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما قال
ابو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد انه توفي يوم الاثنين التاسع
والعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة وهو اخبر لانه صاحب هذا الفن وقد مات
عندهم وقد تقدم ذكر اخويه مجد الدين ابي السعادات المبارك وابي الحسن
علي الملقب عز الدين وكان الاخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء لكل واحد منهم
تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى وكان لضياء الدين ولد نبيه له النظم و
النثر والحسن وعدة تصانيف من مجاميع وغيرها ورايت له مجموعا جمعه للملك
الاشرف بن الملك العادل ابن ايوب فاحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره
ورسايل ابيه ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسماية
وتوفي بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الاولى سنة اثنين وعشرين وستماية
واسمه محمد ولقبه الشرف رحمه الله تعالى **النضر بن شميل** النحوي ابو الحسن
النضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم بن عبده بن زهير السكب الشاعر بن
عروة بن حليمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي المازني
النحوي البصري كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه
وشعر ومعرفة بايام العرب ورواية الحديث وهو من اصحاب الخليل بن
احمد ذكره ابو عبيدة في كتاب مثالب اهل البصرة فقال ضاقت المعيشة على
النضر بن شميل بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من اهل البصرة نحو من ثلاثة
الاف رجل ما فيهم الا محدث او نحوي او لغوي او عروضي او اخباري فلما
صار بالمربد جلس وقال يا اهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم
كيلجة باقلاء ما فارقتكم قال فلم يكن فيهم من يتكفل له ذلك وسار حتى وصل
خراسان فافاد بها مالا عظيما وكانت اقامته بمرو وقد سبق في اخبار القاضي
عبد الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد وسمع من هشام
بن عروة واسمعيل بن ابي خالد وحميد الطويل وعبد الله بن عوف وهشام بن
حسان وغيرهم من التابعين وروى عنه يحيى بن معين وعلي بن المديني وكل من ادركه
من ايمة عصره ودخل نيسابور غير مرة واقام بها زمانا وجمع منه اهلها ولزم المامون
بن هرون الرشيد لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر لانه كان يجالسه فمن ذلك
ما حكاه الحريري في كتاب درة الغواص في اوهام الخواص في قوله ويقولون هو سداد

من عوز

ن

من عوز فيلحنون في السين بفتحها والصواب ان يقال بالكسر وجاء في اخبار النحويين ان النضر
بن شميل المازني استفاد بافادة هذا الحرف ثمانين الف درهم وساق خبره وذكر
اسناده انتهى فيه الى محمد بن ناصح الاهوازي قال حدثني النضر بن شميل قال كنت
ادخل على المامون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقوع فقال يا نضر
ما هذا التقشف حتى تدخل على امير المؤمنين وهذه الخلقان فقلت يا امير المؤمنين
انا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فاتبرد بهذه الخلقان قال ولكنك متقشف ثم اجرينا
الحديث فاجرى هو ذكر النسا فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المراة لدينها
وجمالها كان فيه سداد من عوز فاورده بفتح السين قال فقلت صدق يا امير المؤمنين
هشيم حدثنا عوف بن ابي جميلة عن ابن علي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المراة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز
قال وكان المامون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد قلت لان
السداد ههنا لحن قال او تلحنني قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع امير المؤمنين
لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد
بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو السداد قال او تعرف العرب ذلك قلت
نعم هذا العرجي يقول ÷ اضاعوني واي فتى اضاعوا ÷ ليوم كريهة وسداد ثغر
فقال المامون قبح الله من لا ادب له واطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت
اريضة لي بمرو اتصابها واتمززها قال افلا نفيدك مالا معها قلت اني لذلك
لمحتاج قال فاخذ القرطاس فانا لا ادري ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا امرت
ان يترب قال اتربه قال فهو ماذا قال مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو
ماذا قلت طين فقال هذه احسن من الاولى ثم قال يا غلام اتربه وطنه ثم صلى
بنا العشا وقال لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل قال فلما قرا الفضل الكتاب
قال يا نضر ان امير المؤمنين قد امر لك بخمسين الف درهم فما كان السبب فيه
فاخبرته ولم اكذب به فقال لحنت امير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان
لحانة فتبع امير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفاظ الفقهاء ورواة الاخبار ثم امر
لي بثلثين الف درهم فاخذت ثمانين الف درهم بحرف استفيد مني والبيت
الذي استشهد به هو لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي
العرجي الشاعر المشهور وهو من جملة ابيات وهي ÷

اضاعوني واي فتى اضاعوا ÷ ليوم كريهة وسداد ثغر

احرد فى الجوامع كل يوم * فالله مظلتى وقسرى
وصبر عند معترك المنايا * وقد شرعت اسنتها لنحرى
كانى لم اكن فيكم وسيطا * ولم تك نسبتى فى ال عمرو
عسى الملك المجيب لمن دعاه * سينجينى ويعلم كيف شكرى
فاجزى بالكرامة اهل ودى * واجزى بالضغاين اهل وترى

وكان سبب عمله هذه الابيات ان محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى خال هشام بن
عبد الملك لما كان ولى مكه حبس العرجى المذكور لانه كان شبب بامه جيدا وهى من
بنى الحرث بن كعب ولم يكن ذلك لمحبة لها بل ليفضح ولدها المذكور واقام فى حبسه تسع سنين
ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط وشهره فى الاسواق فعمل هذه الابيات فى السجن
وقد خرجنا عن المقصود ونرجع الان الى تتمة اخبار النضر بن شميل فمن ذلك ما حكاه
الحريرى فى درة الغواص ايضا فى اوايل الكتاب فى قوله ويقولون للمريض مسح الله ما بك
والصواب فيه مصح فقال ويحكى ان النضر بن شميل المازنى مرض فوصل اليه قوم يعودونه
فقال له رجل منهم يكنى ابا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح
اى اذهبه وفرقه اما سمعت قول الاعشى واذا ما الخمر فيها ازبدت افل الازباد فيها
ومصح فقال له الرجل ان السين تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر
فقال له النضر فاذا انت ابو سالح ويشبه هذه النادره ما حكى ايضا ان بعض الادبا
جوز بحضرة الوزير ابى الحسن ابن الفرات ان السين تقام مقام الصاد فى كل موضع فقال له
الوزير اتقرا جنات عدن يدخلونها ومن سلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم ام من
صلح فخجل الرجل وانقطع انتهى كلام الحريرى قلت انا والذى ذكره ارباب اللغة فى جواز
ابدال الصاد من السين ان كل كلمة فيها سين وجاء بعدها احد الحروف الاربعة وهى
الطا والخا والغين والقاف فيجوز ابدال السين بالصاد فتقول فى الصراط السراط وتقول فى
سخر لكم صخر لكم وفى مسبغة مصبغة وفى صقل سقل وقس على هذا الكل ولم يكن
فى شى من كتب اللغة ممن ذكر هذا انه حكى فيه خلافا سوى الجوهرى فى كتاب
الصحاح فى لفظة صلخ قال وربما قالوا السلخ بالسين قال قطرب محمد بن المستنير
ان قوما من بنى تميم يقال لهم بلعنبره يقلبون السين صادا عند اربعة احرف عند
الطاء والقاف والغين والخاء اذا كن بعد السين ولا تبالى اثانية كانت ام ثالثة ام رابعة
بعد ان تكون بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل وسرقت
وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسلغة ومصلغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب
انتهى كلامه هذا فى الفصل واخبار النضر كثيرة والاختصار اولى وله تصانيف كثيرة

فمن ذلك كتاب فى الاجناس على مثال الغريب ويسماه كتاب الصفات قال على انه
الكوفى الجزء الاول منه يحتوى على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء والجزء
الثانى يحتوى على الاخبيه والبيوت وصفة الجبال والشعوب والجزء الثالث يحتوى
على الابل فقط والجزء الرابع يحتوى على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار
والالبان والكماه والابار والحياض والارشيه والدلاء وصفة الخمر الجزء الخامس يحتوى
على الزرع والكرم والعنب واسما البقول والاشجار والرياح والسحاب والامطار وله
كتاب السلاح وكتاب خلق الفرس وكتاب الانواء وكتاب المعانى وكتاب غريب
الحديث وكتاب المصادر وكتاب المدخل الى كتاب العين للخليل بن احمد وغير ذلك
من التصانيف وتوفى سلخ ذى الحجة سنه اربع ومايتين وقيل فى اولها وقيل سنة
ثلث ومايتين بمدينة مرو من بلاد خراسان وبها ولد ونشا بالبصره فلذلك نسب
اليها رحمه الله تعالى والنضر بن شميل بفتح النون وسكون الضاد المعجمه وبعدها
راء وشميل بضم الشين المعجمه وفتح الميم وسكون اليا المثناة من تحتها وبعدها لام
وخرشه بفتح الخاء المعجمه والراء والشين المعجمه وكلثوم بضم الكاف والثاء المثلثه
وبينهما لام ساكنة وعنده بفتح العين والذال المهملتين وبينهما باء موحده ساكنه
والسكب بفتح السين المهمله وسكون الكاف وبعدها باء موحده وانما قيل له السكب
لقوله برق يضيء خلال البيت اسكوب وحليمه بفتح الحاء المهمله وكسر اللام وسكون
الياء المثناه من تحتها وقال ابن الجوزى فى كتاب الالقاب فى ترجمة السكب هو زهير
بن عروة بن جلهمه والله اعلم بالصواب وجلهمه بفتح الجيم والهاء وبينهما لام ساكنه
وهو فى الاصل اسم جانب الوادى يقال فيه جلهمة وجلهه بفتح الجيم والهاء بغير ميم
وبه سمى الرجل وحجر بضم الحاء المهمله وبعدها جيم ساكنه ثم راء ساكنه وخزاعى
بضم الخاء المعجمه وفتح الزاى وبعد الالف عين مهمله مكسوره ثم ياء مشدده تشبه
يا النسب والباقى معروف فلا حاجه الى ضبطه الامام ابو حنيفه النعمان
بن ثابت بن زوطا بن ماه الفقيه الكوفى مولى تيم الله بن ثعلبه وهو رهط حمزة
الزيات كان خزازا من اهل بيع الخز وجده زوطا من اهل كابل وقيل من اهل بابل
وقيل من اهل الانبار وقيل من اهل نسا ترمذ وهو الذى مسه الرق فاعتق وولد
ثابت على الاسلام وقال اسمعيل بن حماد بن ابى حنيفه انا اسمعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت
بن النعمان ابن المرزبان من ابناء فارس من الاحرار والله ما وقع علينا رق قط ولد
جدى سنة ثمانين وذهب ثابت الى على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو صغير
فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجوا ان يكون الله قد استجاب ذلك لعلى فينا

والنعمان بن المرزبان ابو ثابت هو الذي اهدى لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه الفالوذج
في يوم مهرجان النيروز فقال مهرجونا كل يوم هكذا قال الخطيب في تاريخه
والله اعلم ادرك ابو حنيفة اربعة من الصحابة رضي الله عنهم وهم انس بن مالك
وعبد الله بن ابي اوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وابو الطفيل عامر
بن واثلة بمكة ولم يكن احداً منهم ولا اخذ عنه واصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة
وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند اهل النقل وذكر الخطيب في تاريخ بغداد انه راى انس
بن مالك رضي الله عنه واخذ الفقه عن حماد بن ابي سليمن وسمع عطا ابن ابي رباح
وابا اسحق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصراف ومحمد بن المنكدر
ونافعا مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى
عنه عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني
وغيرهم وكان عالما فاضلا زاهداً ورعاً عابداً تقياً كثير الخشوع دايم التضرع
الى الله تعالى ونقله ابو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد فاراده على تولية القضا
فابى قال فحلف عليه ليفعلن فحلف ابو حنيفة لا يفعل فقال الربيع ابن يونس الحاجب
الا ترى امير المؤمنين يحلف فقال له ابو حنيفة امير المؤمنين على كفارة ايمانه اقدر مني
على كفارة ايماني وابى ان يلي فامر به الى الحبس في الوقت والعوام يزعمون انه تولى
عدد اليمين اياما ليكفر ذلك عن يمينه ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الربيع
رايت المنصور ينازل ابا حنيفة في القضا وهو يقول اتق الله ولا ترعي في امانتك
الا من يخاف الله والله ما انا مامون الرضا فكيف اكون مامون الغضب ولو اتجه الحكم
عليك ولو تهددني ان تغرقني في الفرات او الى الحكم لاخترت ان اغرق ولك حاشية
يحتاجون الى من يكرمهم ولا اصلح لذلك فقال له كذبت انت تصلح فقال له قد حكمت
على نفسك كيف يحل لك ان تولي قاضيا على امانتك وهو كذاب وحكى ابو الطيب
ايضاً في بعض الروايات ان المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب
الشرقي وبنى مسجد الرصافة ارسل الى ابي حنيفة فجئ به فعرض عليه قضا
الرصافة فابى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال او تفعل قال نعم فقعد في القضا
يومين فلم ياته احد فلما كان اليوم الثالث اتاه رجل صفار ومعه اخر فقال الصفار
لي على هذا درهما واربعة دوانيق ثمن تور صفر فقال ابو حنيفة اتق الله وانظر
فيما يقول الصفار قال ليس له علي شئ فقال ابو حنيفة للصفار ما يقول فقال ابو حنيفة
للرجل قل والله الذي لا اله الا هو فجعل يقول لما راه ابو حنيفة معتمدا على ان يحلف
قطع عليه وضرب بيده الى كمه واخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذا ان

الدرهمين

الدرهمين عوض تورك فنظر الصفار اليهما وقال نعم واخذ الدرهمين فلما كان
بعد يومين اشتكى ابو حنيفة فمرض ستة ايام ومات وكان يزيد بن عمر بن
هبيرة الفزاري امير العراقين امره ان يلي القضا بالكوفة فابى عليه فضربه
بالسياط مائة سوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة اسواط وهو على الامتناع
فلما راى ذلك خلا سبيله وكان احمد بن حنبل اذا ذكر ذلك بكى وترحم على
ابي حنيفة وذلك بعد ان ضرب احمد على القول بخلق القرآن وقال اسمعيل بن
حماد بن ابي حنيفة مررت مع ابي الكناسة فبكى فقلت له يا ابتي مما تبكي فقال
يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة ابي عشرة ايام في كل يوم عشرة اسواط على ان
يلي القضا فلم يفعل والكناسة بضم الكاف موضع بالكوفة وكان ابو حنيفة حسن
الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من
الرجال وقيل كان طويلا تعلوه سمرة احسن الناس منطقا واحلاهم نغمة وذكر
الخطيب في تاريخه ان ابا حنيفة راى في المنام كانه ينبش قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبعث من سال ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرويا
يثير علما لم يسبقه اليه احد قبله وقال الشافعي رضي الله عنه قيل لمالك
هل رايت ابا حنيفة فقال نعم رايت رجلا لو كلمك في هذه
السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي رضي
الله عنه انه قال الناس عيال على خمسة من اراد ان يتبحر في الفقه فهو عيال على
ابي حنيفة وكان ابو حنيفة ممن وفق له الفقه ومن اراد ان يتبحر في الشعر فهو عيال
على زهير بن ابي سلمى ومن اراد ان يتبحر في المغازات فهو عيال على محمد بن اسحق
ومن اراد يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ومن اراد ان يتبحر في التفسير فهو
عيال على مقاتل بن سليمن هكذا انقله الخطيب في تاريخه وقال يحيى بن معين القرا
عندي قراة حمزة والفقه فقه ابي حنيفة على هذا ادركت الناس وقال جعفر بن
الربيع اقمت عند ابي حنيفة خمس سنين فما رايت اطول صمتا منه فاذا سئل
عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويا وجهارة الكلام وكان اماما
في القياس قال علي بن عاصم دخلت على ابي حنيفة وعنده حجام ياخذ من
شعره فقال للحجام اتبع مواضع البياض فقال الحجام لا تزد قال ولم قال لانه
يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر وحكيت هذه الحكاية لشريك فضحك
وقال لو ترك ابو حنيفة القياس لتركه مع الحجام وقال عبد الله رجا كان
لابي حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره اجمع حتى اذا جنه الليل رجع الى

منزله وقد حمل الحمّال بطيخة او سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى اذا دبّ الشراب فيه غرّد بصوته وهو يقول ❊ اضاعوني واي فتى اضاعوا ❊ ليوم كريهة وسداد ثغر ❊ فلا يزال يشرب ويردد ❊ هذا البيت حتى يأخذه النوم ❊ وكان ابو حنيفة يسمع حديثه كل ليلة وابو حنيفة كان يصلي الليل كله ففقد ابو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل اخذه العسس منذ ليال وهو محبوس فصلى ابو حنيفة صلوة الفجر من غد وركب بغلته واستأذن على الامير فقال الامير ايذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل ولم يزل يوسع له من مجلسه ثم قال له ما حاجتك قال لي جار اسكاف اخذه العسس منذ ليال يأمر الامير بتخليته فقال نعم وكل من اخذ في تلك الليلة الى يومنا هذا فامر بتخليتهم اجمعين فركب ابو حنيفة والاسكاف يمشي وراءه فلما نزل ابو حنيفة التفت اليه وقال يا فتى اضعناك فقال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد الى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت ابا حنيفة في طريق مكة وشوي لهم فصيل سمين فاشتهوا ان يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئا يصبوا فيه الخل فتحيروا فرأيت ابا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشوا بالخل فقالوا تحسن كل شيء فقال عليكم بالشكر فان هذا الشيء الهمته لكم فضلا من الله عليكم وقال ابن المبارك ايضا قلت لسفيان الثوري يا ابا عبد الله ما ابعد ابا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط فقال هو والله اعقل من ان يسلط على حسناته ما يذهبها وقال ابو يوسف دعا ابو جعفر ابا حنيفة فقال الربيع حاجب المنصور وكان يعادي ابا حنيفة يا امير المؤمنين هذا ابو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم او يومين جاز الاستثنا وقال ابو حنيفة لا يجوز الاستثنا الا متصلا باليمين فقال ابو حنيفة يا امير المؤمنين ان الربيع يزعم انه ليس لك في رقاب جندك بيعة قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم قال فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تعرض لابي حنيفة فلما خرج ابو حنيفة قال له الربيع اردت ان تشط بدمي قال لا ولكنك اردت ان تشط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي وكان ابو العباس الطوسي يسيء الراي في ابي حنيفة وكان ابو حنيفة يعرف ذلك فدخل ابو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم اقتل ابا حنيفة

فاقبل عليه

فاقبل عليه وقال يا ابا حنيفة ان امير المؤمنين يدعو الرجل فيامره بضرب عنق الرجل ولا يدري ما هو ايسعه ان يضرب عنقه فقال يا ابا العباس امير المؤمنين يامر بالحق ام بالباطل فقال بالحق فقال انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال ابو حنيفة لمن قرب منه ان هذا اراد ان يوثقني فربطته وقال يزيد بن الكميت كان ابو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى قرا بنا علي الحسن بن الموذن ليلة في العشا الاخيرة سورة من اذا زلزلت وابو حنيفة خلفه فلما قضى الصلوة وخرج الناس نظرت الى ابي حنيفة وهو جالس يتفكر يتنفس فقلت اقوم لا يشتغل قلبه بي فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه الا زيت قليل فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد اخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال ذرة خيرا خيرا ويا من يجزي بمثقال ذرة شرا شرا اجر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء وادخله في سعة رحمتك قال فاذنت واذا القنديل قد زهر وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد ان تاخذ القنديل قلت قد اذنت لصلوة الغداة فقال اكتم علي ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى اقمت الصلوة وصلى معنا الغداة على وضوء اول الليل وقال اسد بن عمرو صلى ابو حنيفة فيما حفظ عليه صلوة الفجر بوضوء صلوة العشاء اربعين سنة وكان يقرأ جميع القران في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عليه انه ختم القران في الموضع الذي توفي فيه سبعة الاف مرة وقال اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة عن ابيه لما مات ابي سألنا الحسن بن عمارة ان يتولى غسله ففعل فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلثين سنة ولم تتوسد يمينك في الليل منذ اربعين سنة وقد اتعبت من بعدك وفضحت القراء ومناقبه وفضائل كثيرة وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيا كثيرا ثم اعقب ذلك بما كان الاليق تركه والاضراب عنه فمثل هذا الامام لا يشك في دينه ولا في ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي ان ابا عمرو بن العلا المقرئ النحوي المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود ام لا فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للامام الشافعي رضي الله عنه فقال له ابو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بابا قبيس المطل على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال ذلك على لغة من يقول ان هذه الكلمات الست المعربة بالحروف وهي ابوه واخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال ان اعرابها يكون في الاحوال

الثلاثة بالالف وانشد على ذلك قوله ؛

ان اباها وابا اباها ؛ قد بلغا فى المجد غايتاها

وهى لغة الكوفيين وابو حنيفه من اهل الكوفه فهى لغته والله اعلم هذا وان كان
خروجا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادته
سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة احدى وستين والاول اصح وكانت وفاته
ببغداد فى رجب وقيل شعبان سنة خمسين ومايه وقيل لاحدى عشرة ليلة
خلت من جمادى الاولى من السنه وقيل سنه احدى وخمسين وقيل ثلث وخمسين
والاول اصح وكانت وفاته فى السجن ليلى القضا فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل انه
لم يمت فى السجن وقيل انه توفى فى اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعى رضى الله عنهما
وقبر بمقبرة الخيزران وقبره هناك مشهود يزار وزوطا بضم الزاء وسكون
الواو وفتح الطا المهمله وبعدها الف مقصورة وهو اسم نبطى وكابل بفتح الكاف
وضم الباء الموحده بعد الالف وبعدها لام وهى ناحيه معروفة من بلاد الهند
ينسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم واما بابل والانبار فهما معروفان فلا حاجة
الى الكلام عليهما وبنى شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور الخوارزمى مستوفى مملكة
السلطان ملك شاه السلجوقى على قبر الامام ابو حنيفه مشهدا وقبه وبنى عنده
مدرسة كبيرة للحنفيه ولما فرغ من عمارة ذلك ركب اليها فى جماعة من الاعيان
ليشاهدها فبينما هم هناك اذ دخل عليهم الشريف ابو جعفر الشاعر
المقدم ذكره وانشد ؛

الم تر ان العلم كان مبددا ؛ فجمعه هذا المغيب فى اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة ؛ فانشرها فضل العميد ابى سعد

فاجازه ابو سعد باجازة سنيه ولهذا ابى سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط
وخانات فى المفاوز وكان كثير الخير وعمل المعروف وانقطع فى اخر عمره عن الخدمة
ولزم بيته وكانوا يراجعونه فى الامور وتوفى فى المحرم سنة اربع وتسعين
واربعمائة باصبهان رحمه الله تعالى وكان بنا المشهد والقبه فى سنة تسع
وخمسين واربعمائة وتقدم فى ترجمه الب ارسلان محمد والد السلطان ملك
شاه انه بنى مشهدا على قبر ابى حنيفه وكذا وجدته فى بعض التواريخ وقد
غاب عنى الان من اين نقلته ثم وجدت بعد ذلك ان الذى بنى المشهد والقبه
ابو سعد المذكور والظاهر ان ابا سعد بناها نيابة عن الب ارسلان المذكور و
هو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فنسبت العمارة اليه بهذا الطريق

ويدل

ويدل على ذلك ان تاريخ العمارة فى ايام الب ارسلان وابو سعد كان مستوفيا
فى ايامه ثم استمر على وظيفته فى ايام ولده ملك شاه وهذا انما ذكرته
للجمع بين النقلين والله اعلم ابو حنيفه صاحب الثغر قاضيه ابو حنيفه
النعمان بن ابى عبد الله محمد بن منصور بن حيون احد الائمة الفضلاء المشار
اليهم ذكره الامير المختار المسبحى فى تاريخه فقال كان من اهل العلم والفقه
والدين والنبل على ما لا مزيد عليه وله عدة مصنفات منها كتاب اصول المذاهب
وغيره انتهى كلام المسبحى فى هذا الموضع وكان مالكى المذهب ثم انتقل الى مذهب
الاماميه وصنف كتاب ابتدا الدعوة للعبيديين وكتاب الاخبار فى الفقه و
كتاب الاقتصار فى الفقه ايضا وقال ابن زولاق فى كتاب اخبار قضاة مصر فى
ترجمه ابى الحسن على بن النعمان المذكور ما مثاله وكان ابوه النعمان بن محمد القاضى
فى غاية الفضل من اهل القران والعلم وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقها و
اللغة والشعر الفحل والمعرفة بايام الناس مع عقل وانصاف والف لاهل البيت
من الكتب الاف اوراق باحسن تاليف واملح سجع وعمل فى المناقب والمثالب كتابا
حسنا وله ردود على المخالفين له رد على ابى حنيفه وعلى مالك والشافعى وعلى ابن
سريج وكتاب اختلاف الفقها ينتصر لاهل البيت رضى الله عنهم وله القصيدة
الفقهيه لقبها بالمنتخبه وكان ابو حنيفه المذكور ملازما صحبة المعز ابى تميم معد بن
المنصور المقدم ذكره ولما وصل من افريقيه الى الديار المصريه كان معه ولم تطل مدته
ومات مستهل رجب سنه ثلث وستين وثلثمايه بمصر وذكر احمد بن محمد بن عبد
الله الفرغانى سيرة القايد جوهر انه توفى ليلة الجمعة سلخ جمادى الاخره من السنه
وصلى عليه المعز وذكر ابن زولاق فى تاريخه بعد ذكره وفاة المعز وذكر اولاده
قضاة المعز فقال قاضيه الواصل معه من الغربات ابو حنيفه النعمان بن محمد الداعى
ولما وصل الى مصر وجد جوهر قد استخلف على القضا ابا طاهر الذهلى البغدادى
فاقره انتهى كلام ابن زولاق وكان ولده ابو عبد الله محمد قد عمر ويحكى اخبارا
كثيرة نفيسة حفظها وعمره اربع سنين وتوفى فى رجب سنه احدى وخمسين
وثلثمائة وصلى عليه ولده ابو حنيفه النعمان المذكور وله اولاد نجباء سروات منهم
ابو الحسن على بن النعمان اشركه المعز بينه وبين ابى طاهر محمد بن احمد بن عبد الله
بن نصر بن يحيى بن صالح بن اسامة الذهلى قاضى مصر فى الحكم ولم يزالا مشتركين فيه
الى ان توفى المعز وقام بالامر ولده العزيز نزار وقد تقدم ذكره ايضا فرد الى القاضى
ابى الحسن المذكور امر الجامعين ودار الضرب وهما على الاشتراك فى الحكم واستمرا على

ذلك الى ان تخفت القاضى اباطاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة
والسعى الا محمولا فذكب العزيز المذكور الى الجزيره التى بين مصر والجزيره مستهل
صفر سنة ست وستين وثلثمايه فحمل ابوطاهر اليه فلقيه والشهود معه عنه
باب الصناعة فراه نحيلا وساله استخلاف ولده ابى العلا بسبب ما يحده من
الضعف فحكى عن العزيز انه قال ما بقى الا ان يعيدوه ثم قلد العزيز ثالث هذا
اليوم ابا الحسن على بن النعمان المذكور القضا مستقلا فركب الى جامع القاهره وقرى
سجله ثم ركب الى الجامع العتيق بمصر وقرى سجله وكان القارى اخاه اباعبد الله
محمد بن النعمان وكان فى سجله القضا بالديار المصريه والشام والحرمين والمغرب
وجميع مملكة العزيز والخطابه والامامه والعيار فى الذهب والفضه والموازين
والمكاييل ثم انصرف الى داره فى جمع عظيم ولم يتاخر عنه احد واقام القاضى ابوطاهر
منقطعا فى بيته عليلا واصحاب الحديث يترددون اليه ويسمعون عليه الى ان توفى
فى سلخ ذى القعدة سنة سبع وثلثين وثلثمايه وسنه ثمان وثمانون سنة
ومدة ولايته ستة عشر سنة وسبعة عشر يوما واذن له العزيز ايضا ان
ينظر فى الاحكام فى هذه المدة فلم يكن له فيه فصل وكان قد حكم بالجانب الغربى
ببغداد ايضا مدة ثم انتقل الى مصر ثم ان القاضى ابا الحسن استخلف فى الحكم
اخاه اباعبد الله محمدا وفوض اليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما والجفار
فخرج اليها واستخلف بها ثم عاد ثم سافر العزيز الى الشام فى سنه سبع وستين
وسافر معه القاضى ابو الحسن معا فى عدة فنون منها علم القضا والقيام
به فوقا وشكره وعلم الفقه والعربيه والادب والشعر وايام الناس وكان
شاعرا مجودا فى الطبقه العليا منه فمن شعره ما دواه ابو منصور الثعالبى
فى كتاب يتيمة الدهر وهو قوله

ولى صديق ما مسنى عدم ٭ مذ وقفت عينه على قدمى
فامر بامرى لما قصدت به ٭ وتمت عن حاجتى ولم ينم

واورد له الثعالبى فى المعنى

صديق له ادب ٭ صداقة مثله نسب
رعى لى فوق ما يرعى ٭ واوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلايقه ٭ لبهرج عنده الذهب

واورد له ابو الحسن الباخرزى المقدم ذكره فى كتاب دمية القصر واوردها
ايضا ابو محمد بن زولاق فى كتاب اخبار قضاة مصر فى ترجمة ابى الحسن المذكور

ابياتا احسن فيها كل الاحسان وهى ٭ رب جود عرفت فى عرفات يلبثنى بجسنها حسنا
حرمت حين احرمت نوم عينى ٭ واستباحت حماى باللحظات
وافاضت مع الحجيج ففاضت ٭ من جفونى سوابق العبرات
ولقد اضرمت على القلب جمرا ٭ محرقا ادمث الى الجمرات
لم انل من منا منى النفس حتى ٭ خفت بالخيف ان تكون وفاتى

ولم يزل ابو الحسن المذكور مستمرا على احكامه وافر الحرمة عند العزيز حتى
اصابته الحمى وهو بالجامع ينظر فى الاحكام فقام من وقته ومضى الى داره فاقام
عليلا اربعة عشر يوما وتوفى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة اربع و
سبعين وثلثمايه واخرج تابوته من الغد الى العزيز وهو معسكر بظهر الجب عند
الموضع المعروف الان بالبركة فوضع التابوت فى المسجد وردت جنازته المعروف
بالبين والجميزه وسار العزيز اليه من مخيمه حتى صلى عليه فى المسجد وردت جنازته
الى داره بالحمرا فدفن بها والحمرا محلة بمصر وهى ثلث حمراوات وانما قيل لها
الحمرا لنزول الروم بها وارسل العزيز الى اخيه ابى عبد الله محمد المذكور فى
هذه الترجمه وكان ينوب عن اخيه ابى الحسن وكانت مدة ولاية ابى الحسن
تسع سنين وخمسة اشهر واربعة ايام وكان ولادته بالمغرب فى شهر ربيع الاول
سنة تسع وعشرين وثلثمايه رحمه الله تعالى واقامت مصر بغير قاض ينظر
فيها ثمانيه عشر يوما لان اباعبد الله كان مريضا ثم خف عنه المرض فركب
فى قبته الى معسكر العزيز فى يوم الخميس لثمان بقين من رجب ثم عاد من عنده
الى الجامع العتيق بمصر فى يوم الجمعه وقد قلده سيفا فلم يقدر على النزول فى
الجامع لضعفه من العلة فسار الى داره ولده ونزل ولده وجماعة من اهل بيته
الى الجامع العتيق بمصر وقرى سجله بعد صلوة الجمعة وكان مثل سجل اخيه ابى الحسن
فى جمع ولاياته وفى ذى القعدة سنة اربع وسبعين وثلثمايه استخلف ولده
ابا القسم عبد العزيز على القضا الاسكندريه بامر العزيز وخلع عليه العزيز
وتوفى يوم الجمعة مستهل جمادى الاول سنة خمس وسبعين عقد القاضى محمد
بن النعمان المذكور على ابنه القايد ابى الحسن جوهر المقدم ذكره فى حرف
الجيم وكان عقده فى مجلس العزيز ولم يحضره الا خواصه وكان الصداق ثلثه
الاف دينار والكتاب يوما معها وكان المعز ابو تميم معد والد العزيز المذكور
قد تقدم وهو بالمغرب الى القاضى ابى حنيفة النعمان المذكور فى اول الترجمه
بعمل اصطرلاب فضة وان يجلس مع الصانع احد ثقاته فاجلس ابو حنيفة ولده المذكور

محمد افلما افرغ الاصطرلاب حمله ابو حنيفه الى المعز فقال له من اجلت معه فقال
ولدى محمد فقال هو قاضي مصر وكان كما قال لان المعز كانت تحدثه نفسه ابدا
باخذ مصر ولهذا تلفظ بهذا الكلام ووافقته السعادة مع المقادير وقال القاضي
محمد المذكور كان المعز اذ اراني وانا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز هذا قاضيك
وكان محمد جيد المعرفة بالاحكام متفننا في علوم كثيرة من الادب والدراية با
لاخبار والشعر وايام الناس وله شعر فمن ذلك قوله ∴

ايا مشبه البدر بدر السماء ∴ لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كامل الحسن في نعته ∴ شغلت فؤادي واسهرت عيني
فهل من مطمع ارتجيه ∴ والا انصرفت بخفي حنين
وتشمت بي شامت في هواك ∴ ويفضحني ثانيا صفر اليدين
فاما منت واما قتلت ∴ فانت القدير على الحالتين

وكتب اليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي

تعادلت القضاة غلا فاما ∴ ابو عبد الاله فلا عديل
وحيد في فضايله غريب ∴ خطير في مفاخره جليل
تالق بهجة ومضى اعتزاما ∴ كما يتالق السيف الصقيل
فيقضي والسداد له حليف ∴ ويعطي والغمام له رسيل
لو اختبرت قضاياه لقالوا ∴ سر بدا عليها جبريل
اذا برق المنابر فهو قس ∴ وان حضر المشاهد فالخليل

وكتب اليه القاضي المذكور

قرانا من قريضك ما يروق ∴ بدايع حاكها طبع رقيق
كان سطورها روض انيق ∴ تفتح بينها المسك الفتيق
اذا ما انشدت ارجت وطابت ∴ منازلنا بها حتى الطريق
وانا تايقون اليك فاعلم ∴ وانت الى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها في كل يوم ∴ فانت بكل مكرمة حقيق

وقال ابن زولاق في كتاب اخبار قضاة مصر ولم يشاهد بمصر لقاض من
القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاضي
العراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ واقامة الحق
والهيبة وفي المحرم سنة ثلث وثمانين وثلثماية استخلف ولده ابا القاسم
عبد العزيز المذكور في الاحكام بالقاهرة ومصر على الدوام بعد ان كان ينظر

فيها

فيها يوم الاثنين والخميس لا غير فصار يسمع البينات ويحكم ويسجل وكان يخلفه
ولد اخيه وهو ابو عبد الله الحسين على ابن النعمان فصرف لعشر خلون من
جمادى الاولى سنة سبع وسبعين واستخلف ولده ابا القاسم المذكور في
الاثنين والخميس خاصة وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى اصعده
معه على المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور
في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالامر بعده ولده الحاكم المقدم
ذكره فاقر القاضي محمد على اشغاله وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده
ولما حصلت له المنزلة والمكنة من الدولة كثرت علله وكان يلازمه النقرس والقولنج
فكان اكثر اوقاته عليلا وكان الاستاد ابو الفرج برجوان المقدم ذكره على جلالته و
عظم شانه يعوده كل وقت ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلث بعد العشا الاخرة
رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثماية وركب الحاكم الى داره بالقاهرة وصلى عليه
فيها ووقف على قبره ثم انصرف الى قصره وكانت ولادته يوم الاحد لثلث خلون
من صفر سنة اربعين وثلثماية بالمغرب ووهب الحاكم داره لبعض اصحابه فنقل
القاضي محمد الى داره التي بمصر يوم الاربعا لتسع خلون من شهر رمضان من السنة
ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور الى مقبرة اخيه و
ابيه بالقرافة رحمهم الله تعالى ولما مات ابو عبد الله المذكور اقامت مصر
بغير قاضي اكثر من شهر ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضا ابا عبد الله الحسين بن
على بن النعمان الذى كان ينوب عن عمه ابي عبد الله محمد المذكور فصرفه وتخلى
ولده القاسم عبد العزيز وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمه وكانت ولاية
الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع وثمانين وثلثماية و
استمر في الحكم الى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة اربع وتسعين فصرف
بابن عمه ابي القاسم عبد العزيز بن محمد المقدم ذكره ثم ضربت عنق الحسين بن على
المذكور يوم الاحد سادس المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته واحرقت جثته و
ذلك بامر الحاكم لقضية يطول شرحها واستقل ابو القاسم بالاحكام وضم اليه الحاكم
النظر في المظالم ولم يجتمعا لاحد من قبله وعلت رتبته عند الحاكم واصعده معه على
المنبر يوم عيد الفطر بعد قايد القواد وذلك في عيد النحر وتغلب في الاحكام
وتشدد على من عاداه من روسا الدولة ووسم على جماعة من وجب عليه الحق فامتنع
من الخروج منه ولم يزل ماضيا في جميع ما فوضه اليه الحاكم الى ان صرفه عن ذلك جميعه
في يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثماية وفوض الحاكم الى ابي

الحسن مالك بن سعد بن مالك القارقي واخرجه عن اهل بيت النعمان ثم ان الحاكم امر
الا بقتل القاضي ابي القاسم عبد العزيز المذكور والقايد ابي عبد الله الحسين بن
جوهر وابي اسمعيل اخي القايد فضل بن صالح فقتلوهم ضربا بالسيوف في ساعة
واحدة لامر يطول شرحه وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الاخرة
سنة احدى واربعمايه رحمهم الله تعالى وكانت ولادة ابي القاسم المذكور يوم
الاثنين مستهل شهر ربيع الاول سنة اربع وخمسين وثلثمايه واما القاضي ابو
طاهر المذكور فقال ابو منصور احمد بن عبد الله بن احمد الفرغاني في تاريخه كان
كثير الرواية حسن المجالسة شيخ مع الشيوخ كهل مع الكهول شاب مع الشباب و
توفي لليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وسبعين وثلثمايه رحمهم الله تعالى
اجمعين **السيده نفيسة** ابنة ابي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن
ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين دخلت مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق
رضي الله عنه وقيل بل دخلت مع ابيها الحسن وان قبره بمصر لكنه غير مشهور
فانه كان واليا على المدينة من قبل ابي جعفر المنصور واقام بالولاية مدة خمس
سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شي له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا
حتى مات المنصور وولي المهدي فاخرجه من محبسه ورد عليه كل شي ذهب له
ولم يزل معه فلما حج المهدي كان في صحبته فلما انتهى الى الحاجر مات هناك وذلك
في سنة ثمان وستين ومايه وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن
المهدي ودفن في الحاجر على خمسة اميال من المدينة وقيل انه توفي ببغداد ودفن
في مقبرة الخيزران والصحيح انه مات بالحاجر هكذا قال الخطيب في تاريخه والله
اعلم وكانت نفيسة من النسا الصالحات التقيات ويروى عن الامام الشافعي رضي
الله عنه لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر اليها وسمع منها الحديث
وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو الى الان باق كما كان ولما توفي الشافعي
رضي الله عنه ادخلت جنازته اليها فصلت عليه في دارها وكانت في موضع مشهدها
اليوم ولم تزل به الى ان توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومايتين ولما ماتت
عزم زوجها المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق على حملها الى المدينة ليدفنها هنالك
فساله المصريون بقاها عندهم فدفنت في الموضع المعروف بها اليوم بين القاهرة و
مصر عندهم فدفنت في الموضع المعروف بها اليوم بين القاهرة ومصر عند المشاهد
وهذا الموضع كان يعرف يومئذ بدرب السباع فخرب الدرب فلم يبق هناك
سوى المشهد وقبرها معروف باجابة الدعا عنده وهو مجرب رضي الله عنها

حرف الواو ابو حذيفة واصل ابن عطا المعتزلي المعروف بالغزال مولى
بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم كان احد الايمة البلغا المتكلمين في علم الكلام
وغيره وكان يلثغ بالرا فيجعلها غينا قال ابو العباس المبرد في حقه في
كتاب الكامل كان واصل بن عطا احد الاعاجيب وذلك انه كان الثغ قبيح
اللثغة في الرا فكان يخلص كلامه من الرا ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام
وسهولة الفاظه وفي ذلك يقول شاعر من المعتزلة وهو ابو الطروق الضبي يمدحه
باطالة الخطب واجتنابه الرا على كثرة ترددها في الكلام حتى كانها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع ٭ لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال اخر ويجعل البر قمحا في تصرفه ٭ وخالف الرا حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله ٭ فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال ما لهذا الاعمى المكتني بابي معاذ
من يقتله اما والله لولا ان الغيلة خلق من اخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج
بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسيا او عقيليا فقال هذا الاعمى ولم يقل بشار
ولا ابن برد ولا الضرير وقال من اخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال
لبعثت ولم يقل لارسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال
يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لان بشارا كان يتولى اليهم وذكر سدوس لانه كان
نازلا فيهم وذكر السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة المعتزلي ان واصل بن عطا
كان يجلس الى الحسن البصري رحمه الله تعالى فلما ظهر الاختلاف فقالت الخوارج بتكفير
مرتكبي الكباير وقالت الجماعة بانهم مومنون وان فسقوا بالكباير فخرج واصل بن
عطا عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مومن ولا كافر منزلة بين
منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل
لهما ولاتباعهما معتزلون وقد احلت في ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع في
تبيين اصل الاعتزال ولاي شي سموا بهذا الاسم وقد ذكرت في ترجمة قتادة
ابن دعامة السدوسي انه الذي سماهم بذلك وكان واصل بن عطا يضرب به
المثل في اسقاط حرف الرا من كلامه واستعمل الشعرا ذلك في شعرهم كثيرا فمن ذلك
قول ابي محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب ابا القاسم
اسمعيل بن عباد المقدم ذكره وهو ٭

نعم تجنب لا يوم العطا كما ٭ تجنب ابن عطا لفظة الرا ٭
فمحبوب له الثغ اعد الثغر لو ان واصل حاضر ليه معها ما اسقط الرا

واصل ٭ اجعلت وصلى الراء لم تنطق بها ٭ وقطعتنى حتى كانك واصل

لله دره ما احسن قوله ٭ وقطعتنى حتى كانك واصل ٭

فلا تجعلنى مثل همزة واصل ٭ فيلحقنى حذف ولا راء واصل ٭ وقال

ابو عمرو يوسف بن هرون الكندى الاندلسى الرمادى الشاعر المشهود

الا انه لم يتعرض الى ذكر واصل وكانت وفاته سنة ثلث واربعماية

لا الراء يطمع فى الوصال ولا انا ٭ الهجر يجمعنا ونحن سواء

واذا خلوت كتبتها فى راحتى ٭ وقعدت منتحبا انا والراء

وهذا الباب متسع فلا حاجة الى الاطالة فيه ويكفى منه هذا الانموذج وقد عمل

الشعراء فى اللثغة التى هى ابدال الثاء من السين شعرا كثيرا فمن ذلك ما يعزى

الى ابى نواس ولم اجدها فى ديوانه والله اعلم الا ان تكون فى رواية على بن

حمزة الاصبهانى فانها اكثر الروايات ولم اكشف لهذه الابيات منها وهى ابيات

حلوة طريفة واول القصيدة ٭ ٭

وشادن سالته عن اسمه ٭ وكان فقال اثمى مرداث

بات يعاطينى سحا مه ٭ وقال لى قد هجع الناث

اما ترى حسن الكا سنا ٭ زينها النثرين والاث

ولو شرعت فى ذكر ما قيل فى هذا النمط لطال الشرح ولم اجد فى لثغة الراء الا قليلا

فمن ذلك امادياض اللثغ من احبه ٭ ونقطة خال الخد فى عطفة الصدغ

لقد فتنتنى لثغة موصلية ٭ رمتنى فى باذ بجوهرى اللثغ

ومستعجم الالفاظ عقرب صدغه ٭ مسلطة دون الانام على لدغى

يكاد اختم الضم عند حديثه ٭ الى اللفظة الغنا من نقطة يصغى

يقول وقد قبلت واضح ثغره ٭ وكان الذى اهوى ونلت الذى ابغى

تغفق فغنش الجمع من غيقتى ٭ يزيدك عند الشغب سكفا على سلغ

ولقد اجاد هذا الشاعر وجمع فى البيت الاخير راءات كثيرة وابدلها بالغين

وللخبز ارزى الشاعر المقدم ذكره فى غلام الثغ بالراء ايضا لكنه لم يستعمل اللثغة

الا فى البيت الاخير ٭ وشادن بالكرخ ذى لثغة ٭ واتما شرطى فى اللثغ ٭

اما اشبه الزيتون فى خضرة ٭ حتى حكى العقرب فى الصدغ

فى فمه درياق للدغ اذا ٭ احرق قلبى شدة اللدغ ٭

ان قلت فى ضمه اين هو ٭ نفديك روحى قال الادغ

وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من اخبار واصل بن عطا فكان طويل

العنق

العنق جدا بحيث كان يعاب به وفيه يقول بشار بن برد الشاعر المشهود المقدم

ذكره ٭ مالى اشايع غزالا له عنق ٭ كنقنق الدو ان ولى وان مثلا

عنق الزرافة ما بالى وبالكم ٭ تكفرون رجالا كفروا رجلا

وكان بينهما منافرات واحقاد وقد تقدم كلام واصل فى حق بشار وقال المبرد

فى كتاب الكامل لم يكن واصل بن عطا غزالا ولكنه كان يلزم الغزالين

ليعرف المتعففات من النسا فيجعل صدقته لهن ثم قال كان طويل العنق ويروى

عن عمرو بن عبيد انه نظر اليه من قبل ان يكلمه فقال لا يفلح هذا ما دامت

عليه هذه العنق وله من التصانيف كتاب اصناف المرجئة كتاب المنزلة

بين المنزلتين كتاب خطبته التى اخرج منها الرا كتاب معانى القران كتاب

الخطب فى التوحيد والعدل كتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد كتاب

السبيل الى معرفة الحق كتاب فى الدعوة كتاب طبقات اهل العلم والجهل وغير

ذلك واخباره كثيرة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة رسول الله

صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة احدى وثلثين ومائة رحمه الله تعالى

ابو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشا الفارسى الفسوى كان قد خرج

من بلدة البصرة ثم سافر الى مصر وارتحل منها الى الاندلس تاجرا وكان

يتجر فى الوشى وصنف كتابا فى اخبار الردة وذكر فيه القبايل التى ارتدت

بعد وفات النبى صلى الله عليه وسلم والسرايا التى سيرها اليهم ابو بكر

رضى الله عنه وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين فى ذلك و

من عاد منهم الى الاسلام وقتال مانعى الزكوة وما جرى لخالد بن الوليد رضى

الله عنه مع مالك بن نويره اليربوعى اخى متمم بن نويره الشاعر المشهور صاحب

المراثى المشهوره فى اخيه مالك وصورة قتله وما قاله متمم من الشعر فى ذلك

وما قاله غيره وهو كتاب جيد يشتمل على فوايد كثيرة وقد تقدم فى ترجمة

ابى عبد الله محمد الواقدى انه صنف فى الردة كتابا اجاد فيه ولم اعرف

لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا الكتاب وهو رجل مشهور ذكره

ابو الوليد الفرضى صاحب تاريخ الاندلس فى كتابه وذكره الحافظ

ابو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس وابو سعيد بن يونس فى تاريخ

مصر وابو سعد السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة الوشا فقال كان يتجر فى

الوشى وهو نوع من الثياب المعمولة من الابريسم يعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور

ثم ان وثيمة عاد من الاندلس الى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من

جمادى الآخرة سنة سبع وثلثين ومائتين رحمه الله تعالى قال ابو سعيد بن
يونس المصرى فى تاريخه كان لوثيمة ولد يقال له ابو رفاعة عمارة بن وثيمة
حدث عن ابى صالح كاتب الليث بن سعد وعن ابيه وثيمة وغيرهما وصنف
تاريخا فى السنين وحدث به ومولده بمصر وتوفى ليلة الخميس لست بقين من
جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين ووثيمة بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة والوثيمة فى الاصل
الجماعة من الحشيش او الطعام والوثيمة الحجر وبها سمى الرجل والله اعلم والوثيمة
ايضا الحجر الذى يقدح النار تقول العرب فى ايمانها لا والذى اخرج العذق
من الجريمة والنار من الوثيمة والعذق بفتح العين المهملة النخلة والجريمة النواة
واما الفارسى والعوى فقد تقدم الكلام عليهما فى ترجمة الشيخ ابى على الفارسى
النحوى وارسلان البساسيرى واغنى عن الاعادة واذ ذكرنا متمم بن نويرة و
اخاه مالكا فلا بد من طرف من اخبارهما فانها مستملحة كان مالك بن نويرة
المذكور رجلا سريا نبيلا يردف الملوك وللردافة احدهما ان يردفه الملك على
دابته فى صيد او غيره من مواضع الانس والموضع الثانى انبل وهو ان يخلف الملك
اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده وهو الذى يضرب به المثل فيقال
مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصدا وفتى ولا كمالك وكان فارسا وشاعرا مطاعا
فى قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان فيه ذمة كثيرة وكان يقال له الجفول و
قدم على النبى رسول صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من العرب واسلم فولاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ولما ارتدت العرب بعد موت النبى صلى الله
عليه وسلم بمنع الزكوة كان مالك المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد
رضى الله عنه لقتالهم فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه نزل على مالك
وهو مقدم قومه بنى يربوع وقد اخذ زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد فى معناها
فقال مالك انا آتى بالصلوة دون الزكوة فقال خالد اما علمت ان الصلوة والزكوة
معا لا تقبل واحدة دون اخرى فقال مالك قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد
وما تراه صاحبا لك والله لقد هممت ان اضرب عنقك ثم تجاولا فى الكلام طويلا
فقال له خالد انى قاتلك قال او بذلك امرك صاحبك قال وهذه بعد تلك والله
لاقتلنك وكان عبد الله بن عمر وابو قتادة الانصارى رضى الله عنهم حاضرين فكلما خالدا
فى امره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه
فيكون هو الذى يحكم فينا فقد بعث اليه غيرنا ممن جرمه اكبر من جرمنا فقال خالد

لا اقالنى

لا اقالنى الله ان اقلتك وتقدم الى ضرار بن الازور الاسدى بضرب عنقه فالتفت مالك
الى زوجته ام متمم وقال لخالد هذه التى قتلتنى وكانت فى غاية الجمال فقال
خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال
خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل راسه اثفية لقدر وكان من اكثر
الناس شعرا ولما تقدم ذكره فكانت القدر على راسه حتى نضج وما خلصت النار
الى شواه من كثرة شعره قال ابن الكلبى فى جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح
وجاء اخوه متمم وكان يرثيه وقبض خالد امرأته فقيل انه اشتراها من الفئ وتزوج
بها وقيل انها اعتدت بثلث حيض ثم خطبها الى نفسها فاجابته فقال لابن عمر
وابى قتادة رضى الله عنهم يحضران النكاح فابيا وقال له ابن عمر رضى الله عنهما تكتب
الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وتذكر له امرها فابى وتزوجها فقال فى ذلك ابو زهير
السعدى

الا قل لحى اوطئوا بالسنابك * تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك
فامضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك
واصبح ذا اهل واصبح مالك * الى غير شئ هالكا فى الهوالك
فمن لليتامى والارامل بعده * ومن للرجال المعدمين الصعالك
اصيبت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو تحت الحوالك

ولما بلغ الخبر ابا بكر وعمر رضى الله عنهما قال عمر لابى بكر رضى الله عنهما ان خالدا
قد زنى فارجمه قال ما كنت لارجمه لانه تاول فاخطا قال فانه قتل مسلما فاقتله به
قال ما كنت لاقتله انه تاول فاخطا قال فاعزله قال ما كنت لاشيم سيفا سله
الله عليهم ابدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدى فى كتابيهما
والعهدة عليهما وكان اخوه متمم بن نويرة وكنيته ابو نهشل الشاعر المذكور
كان كثير الانقطاع فى بيته قليل التصرف فى امر نفسه اكتفاء باخيه مالك وكان
اعور دميما فلما بلغه مقتل اخيه حضر الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى الصبح خلف ابى بكر الصديق رضى الله عنه فلما فرغ من صلاته واستند
فى محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكى على سية قوسه وانشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الازور
ادعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

واومى الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فقال والله ما دعوته ولا غدرته

ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا * ولنعم ماوى الطارق المتنور

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه ❊ حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط عن سيته قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لوددت انك رثيت زيدا اخي بمثل ما رثيت به
مالكا اخاك قال يا ابا حفص والله لو علمت ان اخي صار حيث صار اخوك ما رثيته فقال له عمر
ما عزاني احد عن اخي بمثل ما عزيتني وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل
شهيدا يوم اليمامة وكان عمر رضي الله عنه يقول اني لاهش للصبا لانها تاتيني من
ناحية زيد ويروى عن عمر رضي الله عنه انه قال لو كنت اقول الشعر كما تقول لرثيت
اخي كما رثيت اخاك وروى ان متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر رضي الله عنه
لم ترث زيدا كما رثيت مالكا فقال انه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد وقال
له عمر رضي الله عنه يوما انك لجزل فاين كان منك فقال كان والله اخي في الليلة ذات
الازيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الحرون وفي يده الرمح الثقيل و
عليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم الازيز بفتح الهمزة وزايين
الاول منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها صوت الرعد والصراد بضم الصاد المهملة و
تشديد الراء وفتحها وبعد الالف دال مهملة غيم رقيق لا ماء فيه والثفال بفتح الثاء
المثلثة والفاء وهو الجمل البطيء سيرا لا يكاد يمشي من ثقله والحرون على وزن فعول الفرس
الذي يمتنع القياد والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها والمزادة الراوية وهي
معروفة وقال له عمر رضي الله عنه خبرنا عن اخيك قال يا امير المؤمنين لقد اسرت مرة في حي
من احياء العرب فاخبر اخي فاقبل فلما طلع على الحاضر ما احد كان قاعدا الا قام على رجليه
وما بقيت امراة الا تطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى اتوه بي برمتي فحلني هو
فقال عمر رضي الله عنه ان هذا لهو الشرف والرمة بضم الراء الحبل البالي ومنه قولهم دفع
اليه الشيء برمته واصله ان رجلا دفع الى رجل بعيرا بحبل في عنقه فقيل ذلك لكل من دفع
شيئا بجملته وقال متمم ايضا لعمر رضي الله عنه اغار حي من احياء العرب على حي اخي مالك
وهو غائب فجاءه الصريخ فخرج في اثرهم على جمل يسوقه مرة ويركبه اخرى حتى ادركهم
على مسيرة ثلث وهم آمنون فما هو الا ان رآه فارسلوا ما في ايديهم من الاسرى والنعم
وهربوا فادركهم اخي فاستسلموا جميعا حتى كتفهم وصل رحمهم الى بلاده مكتوفين فقال
عمر رضي الله عنه قد كنا نعلم سخاه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره وله فيه المراثي النادرة
فمن ذلك ابياته الكافية وهي في كتاب الحماسة في باب المراثي ❊

لقد لامني عند القبور على البكا ❊ رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال اتبكي كل قبر رأيته ❊ لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت

فقلت له ان الشجى يبعث الشجا ❊ فدعني فهذا كله قبر مالك

وله فيه قصيدته العينية وهي طويلة بديعة ومن جملتها

وكنا كندماني جذيمة حقبة ❊ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ❊ اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ❊ لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب الى الوقوف على شيء من اخبار جذيمة المذكور
ونديميه وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم
وبعدها هاء ساكنة وكنيته ابو مالك جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس من الاسد
الازدي صاحب الحيرة وما والاها وهو الابرش الوضاح وانما قيل له ذلك لانه كان
ابرص فكانت العرب تهابه ان تنسبه الى البرص فعرفته باحد هذين الوصفين وهو من
ملوك الطوائف وكان بعد عيسى عليه السلام بثلثين سنة وكان من تيهه لا ينادم الا
الفرقدين وكان له ابن اخت يقال له عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث بن
مالك بن عدي ويقال له عمرو لانه اول من اعتم ابن نمارة بن لخم وبقية النسب معروف
واسم الاخت المذكورة رقاش وكانت جذيمة شديدة المحبة له فاستهوته الجن
واقام زمانا يطلبه فلم يجده فاقبل رجلان من بني بلقين يقال لاحدهما مالك
وللاخر عقيل ابنا فارح قاصدا عمرا في البرية وهو اشعث الراس طويل الاظفار سيء
الحال فعرفاه وحملاه الى خاله جذيمة بعد ان لما شعثه واصلحا حاله فقال لهما احكما
من فرط سروره به احكما علي فقالا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما الندمانان
اللذان يضرب بهما المثل ويقال انهما نادماه اربعين سنة فلم يعيدا عليه حديثا
حدثاه به واياهما عنى ابو خراش الهذلي بقوله في مرثية اخيه عروة

يقول اراه بعد عروة لاهيا ❊ وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي اني تناسيت عهده ❊ ولكن صبري يا اميم جميل
الم تعلمي ان قد تفرق قبلنا ❊ نديما صفاء مالك وعقيل

هذه خلاصة حديثهم وان كان فيه طول وانما قصدت الايجاز وذكر ابو علي القالي
في كتابه الذي خطه ذيلا على اماليه ان متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكان به معجبا فقال له يا متمم ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى
ان ينشر منك ولدا فانكم اهل بيت قد درجتم فتزوج امراة من اهل المدينة
فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها ثم طلقها وقال ❊

اقول لهند حين لم ارض عقلها ❊ اهذا دلال العشق ام انت فارك
ام الصرم تهوين فكل مفارق ❊ علي يسير بعد ما بان مالك

فقال له عمر رضي الله عنه ما تنفك تذكر مالكا على كل حال فلم يمض على هذا الامر
الا قليل حتى طعن عمر رضي الله عنه ومتمم بالمدينة فرثى عمر رضي الله عنه وبالجملة فلم
ينقل عن احد من العرب ولا غيرهم انه بكى على ميتة مما بكى متمم على اخيه مالك حكى
الواقدي في كتاب الردة ان عمر رضي الله عنه قال لمتمم ما بلغ من حزنك على اخيك فقال
لقد مكثت سنة لا انام بليل حتى اصبح ولا رايت نارا رفعت بليل الا ظننت نفسي ستخرج
اذكر بها نارا اخي كان يامر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان يبيت ضيفه قريبا منه
فمتى يرى النار ياوي اليها ولهو ياتي بالضيف مجتهدا اسر من القوم تقدم عليهم
القادم لهم من السفر البعيد فقال عمر رضي الله عنه اكرم به وحكى الواقدي ايضا
انه قال له ما بقي على اخيك من الحزن قال كانت عيني هذه قد ذهبت واشار اليها
فبكيت بالصحيحة واكثرت البكا حتى اسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع فقال
عمر رضي الله عنه ان هذا الحزن شديد ما يحزن هكذا احد على هالك ولقد ضربت
الشعرا الامثال بمالك واخيه متمم في اشعارهم فمن ذلك قول ابن حيوس المقدم
ذكره في جملة قصيدة وفجعه بين مثل صرعتي مالك ويقبح بي ان اكون متمما ومنه
قول ابي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة في قصيدته التي يرثي بها
المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما
شرحناه في ترجمة المعتمد

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا ... ومن ولهي احكي عليك متمما

ومن ذلك قول بعضهم واظنه ابن المنير المذكور في حرف الهمزة وهو ايضا
من جملة ابيات ثم حققت قايله وهو نجم الدين ابو الفتح يوسف بن الحسين
بن محمد عرف بابن الواو الدمشقي

ابا مالكي في القلب منك ذخيرة ... وانسان عيني في هواك متمم

ومنه قول ابي الغنايم بن المعلم الشاعر المقدم ذكره من جملة ابيات يصف فيها
منزلا ويدعو له بالسقيا فقال سقاه الحيا قبلي وجئت متمما فلو مالك فيه رعيت
متمما ومنه قول القاضي السعيد بن سناء الملك

بكيت بكلتي مقلتي كانني ... اتمم ما قد فات عيني متمم

وهذا باب يطول شرحه وقد تجاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدده ومتمم
بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميمان الاولى منهما مشددة مكسورة
وصدا في قولهم ماء ولا كصدا فيه ثلث لغات صدّا بضم الصاد المهملة وتشديد
الدال المهملة والف مقصورة وصَدّا مثل الاولى لكن الصاد مفتوحة والالف ممدودة
فمن ضم قصر ومن فتح مد واللغة الثالثة صدا بتخفيف الدال وهمزتين متواليتين

والصاد

والصاد مفتوحة وهي بير معروفة مشهورة ماؤها عذب غير والله اعلم البحتري
الشاعر ابو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن
مسهر بن الحارث بن خيثم بن ابي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن
سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طي بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبا
بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور ولد بمنبج وقيل بجردفنة
وهي قرية من قراها ونشا وتخرج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء اولهم
المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الاكابر والروسا واقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد الى الشام
وله اشعار كثيرة في حلب وضواحيها وكان يتغزل بها وقد روى عنه اشيا من شعره ابو العباس
المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي ابو عبد الله المحاملي ومحمد بن احمد الحكيمي وابو بكر
الصولي وغيرهم قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجي رايت البحتري ههنا عندنا قبل ان يخرج
الى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب ويروي الى حين المسجد يمدح اصحاب البصل
والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان وعلوة التي يشبب بها في
كثير من اشعاره هي علوة ابنة زريقة الحلبية وزريقة امها وحكى ابو بكر الصولي في كتابه الذي
صنعه في اخبار ابي تمام الطائي ان البحتري كان يقول ان اول امري في الشعر ونباهتي فيه
اني صرت الى ابي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان يجلس فلا يبقى شاعر الا قصده
وعرض عليه شعره فلما سمع شعري اقبل علي وترك ساير الناس فلما تفرقوا قال لي انت اشعر
من انشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى اهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق وشفع
لي اليهم وقال امتدحهم فصرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظفوا لي اربعة الاف درهم
فكانت اول مال اصبته وقال ابو عبادة المذكور اول ما رايت ابا تمام وما كنت رايته
قبلها اني دخلت الى ابي سعيد محمد بن يوسف فامتدحته بقصيدتي التي اولها

افاق صب من هوى فافيقا ... ام خان عهدا ام اطاع شفيقا

فانشدته اياها فلما
اتممتها سر بها وقال لي احسن الله اليك يا فتى فقال له رجل في المجلس هذا اعزك الله شعري
علقته فسبقني به اليك فتغير ابو سعيد وقال لي يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك منا
ما يكفيك ان تمت به الينا ولا تحمل نفسك على هذا فقلت هذا شعري اعزك الله فقال الرجل
يا فتى سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثم ابتدا فانشد من القصيدة ابياتا فقال لي ابو سعيد
نحن نبلغك ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيرا لا ادري ما اقول ونويت ان
اسال عن الرجل من هو فما ابعدت حتى ردني ابو سعيد ثم قال لي جنيت عليك فاحتمل لي
من هذا قلت لا قال لي هذا ابن عمك حبيب بن اوس الطائي ابو تمام قم اليه فقمت اليه فعانقته
ثم اقبل علي ويصف شعري وقال انما مزحت معك فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه وروى

الموصلي ايضا في كتابه المذكور ان ابا تمام راسل ام البحتري في التزوج بها فاجابته وقالت اذا اجتمع الناس للاملاك فقال الله اجل من ان يذكر بيننا ولكن تصافح وتناكح وقيل للبحتري ايما اشعر انت ام ابو تمام فقال جيده خير من جيدي ورديي خير من رديه وكان يقال لشعر البحتري سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا ويقال انه قيل لابي العلا المعري اي الثلاثة اشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال حكيمان والشاعر البحتري ولعمري ما انصفه ابن الرومي في قوله ؛ والفتى البحتري يسرق ما قال ؛ ابن اوس في المدح والتشبيب

كل بيت له مجود معناه ؛ فمعناه لابن اوس حبيب

وقال البحتري انشدت ابا تمام شيا من شعري فانشد بيت اوس بن حجر

اذا مقرم منا ذا حد نابه ؛ تخمط فينا ناب اخر مقرم

وقال نعيت الي نفسي فقلت اعيذك بالله من هذا فقال ان عمري ليس يطول وقد نشا في طي مثلك اما علمت ان خالد بن صفوان المنقري راى شبيب بن شيبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بني نعي الي نفسي احسانك في كلامك لانا اهل بيت ما نشا فينا خطيب الا مات من قبله قال فمات ابو تمام من بعد سنة من هذا وقال البحتري انشدت ابا تمام شعرا لي في بعض بني حميد وصلت به الى مال له خطير فقال لي احسنت انت امير الشعرا بعدي فكان قوله هذا احب الي من جميع ما حويته وقال ميمون بن هرون رايت ابا جعفر احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المورخ واحواله متماسكة فسالته فقال كنت من جلسا المستعين فقصده الشعرا فقال لست اقبل الا ممن قال مثل البحتري في المتوكل ؛

ولو ان مشتاقا تكلف غير ما ؛ في وسعه لمشى اليك المنبر ؛

قال فرجعت الى داري واتيته وقلت قد قلت فيك احسن مما قاله البحتري فقال هاته فانشدته ؛ ولو ان برد المصطفى اذ لبسته ؛ يظن لظن البرد انك صاحبه

وقال وقد اعطيته ولبسته ؛ نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما امرك به فرجعت فبعث الي سبعة الاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمت حيا وللمتنبي في هذا المعنى ؛ لو تعقل الشجر التي قابلتها ؛ مدت محيية اليك الاغصانا ؛

وسبقهما ابو تمام بقوله ؛ لو سعت بقعة لاعظام نعمى ؛ لسعى نحوها المكان الحديث

والبيت الذي للبحتري من جملة قصيدة طويلة احسن فيها كل الاحسان يمدح فيها ابا الفضل جعفر المتوكل على الله ويذكر خروجه لصلوة عيد الفطر واولها

؛ اخفي هوى لك في الضلوع واظهر ؛ والام من كمد عليك واعذر ؛

والابيات

ابو تمام والمتنبي

و

والابيات التي يرتبط بها البيت المقدم ذكره هي ؛

بالبر صمت وانت افضل صائم ؛ وبسنة الله الرضية تفطر

فانعم بيوم الفطر عينا انه ؛ يوم اغر من الزمان مشهر

اظهرت عز الملك فيه بجحفل ؛ لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ؛ عددا يسير بها العديد الاكثر

فالخيل تصهل والفوارس تدعي ؛ والبيض تلمع والاسنة تزهر

والارض خاشعة تميد بثقلها ؛ والجو معتكر الجوانب اغبر

والشمس طالعة توقد في الضحى ؛ طورا ويطفيها العجاج الاكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى ؛ ذاك الدجى وانجاب ذلك العثير

وافتن فيك الناظرون فاصبع ؛ يومى اليك بها وعين تنظر

يجدون رويتك التي فازوا بها ؛ من انعم الله التي لا تكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ؛ لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت الى المصلى لابسا ؛ نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع ؛ لله لا يزهى ولا يتكبر

فلو ان مشتاقا تكلف غير ما ؛ في وسعه لمشى اليك المنبر

ابديت من فصل الخطاب بحكمة ؛ تنبي عن الحق المبين وتخبر

ووقفت في برد النبي مذكرا ؛ بالله تنذر تارة وتبشر

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع فلله دره ما اسلس قياده واعذب الفاظه واحسن سبكه والطف مقاصده وليس فيه من الحشو شي بل جميعه نخب وديوانه موجود وشعره ساير فلا حاجة الى الاكثار منه ههنا لكن نذكر من وقايعه ما يستظرف فمن ذلك انه كان له غلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه ابو الفضل الحسن بن وهب الكاتب وقد سبق ذكر اخيه سليمان في حرف السين ثم ان البحتري ندم على بيعه وتبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر ويذكر انه خدع وان بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله ؛

انسيم هل للدهر وعد صادق ؛ فيما يومله المحب الوامق

مالي فقدتك في المنام ولم تزل ؛ عون المشوق اذا جفاه الشايق

امنعت انت من الزيارة رقبة ؛ منهم فهلا مع الخيال الطارق

اليوم جاريت الهوى مقدارة ؛ في اهله وعلمت اني عاشق

فلبعض الحسن بن وهب انه ؛ يلقى احبته ونحن تفارق

وله فيه اشعار كثيرة ومن اخباره انه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي مات ابوه وخلف له مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله فقصده البحتري من العراق فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد في بيته لدين ركبه فاغتم البحتري لذلك غما شديدا وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعى بغلام له وقال له بع داري فقال له تبيع دارك وتبقى على رؤس الناس فقال لا بد من بيعها فباعها بثلثمائة دينار واخذ صرة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحتري وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الابيات ؛

لو يكون الحباء حسب الذي ؛ انت لدينا به محل واهل
لحثيت اللجين والدر والياقوت ؛ حثوا وكان ذاك يقل
والاديب الاديب يسمح بالعذر ؛ اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحتري رد الدنانير وكتب اليه

بابي انت للبر والناعي ؛ بعد وسعيد قبل
والنوال القليل يكثر ان ؛ شاء مرجيك والكثير يقل
غير اني رددت برك اذ ؛ كان ربا منك والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعرا بشعر ؛ قضي الحق والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين دينارا اخرى وحلف انه لا يردها عليه وسيرها فلما وصلت الى البحتري انشا يقول

شكرتك ان الشكر للعبد نعمة ؛ ومن شكر المعروف فالله زايده
لكل زمان واحد يقتدى به ؛ وهذا زمان انت لا شك واحده

وكان البحتري كثيرا ما ينشد لشاعر انسى اسمه ويعجبه قوله

حمام الاراك الا فاخبرينا ؛ لمن تندبين ومن تعولينا
فقد شقت بالنوح منا القلوب ؛ وابكيت بالندب منا العيونا
تعالي نقم ماتما للهموم ؛ ونفقد اخواننا الظاعنينا
ونسعد كن وتسعدننا ؛ فان الحزين يواسي الحزينا

ثم اني وجدت هذه الابيات لبعض العرب وكان البحتري قد اختار بالموصل وقيل براس عين ومرض بها مرضا شديدا وكان الطبيب يختلف اليه ويداويه فوصف له يوما من فده ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه غلامه فقال للغلام اصنع هذه المزورة وكان بعض روساء البلد عنده حاضرا فلما

جاه

جاه يعوده فقال ذلك الرئيس هذا الغلام ما يحسن يطبخها وعندي طباخ من صفته ومن صنعته وبالغ في حسن صنعته فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس وقعد البحتري ينتظرها واشتغل الرئيس عنها ونسي امرها فلما ابطات عنه وفات وقت وصولها اليه كتب الى ذلك الرئيس ؛ وجدت وعدك زورا في مزورة ؛ حلفت مجتهدا احكام طاهيها

فلا شفا الله من يرجو الشفاء بها ؛ ولا علت كف ملق كفه فيها
فاحبس رسولك عني ان يجي بها ؛ فقد حبست رسولي عن تقاضيها

واخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة الى الاطالة ولم يزل شعره غير مجموع جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف وجمعه ايضا علي بن حمزة ولم يرتبه على بل على الانواع كما صنع بشعر ابي تمام وللبحتري ايضا كتاب حماسة على مثال حماسة ابي تمام وله كتاب معاني الشعر وكانت ولادته سنة ست او سبع وقيل خمس وقيل اثنين وقيل احدى ومائتين وقيل سنة مائتين وتوفي سنة اربع وثمانين وقيل سنة خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين والاول اصح وقال ابن الجوزي في كتاب اعمار الاعيان توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة والله اعلم بالصواب وكان موته بمنبج وقيل بحلب والاول اصح وقال الخطيب في تاريخ بغداد انه كان يكنى ابا الحسن وابا عبادة فاشير عليه في ايام المتوكل ان يقتصر على ابي عبادة فانها اشهر ففعل واهل الادب كثيرا ما يسئلون عن قول ابي العلا المعري وقال الوليد البح ليس بعمر ولقد سالني عنه جماعة كثيرة والمراد بالوليد هو البحتري المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها ؛ وعمر ربي بخال العلم جاهله

والبح عريان ما في فرعه ثمر ؛ وهذا البيت هو المشار اليه في المعري

وانما ذكرت هذا الاثر فايدة تستفاد وعبيد الله واخوه ابو عباد ابنا يحيى بن الوليد البحتري اللذان مدحهما المتنبي بعدة قصايد هما حفيدا البحتري الشاعر المذكور ولدا ولده وكانا رئيسين في زمانهما والبحتري بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناه من فوقها وبعدها راء هذه النسبة الى بحتر وهو احد اجداده كما تقدم ذكره في عمود نسبه وجود فنه فيه بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وسكون الفاء وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهي قرية من قرى منبج بالقرب منها ومنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم وهي بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منه فعربت فقيل لها منبج ولكونها وطن البحتري كان يذكرها في شعره كثيرا فمن ذلك قوله في اخر قصيدة طويلة يخاطب الممدوح وهو ابو جعفر محمد بن حميد الطوسي ؛

لا اتسين زمنا لديك مهذبا ؛ وظلال عيش كان عندك سجسج ؛

في نعمة اوطيتها وانت في * افانيها وكانني في منبج

وكان البحتري مقيما بالعراق في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان ولهم الحرمة التامة فلما قتلا كما هو مشهور في امرهما رجع الى منبج وكان يحتاج الى التردد الى الوالي بسبب مصالح املاكه ويخاطبه بالامير لحاجته اليه ولا تطاوعه نفسه على ذلك فقال قصيدة منها *

مضى جعفر والفتح بين مرمل * وبين صبيع بالدماء مضرج
اأطلب انصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما في الترب اوسي وخزرجي
اولئك ساداتي الذين بفضلهم * حلبت افاويق الربيع المثلج
مضوا امما قصدا وخلفت بعدهم * اخاطب بالتأمير والي منبج

وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب ان هرون الرشيد اجتاز ببلاد منبج ومعه عبد الملك ابن صالح وكان افصح ولد العباس في عصره فنظر الى قصر مشيد وبستان معقود بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا فقال هو لك ولي بك يا امير المؤمنين قال وكيف بناء هذا القصر قال دون منازل اهلي وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الوطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله انتهى كلام المسعودي وعبد الملك المذكور هو ابو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم وكانت منبج اقطاعا له فكان مقيما بها وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة بالرقة رحمه الله تعالى وله بلاغة وفصاحة اضربت عن ذكرها خوف الاطالة وذكر ياقوت الحموي في كتابه المسبوك باب الشعا خمسة مواضع ثم قال في اخر هذا الباب والخامس قرية على باب منبج ذات بساتين وهي وقف على ولد البحتري الشاعر وقد ذكرها ابو فراس بن حمدان في شعره

الوليد بن طريف الشاري الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن فدوكس بن عمرو بن مالك الشيباني هكذا ذكره ابو سعيد السمعاني في كتاب الانساب في موضعين احدهما في ترجمة الاداقمي والاخر في ترجمة البجلي بكسر السين المهملة الشاري احد الشجعان الطغاة الابطال وكان بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هرون الرشيد وبقي وحشد جموعا كثيرة فارسل اليه هرون جيشا كثيفا مقدمه ابو خالد يزيد بن مزيد بن زايده الشيباني وسياتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وقالوا انه يراعيه لاجل الرحم والا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر

ما يكون من امره فوجه اليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت احد الخدم لقام باكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وامير المؤمنين يقسم بالله لئن اخرت مناجزة الوليد ليبعثن اليك من يحمل راسك الى امير المؤمنين فلقي الوليد وظهر عليه فقتله وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية خميس في شهر رمضان وهي وقعة مشهورة تضمنها التواريخ وكان للوليد المذكور اخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد وتسلك طريق الخنسا في مراثيها لاخيها صخر فرثت الفارعة اخاها الوليد بقصيدة اجادت فيها وهي قليلة الوجود ولم اجد في مجاميع كتب الادب الا بعضها حتى ان ابا علي القالي لم يذكر منها في اماليه سوى اربعة ابيات فاتفق اني ظفرت بها كاملة فاثبتها لغرابتها مع حسنها وهي *

بتل نباثى رسم قبر كانه * بحل جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجدا عدمليا وسوددا * وهمة مقدام ورأي حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف
كانك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بانوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بالوف
وما زال حتى ازهق الموت نفسه * شجا لعدو او نجا لضعيف
الا يا لقومي للنوايب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
الا قاتل الله الحشا حيث اضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك ارداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فانني * ارى الموت وقاعا بكل شريف

ولها فيه مراث كثيرة فمن ذلك قولها فيه ايضا

ذكرت الوليد وايامه * اذ الارض من شخصه بلقع
فاقبلت اطلبه في السما * كما يبتغي انفه الاجدع
اضاعك قومك فليطلبوا * افادة مثل الذي ضيعوا

لو ان السيوف التى حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك اذ جعلت هيبة ... وخوفا لصوتك لا تقطع

وكان الوليد يوم المصاف ينشد انا الوليد بن طريف الشارى قسورة لا يصطلى
بنار جوركم اخرجنى من دارى ويقال انه لما انكسر جيش الوليد وانهزم
تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيده فقتله واحتز راسه ولما
قتله وعلمت بذلك اخته المذكوره لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد
فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال اعزبى عزب الله عليك
فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء و
سكون اليا المثناة من تحتها وبعدها فاو وتل ثاثى شرقى بالموصل وهو موضع
الوقعه المذكوره والخابور نهر معروف اوله من راس عين واخره عند
قرقيسا تنصب فى الفرات وعلى هذا النهر مدن صغار يشبه الكبار فى عمارة
بلادها واسواقها وكثرة خيراتها وهو مشهور فلا حاجة الى ضبطه والشارى بفتح
الشين المعجمه وبعد الالف راء وهو واحد الشراه وهم الخوارج وانما سموا بذلك
لقولهم انا شرينا انفسنا فى طاعة الله تعالى اى بعناها بالجنه حين فارقنا الائمة
الجابرة والخنسا اسمها تماضر بضم التاء المثناة من فوقها وبعد الالف ضاد معجمه
وهى ابنة عمرو بن الشريد السلمى والخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع
الارنبه ولذلك قيل لها الخنسا لانها كانت على هذه الصفه واخبارها مع اخيها
مشهورة فى مراثيها وغيرها وقد سبق طرف من اخبار اخيها صخر فى ترجمة ابى احمد
العسكرى فى حرف الحاء وقد اختلف فى موضع قبره فقيل انه مدفون عند عسيب وهو
جبل مشهور ببلاد الروم وان القبر الذى هناك ينسب الى امرء القيس بن حجر الكندى
الشاعر المشهور ليس لامرئ وانما هو لصخر المذكور وقيل ان كل واحد من امرئ القيس
وصخر مدفون هناك وقال الحافظ ابو بكر الحازمى المقدم ذكره فى كتاب ما اتفق لفظه
وافترق مسماه ان عسيب جبل حجازى ودفن عنده صخر اخو خنسا فعلى هذا يكون
عسيب اسما لجبلين احدهما بالروم وهو الاشهر والاخر بالحجاز وكان من لوازم ياقوت
الحموى ان يذكره فى كتابه الذى وضعه فى البلاد المشتركه الاسما ولم اجد ذكره فيه

ابو عبد الله وهب بن منبه اليمانى صاحب القصص والاخبار كانت له معرفة
باخبار الاوايل وقيام الدنيا واحوال الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك
وذكر عنه ابن قتيبه فى كتاب المعارف انه كان يقول رايت من كتب الله تعالى
اثنين وسبعين كتابا ووجدت له تصنيفا فيه ترجمه بذكر الملوك المتوجه من حمير واخبارهم

وقصصهم

وقصصهم وقبورهم واشعارهم فى مجلد واحد وهو من الكتب المفيده وكان له اخوة
منهم همام بن منبه وكان اكبر من وهب وروى عن ابى هريره رضى الله عنه
وهو معدود من جملة الابنا ومعنى قولهم فلان هو ابن كامل بن سيج بن ذى كبار
الابناء اى ان اباه امره سيف بن ذى يزن الحميرى صاحب اليمن لما استولت
الحبشه على مملكته توجه الى كسرى انوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم و
قصته فى ذلك مشهوره وخبره طويل وخلاصة الامر انه سير معه سبعة الاف وخمس
مائة فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز هكذا قاله ابن قتيبه وقال محمد بن اسحق
لم يسير معه سوى ثمان مائة فارس فغرق منهم فى البحر مائتان وبقى ستمائة قال ابو
القسم الثعلبى والقول الاول اشبه بالصواب اذ تبعد مقاومة الحبشه بستمائة فارس
فلما وصل الجيش الى اليمن جرت الوقعة بينهم وبين الحبشه فاستظهرت الفرس عليهم
واخرجوهم من البلاد وملك سيف بن ذى يزن وهربوا واقاموا اربع سنين
وكان سيف بن ذى يزن قد اتخذ من اولئك الحبشه خدما فخلوا به يوما وهو فى
متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا فى رؤوس الجبال وطلبهم اصحابه
فقتلوهم جميعا وانتشر الامن باليمن ولم يملكوا عليهم احدا غير ان اهل كل ناحية
ملكوا عليهم رجلا من حمير وكانوا كملوك الطوايف حتى اتى الله بالاسلام ويقال انها
بقيت فى ايدى الفرس ونواب كسرى فيها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبا
ليمن من قواد ابن ذى يزن عاملان احدهما فيروز الديلمى والاخر دادويه واسلما وهما
اللذان دخلا على الاسود العبسى مع قيس بن المكشوح ولما ادعى الاسود النبوه باليمن
وقتلوه والقصة فى ذلك مشهورة فلا حاجة الى ذكرها والمقصود من هذا كله ان جيش
الفرس لما استوطنوا اليمن فاهلوا ورزقوا الاولاد فصار اولادهم واولاد اولادهم
يدعون الابناء لانهم من ابناء اولئك الفرس وكان طاوس العالم المقدم ذكره منهم
ايضا وقد اومات الى ذلك فى ترجمته ولم اشرحه كما فعلت ههنا واخبار وهب
مشهوره فلا حاجة الى ذكر شى منها ويكفى فى هذا الموضع ذكر هذه الفايده وتوفى وهب
المذكور سنة عشر وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة بصنعاء اليمن وعمره سبعون
سنة رضى الله عنه وقد تقدم الكلام على صنعاء فى ترجمة عبد الرزاق الصنعانى
وفى هذه الترجمة اسما عجمية لو قيدتها لطال الشرح وهى مشهوره فتركتها لذلك

ابو البخترى وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن
المطلب بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى الاسدى المدنى حدث
عن عبيد الله بن عمر العمرى وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق

وغيرهم وروى عنه رجاء بن سهل الصاغاني وابو القاسم بن سعيد بن المسيب وغيرهما
وكان متروك الحديث مشهوراً بوضعه انتقل من المدينة الى بغداد في خلافة هرون
الرشيد فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد وقد تقدم الكلام على هذا
الموضع في ترجمة الواقدي في حرف الميم ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيري وجعل اليه ولاية حربها مع القضاء ثم عزله
فقدم بغداد واقام بها الى ان توفي وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة القاضي ابي
يوسف يعقوب بن ابرهيم الحنفي انه كان قاضي القضاة ببغداد فلما مات ولي الرشيد
مكانه ابا البختري وهب بن وهب القرشي وكان فقيهاً اخبارياً جواداً سرياً سخياً يحب
المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل وكان اذا اعطى قليلاً او كثيراً اتبعه عذراً الى ما
وكان يتهلل عند طلب الحاجة اليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذي قضيت
حاجته وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر المتقدم ذكره قد تزوج بامه بالمدينة وله
عنه روايات واسانيد واسم امه عبدة بنت علي بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن
هاشم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت عقيل بن ابي طالب وقد ذكره الخطيب في
تاريخ بغداد وبالغ في تقريضه والثناء عليه وقال دخل عليه شاعر فانشده

اذا افتقر وهب خلته برق عارض ∗ يبعق في الارضين اسحمه السكب
وما خيرهم آدم من حالق الملا ∗ كالابنة البلد ينجبه الكلب
لكل اناس من ابيهم ذخيرة ∗ وذخر قريش منهم عقيل الذي وهب

قال فاستهل ابو البختري ضاحكاً وسُرّ سروراً شديداً ثم دعا عوناً له فاسرّ اليه
شيئاً فاتاه بصرة فيها خمسمائة دينار فدفعها اليه وحكى ابو الفرج الاصبهاني في كتاب
الاغاني في ترجمة ابي دُلف العجلي قال اخبرني احمد بن عبد الله بن عمار قال كنا عند
ابي العباس المبرد يوماً وعنده فتى من اولاد ابي البختري وهب بن وهب القاضي امرد
حسن الوجه وفتى من ولد ابي دلف العجلي شبيه به في الجمال فقال المبرد لابن ابي البختري
اعرف لجدك قصة طويلة من الكرم حسنة لم يسبق اليها فقال وما هي قال دعي رجل من
الادب الى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم

نبيذان في مجلس واحد ∗ لايثار مثر على مقتر
فلو كان فعلك ذا في الطعام ∗ لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تطلب شأو الكرام ∗ صنعت صنيع ابي البختري
تتبع اخوانه في البلاد ∗ فاغنى المقل عن المكثر

فبلغت الابيات ابا البختري فبعث اليه بثلثمائة دينار قال ابن عمار فقلت له قد فعل

جدّ

جدّ هذا الفتى في هذا المعنى مما هو احسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه ان رجلا
افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته افترض في الجند فقال

اليك عني فقد كلفتني شططاً ∗ حمل السلاح وقول الدارعين قف
أمن رجال المنايا خلتني رجلاً ∗ امسي واصبح مشتاقاً الى التلف
تمشي المنايا الى غيري فاكرهها ∗ فكيف امشي اليها بارز الكتف
حسبت ان نزال القرن من خلقي ∗ او ان قلبي في جنبي ابي دُلف

فاحضره ابو دلف ثم قال له كم امّلت امرأتك ان يكون رزقك قال مائة دينار وكم
املت ان تعيش قال عشرين سنة قال فذلك لك علينا ما امّلت امرأتك من مالنا دون
مال السلطان وامر باعطائه اياه قال فرأيت وجه ابن ابي دلف يتهلل وانكسر
ابن البختري انكساراً شديداً انتهى كلام صاحب الاغاني في هذا الفصل وقد سبق
في ترجمة ابي دلف القسم بن علي العجلي ذكر هذه الابيات الاولى التي في ابي البختري
فهي لابي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عطية العطوي الشاعر المشهور ونسبته
العطوي الى جده عطية المذكور وهو من البصرة من موالي بني ليث بن بكر بن مناة
وكان معتزلياً وله ديوان شعر وروى الخطيب ايضاً في تاريخه ان ابا البختري قال
لان اكون في قوم اعلم مني احب الي من ان اكون في قوم انا اعلم منهم لاني ان كنت
اعلمهم لم استفد وان كنت مع من هو اعلم مني استفدت وروى ايضا في تاريخه
ان هرون الرشيد لما قدم المدينة اعظم ان منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قباء ومنطقة فقال ابو البختري حدثني جعفر بن محمد يعني جعفر الصادق عن
ابيه قال نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة
محتجزا بخنجر فقال المعافى التيمي

ويل وعول لابي البختري ∗ اذا توافى الناس للمحشر
من قوله الزور واعلانه ∗ بالكذب في الناس على جعفر
والله ما جالسه ساعة ∗ للفقه في بدو ولا محضر
ولا رآه الناس في دهره ∗ يمر بين القبر والمنبر
يا قاتل الله ابن وهب لقد ∗ اعلن بالزور وبالمنكر
يزعم ان المصطفى احمدا ∗ اتاه جبريل التقي السري
عليه خف وقباء اسود ∗ محتجزا في الحقو بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي ان يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا
الحديث عن جعفر الصادق فقال له يا عدو الله كذبت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال فاخذنى الشرط قال فقلت لهم هذا يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه قبا قال فقالوا لى والله هذا اقاغى كذاب فافرجوا عنى وقال ابن قتيبه
فى كتاب المعارف وكان ابو البخترى ضعيفا فى الحديث وقال الخطيب فى تاريخه
قال ابرهيم الحربى قيل لاحمد بن حنبل تعلم ان احدا روى لا سبق الا فى خف او
حافر او جناح فقال ما روى هذا الا ذاك الكذاب ابو البخترى وله من التصانيف
كتاب الرايات وكتاب طسم وجديس كتاب صفة النبى صلى الله عليه وسلم
كتاب فضايل الانصار كتاب الفضايل الكبير ويحتوى على جميع الفضايل كتاب
نسب ولد اسمعيل عليه السلام يحتوى على قطعه من الاحاديث والقصص واخبار
محاسنه كثيرة وتوفى سنة مايتين للهجرة ببغداد فى خلافة المامون رحمه الله
تعالى وقد ذكره ابن قتيبه فى كتاب المعارف فى موضعين عقد له اولا ترجمة وتكلم
على حاله ثم ذكره فى ثلثة اسما فى نسق ابو البخترى وهب بن وهب وعد
معه فى ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام وفى الطالبين حسن بن حسن
بن حسن وفى غسان الحارث الاصغر بن الحارث الاعرج بن الحارث الاكبر هولاء
الذين ذكرهم ابن قتيبة وقد جاء فى المتاخرين ابو حامد الغزالى وهو محمد بن
محمد بن محمد وقد سبق ذكره فى المحمدين وابو البخترى بفتح البا الموحدة وسكون
الخاء المعجمه وفتح التاء المثناه من فوقها وبعدها راء وهو ماخوذ من البخترة التى هى
الخيلاء وهو تصحف على كثير من الناس بالبحترى وهو الشاعر المقدم ذكره وزمعة
بفتح الزاى والعين المهمله وبعدها هاء ساكنه وهى فى الاصل اسم للهنة الزايدة من
وراء الظلف وبها سمى الرجل وقد تقدم الكلام على الاسود والمدنى قلت وبعد
الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغى الحاقها بها وهى ان ابا البخترى المذكور
قال كنت ادخل الى هرون الرشيد عند دخولى وخروجى فقال له بعض ندمائه
ما ارى ابو البخترى الا محب دون الجهلان ففطن له الرشيد فلما دخلت عليه قال
اراك تدمن النظر الى ابى القسم تريد ان تجعل انقطاعه اليك قلت اعيذك بالله
يا امير المومنين ان ترميني بما ليس فى واما ادمانى النظر اليه فلان جعفر الصادق
رضى الله عنه روى باسناده عن ابائه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلثة يزدن فى قوة النظر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن ؛
نقلتها من خط القاضى كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه حرف
الهاء الشريف ابو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسنى المعروف
بابن الشجرى البغدادى كان اماما فى النحو واللغة واشعار العرب وايامها و

احوالها

واحوالها كامل الفضايل متضلعا من الادب له فيه عدة تصانيف فمن ذلك كتاب
الامالى وهو اكبر تواليفه واكثرها افادة املاه فى اربعة وثمانين مجلسا وهو
يشتمل على فوايد جمه من فنون الادب وختمه بمجلس قصره على ابيات من شعر
ابى الطيب المتنبى تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنح له
وهو من الكتب الممتعه ولما فرغ من املائه حضر اليه ابو محمد عبد الله المعروف
بابن الخشاب المقدم ذكره والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه الى ذلك فعاداه
ورد عليه فى مواضع من الكتاب ونسبه الى الخطا فوقف ابو السعادات المذكور
على ذلك الرد فرد عليه فى رده وبين وجوه غلطه وجمعه كتابا سماه الانتصار
وهو صغير الحجم مفيد جدا وجمع كتابا سماه الحماسه ضاهى به حماسة ابى تمام
الطاى وهو كتاب غريب مليح احسن فيه وله فى النحو عدة تصانيف وله ما اتفق
لفظه واختلف معناه وشرح اللمع لابن جنى وشرح التصريف الملوكى وكان حسن
الكلام حلو الالفاظ فصيحا جيد البيان والتفهيم وقرا الحديث بنفسه على جماعة
من الشيوخ المتاخرين مثل الحسن بن المبارك بن عبد الجبار بن احمد بن القاسم الصيرفى
وابى على محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب وغيرهما وذكره الحافظ ابو سعيد السمعانى
فى كتاب الذيل وقال اجتمعت معه فى دار الوزير ابى القاسم على بن طراد الزينبى
وقت قرائتى عليه الحديث وعلقت عليه شيئا من الشعر فى المدرسة ثم مضيت وقرات
عليه جزءا من امالى ابى العباس ثعلب النحوى وحكى ابو البركات عبد الرحمن بن الانبارى
النحوى المقدم فى كتابه الذى سماه مناقب الادبا ان العلامة ابا القسم محمود
الزمخشرى المقدم ذكره لما قدم بغداد قاصدا الحج فى بعض اسفاره مضى الى زيارة
شيخنا ابى السعادات بن الشجرى ومضينا اليه معه فلما اجتمع به انشده قول
المتنبى واستكثر الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر ثم انشد بعد ذلك

كانت مسايلة الركبان تخبرنى ؛ عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت ؛ اذنى باحسن مما قد راى بصرى

وهذان البيتان قد تقدم ذكرهما فى ترجمة جعفر بن فلاح وهما منسوبان الى ابى القسم
محمد بن هانى الاندلسى وقد تقدم ذكره ايضا وينسبان الى غيره ايضا والله اعلم
قال ابن الانبارى فقال العلامة الزمخشرى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما قدم
عليه زيد الخيل قال له يا زيد ما وصف لى احد فى الجاهلية فرايته فى الاسلام الا رايته
دون ما وصف لى غيرك قال ابن الانبارى فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد
الشريف بالشعر والزمخشرى بالحديث وهو رجل عجمى وهذا الكلام وان لم يكن كلام ابن الانبارى

فهو معناه لانى لم انقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطرى و
انما ذكرت هذا الان الظرفه قد يقف على كتاب ابن الانبارى فيجد بين الكلامين
اختلافا فيظن انى قد تسامحت فى النقل وكان ابو السعادات المذكور بحته نقيب
الطالبين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن فمن ذلك قصيده يمدح
بها الوزير نظام الدين ابا نصر المظفر بن على بن محمد بن جهير واولها قوله

هذا السدير وهذا الغدير الطافح * فاحفظ فؤادك انني لك ناصح
يا سدرة الوادي الذي ان ضله * الساري هداه نشرها المتفاوح
هل عائد قبل الممات لمغرم * عيش تقضى فى ظلالك صالح
ما انصف الرشا الضنين بنظرة * لما دعى مصفى الصبابة طامح
شط المزار به وبوى منزلا * بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه * قمر يحف به ظلام جانح
واذا العيون تساهمت لحظاتها * لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا * فيه مراتع للمهى ومسارح
ظلنا به نبكى فكم من مضمر * وجدا اذاع هواه دمع بائح
مرت الشئون رسومها فكانما * تلك العراص المقفرات نوائح
يا صاحبى تأملا حييتما * وسقى دياركما الملث الرائح
ادمى بدت لعيوننا ام ربرب * ام خرد اكفالهن رواجح
ام هذه مقل الصوار رنت لنا * خلل البراقع ام قنا وصفائح
لم يبق جارحة وقد ذاقتها * الا وهن لكلمهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من اسر الهوى * ومن الشقاوة ان يراض القارح
لو بلة من ماء صارخ شربه * ما اثرت لاعجا فيه لوائح

ومن ههنا يخرج الى المدح فاضربت عنه خوف الاطالة ولم يكن المقصود الا
ابيات شتى من نظمه ليستدل على طريقته فيه ومن شعره هل الوجد خاف
والدموع شهود * وهل مكذب قول الوشاة جحود * وحتى متى تفنى شئونك بالبكا
وقد خد خد للبكا ايد * وانى وان جنت قلوصى كثرة * احب لداء مرفى
الثنيات جليد * وهذه اشارة الى ابيات لبيد فنذكرها بعد ان شاء الله تعالى
وكان بين ابن الشجرى المذكور وبين ابى محمد الحسن بن احمد بن جكينا البغدادى
الحريمى الشاعر المشهور وهو المذكور فى ترجمة ابى محمد القاسم بن على الحريرى صاحب
المقامات تنافس جرت العادة بمثله بين اهل الفضل فلما وقف على شعره عمل فيه

يا سيدى والذى يعيذك من * نظم قريض يصدى به الفكر
ما لك من جدك النبى سوى * انك ما ينبغى لك الشعر

ومحاسنه كثيرة والاختصار اولى وكانت ولادته سنة خمس واربع مائة وتوفى
يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنين واربعين وخمسمائة
ودفن فى الغد فى داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى والشجرى بفتح الجيم
وبعدها راء هذه النسبة الى شجره وهى قرية من اعمال المدينة على ساكنها
افضل الصلوة والسلام وشجرة ايضا اسم رجل وقد سميت به العرب ومن بعدها
وقد انتسب اليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ولا ادرى من انتسب الشريف ا
لمذكور وقد تقدم الكلام على الكرخ فى ترجمة معروف الكرخى رضى الله عنه
فاغنى عن الاعادة والله اعلم بالصواب ابو القاسم هبة الله بن الحسين بن
يوسف وقيل احمد المنعوت بالبديع الاسطرلابى الشاعر المشهور احد الادبا
الفضلاء كان وحيد زمانه فى عمل الالات الفلكية متقنا لهذه الصناعة وحصل
له من جهة عملها مال جزيل فى خلافة الامام المسترشد ولما مات لم يخلفه فى شغله
مثله وقد ذكره ابو المعالى الحظيرى فى كتابه الذى سماه زينة الدهر وذكره العماد
الاصبهانى فى كتاب الخريدة وكل منهما اثنى عليه واورد عدة مقاطيع من شعره فمن ذلك

اهدى لمجلسه الكريم وانما * اهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وله ايضا اذاقنى حمرة المنايا * لما اكتسى خضرة العذار
وقد تبدى السواد فيه * وكاد يعدى فى العذار

هكذا وجدت هذين البيتين فى زينة الدهر تاليف ابى المعالى الحظيرى منسوبين
الى البديع المذكور ورايت فى موضع اخر انهما لابى محمد بن جكينا المذكور فى ترجمة
الشريف ابن الشجرى والله اعلم وهذه العبارة من اصطلاح البغادده فانهم يقولون
كاد يكبو فى العذار بمعنى انه نشب معه لم يتخلص منه والحمارة عندهم فى الذى
يمشى به الحمار فى ديار مصر ومن شعره ايضا *

قال قوم عشقته امرد الخد * وقد قيل انه نكريش
قلت فرخ الطاوس احسن ما كان * اذا ما علا عليه الريش

قوله نكريش لفظة عجمية والاصل فيها نيك ريش معناه لحية جيدة وهو على ما تقدم
من اصطلاح العجم انهم يقدمون ويؤخرون فى الفاظهم المركبة فنيك جيد وريش
لحية كان كثير الخلاعة يستعمل المجون فى اشعاره حتى يفضى به الى الفحش فى اللفظ

فلهذا اقتصرت له على هذه الثلاثة مع كثرة شعره وكان قد جمع ديوانه واختار ديوان
ابن حجاج ورتبه على مائة واحدى واربعين بابا وجعل لكل باب فنا من فنون شعره
وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن حجاج وكان ظريفا في جميع حركاته وتوفي سنة
اربع وثلاثين وخمسماية بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد
رحمه الله تعالى والاسطرلابي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة
وبعدها راء ثم لام الف ثم باء موحدة هذه النسبة الى الاسطرلاب وهو الالة المعروفة
قال كوشيار ابن لبان بن باشهرى الجيلي صاحب كتاب الزيج في رسالته التي وضعها في
علم الاسطرلاب ان الاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وسمعت بعض المشايخ
يقول ان لاب اسم للشمس بلسان اليونانية فكانه قال اسطر الشمس اشارة الى الخطوط
التي فيه وقيل ان اول من وضعه بطليموس صاحب المجسطي وكان سبب وضعه انه كان
معه كرة فلكية وهو راكب فسقطت منه فداستها دابته فخسفتها فبقيت على
هيئة الاسطرلاب وكان ارباب علم الرياضة يعتقدون ان هذه الصورة لا
لا ترسم الا في جسم كري على هيئة الافلاك فلما راه بطليموس على تلك الحال الصورة علم
انه يرتسم في السطح ويكون نصف دايره ويحصل منه ما يحصل من الكره فوضع الاسطرلاب
ولم يسبق اليه وما اهتدى احد من المتقدمين الى هذا القدر وما في الخط فلم يزل
الامر مستمرا على استعمال الكرة والاسطرلاب الى ان استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي
المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين بن يونس رحمه الله تعالى وهو شيخه في فن الرياضة
ان يضع المقصود من الكره والاسطرلاب في خط وصنعه وسماه العصا وعمل له
رسالة بديعة وكان قد اخطأ في بعض هذه المواضع فاصلحه الشيخ كمال الدين المذكور
وهذا الطوسي اول من عمل هذا في الوجود ولم يكن احد من القدما ما يعرفه فصار
الهيئة توجد في الكرة التي هي جسم لانها تشتمل على الطول والعرض ويوجد في السطح
لانه مركب في الطول والعرض بغير عمق ويوجد في الخط الذي هو عبارة عن الطول
فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقط ولا يتصوران يعمل فيها شي لانها ليست
جسما ولا سطحا ولا خطا بل هي طرف الخط كما ان الخط طرف السطح والسطح جسم
والنقط لا تتجزا ولا يتصوران يرسم فيها شي وهذا وان كان خروجا عما نحن
بصدده لكن فيه ايضا فايده والاطلاع عليه اولى من اهماله وساق الكلام جره
وبالله التوفيق وهو حسبي ابو القسم هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن
محمد بن الحسين بن علي بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن
القطان الشاعر المشهور البغدادي وقد سبق شيء من شعره وطرف من خبره

في ترجمه

في ترجمة حيص بيص في حرف السين وفي ترجمة ابن التعاويذي في اخر حرف العين
وكان ابو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ وسمع عليه
وكان في غاية الخلاعة والمجون كثير المزاح والمداعبات مغرما بالولوع
بالمتحرفين واهاجيهم وله في ذلك نوادر ووقايع وحكايات ظريفة و
له ديوان شعر وقد ذكره ابو سعد السمعاني في كتاب الذيل فقال شاعر
مجود مليح الشعر رقيق الطبع الا ان الهجاء غالب عليه وهو ممن يتقى لسانه
لانه ثلاب ثم قال كتبت عنه حديثين لا غير وعلقت عنه مقطعات من شعره
وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وكان مجمعا على ظرفه ولطفه و
له ديوان شعر اكثره جيد وعبث فيه بجماعة من الاعيان وثلبهم ولم يسلم
منه احد لا الخليفة ولا غيره وخبر بعض المشايخ انه راه وقال كنت يومئذ صبيا
فلم اخذ عنه شيئا لكني رايته قاعدا على دكان عطار ببغداد والناس يقولون
هذا ابن الفضل الهجاء وسمع الحديث من جماعة منهم ابوه وابو طاهر احمد بن محمد بن
الحسن الباقلاني وابو الفضل احمد بن الحسين بن حيرون الامين وابو عبد الله
الحسين بن احمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمن النعالي الكرخي وغيرهم وله مع
الحيص بيص مخاطبات فمن ذلك ان الحيص بيص خرج ذات ليلة من دار الوزير شرف
الدين ابي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا
فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابا الفضل المذكور فنظم ابياتا وضمنها
بيتين لبعض العرب قتل اخوه ابنا له فقدم اليه ليقتاد منه فالقى السيف
من يده وانشد والبيتان الاولان المذكوران يوجدان في الباب الاول من
كتاب الحماسه ثم ان ابا الفضل المذكور كتب الابيات في ورقه وعلقها في عنق
كلبه لها جرو ورتب معها من طردها الى باب الوزير كالمستغيثة فاخذت
من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها هذه الابيات ÷

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى ÷ بفعلة اكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي ابدا تشاجعه ÷ على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به ÷ ولم يكن بواء عنه في القود
فانشدت جعدة من بعد ما احتسبت ÷ دم الابلق عند الواحد الصمد
اقول للنفس تاساء وتعزية ÷ احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ÷ هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وهذا التضمين في نهاية الحسن ولم اسمع مثله مع كثرة ما استعمل الشعراء التضمين

فى شعارهم الا ما انشدنى مهذب الدين ابو طالب المعروف بابن الحمى المذكور
فى ترجمة الشيخ تاج الدين الكندى فى حرف الزاى لنفسه واخبرنى انه كان
بدمشق وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلقوا
نصفها وحصلت شفاعة فعفى عن الباقى فعمل فيه ولم يصرح باسمه بل رمزه
وهو هذا * زمرت ابن ادم لما قبل قد حلقوا * جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم ار النصف محلوقا فعدت له * مهنئا بالذى منها له وهبا
فقام ينشدنى والدمع يخنقه * يتبين ما نظما بينا ولا كذبا
اذا انتك الحلق الذى فى طايفه * فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان انولد وقالوا انها نصف * فان اطيب نصفيها الذى ذهبا
والبيتان الاخيران منها فى كتاب الحماسة فى باب مذمة النسا لكن الاول
منها فيه تغيير فان بيت الحماسة *
لا تنكحن عجوزا ان اتوك بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وحضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير فى شهر
رمضان فاخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص
للوزير يا مولانا هذا الرجل يوذينى وقال الوزير كيف ذلك فقال انه يشير الى قول
الشاعر تميم بطرق اللوم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وكان تميميا كما تقدم فى ترجمته وهذا البيت للطرماح ابن حكيم الشاعر
وهو من جملة ابيات وبعد هذا البيت *
ارى الليل يجلوه النهار ولا ارى * خلال المخازى عن تميم تجلت
ولو ان برغوثا على ظهر نملة * يكر على صفى تميم لولت
ودخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير الربيبى وعنده الحيص بيص فقال قد
عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير
وما هما فانشده *
زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل
والتفت الوزير الى الحيص بيص فقال ما تقول فى دعوه قال ان اعادهما سمع الوزير
لهما ثالثا فاعادهما فتوقف الحيص بيص لحظة ثم انشد *
وما درى ان نومى حبلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل
فاستحسن الوزير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم اتحقق انها له حتى اعينه

وقد اخذ هذا المعنى ونظمه واحسن فيه وهو *
يا ضرة القمرين من لمتيم * اردينه واملت ذاك على القضا
وحياة حبك لم ينم عن سلوة * بل كان ذلك للخيال تعرضا
لا نا شفى اذ زار طيفك فى الكرا * ما كان الا مثل شخصك معرضا
ولما هجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها
فى ترجمة ابن التعاويذى ولولا طولها لذكرتها فارسل اليه احد الغلمان فاحضره
وصفعه وحبسه فلما طال حبسه كتب الى مجد الدين ابن الصاحب
استاد الدار الخليفة هذه الابيات *
اليك اضل مجد الدين اشكوا * بلاء حل لست له مطيقا
وقوما بلغوا عنى مجالا * الى قاضى القضاة الذ ضيقا
فاحضرنى بباب الحكم خصم * غليظ جرنى كتفا وزيقا
واخفق نعله بالصفع راسى * الى ان اوجس القلب الخفوقا
على الخصم الالد وقد صفعنا * الى ان ما تعدينا الطريقا
فيا مولاى هب والاك حقا * حبيس بعد ما استوفى الحقوقا
فلما خرج من الحبس انشد هذين البيتين *
عند الذى طرفين وانه * قد عض من قدرى واذانى
والحبس ما غيّر لى خاطرا * والصفع ما ليّن اذانى
وقد سبق فى ترجمة الحيص بيص ابياته الميمية فى هجوه وجواب الحيص عنها
ولما ولى ابن الربيبى الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل
باعيان الرؤسا وقد اجتمعوا للهنا فوقف بين يديه ودعا له واظهر الفرح والتهود
ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه سره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه
الى ما تقول العامة فى امثالها ارقص للقرد فى زمانه وقد نظم هذا المعنى فى ابيات
وكتبها الى بعض الرؤسا وهى * * *
يا كمال العلا الذى هو شخص مشخص * وبس الذى به ذم دهرى تمحص
خذ حديثى فانه بنا سوف يرخص * كلما قلت قد يعد قومى تمحص
بين الاسرال وباب محصص * وغواش على الروس عليها المقربص
والرواشين والمناظر والخيل بقرص * وانا القرد كل يوم لكلب ابصص
كل من صفق الزمان له فنا رقص * نحن لا يبعد والزمن منها المبرص
فمتى اسمع النداء وقد جا مخلص

وله القصيدة الرائية المشهورة التي جمع فيها خلقا من الاكابر وبين كل واحد منهم بشيء
وفيها نقول ✽ تكربت تجرنا ونحن نخلها ✽ عنى لنا حديد مرًّا من حجر ✽
ومنها البيت السائر وهو نسبت الى العباس ليس شبيهه فى الضعف غيرانا فلا
الاخضر ودخل يومًا على الوزير ابن هبيره وعنده نقيب الاشراف وكان ينسب الى
البخل وكان فى شهر رمضان والحر شديد فقال له الوزير اين كنت فقال فى مطبخ
سيدى النقيب فقال ويحك ايش عملت فى شهر رمضان فى المطبخ فقال وحيوة مولانا
كسرت الحر فيه فتبسم الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب وهذا الكلام على اصطلاح
تلك البلاد فانهم يقولون كسرت الحر فى الموضع الفلانى اذا اختار موضعا باردًا يقيل
فيه وقصد دار بعض الاكابر فى بعض الايام فلم يؤذن له فى الدخول فنحز عليه واخرجوا من
الدار طعامًا واطعم كلاب الصيد وهو ينظر فقال مولانا يعلم ما يقول الناس لعن الله
شجرة لا تظل اهلها وقعد يومًا مع زوجته ياكل طعامًا فقال لها اكشفى راسك فغطت
فخذًا قل هو الله احد فقالت له ما الخبر قال ان المراة اذا كشفت راسها لم تحضر الملائكة عليهم
السلام واذا قرى قل هو الله احد هربت الشياطين وانا اكره الزحمة على المائدة واخباره
كثيرة وكانت ولادته سنة سبع وسبعين واربعمائة وقال السمعانى سالته عن مولده
فقال ولدت فى ضاحى نهار الجمعة السابع من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وتوفى يوم
السبت الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسماية ببغداد و
دفن بمقبرة معروف الكرخى رحمه الله تعالى وقال السمعانى يوم عيد الفطر والله اعلم
ولولا ايثار الاختصار لذكرت من نوادره ومضحكاته شيئًا كثيرًا فانه كان اية فى هذا الباب.
وقوله فى الابيات الدالية ولم يكن بوآء عنه فى القود بفتح الباء الموحدة وبعد الواو
همزه ممدوده ومعناه السوا يقال فلان بواء لدم فلان اذا كان مكافيًا له وجعدة
المذكوره ايضا فى هذه الابيات بفتح الجيم والدال المهملة وبينهما عين ساكنة وفى الاخر
هاء ساكنه وهو من اسماء الكلمة هكذا سمعته ولم اره فى شيء من كتب اللغة بل الذى
قاله ارباب اللغة ان ابا جعدة كنية الذيب وجعدة اسم للنعجة كنى الذيب بها لمحبته
اياها والله اعلم بالصواب وهو الموفق لذلك القاضى السعيد ابو القاسم هبة الله
بن القاضى الرشيد ابى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك ابى عبد الله محمد بن هبة
الله بن محمد السعدى الشاعر المشهور المصرى صاحب الديوان الشعر البديع والنظم
الرائق احد الرؤسا الفضلا النبلاء اخذ الحديث عن الحافظ ابى الطاهر احمد بن
محمد بن احمد السلفى الاصفهانى رحمه الله تعالى وكان كثير التخصيص والتنعم وافر السعادة
محظوظا من الدنيا اختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر روح الحيوان وهى تسميه

لطيفه

لطيفه وله ديوان جمعه موشحا سماه دار الطراز وجمع شيئا من الرسائل الدائرة
بينه وبين القاضى الفاضل وفيها كل معنى مليح واتفق فى عصره بمصر جماعة من
الشعرا المجيدين وكان لهم مجالس يجرى بينهم فيها مفاكهات ومحاورات يروق
سماعها ودخل فى ذلك الوقت الى مصر شرف الدين ابن عنين المقدم ذكره فى المحمد
بين فاختلفوا به وعملوا له دعوات وكانوا يجتمعون على ارغد عيش وكانوا يقولون
هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهم ومن محاسن شعره بيتان من
جملة قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل رحمه الله تعالى وهما هذان

ولو ابصر النظام جوهر ثغرها ✽ لما شك فيه انه الجوهر الفرد
ومن قال ان الخيزران قدها ✽ فقولوا له اياك ان يسمع القد

ومن شعره ايضا

لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر ✽ حسنك مما كثروا اكبر
يا باسما ابدا الى ثغره ✽ عقدًا ولكن كله جوهر

و له يتغزل بجارية عميا

سمى بغير الشعر لم يحجب ✽ وفى سوى العينين لم يكشف
نغلا المرهف لكنها ✽ تجرح بالجفن بلا مرهف
رايت منها الجلد فى حودد ✽ ومقلتى يعقوب فى يوسف

وله فى غلام ضرب ثم حبس بنفسى من لم يضربن لريبة ولكن ليبلو الورد فى
سائر الغصن ولم يودعوه السجن الا مخافة من العين ان تعدوا على ذلك الحسن
وقالوا له شاركت فى الحسن يوسفا فشاركه ايضا فى الدخول الى السجن وله من جملة
ابيات

وما كان تركى حبه من ملالة ✽ ولكن لامر يوجب الاخذ بالترك
اراد شريكا فى الذى كان بيننا ✽ وايمان قلبى قد نهانى عن الشرك

وله ايضا

يا عاطل الجيد الا من محاسنه ✽ عطلت فيك الحشا الا من الحزن
فى سلك جسمى نثر الدمع فنتظم ✽ فهل يجيد لك فى عقد بلا ثمن
لا تخش منى فانى كالنسيم ضنا ✽ وما النسيم بمخشى على الغصن

وهذا البيت ماخوذ من قول ابن قلاقس وقد تقدم ذكره فى ترجمته وهو

اعيد ما همت به روضة ✽ اعل جسمى لا كون النسيم

ومن نثره فى وصف النيل فى سنة كان ناقصًا ولم يوف الزيادة التى جرت بها
العادة يقال انه كتبه فى جملة رسالة الى القاضى الفاضل وهو اما امر الماء فامره
فانه نضيت مشارعه وتقطعت اصابعه وتيمم العمود لصلوة الاستسقا وهم القيام
من الضعف بالاستلقا وهذا من احسن ما يوصف به نقصان النيل وكان

بمصر شاعر يقال له ابو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب فبلغ القاضي
السعيد المذكور عنه انه هجاه فاحضره اليه فادبه وشتمه فكتب اليه كشو الملك
ابو الحسن علي بن مفرج المغربي الاصل المصري الدار والوفاه المعروف بابن
المنجم الشاعر المعروف وهذه الابيات

قل للوزير ادام الله نعمته ∴ صديقنا ابن وزير كيف تظلمه
صفعته اذ غدا يهجوك منتقما ∴ فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه
هجوا بهجو وهذا الصفع فيه ربا ∴ والشرع ما يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما الهجو عنده الم ∴ فالصفع والله ايضا ليس يولمه

ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه اخا السلطان صلاح الدين
المقدم ذكره في حرف التاء بقصيدته التي اولها ∴

تقنعت لكن بالحبيب المعمم ∴ وفارقت لكن كل عيش مذمم

تعصب عليه جماعة من شعرا مصر وعابوه بهذا الاستفتاح وهجوه فكتب اليه
ابن الذروي الشاعر المذكور في ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ

قل للسعيد مقال من هو معجب ∴ منه بكل بديعة ما اعجبا
نقصيدك الفضل المبين وانما ∴ شعراؤنا جهلوا به المستغربا
عابوا التقنع بالحبيب ولو راى ∴ الطاي ما قد حكته لتعصبا

ونوادر القاضي السعيد كثيرة وتوفي في العشر الاولى من رمضان سنة ثمان
وستماية بالقاهرة رحمه الله تعالى وذكر العماد الكاتب في كتاب الخريدة فقال
كتب عبد القاضي الفاضل في خدمة بمرج الدلهمية فاطلعني على قصيدة كتبها
اليه من مصر وذكر ان سنه لم تبلغ الى عشرين سنة فاعجبت بنظمه ثم القصيدة العينية
التي اولها ∴ فراق قضى للهم والقلب بالجمع ∴ وهجر تولى صلح عيني مع الدمع ∴
وعلى هذا التقدير يكون مولده في حدود سنة خمسين وخمسماية ثم قال العماد
بعد الفراغ من ذكره هذه القصيدة ثم وصل يعني القاضي السعيد المذكور الى الشام
في شهر رمضان سنة احدى وسبعين في الخدمة الفاضلية فوجدته في الذكا اية قد
حرز في صناعة النظم والنثر غاية تلقى عراييه له باليمين رايته قد اتخذه الا قال
الفاضل في الفضل قبولا وجعل طبع خاطره على الفطنة مجبولا واني لا رجو ان توفى
في الصناعة رتبته وبعد رعند تمادي ايامه في العلم بغيته ويصفو من الصبى
نغبته ويروي بماء الدربة رويته ويستكثر فوايده ويوثر قلايده

ابو القسم هبة الله ويكنى ابا الكرم ايضا ابن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب

بن

بن ثابت الانصاري الخزرجي المنستيري الاصل المصري المولد والدار المعروف با
لبوصيري كان اديبا كاتبا له سماعات وروايات تفرد بها والحق الاصاغر با
لاكابر في علو الاسناد ولم يكن في اخر عصره في درجته مثله وسمع بقراة الحافظ ابي
طاهر السلفي وابرهيم بن حاتم الاسدي على ابي صادق مرشد بن يحيى بن قاسم المديني
امام الجامع العتيق بمصر رحمه الله تعالى وسمع عليه الناس ورحلوا اليه من البلاد
وكان جده سعيد قدم من المنستير الى بوصير فاقام بها الى ان عرف فضله في دولة
المصريين فطلب الى مصر وكتب في ديوان الانشا وولد له علي والد ابي القسم المذكور
بمصر واستقر والدها وشهروا وكان ابو القاسم يبغي سند الاهل ايضا لكن هبة
الله اشهر وكانت ولادته سنة ست وخمسماية بمصر وقيل بل ولد يوم الخميس خامس
ذي القعدة سنة خمسماية وتوفي في الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وسبعين
وخمسماية بمصر ودفن بسفح المقطم وقال ياقوت الحموي في كتاب البلدان المشترك الاسما
انه مات في شوال رحمه الله تعالى والخزرجي بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي وفتح الراء و
بعدها جيم هذه النسبة الى الخزرج وهو اخو الاوس بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها
سين مهملة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا ابن عامر ماء السما وتمام النسب
معروف وهما ابنا قيلة بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها
ها ساكنة ومن ذريتهما ايضا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة والمنستير بضم الميم و
فتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء من تحتها وبعدها
را وهو بلدة بافريقية بناها هرثمة بن اعين الهاشمي في سنة ثمان ومائة وكان هرون
الرشيد قد ولاه افريقية وقدم عليها يوم الخميس لثلث خلون من شهر ربيع الاخر
سنة تسع وسبعين ومايه وقد تقدمت الحوالة على هذا في ترجمة الامير تميم بن
المعز بن باديس وبوصير بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون اليا
المثناة من تحتها وبعدها را وتعرف ببوصير قوريدس ويقال كوريدس وهي بليدة
باعمال البهنسا من صعيد مصر وقد تقدم الكلام في ترجمة عبد الحميد الكاتب على
بوصير الفيوم وبالجيزة ايضا بليدة يقال لها بوصير السدر ويكون المنوده ايضا
بليدة يقال لها بوصير فهذا الاسم يشترك فيه الاربع البلدان والكل بالديار المصرية

ابو الحسن هبة الله بن ابي الغنايم صاعد بن هبة الله بن ابرهيم بن علي المعروف
بابن التلميذ النصراني الطبيب الملقب امين الدولة البغدادي ذكره العماد الاصبهاني
في كتاب الخريدة فقال سلطان الحكما وبالغ في الثنا عليه وقال هو مقصد العالم في
علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ

مداواه فى الطب عمر عمراً طويلاً وعاش نبيلاً جليلاً ورايته وهو شيخ بهى المنظر حسن
الرو وباعذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخ بعيد الهم عالى الهمة ذكى
الخاطر حاذم الراى شيخ النصارى وقسيسهم وراسهم ورايسهم وله فى النظم كلما
رايقه وحلاوة جنيه وغزارة بهيه ومن شعره والميزان نغزوا

ما واحدٌ مختلف الاسماء ۞ يعدل فى الارض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء ۞ اعمى يرى الارشاد كل راى
اخرس لامن علة وداء ۞ يغنى عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء ۞ بالرفع والخفض عن النداء
يفصح ان علق فى الهواء

قوله مختلف الاسماء يعنى ميزان الشمس الاسطرلاب وسابر الوصل وميزان
الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعانى المنطق وهذه الالات الميزان
والمكيال والذراع وغير ذلك ثم ذكر بعد ذلك جملة مقاطيع من شعره ياتى ذكر
بعضها ان شاء الله تعالى وذكر فى ترجمة الحكيم معتمد الدولة ابو الفرج يحيى بن
التلميذ النصرانى الطبيب ما مثاله وكان ابو الحسن ابن صاعد حين توفى ابو الفرج
قام مقامه وهو ابن بنته فنسب اليه وعرف به وذكر فى كتاب انموذج الاعيان
من شعراء الزمان فيمن ادرك بالسماع او بالعيان ان ابن التلميذ المذكور كان متفننا
فى العلوم ذا راى ورزين وعقل متين طالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت مناد
احسن من التبر المسبوك والدر فى السلوك اجتمعت به مرارا فى اخر عمره وكنت اعجب
من امره كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة علمه والله يهدى من يشاء بفضله و
يضل من يريد بحكمة وكان اذا ترسل استطال وسطا واذا نظم وقع بين ارباب النظم
وسطا واورد شيا من شعره ايضاً وذكره ابو المعالى الحظيرى المقدم ذكره فى حرف السين
فى كتاب زينة الدهر واورد له مقاطيع فمن ذلك قوله ۞

يا من رمانى عن قوس فرقته ۞ بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته ۞ فذاك ذنب عقابه فيه

وذكر العماد الكاتب فى الجريده البيت الثانى منسوبا الى ابى محمد بن حكينا وضم اليه بعد
لولم ينله من العقاب سوا ۞ بعدك عنه لكان يكفيه ۞
وذكر له الحظيرى ايضا عاتبت اذ لم يزر خيالك ۞ والنوم شوقى اليك مسلوب
فزارنى منعما وعاتبنى ۞ كما يقال المنام مقلوب
ومما ذكر له ايضا العماد فى كتاب الجريده فقال انشدنى ابو المعالى هبة الله بن

الحسن

الحسن بن محمد بن المطلب قال انشدنى ابو الحسن بن التلميذ لنفسه ۞

كانت تلهيه الشبيبة سكره ۞ فصحوت واستانفت سيره مجمل
وقعدت ارتقب الفنا كراكب ۞ عرف المحل فبات دون المنزل

والثانى ذكره ابن المنجم فى كتاب البارع لمسلم بن الوليد الانصارى وذكر ان ابا
محمد بن حكينا المذكور مرض فقصده ليعالجه فعالجه فلما عوفى اعطاه ابن التلميذ
دراهم فعمل فيه ۞ لما تيممته وبى مرض ۞ الى التداوى والبر محتاج
انى ودواى فعلت شكرو ۞ وهو امر للهم فراج
فقلت اذ برنى وابرانى ۞ هذا الحبيب عليه دراج
وقصده مرة ان يعبر اليه دجله ليداويه فكتب اليه ۞
ان امرء القيس الذى هام بذات الحمل كان شفاه عبرة وعبرة تصطلى
وكان ابن حكينا المذكور قد تمنى فى اخر عمره وجرت بينهما منافرة فى امر اشتهى
مصالحته وكتب اليه واذا شيت ان تصالح بشار ۞ بن برد فاطرح عليه اباه
فنفر اليه ما طلب واسترضاه وكانت له معه وقايع كثيره وانما كتب اليه
هذا البيت لان بشار بن برد كان اعمى كما تقدم فى ترجمته فلما اعمى به شبه
نفسه به وكان مطلوبه بردا ومعنى قوله فاطرح عليه اباه لان عادة اهل بغداد
اذا اراد الانسان ان يصالح من خاصمه والخصم ممتنع يقال له اطرح عليه فلانا
بمعنى ادخل عليه به ليشفع له وقد حصلت له التورية فى هذا البيت ومن الشعر
المنسوب اليه وهو مشهود قوله وحلا بهما للناصح ابن الدهان

قم من القيام فللغرام قضيه ۞ لبيت على نهج الحجا تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم ۞ عرض وتفنى دونه الاجساد

وذكر العماد فى الجريده ان هذين البيتين لابى المهندس المصرى

تقسم قلبى فى محبة معشر ۞ بكل فتى منهم هواى منوط
كان فوادى مركز وهم له ۞ محيط واهواى اليه خطوط
وله ايضا جوده كالطبيب فبادر ۞ سوء احوالنا بحسن الصنيع
فهو كالموميا اذا انكسر العظم ۞ ومثل الدرياق للملسوع
وقوله فيه ولا سعيد ۞ حتى سعيدا جوهر ثابت ۞ وحبه لى عرض زايل
بوجهه الى الى متغوله ۞ وهو الى غيرى بها مايل

وكان ابو القاسم بن على ابن افلح الشاعر المقدم ذكره قد نقه من مرض وهو يعالجه فكتب
اليه يشكو جوعه وكان قد نهاه عن استعماله الغذا الا بامره ۞

أنا جوعان فأنقذني من هذي المجاعة * فرجى في الكعك والخبز ولو كانت قطاعة
لا يقل لي ساعة يصبر لي منه ساعة * فبحواي اليوم لا يقبل في الخبز شفاعة

فوقف ابن التلميذ على الأبيات وكتب جوابها *

هكذا الأضياف مثلي يتشاكون المجاعة * غير أني لست أعطيك مضرًّا لشفاعة
فتعلّل ببرني فهو خبز من قطاعه * بجناني قل لما ادريه سمعًا وطاعة

فلما وصلت الأبيات الى ابن افلح كتب الجواب *

ان مرسومك عندي قد توخيت استماعه * غير أني لم أقل من بيتي سمعًا وطاعة
ودهمت الجوع والله فلم أسطع دفاعه * فاكفني كلفته الآن ودع عني صداعه

فكتب اليه ابن التلميذ انا في الشعر ضعيف * الطبع منزور البضاعة *
ولك الخاطر قد أوفى طبعًا وصناعة * ومتى لم أكف شر الجوع لم أكف صداعه

وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين أوحد الزمان أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكان الحكيم المشهور صاحب الكتاب المعتبر في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بين أهل كل فضيلة وصنعة ولهما في ذلك أمور ومجالس مشهورة وكان يهوديًا ثم أسلم في آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن أجوعها فبالغت في نهشه فبرئ من ذلك وعمي وقضيته في ذلك مشهورة فعمل فيه ابن التلميذ المذكور *

لنا صديق يهودي حماقته * إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ المذكور كثير التواضع وأوحد الزمان متكبرًا فقال فيهما البديع الأسطرلابي المقدم ذكره هذين البيتين وهما أبو الحسن الطبيب أبو البركات في طرفي نقيض فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض ولابن التلميذ في الطب تصانيف كثيرة مليحة فمن ذلك كتاب اقراباذين وهو نافع في بابه وبه عمل الأطباء هذا الزمان وله كتابين وحواش على كليات ابن سينا وغير ذلك وكان شيخه في الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب التصانيف المشهورة منها كتاب التلخيص والمغني في الطب وهو جزء واحد وكتاب الإقناع وهو أربعة أجزاء وقد انتقدوا عليه في هذه التسمية وقالوا ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لأن المغني هو الذي يغني عن غيره فكان الكتاب الأكبر أولى بهذا الاسم وله كل معنى مليح من تصنيف في طب أو أدب وكان حسن السمت كثير الوقار حتى قيل إنه لم يسمع منه بدار الخلافة مدة تردده إليها شيء من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي الخليفة وذلك أنه

كان

كان له دابة بدار القوارير ببغداد فقطع ولم يعلم به الخليفة فاتفق أنه كان عنده يومًا فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة ومشقة من الكبر فقال له المقتفي كبرت يا حكيم قال نعم يا مولانا وتكسرت قواريري وهذا في اصطلاح أهل بغداد أن الإنسان إذا كبر يقال له تكسرت قواريره فلما قال الحكيم هذه اللفظة قال الخليفة هذا الحكيم لم أسمع منه هزلًا منذ خدمنا فاكشفوا قضيته فكشفوها فوجدوا دابته بدار القوارير قد قطع فأعلموا الخليفة بذلك فتقدم بردها عليه وكان الذي قطعه عون الدين ابن هبيرة وزاده اقطاعًا آخر وأخباره كثيرة وتوفي في صفر سنة ستين وخمسمائة ببغداد وقد ناهز المائة من عمره قال ابن دوكلاق الفارقي في تاريخه مات ابن التلميذ في عيد النصارى وكان قد جمع من سائر العلوم ما لا يجتمع في غيره ولم يبق من الجانبين من لم يحضر البيعة وشهد جنازته وليس في هذه الترجمة ما يحتاج الى التقييد سوى ملكان جد أوحد الزمان وهو بفتح الميم والكاف وبينهما لام ساكنة وبعد الألف نون وقد تقدم في ترجمة ابن الجواليقي ما دار بينه وبين ابن التلميذ بحضرة الإمام المقتفي والله تعالى الموفق للصواب

أبو عبد الله هرون ابن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي الأديب الفاضل قد تقدم ذكر والده علي في حرف العين وكان هرون المذكور حافظًا راوية للأشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة صنف كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين فيه مائة وستين شاعرًا افتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وقال في أوله إني لما عملت كتابي في أخبار الشعراء المولدين ذكرت ما اختار من أشعارهم تحريت في ذلك الاختيار الرضي ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي والعلماء يقولون دل على كل عاقل اختياره وقالوا اختيار الرجل من وفور عقله وقال بعضهم شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من عقله واختياره قطعة من علمه وطول الكلام في هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن وأنه كان طويلًا فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة فإنه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فإنه محض أشعارهم وأثبت منها زبدتها وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الأصبهاني وقلت إن كتاب الخريدة وكتاب الخطيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الأصل الذي نحوا على منواله وله كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن ولم أظفر له بشيء من الشعر حتى أورده وذكره هو في كتابه البارع المذكور أباه أبا الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور وجود له مقاطيع وقد ذكرته في ترجمة

مفرده في حرف العين فلينظر هناك ثم ارد فيذكر اخيه يحيى بن علي بن يحيى و
عدد له جملة مقاطيع اوردها فلا حاجة بنا الى ذكرها في هذا الموضع بل تاتي
ذكرها في ترجمته ان شاء الله تعالى وتوفي ابو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين
ومائتين وهو حديث السن وسياتي ذكر اخيه يحيى بن علي في حرف الياء ان شاء
الله تعالى وكان ابو منصور جد ابيه منجم ابي جعفر المنصور وكان مجوسيا وكان
ابنه ابو علي يحيى متصلا بذي الرياستين الفضل بن سهل المقدم ذكره وكان
الفضل يعمل برايه في احكام النجوم فلما حدث الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها في
ترجمته صار يحيى المذكور منجم المامون ونديمه فاجتباه واختص به ورغبه في
الاسلام فاسلم على يده فصار بذلك مولاه وهم اهل بيت فيهم جماعة من الفضلاء و
الادباء والشعراء جالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد له الثعالبي في كتاب اليتيمة بابا
مستقلا وذكر فيه جماعة منهم رحمهم الله تعالى وتوفي يحيى المذكور بحلب عند
خروج المامون الى طرسوس ودفن بها في مقابر قريش وقبره هناك مكتوب
عليه اسمه رحمه الله تعالى والله الموفق للصواب بمنه وكرمه **ابو المنذر هشام**
بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي قد تقدم ذكر ابيه في حرف
العين وكان هشام احد تابعي المدينة المشهورين المكثرين من الحديث
المعدودين في اكابر العلماء وجلة التابعين سمع عمه عبد الله بن الزبير وعبد
الله بن عمر رضي الله عنهم وراى جابر بن عبد الله الانصاري وانس بن مالك
وسهل بن سعد وقيل انه راى ابن عمر ولم يسمع منه وروى عنه يحيى بن سعيد
الانصاري وسفيان الثوري ومالك بن انس وايوب السختياني وسفيان بن
عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم وقدم الكوفة ايام ابي جعفر المنصور
فسمع منه الكوفيون وكانت ولادته سنة احدى وستين للهجرة وقال ابو اسحق
ابرهيم بن علي بن محمد الدهلي ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهري
وقتادة والاعمش ليالي قتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وكان قتله
يوم عاشوراء سنة احدى وستين للهجرة وقدم بغداد على المنصور وتوفي بها سنة
ست واربعين ومائة وقيل سنة خمس واربعين رضي الله عنه وصلى عليه المنصور و
دفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي وقيل هو بالجانب الغربي خارج السور بحذاء باب
قطربل ورايت قبره عند الخندق اعلا مقابر باب حرب وهو ظاهر هناك معروف
وعليه قبر منقوش انه قبر هشام بن عروة المروزي صاحب عبد الله بن المبارك
والله اعلم وله عقب بالمدينة والبصرة وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان المنصور

قال

قال له يوما تذكر يا ابا المنذر يوم دخلت عليك انا واخواي الخلائف وانت تشرب
سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال لنا ابونا اعرفوا لهذا الشيخ حقه
فانه لا يزال في قومكم بقية ما بقي فقال لا اذكر ذلك يا امير المؤمنين فلما خرج هشام
قيل له يذكرك امير المؤمنين بما تمت به اليه فتقول لا اذكره فقال لم اكن اذكر ذلك
ولم يعودني الله في الصدق الا خيرا وروي انه دخل على المنصور فقال يا امير المؤمنين
اقض عني ديني فقال وكم دينك فقال مائة الف فقال وانت في فقهك وفضلك
تاخذ دينا مائة الف ليس عندك قضاؤها فقال يا امير المؤمنين شب فتيان
من فتياننا فاحببت ان ابوئهم وخشيت ان ينتشر علي من امرهم ما اكره فبوأتهم
فاتخذت لهم منازل واولمت عنهم ثقة بالله وبامير المؤمنين فردد عليه مائة
الف استعظاما لها ثم قال قد امرنا لك بعشرة الاف فقال يا امير المؤمنين فرد
عليه اعطني ما اعطيت وانت طيب النفس بورك للمعطي والمعطى فاني سمعت ابي
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى عطية وهو بها طيب
النفس بورك للمعطي والمعطى قال فاني بها طيب النفس فاهوى الى يد المنصور يقبلها فمنعه
وقال يا ابن عروة انا نكرمك عنها وذكر مما عن غيرك واخباره كثيرة رضي الله عنه والله
الموفق للصواب **ابو المنذر هشام** بن ابي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو
والكلبي النسابة الكوفي قد تقدم ذكر ابيه في الحروف ومما جرى له مع الفرزدق الشاعر
وحدث هشام عن ابيه وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب
الواقدي ومحمد بن السري البغدادي وابو الاشعث بن المقدام وغيرهم وكان من اعلم
الناس بعلم الانساب وله كتاب الجمهرة في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا
الفن وكان من الحفاظ المشاهير ذكر الخطيب في تاريخ بغداد انه دخل بغداد وحدث
بها وانه قال حفظت ما لم يحفظه احد ونسيت ما لم ينسه احد كان لي عم يعاتبني
على حفظ القران فدخلت بيتا وحلفت ان لا اخرج منه حتى احفظ القران فحفظته في
ثلثة ايام ونظرت يوما في المراة فقبضت على لحيتي لاخذ ما دون القبضة فاخذت ما
فوق القبضة وله من التصانيف شيء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة
وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب المنافرات وكتاب بيوتات
قريش وكتاب فضائل قيس بن عيلان وكتاب الموودات وكتاب بيوتات ربيعة
وكتاب الكنى وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والاسلام وكتاب القاب
قريش وكتاب القاب اليمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل وكتاب ادعاء زياد
معوية وكتاب اخبار زياد بن ابيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب

المشاحنات وكتاب المغالبات وكتاب ملوك الطوايف وكتاب ملوك كندة وكتاب
افتراق ولد نزار وكتاب تفرق الازد وكتاب طسم وجديس وتصانيفه تزيد على
ماية وخمسين تصنيفا واحسنها وانفعها كتابه المشهور المعروف بالجمهرة في معرفة
الانساب لم يصنف في بابه مثله وكان واسع الرواية لايام الناس واخبارهم فمن
روايته انه قال اجتمعت بنو امية عند معوية بن ابي سفيان وعاتبوه في
تفضيل عمرو بن العاص وادعا زياد ابن ابيه فتكلم معوية ثم حرك عمروا على الكلام
فقال في بعض الكلام ∴

انا الذى اقول في يوم صفين ∴ اذا انحادرت وما بى من حرود
ثم كسرت العين من غير عور ∴ الفيتنى الذى بعيد المستمر
احمل ما حملت من خير وشر ∴ كالحيه الصما في اصل الحجر

اما والله ما انا بالوان ولا الفاني واني انا الحية الصما التي لا يسلم سليمها ولا ينام
كليمها واني لانا المرء ان همزت كسرت وان كويت انضجت فمن شاء فليثاور ومن
شاء فليؤمن مع انهم والله لو غابوا من الامر يوم الهرير ما غابت اولو ولو اما
ولبث لضاق عليهم المخرج ولتفاقم بهم المنهج اذ شد علينا ابو الحسن وعن يمينه
وشماله المباشرون من اهل البصاير وكرام العشاير فهناك والله شخصت الا
بصار وارتفع النهار وتغلغلت الحصى الى مواضع الكلى وفارقت الامهات عن
تكلها وذهلت عن حملها واحمرت الحدق واغبر الافق والجم العرق وسا ل
العلق وثار القتام وصبر الكرام وخام اللئام وذهب الكلام واذبلت الاشداق
وكثر العناق وقامت الحرب على ساق وحضر الفراق وتضاربت الرجال باغمار
سيوفها بعد فناء نبلها وتقصف رماحها فلا يسمع يومئذ الا التهمهم من ابطالها
والتحمحم من الخيل ووقع السيوف على الهام كانه دق غاسل بجشية على نضحه
فلو ابصرتم ذلك يوما حتى لحقنا الليل بغسقه وابلج الصبح بفلقه ثم لم يبق من القتال
الا الهزيز والازيز لعلمتم اني احسن بلاء واعظم غناء واصبر على اللاوا والجهد
واياكم كما قال الشاعر ∴

واغضي عن اشيا لو شئت قلتها ∴ ولو قلتها لم ابق للصلح موضعا
وان كان عودي من نضار فانني ∴ لاكرم من ان اخاطر خروعا

والماثور عنه كثير وتوفي سنة اربع ومايتين وقيل سنة ست والاول اصح
رحمه الله تعالى امين ابو عبد الله هشام بن معوية الضرير النحوي الكوفي
صاحب ابي الحسن علي بن حمزة الكسائي اخذ عنه كثيرا من النحو وله فيه مقالة

تعزى اليه وله فيه تصانيف عدة فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير وكتاب
المختصر وكتاب القياس وغير ذلك وكان اسحق بن ابرهيم بن مصعب قد كلم
المامون يوما فلحن في بعض كلامه فنظر اليه المامون ففطن فلما اراد فخرج من
عنده وجاء الى هشام المذكور فتعلم عليه النحو قال ابو مالك الكندي توفي
هشام بن معويه الضرير النحوي سنة تسع ومايتين والله اعلم ابو فراس همام
بن غالب قال ابن قتيبة في طبقات الشعرا هميم بالتصغير ابن غالب وكنيته
ابو الاخطل بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم
واسمه بحر ابن مالك واسمه عوف سمي بذلك لجوده بن حنظلة بن زيد مناة بن
تميم بن التميمي المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور صاحب جرير وكان ابوه
غالب من جلة قومه وسراتهم وله مناقب مشهوره ومحامد ماثوره فمن ذلك
انه اصاب اهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج اكثر الناس الى البوادي فكان هو رئيس
قومه وكان سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه فاجتمعوا بمكان يقال له صوار في طرف
السماوة ومن بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة وهو بفتح الصاد المهملة وسكون
الواو وفتح الهمزة وبعدها راء فعقر غالب لاهله ناقة وصنع منها طعاما واهدى
الى قوم من بني تميم لهم حلالا جفانا من ثريد ووجه الى سحيم جفنة فكفاها
وضرب الذي اتاه بها وقال انا مفتقر الى طعام غالب اذا نحر هو ناقة نحرت انا
اخرى فوقعت المنافرة بينهما وعقر سحيم لاهله ناقة فلما كان من الغد عقر لهم
غالب ناقتين فعقر سحيم لاهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثا
فعقر سحيم لاهله ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب ماية ناقة فلم يكن عند سحيم
هذا القدر فلم يعقر شيئا واسرها في نفسه فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة
قال بنو رياح لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر وكنا نعطيك مكان
كل ناقة ناقتين فاعتذر ان ابله كانت غايبة وعقر ثلثماية ناقة وقال للناس شانكم
والاكل وكان ذلك في خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاستفتي في حل الاكل
منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير ماكلة ولم يكن القصد منها سوى المفاخرة
والمباهاة فالقيت لحومها على كناسة الكوفة فاكلها الكلاب والعقبان والرخم وهي
قصة مشهوره وعمل فيها الشعرا اشعارا كثيرة فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق و
هذا البيت يستشهد به النحاة في كتبهم وهو من جملة قصيدة ∴

تعدون عقر النيب افضل مجدكم ∴ بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

ومن ذلك قول المفضل اخي بني قطن بن بهشل ∴ ∴ ∴

وقد سرّني الا تعد مجاشع ❊ من المجد الا عقرناب بصوّار

وكان غالب المذكور داعود وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر ابيه فما جاءه احد استجاد به الا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه فمن ذلك ما حكى المبرد في كتاب الكامل ان الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولى تميم بن زيد القيني بلاد السند دخل البصرة فجعل يخرج من اهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر ابيك وانت منه بحصات فقال ما شانك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعيني ولا كاسب على غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت حبيش فكتب الى تميم مع بعض من شخص ❊

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي ❊ بظهر فلا يخفى على جوابها

وهب لى حبيشا واتخذ فيه منة ❊ لعبرة ام لا يسوغ شرابها

اتتني فعاذت يا تميم بغالب ❊ وبالحفرة السافى عليه ترابها

وقد علم الاقوام انك ماجد ❊ وليث اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم اشكل عليه الاسم فلم يعرف احبيش ام حبيش ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا فاصيب ستة ما بين خنيس وحبيش فوجه بهم اليه وحضر يوما الفرزدق ينشدني شيئا من شعره وانما اراد سليمن ان ينشده مدحا له فانشده في مدح ابيه

وركب كان الريح تطلب عندهم ❊ لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح وهي تلفهم ❊ الى شعب الاكوار ذات الحقائب

اذا انسوا نارا يقولون ليتها ❊ وقد حضرت ايديهم نار غالب

فاعرض عنه سليمان كالمغضب فقال نصيب يا امير المؤمنين الا انشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها فقال هات فانشده ❊

اقول لركب صادرين لقيتهم ❊ قفا ذات اوشال ومولاك قارب

قفوا اخبروني عن سليمن انني ❊ لمعروفه من اهل ودان طالب

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ❊ ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

فقال سليمن للفرزدق وكيف تراه فقال هو اشعر اهل جلدته ثم قام وهو يقول

وخير الشعر اشرفه رجالا ❊ وشر الشعر ما قال العبيد ❊

وكان نصيب عبد اسود لرجل من اهل وادى القرى وكاتب على نفسه ومدح عبد العزيز بن مروان فاشترى ولاه وكنيته ابو الحجا وقيل ابو محجن والفرزدق في مفاخر ابيه اشيا كثيرة واما جده صعصعة بن ناجية فانه كان عظيم القدر

في الجاهلية

٥

في الجاهلية فاشترى ثلثين مووده منهن بنت لقيس بن عاصم المنقري وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به ❊

وجدى الذي منع الوائدات ❊ واحيى الوئيد فلم يؤد

وهو اول من اسلم من اجداد الفرزدق وقد ذكره في كتاب الاستيعاب في جملة الصحابة رضوان الله عليهم وقد اختلف اهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجرير والمفاضلة بينهما والاكثرون على ان جريرا اشعر منه وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو مشهور وقد جمع لهما كتاب سمي النقايض وهو من الكتب المشهورة وكان جرير قد هجاه بقصيدته الرائية التي من جملتها

وكنت اذا حللت بدار قوم ❊ ظعنت بخزية وتركت عارا

واتفق بعد ذلك ان الفرزدق نزل بامراة من اهل المدينة وجرى له معها قضية يطول شرحها وخلاصتها ان المراة راودها عن نفسها بعد ان كانت قد اضافته واحسنت اليه فامتنعت عليه فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يوميذ والى المدينة فلما اخرج واركبوه ناقته لينفوه قال قاتل الله ابن المراغة يعني جريرا كانه شاهد هذا الحال حيث قال وكنت اذا حللت بدار قوم وانشد البيت المذكور ومن شعره قوله وهو مقيم بالمدينة حرسها الله تعالى

هما دلتاني من ثمانين قامة ❊ كما انقض باز اقتم الراس كاسر

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا ❊ احي فيرجا ام قتيل نحاذره

فقلت ارفعا الاسباب لا يشعروا بنا ❊ واقبلت في اعجاز ليل اباد ره

احاذر بوابين قد وكلا بنا ❊ واسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغ جريرا الابيات عمل من جملة قصيدة طويلة

لقد ولدت ام الفرزدق فاجرا ❊ فجات بوزوازٍ قصير القوادم

يوصل حبليه اذا جن ليله ❊ ليرقا الى جاراته بالسلالم

تدليت تزني من ثمانين قامة ❊ وقصرت عن باع العلا والمكارم

هو الرجس يا اهل المدينة فاحذروا ❊ مداخل رجس بالخبيثات عالم

لقد كان اخراج الفرزدق عنكم ❊ طهورا لما بين المصلى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها

وان حراما ان اسب مقاعسا ❊ باباى الشم الكرام الخضارم

ولكن نصفا لو سببت وسبني ❊ بنو عبد شمس من مناف وهاشم

اولئك اباءى فجئني بمثلهم ❊ واعبد ان اهجو كليبا بدارم

ولما سمع اهل المدينة ابيات الفرزدق المذكورة اولاً اجتمعوا وجاؤا الى مروان
ابن الحكم الاموي وكان يومئذ والي المدينة من قبل معوية بن ابي سفيان
الاموي فقالوا له ما يصلح ان يقال هذا الشعر بين ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد اوجب على نفسه الحد فقال مروان لست احده انا ولكن اكتب الى
من يحده ثم امره بالخروج من المدينة واجله ثلثة ايام وفي ذلك يقول الفرزدق

توعدني واجلني ثلاثا ؞ كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله يامره فيه بحده وبحبسه واوهمه انه كتب له بجايزة
ثم ندم مروان على ما فعل فوجه عنه سفيرا وقال اني قلت شعرا فاسمعه ثم انشد

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ؞ ان كنت تارك ما امرتك فاجلس
ودع المدينة انها ممنوعة ؞ واقصد لمكة او لبيت المقدس
وان اجتنبت من الامور عظيمة ؞ فخذن لنفسك بالزماع الاكيس

قوله فاجلس اي اقصد الجلسا وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لان الجلوس في
اللغة هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الابيات فطن لما اراد مروان فرمى الصحيفة
وقال يا مروان مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربها لم ييأس ؞

وحبوتني بصحيفة مختومة ؞ يخشى علي بها حباء النقرس
الق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ؞ نكداء مثل صحيفة المتلمس

واذ ذكرنا صحيفة المتلمس وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب ان يعلم قصتها
ومن خبرها ان المتلمس واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن حرب
بن وهب بن حلي بن احمس بن ضبيعة الاضجم بن ربيعة بن نزار بن معد
بن عدنان وانما لقب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة ؞

فهذا اوان العرض حي ذبابه ؞ زنابيره والازرق المتلمس

وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها
وبعدها سين مهملة كان قد هجا عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة وهجاه ايضا طرفة
بن العبد البكري الشاعر المشهور وهو ابن اخت المتلمس المذكور فاتصل هجوهما
بعمرو بن هند المذكور فلم يظهر لهما شيا من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل
واحد منهما كتابا الى عامله بالحيرة وامره بقتلهما اذا وصلا اليه واوهمهما انه قد
كتب لهما بصلة فلما وصلا الى الحيرة قال المتلمس لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك
ولو اراد ان يقطعنا لاعطانا ولم يكتب لنا الى الحيرة فهلم ندفع كتبنا لمن يقروها فان
كان فيهما خير دخلنا الحيرة وان كان فيهما شر فررنا قبل ان يعلم بمكاننا فقال طرفة

ماكنت

ما كنت لافتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لافتحن كتابي ولاعلمن ما فيه ولا
اكون كمن يحمل حتفه بيده فنظر المتلمس فاذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له اتقرا
يا غلام فقال نعم فقال هلم فاقرا هذا الكتاب فلما نظر اليه الغلام قال ثكلت المتلمس
امه لطرفة افتح كتابك فما فيه الا مثل ما في كتابي فقال ان كان اجترا عليك فلم يكن
ليجترى علي ويوغر صدر قومي بقتلي فالقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفر الى الشام
ودخل طرفة الحيرة فقتل وقصته في ذلك مشهورة فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس
لكل من قرا صحيفة فيها قتله والى هذا اشارة الحريري في المقامة العاشرة ؞
ففضضتها فعل المتلمس من صحيفة المتلمس وللابله الشاعر المقدم ذكره
في الحمد تين قصيدة يقول فيها ؞ يقرا المتيم من صحيفة خده
في الهجر مثل صحيفة المتلمس ؞ رجعنا الى تتمة خبر الفرزدق ثم انه خرج
هاربا حتى اتى سعيد بن العاص الاموي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن
جعفر رضي الله عنهم فاخبرهم الخبر فامر له كل واحد منهم بماية دينار وراحلة وتوجه
الى البصرة وقيل لمروان اخطات فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه
وراه رسولا ومعه ماية دينار وراحلة خوفا من هجايه ومن اخبار الفرزدق حكى انه
نزل في بعض اسفاره في بادية وقد اوقد نارا فراها ذيب فاتاه فاطعمه من زاده وانشد

واطلس عسال وما كان صاحبا ؞ دعوت بناري موهنا فاتاني
فلما اتى قلت ادن دونك انني ؞ واياك في زادي لمشتركان
فبت اقد الزاد بيني وبينه ؞ على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا ؞ وقايم سيفي من يدي بمكان
تعش فان عاهدتني لا تخونني ؞ نكن مثل من ياذيب يصطحبان
وانت امرؤ ياذيب والغدر كنتما ؞ اخيين كانا ارضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى ؞ رماك بسهم او شباة سنان

وكان قد انشد سليمان بن عبد الملك قصيدة ميمية فلما انتهى منها الى قوله

ثلاث واثنتان فهن خمس ؞ وسادسة تميل الى شمام
فبتن بجانبي مصرعات ؞ وبت افض اغلاق الختام
كان مغالق الرمان فيه ؞ وجمر غضى قعدن عليه حامي

قال له سليمان قد اقررت عندي بالزنا وانا امام ولا بد من اقامة الحد عليك
فقال الفرزدق ومن اين اوجبت علي يا امير المؤمنين فقال يقول الله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية فقال الفرزدق ان كتاب الله

يلدونه عنى بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون
وانهم يقولون ما لا يفعلون فانا قلت ما لم افعل فتبسم سليمن وقال اولى
لك ونسب اليه مكرمة يرجى له بها الجنة وهى انه لما حج هشام بن عبد الملك
فى ايام ابيه وطاف وجهد ان يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام
فنصب له منبرا وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اعيان اهل الشام
فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى
الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فطاف
بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من اهل الشام
من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان
يرغب فيه اهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامى من
هو يا ابا فراس فقال هذا اسلل حسين وابن فاطمة بنت الرسول الذى انجابت به الظلم

هذا الذى تعرف البطحا وطاته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قايلهم * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينما الى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف اروع فى عرنينه شمم
جبينه سلام وهو مرتعق * وصحة القوم عند الباب تزدحم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته * كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده انبيا الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه * خزا بذاك له فى لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضايره * العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال اثقال اقوام اذا قدحوا * حلو الشمايل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الفنا اريب حين يعترم
عم البرية بالاحسان فانقشعت * عنها الغيابة والاملاق والعدم

من معشر

من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم * او قيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت * والاسد اسد الشرى والباس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم * سيان فى الجود ان اثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بر ومختوم به الكلم
يابى لهم ان يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وايد بالندا هضم
اى الخلايق ليست فى رقابهم * لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم
ما قال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاوه نعم

ولما سمع هشام هذه القصيده غضب وحبس الفرزدق وانفذ له زين العابدين
اثنى عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطا فقال انا اهل بيت
اذا وهبنا شيا لا نستعيده وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره صعد الوليد
بن عبد الملك المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا فقيل البيعة فامر بهدمها
وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاخرم ملك الروم
البيع قد اقرها من كان قبلك فان يكونوا اصابوا فقد اخطات وان يكن اصبت
فقد اخطاوا فقال من يجيبه فقال الفرزدق نكتب اليه وداود وسليمن اذ
يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمن وكلا اتينا حكما وعلما واخبار الفرزدق كثيره والاختصار اولى وتوفى
بالبصره سنة عشر ومايه قبل جرير باربعين يوما وقيل بثمانين وقال ابو
الفرج بن الجوزى فى كتاب شذور العقود انهما توفيا سنة احدى عشره ومايه
وقال بن قتيبه فى طبقات الشعرا الشكرى لقى على بن ابى طالب رضى الله عنه
وتوفى سنة عشر وقيل اثنى عشر ومايه وقال ابن قتيبه فى طبقات الشعرا
ان الفرزدق اصابته الدبيله فقدم به البصره واتى بطبيب فسقاه فارا ابيض
فجعل يقول اتجعلون لى النار وانا فى الدنيا ومات وقد قارب المايه السنه
والله اعلم وقد سبق فى ترجمه جرير ما قاله الفرزدق لما بلغه وفاة جرير فاغنى
عن الاعادة رحمهما الله تعالى وذكر المبرد فى كتاب الكامل قال التقى الحسن البصرى
والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن اتدرى ما تقول الناس يا ابا
سعيد يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس فقال الحسن كلا لست

بحبرهم ولست بشرهم ولكن ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله
منذ ستين سنة ثم زعم بعض بالتميمة ان الفرزدق روى فى المنام فقيل
له ما صنع الله بك فقال غفر لى فقيل باى شئ فقال بالكلمة التى نازعنها الحسن
وهمام بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى وناجيه بالنون والجيم المكسوره وبعدها
يا مثناه من تحتها وعقال بكسر العين المهمله وفتح القاف ومحمد بن سفيان هو
احد الثلاثه الذين سموا محمد فى الجاهلية وذكرهم ابن قتيبة فى كتاب المعارف و
قال السهيلى فى كتاب الروض الانف لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله
صلى الله عليه وسلم الا ثلثه طمع اباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم
وبقرب زمانه وانه يبعث فى الحجاز ان يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك فى كتاب
الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر والاخر محمد بن
احيحه بن الجلاح وهو اخو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه و
الاخر هو محمد بن حمران من ربيعه وكان اباء هؤلاء الثلثه قد وفدوا على بعض الملوك
وكان عندهم علم بالكلام الاول فاخبرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امراته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد
له ذكر ان سميه محمدا ففعلوا ذلك واما مجاشع فهو بضم الميم وبعد الالف شين
معجمه مكسوره ثم عين مهمله ودارم بفتح الدال المهمله وبعد الالف راء مكسوره و
بعدها ميم وبقية النسب معروف والفرزدق بفتح الفا والرا وسكون الزاى وفتح
الدال المهمله وبعدها قاف وهو لقب عليه واختلف كلام ابن قتيبة فى تلقيبه به
فقال فى ادب الكاتب الفرزدق قطع العجين واحدها فرزدقه وانما لقب به
لانه كان جهم الوجه وقال فى كتاب طبقات الشعرا انما لقب بالفرزدق لغلظه
وقصره شبه بالفتيته التى يشربها النسا وهى الفرزدق والقول الاول اصح لانه
كان اصابه جدرى فى وجهه ثم برا منه فبقى وجهه جهما متغضنا ويروى ان رجلا
قال له يا ابا فراس كان وجهك احراح مجموعه فقال تامل هل ترى فيها حرامك و
الاحراج بحايين مهملتين جمع حرح وهو الفرج فحذفت فى المفرد حاوه الثانيه فبقى حرا
ومتى جمع عادت الحاء الثانيه فقالوا احراح لان الجموع ترد الاشياء الى اصولها وكا
زوجة الفرزدق ابنة عمه وهى النوار بفتح النون ابنة اعين بن ضبيعه من عقال
المجاشعى وجدها ضبيعه هو الذى عقر الجمل الذى كانت عليه عايشة ام المؤمنين
يوم وقعة الجمل رضى الله عنها وكان قد خطبها رجل من قريش فبعثت الى الفرزدق
تساله ان يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشام من هو اقرب اليك منى وما

انا

انا امن ان تقدم قادم منهم فينكر ذلك على فاشهدى انك قد جعلت امرك الى ففعلت
فخرج بالشهود وقال لهم قد اشهدتكم انها جعلت امرها الى وانا اشهدكم انى قد
تزوجتها على مائة ناقة حمر اسود الحدق فغضبت من ذلك واستعدت عليه
وخرجت الى عبد الله الزبير والحجاز والعراق يومئذ اليه وخرج الفرزدق ايضا فاتيا
النوار فنزلت على خوله بنت منظور بن زبان الفزارى امراه عبد الله بن الزبير فرققتها
وسالتها الشفاعة لها واما الفرزدق فنزل على حمزه بن عبد الله ابن الزبير وهو
ابن خولة المذكوره ومدحه فوعده الشفاعة فتكلمت خوله فى النوار وتكلم حمزة فى
الفرزدق فانجحت خوله وامر عبد الله بن الزبير ان لا تقربها حتى يصير الى البصرة
فيحكما الى عامله عليها فخرجا وقال الفرزدق ؛

اما بنوه فلم ينجح شفاعتهم ؞ وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى ياتيك متزرا ؞ مثل الشفيع الذى ياتيك عريانا

ثم ان الفرزدق اتفق معها وبقى زمانا لا يولد له ثم ولد له بعد ذلك عدة
اولاد هم لطه وسطه وحطه وركضه وزمعه وكلهم من النوار وليس لواحد
من ولده عقب الا من البنات وقال ابن خالويه ومن اولاد الفرزدق كلطه وحلطه
ثم ان الفرزدق طلق النوار لامر يطول شرحه وندم على ذلك وله فيها اشعار فيها
قوله ؞ ندمت ندامة الكسعى لما ؞ غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها ؞ كادم حين اخرجه الضرار

وله فى ذلك اخبار يطول شرحها وليس هذا موضعه ومات للفرزدق ابن
صغير فصلى عليه ثم التفت الى الناس فقال ؞

وما نحن الا مثلهم غير اننا ؞ اقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل

فمات بعد ذلك بايام **ابو الحسن هلال** بن الحسن بن ابى اسحق ابرهيم بن
هلال بن ابرهيم بن زهرون بن حيون الصابى الحرانى الكاتب وهو حفيد
ابى اسحق الصابى صاحب الرسائل المشهوره وقد سبق ذكر جده فى حرف
الهمزة سمع هلال المذكور ابا على الفارسى النحوى المقدم ذكره وعلى بن عيسى
الرمانى المقدم ذكره ايضا وابا بكر احمد بن محمد بن الجراح الخزاز وغيرهم وذكره
الخطيب فى تاريخ بغداد وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان ابو الحسن صابيا على
دين جده ابرهيم واسلم هلال المذكور فى اخر عمره وسمع العلما فى حال كفره وذا
لانه كان يطلب الادب فرايت له تصنيفا جمع فيه حكايات مستطرفه واخبارا نادره
وسماه كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان وهو مجلد واحد

ولا اعلم هل صنف سواه ام لا وكان ولده غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضايل جمة وتواليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادره من المغفلين المحظوظين جمع فيه كثيرًا من الحكايات التي يتعلق بهذا الباب فمما نقلته منه ان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وهو عم السفاح وابي جعفر المنصور انفذ الى ابن اخيه السفاح في اول ولايتهم مشيخة من اهل الشام يطرفه بعقولهم واعتقادهم وانهم حلفوا انهم ما يعلموا للرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة يرثونه غير بني امية حتى وليتم انتم ونقلت منه ايضًا حكاية وان كانت سخيفة لكنها طريفة ولا بد في المجاميع من الاحماض ومزج الهزل بالجد والحكاية المذكورة هي ان ابا سعيد ماهك بن بنداد المجوسي الرازي كان من كبار كتاب الديلم المشهود بحذقهم الشايعة فيه اخبارهم وكان يكتب لعلي بن سامان احد قواد الديلم فاراد الوزير ابو محمد المهلبي ان ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له وقد اراد الخروج من عنده يا ابا سعيد لا تبرح من الدار حتى اوافقك على شي فقال السمع والطاعة لامر سيدنا العزيز ونهض من بين يديه فقال الوزير هذا رجل مجنون وربما طال بي الشغل وضاق صدره فانصرف فتقدموا الى البواب ان لا يدعه يخرج من الباب فجلس ماهك طويلا واراد دخول الخلا فقام يطلب ذلك فراى الاخلية مقفلة وكان قد تقدم الوزير بذلك قال وكانت دار ابي جعفر الصيمري متنزه الوزير لاجل خلاة بها كان لعامة الناس فوجد ماهك ذا الخلاء الخاص غير مقفل وعليه ستر مسبل فرفع الستر ليدخل في الفراش فنعه ودفعه فقال يا هذا اليس هذا خلا فقال اريد ان اعمل فيه حاجتي فلم تمنعني فقال هذا الخلا الخاص لا يدخله غير الوزير قال فبقيه الاخلية مقفلة كيف اعمل وقد جيت اخرج فمنعني البواب فاخرق ثيابي فقال الفراش استاذن في دخول خلا ليتقدم لك بذلك وتفتح لك احد الاخلية فيقضي حاجتك فاشتد به الامر فكتب الى الوزير رقعة قال فيها قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك الى بعض ما يحتاج اليه الناس ولا يحسن ذكره والفراش يقول لا تدخل والبواب يقول لا تخرج وقد تحير العبد في اثنين والامر في الشدة فان راى سيدنا الوزير ان يفسح لعبده بان يعمل ما يحتاج اليه في خلائه فعل ان شاء الله تعالى والسلام ودفع الرقعة الى بعض الحجاب فاوصلها الى الوزير فلم يعلم ما اراد بالرقعة فاستعلم الحاجب عن القصة فعرفه بها فضحك الوزير ووقع على ظهر الرقعة يجرا ابو سعيد اعزه الله حيث يختار ان شاء الله تعالى فجاه الحاجب بها واخبره ودفعها للفراش فقال الفراش التوقيعات يقروها ابو العلا بن ابي وما كاتب ديوان الدار وانا لا اكتب ولا اقرا فصاح

ماهك

ماهك في الدار هات من يقرا ماهك الخرا فضحك فراش اخر واخذ بيده وحمله الى بعض الحجر حتى قضى حاجته ونقلت من هذا الكتاب ايضًا ان ارطاه بن سهيه دخل على عبد الملك بن مروان وكان قد ادرك الجاهلية والاسلام فراه عبد الملك شيخا كبيرًا فاستنشده ما قاله في طول عمره فانشد هذه الابيات ؞

رايت المرء تاكله الليالي ؞ كاكل الارض ساقطة الحديد

وما تبغي المنية حين تاتي ؞ على نفس ابن ادم من مزيد

واعلم انها ستكر يومًا ؞ توفي نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه لانه كان يكنى ابا الوليد وعلم ارطاه بهوه وزلته فقال يا امير المؤمنين اني اكنى بابي الوليد وصدقه الحاضرون فسري عن عبد الملك قليلا ونقلت منه ايضا ان ابا العلا صاعد بن مخلد كاتب الموفق كتب كتابا فلم يفهم معناه وقراه الموفق ففهمه فقال فيه عيسى بن الفاسي ؞

اري الدهر يمنع من جانبه ؞ ويهدي الخطوب الى غايبه

وكم طالب سببا مخلبا ؞ فاعيى عناه على طالبه

ومن عجب الدهر ان الامير ؞ اصبح اكتب من كاتبه

والموفق المذكور هو والد المعتضد الخليفة العباسي ونقلت منه ايضًا ان اعرابيا شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به صايح من خلفه يا خليفة رسول الله ثم قال يا امير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله امير المؤمنين فالتفت اليه فاذا رجل من بني لهب بكسر اللام وهم من بني نصر بن الازد وهم ازجر قوم وقد اشار كثير عزة الى ذلك في قوله ؞

سالت اخا لهب ليزجر زجره ؞ وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال الاعرابي فلما وقفت الرمي الجمار اذا حصاة قد صكت عمر في صلعته فادمته فقال قايل اشعر والله يا امير المؤمنين والله لا يقف في هذا الموقف بعدها فالتفت اليه فاذا هو اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول وهذه الحكاية في كتاب الكامل ايضا وقوله دعاه باسم ميت انما قال ذلك لان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قيل له خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين هذا امر من يطول شرحه فان كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وانما انتم المؤمنون وانا اميركم فقيل له يا امير المؤمنين فهو اول من دعي بهذا الاسم وكان لفظ الخليفة مختصا بابي بكر رضي الله عنه فلهذا قال دعاه باسم ميت وقد خرجنا عن المقصود وكانت ولادة هلال المذكور

في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر شهر رمضان
سنة ثمان واربعين واربعمائة رحمه الله تعالى ابو عبد الرحمن الهيثم بن عدي
بن عبد الرحمن بن زيد بن اسيد بن جابر بن عدي بن خالد بن جثيم بن ابي حارثة
بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث
بن جلهمة وهو طي الطائي الثعلي البحتري الكوفي كان راوية اخباريا نقل من كلام
العرب وعلومها واشعارها ولغاتها الكثير وكان ابوه نازلا بواسط وكان خبيرا و
كان الهيثم يتعرض لمعرفة اصول الناس ونقل اخبارهم فاورد مثالبهم واظهرها
وكانت مستورة فكره لذلك ونقل عنه انه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
بشئ فحبس لذلك عدة سنين ويقال انه نقل عنه زورا ولبسوا عليه عند بقاله و
كان قد صاهر قوما فلم يرضوه فاذاعوا ذلك عنه وحرفوا الكلام وكان يرى راي الخوارج
وله من الكتب المصنفة كتاب المثالب وكتاب المعمرين وكتاب بيوتات قريش وكتاب
بيوتات العرب وكتاب هبوط ادم عليه السلام وافتراق العرب ونزولها وكتاب
نزول العرب بخراسان والسواد وكتاب نسب طي وكتاب مدح اهل الشام وكتاب
تاريخ العجم وبني امية وكتاب من تزوج من الموالي في العرب وكتاب الوفود و
كتاب خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب تاريخ الاشراف الكبير وكتاب تاريخ
الاشراف الصغير وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب كنى الاشراف وكتاب
خواتيم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب المواسم وكتاب الخوارج وكتاب
النوادر وكتاب التاريخ على السنين وكتاب اخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما ووفاته
وكتاب اخبار الفرس وكتاب عمال الشرط لامراء العراق وغير ذلك من التصانيف و
اختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم قال الهيثم قال
لي المهدي ويحك يا هيثم ان الناس يخبرون عن الاعراب شحا ولوما وكرما وسماحا
وقد اختلفوا في ذلك فما عندك فقلت على الخبير سقطت خرجت من عند اهلي اريد قرابة
لي ومعي ناقة اركبها اذ ندت فذهبت فجعلت اتبعها حتى امسيت فادركتها ونظرت
فاذا خيمة اعرابي فاتيتها فقالت ربة الخباء من انت فقلت ضيف فقالت وما يصنع
الضيف عندنا ان الصحراء لواسعة ثم قامت الى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته
ثم قعدت واكلت ولم البث ان اقبل زوجها ومعه لبن فسلم وقال من الرجل
فقلت ضيف فقال حياك الله ثم قال يا فلانة اطعمت ضيفك شيئا فقالت نعم
فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم اتاني به فقال اشرب فشربت شرابا هنيئا فقال
ما اراك اكلت شيئا وما اراها اطعمتك فقلت لا والله فدخل عليها مغضبا فقال ويلك

اكلت

اكلت وتركت ضيفك قالت وما اصنع به اطعمه طعامي وجاراها الكلام حتى شجها
ثم اخذ شفرة وخرج الى ناقتي فنحرها فقلت ما صنعت عافاك الله فقال لا والله ما
يبيت ضيفي جائعا ثم جمع حطبا واجج نارا واقبل يكبب ويطعمني وياكل ويلقي اليها
ويقول كلي لا اطعمك الله حتى اذا اصبح تركني ومضى وقعدت مغموما فلما تعالى
النهار اقبل ومعه بعير ما يسام الناظر ان ينظر اليه فقال هذا مكان ناقتك ثم زودني
من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده فضمني الليل الى خباء فسلمت فردت
صاحبة الخباء السلام وقالت من الرجل فقلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله
وعافاك فنزلت ثم عمدت الى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزة روتها بالزبد واللبن
ثم وضعتها بين يدي وقالت كل واعذر فلم البث ان اقبل اعرابي كريه الوجه فسلم
فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف فقال وما يصنع الضيف عندنا ثم
دخل الى اهله فقال اين طعامي فقالت اطعمته الضيف فقال اتطعمين طعامي الاضياف
فتجاربا الكلام فرفع عصاه وضرب بها راسها فشجها فجعلت اضحك فخرج الي وقال ما
يضحكك فقلت خير فقال والله لتخبرني فاخبرته بقصة المراة والرجل اللذين نزلت عليهما قبله
فاقبل علي وقال ان هذه التي عندي اخت ذلك الرجل وتلك التي عنده اختي فبت
ليلتي متعجبا وانصرفت وحكى الهيثم ايضا قال صار سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي
الذي كان يسمى الصمصامة الى موسى الهادي بن المهدي وكان عمرو قد وهبه
لسعيد بن العاص الاموي فتوارثه ولده الى ان مات المهدي فاشتراه موسى الهادي
منهم بمال جزيل وكان من اوسع بني العباس كفا واكثرهم عطاء فجرد الصمصامة وجعلها
بين يديه واذن للشعراء فدخلوا عليه ودعا بمكتل فيه بدرة وقال قولوا في هذا السيف
فبدر ابن يامين البصري وانشد هذه الابيات ∴

حاز صمصامة الزبيدي من بين ∴ جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا ∴ خير ما اغمدت عليه الجفون
اخضر اللون بين خديه برد ∴ من ديباج تميس فيه المنون
اوقدت فوقه الصواعق نارا ∴ ثم شابت به الذعاف القيون
فاذا ما سللته بهر الشمس ∴ ضياء فلم تكد تستبين
ما يبالي من انتضاه لضرب ∴ اشمال سطت به ام يمين
يستطير الابصار كالقبس ∴ المشعل ما تستقر فيه العيون
وكان الفرند والجوهر الجاري ∴ في صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذي الحفيظة في ∴ الهيجاء يعصى به ونعم القرين

فقال الهادى اصبت والله ما فى نفسى واستخف السرور فامر له بالمكيل والسيف
فلما خرج قال لشعرائه انما حرمتم من اجلى فشانكم والمكيل ففى السيف غنائى فا
شتراه منه السيف بمال جزيل وقال المسعودى فى مروج الذهب اشتراه الهادى
منه بخمسين الفا ولم يذكر من هذه الابيات الا بعضها والذباح بضم الذال المعجمه
وفتح الباء الموحده وبعد الالف حاء مهمله وهو نبت قتال لسميته وقد جاء كثيرا
فى الشعر ويعصى بفتح الصاد يقال عصى بكسر الصاد يعصى اذا ضرب بالسيف و
هو خلاف عصى يعصى اذا ارتكب الذنب وحكى المسعودى فى مروج الذهب فى
ترجمه هشام بن عبد الملك ان الهيثم بن عدى المذكور روى عن عمرو بن هانى
الطائى قال خرجت مع عبد الله بن على وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا الى
قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا فما فقدنا منه الا خرمه انفه فضربه
عبد الله ثمانين سوطا ثم احرقه واستخرجنا سليمن بن عبد الملك من ارض
دابق فلم نجد منه شيا الا صلبه واضلاعه وراسه فاحرقناه وفعلنا ذلك
بغيرهما من بنى اميه وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا
الوليد بن عبد الملك فما وجدنا فى قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك
فما وجدنا منه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خط اسود كانما خط بالرماد
بالطول فى لحده ثم تتبعنا قبورهم فى جميع البلدان واحرقنا ما وجدنا فيها منهم
وكان سبب فعل عبد الله بنى اميه هذا الفعل ان زيد بن زين العابدين
على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم وقد سبق ذكر فى ترجمه
الوزير محمد بن بقيه خرج على هشام بن عبد الملك وسمت نفسه الى طلب
الخلافه وتبعه خلق من الاشراف والقرا فحاربه يوسف بن عمر الثقفى امير العراقين
وسياتى ذكره ان شاء الله تعالى فانهزم اصحاب زيد وبقى فى جماعه يسيره
فقاتلهم اشد قتال وهو يقول متمثلا ؞

ذل الحيوة وعز الممات ؞ وكلا اراه طعاما وبيلا
فان كان لا بد من واحد ؞ فسيرى الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد اصابه سهم فى
جبهته يطلبوا من ينزع النصل فاتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه امره
فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه فى ساقيه ماء وجعلوا على قبره
التراب والحشيش واجرى الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع
فلما اصبح مضى الى يوسف منتصحا فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث

وراسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك ففى ذلك
يقول بعض شعراء بنى اميه يخاطب ال ابى طالب وشيعتهم من جملة ابيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخله ؞ ولم ار مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف يامره باحراقه وتذريته فى
الرياح وكان ذلك سنه احدى وعشرين وقيل اثنين وعشرين ومايه وذكر
ابو بكر بن عياش وجماعه من الاخباريين ان زيدا اقام مصلوبا خمس سنين عريانا
فلم ير احد له عوره سترا من الله سبحانه له وذلك بالكناسه ما لكوفه فلما كان فى
ايام الوليد بن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان وهى واقعه مشهوره كتب
الوليد الى عامله بالكوفه ان احرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك واذرى رماده
فى الرياح على شاطى الفرات والله اعلم اى ذلك كان فهذا الذى حمل عبد الله
بن على على فعله بنى اميه ما فعل انتصارا لبنى عمه وانتقاما لهم بنظير ما فعل
بهم وقال الهيثم ايضا استعملت على صدقات بنى فزاره فجاءنى رجل منهم وقال
لى اريك عجبا فقلت بلى فانطلق بى الى جبل شاهق فاذا فيه صدع فقال لى ادخل
فقلت انما يدخل الدليل قال فدخل فاتبعته ودخل معنا الناس فكان ربما
ضاق الجبل واتسع فاذا نحن بضوء فدنونا منه واذا خرق ذاهب فى الارض واذا
عنكبوت فى الجبل فخذ بناها فاذا هى سهام عاد واذا كتاب منقور فى الجبل فقدنا
اصبعين او اكثر واذا هو كتاب بالعربيه

الا هل الى ابيات صفح بذى اللوى ؞ لوى الرمل فاصلى النفوس معاد
وهذه الابيات بلاد لمانت وكنا نحبها ؞ اذ الناس ناس والبلاد بلاد

وروى ان ابا نواس الحسن بن هانى الحكمى الشاعر المقدم ذكره حضر مجلس الهيثم
بن عدى فى حداثته والهيثم لا يعرفه فلم يستاذنه ولا قرب مجلسه فقام
مغضبا فسال الهيثم عنه فخبر باسمه فقال انا لله وانا اليه راجعون هذه بليه لم اخشها
على نفسى قوموا بنا اليه لنعتذر فصاروا اليه ودق الباب عليه وتسمى له
فقال ادخل واذا هو قاعد يصفى نبيذا له وقد اصلح بينه بما يصلح به
مثله فقال المعذرة الى الله ثم اليك والله ما عرفتك ولا الذنب الا لك حين
لم تعرفنا بنفسك فنقضى حقك ونبلغ الواجب من برك فاطهر له القبول فقال
الهيثم استعمل لك من قول سبق منك فى فقال ما قد مضى فلا حيله فيه ولك
الامان فيما استانف فقال وما الذى مضى جعلت فداك فقال بيت مر وانا فيما
نزى قال فانشدنيه فدافعه فالح عليه فانشده ؞

يا هيثم بن عدي لست للعرب ٭ ولست من طيّ الا على شغب
اذا نسبت عديًّا في بني ثعل ٭ فقدّم الدال قبل العين في النسب

فقام من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الابيات وهي ٭

الهيثم بن عدي في تلوّنه ٭ في كل يوم له رحل على خشب
فلا يزال اخا حل ومرتحل ٭ الى الموالي واحيانا الى العرب
لدلسان برحمه بجهورة ٭ كانه لم يزل بعد على قتب
كاني بك فوق الجسر منتصبًا ٭ على جواد قريب منك في الخشب
حتى نراك وقد درعت قمصًا ٭ من الصديد بدل مكان الليف والكرب
لله انت فما قربى تهمّ بها ٭ الا اجتلبت لها الانساب من كثب

فعاد الهيثم الى ابي نواس وقال يا سبحان الله اليس قد امنتني وجعلت لي عهدًا لا تهجوني فقال انهم يقولون ما لا يفعلون واخبار الهيثم كثيرة وقد اطلنا الشرح وكانت ولادته قبيل سنة ثلاثين ومائة وتوفي في غرة المحرم سنة ست وقيل سبع ومائتين قال ابن قتيبة في كتاب المعارف سنة تسع ومائتين والله اعلم بالصواب ولم يعقب ببغداد وقال السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة البحتري سنة تسع ومائتين بفم الصلح وله ثلاث وتسعون سنة وزاد غيره ان وفاته كانت عند الحسن بن سهل وقد تقدم في ترجمة بوران ان زواجها بالمامون كان في هذا التاريخ بهذا الموضع والظاهر انه كان في جملة من حضر زفافها هناك وقد تقدم الكلام على الطائي والبحتري والثعلي بضم الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وبعدها لام هذه النسبة الى ثعل بن عمرو بن الغوث من طيّ وقد سبق تتمة هذا النسب في ترجمة البحتري في حرف الواو فلينظر هناك و ينسب الى ثعل المذكور عدة بطون منها بحتر وسلامان وغيرهما ومن هذه القبيلة عمرو بن المسبح الثعلي الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفود العرب فاسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان ارمى العرب و فيه يقول امرؤ القيس بن حندج بن حجر الكندي الشاعر المشهور هذا البيت ٭

رب رام من بني ثعل ٭ مخرج كفيه من ستره

وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ القيس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الذي كان قبله بمقدار اربعين سنة هذا خلاصة ما قاله والله اعلم بالصواب

التركماني كان مقدمًا جليل القدر في قومه واليه

تنسب

تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر سكن بظاهر حلب في جهتها القبلية وبنى على شاطئ قويق تل مرتفع هو واهله واتباعه ابنية كثيرة وعمائر متسعة ويعرف الآن بالياروقية وهي شبه القرية وسكنها هو ومن معه وهي الى اليوم معمورة مسكونة اهلة يتردد اليها اهل حلب في ايام الربيع ويتنزهون هناك في الخضرة وعلى قويق وهو موضع كثير الانشراح والانس وتوفي ياروق المذكور في المحرم سنة اربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد في سيرة صلاح الدين رحمهما الله تعالى وياروق بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء مضمومة وواو ساكنة وفي الاخير قاف وقويق بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف وهو نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف وقد ذكرته الشعراء في اشعارهم كثيرا خصوصًا ابا عبادة البحتري فانه كرر ذكره في عدة قصائد فمن ذلك قوله في جملة قصيدة ٭

يا برق اسفر عن قويق وطرّق ٭ حلب واعلا القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصفر صبغه ٭ في كل ناحية ومجرى الآس
ارض اذا استوحشت ثم اتيتها ٭ حشدت علي فاكثرت ايناسي

وبطياس بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة وهي قرية كانت بظاهر حلب ودثرت ولم يبق لها اليوم اثر والله اعلم **ابو الدر ياقوت بن عبد الله** الموصلي الكاتب الملقب امين الدين المعروف بالملكي نسبة الى السلطان ابي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الاكبر نزل الموصل واخذ النحو عن ابي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي وقرا عليه من تصانيفه جملة وكان يلازمه وقرا عليه ديوان المتنبي والمقامات الحريرية وغير ذلك وكتب كثيرا وانتشر خطه في الآفاق وكان في نهاية الحسن ولم يكن في زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة وكان مغرمًا بنسخ كتاب الصحاح للجوهري وكتب منه نسخًا كثيرة كل نسخة في مجلد ورايت منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة في زمانه وقصده الناس من البلاد وسير اليه من بغداد الخطيب ابو عبد الله الحسن بن علي بن ابي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ولم يكن راه بل على السماع به وهي قصيدة جيدة في بابها ووصف حسن خطه

وقال

ابن غزلان عالج والمصلى ∴ من ظباء سكن نهر المعلا
ابتلك الكثبان اغصان بان ∴ وبدور من افقها تتجلا
ام لتلك الغزلان حسن وجوه ∴ لو ترات للحزن اصبح سهلا
اين جود ابغا من النرجس الغض ∴ اذا ما اجرى النسيم استقلا
اين ذاك العلا من صبغة الورد ∴ اذا جاءه الغمام وطلا
انجوعاها كواكب نا ريخ ∴ دنا في غصونه فتدلا
انهت لماه دجله كفوه ∴ كذب القائلون حاشا وكلا
اللذاذ السلام في الارض شبه ∴ معجزان يرى لبغداد شكلا
كل يوم تبدى وجوها خلاف ∴ الامس كانما هي حُلا
وصبايا يصبو الحليم اليهن ∴ اذا ما خطرن شكلا ودلا
يحتصن العصاب لن اخطرنا ∴ فيحللن منك عقدا وحلا
ليس يوقعن فيك الا ولا ∴ يعرفن شيا غير الصحاح والا
مربع للقلوب فيك ربيع ∴ متوال اذا الربيع تولا
بلد تستفاد فيها المعالي ∴ والمعالي علما وجدا وهزلا
لم يفتها من الكلام سوى ∴ يا قوت لو انها به تتحلى
من لها ان يضوع نشر امين ∴ الدين فيها وحسبها ذاك فضلا
لو وجدت ان يزودها لانبرى ∴ القامت منها يقول اهلا وسهلا
ولئن وافت الوفاة يرتاه ∴ ايها فان دونها احلا
بحر جود له الاكارم تتلو ∴ وجواد عنه المكارم تتلا
جامع شارد العلوم ولولاه ∴ لكانت امر الفضايل تكلا
ذو يراع تخاف سطوته الاسد ∴ وتعنوا له الكتايب ذلا
واذا قبر ثغره على سواد ∴ في بياض فالبيض والسمر خجلا
يقظ في حراسة الملك لا ∴ يعمل سهما ولا يجرد نصلا
انما يبعث البلاغة رسلا ∴ اذا كانت الصحايف رسلا
فعبد الجبار ممتثلا خوفا ∴ لما قد امتل فيها وامّلا
وتراه طودا بحتل بديه ∴ بقداح العلوم فصلا ففضلا
مثل وشي الرياض او كنظم ∴ الدر تزهى خطا ولفظا ونقلا
فاتند يا مريد مثل امين الملك ∴ مهلا اتعبت نفسك مهلا
سيدي يا اخا السماح وخير ∴ المجد وابن العلا ورب المعلا

انت بدرٌ والكاتب بن هلال ∴ كابيه لا خير فيمن تولا
ان يكن اولا فانك بالتفضيل ∴ اولى وقد سبقت وصلا
يا امين الدين الذي جمع الله ∴ به للسماح والفضل شملا
انا من قادة الى الثناء حبك ∴ حتى نظل لا يتسلا
واذا سجل الثناء لقياض ∴ صار فيه اخو الشهادة علا
فارض بكرا ما ارض قط ابوها ∴ فكره يا نيه لتخطب بعلا
لاجراء يريد عنها ولا اجرا ∴ ولكن ذاك للمليح اهلا
ودعاه اليك داعي وداد ∴ جاه يبغي من حسن رايك وصلا
واذا ما تعذر القرب فالقلب ∴ كفيل به وودا بك اغلا
فابق واسلم ما جرى في الافق جيش ∴ من ظلام وجرد الصبح نصلا

وتوفى امين الدين المذكور بالموصل سنة ثمان عشره وستمائة وقد اسن وتغير خطه من الكبر رحمه الله تعالى ∴ ابو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور مولى ابي نصر الجيلي التاجر اشتغل بالعلم واكثر من الادب واستعمل قريحته في النظم فاجاد فيه ولما تمهر ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيما بالمدرسة النظاميه ببغداد وعده ابن الزبيدي في كتاب الذيل في جملة من اسمه عبد الرحمن وذكر انه نشا ببغداد وحفظ القران العزيز وقرا شيا من الادب وكتب خطا حسنا وقال الشعر واكثر النظم منه في الغزل والتصابي وذكر المحبة ورق شعره وتحفظه الناس واورد له مقطوعا من الشعر ذكر انه انشده اياه واوله ∴

حليلي لا والله ما جن عاشق ∴ واظلم الا جن او جن عاشق

واشعاره سايرة يتغنى بها وهي رقيقة لطيفه فمن ذلك قوله ∴

ان غاض دمعك والاحباب قد بانوا ∴ فكلما تدعي زور وبهتان
وكيف تانس او تنسى خيالهم ∴ وقد خلا منهم ربع وابطان
لا اوحش الله من قوم نا وا فناى ∴ عن النواظر اقمار واغصان
ساروا فسار فؤادي اثر ظعنهم ∴ وبان جيش اصطباري ساعة بانوا
لا افتر ثغر الثرى من بعد بعدهم ∴ ولا ترنح ايك لا ولا بان
اجرى دموعي واذكى النار في كبدي ∴ غداة بينهم هم واحزان
فماء نوح ثوى في مقلتي وفي ∴ طي الحشا للخليل الله نيران
لو كابد الصخر ما كابدت من كمد ∴ فيكم لحاد له احد ولبنان

وذاب يذبل من وجدي ورضوى على ∴ رضوى وكان لنا اللقاء بهلان
يا من تملك رقي حسن بهجته ∴ سلطان حسنك ما لي منه احسان
كن كيف شئت فما لي عنك من بدل ∴ انت الزلال لقلبي وهو ظمآن

ومن شعره ايضا

الا مبلغ وجدي بها وغرامي ∴ ومهدي الى دار السلام سلامي
نسيم الصبا بلغ تحية مشام ∴ الى معرق لم يرع حق ذمامي
وصف بعض اشواقي اليه لعله ∴ يرق لذلي في الهوى وهيامي
ابا رحمة الوجد الى فيك شادن ∴ نفى بعده عن مقلتي منامي
بديع جمال بان صبري لبينه ∴ وعرضني اعراضه لحمامي
يصد اذا ما صد عن عيني الكرى ∴ ويمزج دمعي هجره بمدامي
حياتي وموتي في يديه وجنتي ∴ وناري وربي في الهوى وامامي
ففي بعده عني وفاتي وقربه ∴ حياتي واسعادي ونيل مرامي
ومن وجنتيه نار وجدي ومضمر ∴ نحولي ومن سقم الجفون سقامي
فكن عاذري يا عاذلي فدلاله ∴ دليل على وجدي به وغرامي

ورايت كثيرا من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق يحفظون له قصيدة اولها

جسدي لبعدك يا مثير بلابلي ∴ دنف يحبك ما ابل بلا بلي
يا من اذا ما لام فيه لوائمي ∴ اوضحت عذري بالعذار السائل
أجيز قتلي في الوجيز لقاتلي ∴ ام حل في التهذيب ام في الشامل
ام في المهذب ان يعذب عاشق ∴ ذو مقلة عبرى ودمع هامل
ام طرفك القتال قد افتاك في ∴ تلف النفوس بسحر طرف بابل

وهي اكثر من هذا لكن هذا القدر هو الذي استحضره الخاطر في هذا الوقت منها
وانشدني له بعض الادباء بمدينة حلب ابياتا ومنها قوله

الست من الولدان احلى شمائلا ∴ فكيف سكنت القلب وهو جهنم

ثم قال وقد انتقدوا عليه في بغداد في هذا البيت فافكرت فيه ثم وقفت له
لعل الانتقاد من جهة انه ما يلزم من كونه احلى شمائلا ان لا يكون في جهنم فانه قد
يكون احلى شمائل منهم وليس منهم وليس الممتنع ان لا يكون الولدان في جهنم فقال
نعم هذا هو الذي اخذ عليه واخبرني بعض الافاضل بمدينة اربل في سنة خمس
وعشرين وستمائة قال كنت ببغداد في سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية
فقعدت يوما على بابها الى جانب ابي الدر المذكور ونحن نتذاكر الادب اذ جاء شيخ ضعيف

القوى والحال يتوكا على عصى فجلس قريبا منا فقال لي ابو الدر اتعرف هذا
فقلت لا فقال هذا مملوك الحيص بيص الذي يقول فيه

تشربش او تقمص او تقبا ∴ فلن تزداد عندي قط حبا
تملك بعض حبك كل قلبي ∴ فان ترد الزيادة هات قلبا

قال فجعلت انظر اليه وافكر فيما كان عليه وما آل حاله اليه ولقد طلبت انا هذين
البيتين في ديوان الحيص بيص فلم اجدهما فيه والله اعلم بذلك وكان لابي الدر المذكور
ديوان شعر سمعت انه صغير ولم اقف عليه بل على مقاطيع كثيرة منه وشعره
متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ويكفي منه هذا القدر وقد نقلت
في حرف الخاء في ترجمة الشيخ الخضر بن عقيل الاربلي ثلاثة ابيات دالية
ورايت في بعض التواريخ المتاخرة ان ابا الدر المذكور وجد ميتا بمنزله
ببغداد في الثاني عشر من جمادى الاولى سنة اثنين وعشرين وستماية وقال
الناس انه كان قد توفي قبل ذلك بايام رحمه الله تعالى والرومي بضم
الراء وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة الى بلاد الروم وهو اقليم مشهور
متسع كثير البلاد وهنا نكتة غريبة يحتاج اليها ويكثر السؤال عنها وهي ان اهل
الروم يقال لهم بنو الاصفر واستعملته الشعراء في اشعارهم فمن ذلك قول عدي
بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

ولقد تتبعت ذلك كثيرا فلم اجد احدا اشفى فيه الغليل حتى ظفرت بكتاب
قديم اسمه اللطيف ولم يكتب عليه اسم مصنفه فنقلت منه ما صورته عن العباس
عن ابيه قال انخرق ملك الروم في الزمان الاول فبقيت منه امراة فتنافسوا
في الملك حتى وقع بينهم شر فاصطلحوا على ان يملكوا اول من يطلع عليهم فجلسوا
مجلسا لذلك واقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فابق العبد
منه فاشرف عليهم فقالوا انظروا في اي شيء وقعتم فزوجوه تلك المراة فولدت
غلاما فسموه الاصفر فخاصمهم المولى فقال الغلام صدق انا عبده فارضوه
فاعطوه حتى رضي فبسبب ذلك قيل للروم بني الاصفر لصفرة لون الولد
لكونه مولدا بين الحبشي والمراة البيضاء والله اعلم **ابو عبد الله ياقوت بن
عبد الله** الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار الملقب شهاب
الدين اسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر
الحموي وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط متاجره وكان مولاه عسكر لا يحسن



الخط ولا يعلم شيا سوى التجارة وكان ساكنا ببغداد وتزوج بها واولد عدة
اولاد لما كبر ياقوت المذكور قرا شيا من النحو واللغة وشغله مولاه
بالاسفار في متاجره وكان يتردد الى كيش وعمان وتلك النواحي ويعود
الى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة اوجبت عتقه وابعده عنه و
اشتغل بالنسخ بالاجره وحصلت له بالمطالعه فوايد ثم ان مولاه بعد
مدة مديدة الوى عليه واعطاه شيا ما كان في يده والى كيش ولما
عاد كان مولاه قد مات فحصل شيا مما كان في يده واعطاه اولاد مولاه
وزوجته وارضاهم به وبقيت بيده بقيه جعلها راس ماله وسافر بها
وجعل بعض تجارته كتبا وكان متعصبا على علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وكان قد طالع شيا من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه طرف قوي
وتوجه الى دمشق في سنة ثلث عشرة وستمايه وقعد في بعض اسواقها
وناظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه وجرى بينهما كلام اذى الى ذكره
عليا رضي الله عنه بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثوره كادوا يقتلونه
فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما بعد ان بلغت القصة الى والى
البلد فطلبه ولم يقدر عليه ووصل الى حلب خايفا يترقب وخرج عنها
في العشر الاولى او الثانيه من جمادى الاخر سنة ثلاث عشرة وستمائة
ويوصل الى الموصل ثم انتقل الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى
دخول بغداد لان المناظر له بدمشق كان بغداديا وخشي ان ينقل قوله فيقتل
فلما انتهى الى خراسان اقام بها يتجر في بلادها واستوطن مدينة مرو مرة و
خرج منها الى نسا ومضى الى خوارزم وصادفه فيها وهو بخوارزم خروج التتر
وذلك في سنة ست عشرة وستمايه فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر
من رمسه وقاسى في طريقه من المضايقه والتعب ما كان يكل عن
شرحه اذا ذكره فوصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب واعوزه
ادنى الماكل وخشن الثياب واقام بالموصل مديده ثم انتقل الى سنجار
وارتحل منها الى حلب واقام بظاهرها في الخان الى ان مات في التاريخ الاتي
ذكره ان شاء الله تعالى ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه ابو
البركات المستوفي المتقدم ذكره ان ياقوت المذكور قدم اربل في سنة
سبع عشرة وستمائة وكان مقيما بخوارزم وفارقها للواقعه التي جرت
فيها بين التتر والسلطان خوارزمشاه وكان قد تتبع التواريخ وصنف كتابا

سماه

سماه ارشاد الالباب الى معرفة الادبا يدخل في اربع مجلدات كبار ذكر في اوله
قال وجمعت في هذا الكتاب ما وقع من اخبار النحويين واللغويين والنسا
بين والقرا المشهورين واصحاب الرسايل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة
المعينه وكل من صنف في الادب تصنيفا او جمع فيه تاليفا مع ايثار الاختصار
والاعجاز في نهاية الايجاز ولم آل جهدا في اثبات الوفيات وتبيين الموا
ليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن اخبارهم والاخبار بانسابهم
وشيء من اشعارهم في تردادي الى البلاد ومخالطتي للعباد وحذفت الاسانيد
الا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعا واجازه الا
انني قصدت صغر الحجم وكبر النفع واثبت مواضع نقلي ومواطن اخذي
من كتب العلما المعول في هذا الشان عليهم والرجوع في صحة النقل اليهم
ثم ذكر انه جمع كتابا في اخبار الشعرا المتاخرين والقدما ومن تصانيفه
ايضا كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الادبا وكتاب معجم الشعرا
وكتاب المشترك وضعا المختلف صقعا وهو من الكتب النافعه وكتاب المبدا
والمال في التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام ابي علي الفارسي وعنوان
كتاب الاغاني والمقتضب في النسب يذكر فيه انساب العرب وكتاب
اخبار المتنبي وكانت له همة عاليه في تحصيل المعارف وذكر القاضي
الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابرهيم بن عبد الواحد
الشيباني القفطي وزير صاحب حلب في كتابه الذي سماه انباه
الرواة في ابنا النحاة ان ياقوت المذكور كتب له رسالة من الموصل عند
وصوله اليها هاربا من التتر يصف فيها حاله وما جرى له معهم وهي بعد
البسمله والحمد لله كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة
من الموصل في سنة سبع عشرة وستمايه حين وصوله من خوارزم طريد
التتر اباد هم الله تعالى الى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي
الاكرم ابي الحسن علي بن يوسف بن ابرهيم بن عبد الواحد الشيباني ثم
التيمي تيم بن شيبان بن ثعلبه بن عكابه اسبغ الله ظله واعلى في درجة
السيادة محله وهو يوميذ وزير حلب والعواصم شرحا لاحوال خراسان و
احواله وايماء الى بدء امره بعد ما فارقه وما له واحجم عن عرضها على رايه
الشريف اعظاما وتهيبا وفرارا من قصورها عن طوله وتحببا الى ان وقف
عليها جماعة من منتحلي صناعة النظم والنثر فوجدهم مسارعين الى كتبها متقبلين

على نقلها ومايثك ان محاسن مالك الرق حلتها وفى اعلا درج الاحسان اجلتها
فشجعه ذلك على عرضها على مولاه وللاراء علوها فى تصفحها والصفح عن زللها
فليس كل من لبس درهما صيرفيا ولا كل من اقتنى دذا جوهريا وهاهى ذه
بسم الله الرحمن الرحيم ادام الله على العلم واهليه والاسلام وبنيه ما
سوغهم وحباهم ومنحهم واعطاهم من سبوغ ظل المولى الوزير اعز الله
انصاره وضاعف مجده واقتداره ونصر الويته واعلامه واجرا باجراء
الارزاق فى الافاق اقلامه واطال نفاه ورفع الى عليين علاه فى نعم لا يبلى
جديدها ولا يحصى عدها ولا عديدها ولا ينتهى الى غاية مزيدها ولا يفل
حده ولا حديدها ولا يقل وادها ولا وديدها وادام دولته للدنيا والدين
يرم شعثه ويبرم كربه ويرفع مناره ويحسن بحسن اثره اثاره ويفتق نوره
وانهاره وينير نواره ويضاعف انواره ويسبغ ظله للعلوم واهليها والاداب
ومنتحليها والفضايل وحامليها يشيد بمشيد فضله بنيانها ويوضع بناصع
مجده تيجانها ويروض بيانع علايه زمانها ويعظم بعلو الهمة الشريفة بين
البرية شانها ويمكن فى اعلا درج الاستحقاق امكانها ومكانها ويرفع بنفاد
الامر قدر الدول الاسلامية والقواعد الدينية ويوس قواعدها ويعين
ساعدها ويهين معاندها ويعضد بحسن الايالة معاضدها وينجح بتجميل
المقاصد مقاصدها حتى تعود بحسن تدبيره غرة فى جبهة الزمان وسنة
تقتدى بها من طبع على العدل والاحسان يكون لها جوهها ما دار الملوان و
كر الجديدان وما اشرقت من شرق شمس وارتاحت الى مناجات حضرتنا الباهو
نفس وبعد فالمملوك ينهى الى المقر العالى المولوى والمحل الاكرم العلى ادام الله
سعادته مشرقة النور مبلغة السول واضحة الغرر باديه الحجول ما هو مكتنف
بالاريحية المولوية عن تبيانه مستغن بما منحته من صفا الاودا عن انشاء
قلمه لا يضاهر وبيانه قد احرز ما وصف به عليه الصلوة والسلام المؤمنين وان
من امتى لمكلمين وهو شرح ما يعتقده من الولا ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفه
والاعتزا فقد كفته تلك الالمعية عن اظهار المشتبه بالملق بما يحتّه الطوية لان
دلايل علو المملوك فى دينه وولايه فى الافاق واضحه وطوابع طبعه سكة اخلاص
الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لايحة واعمانه بشوابع الفضل الذى طبق
الافاق حتى اصبح بها بنى المكارم مبين وتلاوته لاحاديث المجد القوية الاسناد
بالمشاهدة للبرية متين ودعا اهل الافاق الى المغالاة فى الايمان بامامته فضله الذى

تلقاه

ى

تلقاه باليمين وتضل بعزة سودده الذى تفرد بالتوخى لنظم شارده وضم
متبدده بفرق الجبين ما الوف لقد اصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من
استطاع اليها السبيل ويقتصر قصدها على ذوى القدرة دون المقتر وابن
السبيل فان لكل منهم حظا يستمده ونصيبا يستعد به ويعتده فللعظماء الرفد
الضخم من معينه وللعلماء اقتنا الفضايل من فطنته وللفقراء توقيع الامان
من نوايب الدهر وعض جفونه وفرضوا من مناسكه للهجرة الشريفه السلام و
التبجيل وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل وقد شهد الله تعالى المملوك فى
سفره وحضره وسره وعلنه وخبره ومخبره ان شعاره تعظيم مجالس الفضلا و
محافل العلما بفوايد حضرته والفضايل المستفاده من فضلته افتخارا بذلك بين
الانام وتطريزا لما ياتى به اثناء الكلام اذا انا شرفت الورى بقصايدى على
طمع شرفت شعرى بذكره يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين لا حرمنا الله معاشر اوليايه مواد
فضايله المتتالية ولا اخلانا كافة عبيده من اياديه المتوالية اللهم رب الارض
المداحية والسموات العلية والبحار المتجره والرياح المسخرة اسمع نداى واستجب دعاى
وبلغنى فى معاليه ما اؤمله وتوجه بمحمد النبى وصحبه و د وبعد قد كان المملوك لما
فارق ذلك الجناب الشريف وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف اراد
استعتاب الدهر الكالح واستدرار خلق الزمن الغشوم الجامح اعترافا بان فى الحركة
بركه والاغتراب داعية الاكتساب والمقام على الاقتراب ذل وانتقام وجليس البيت
فى المحافل سكيت ∴ وقفت وقوف الشك ثم استمر بى ∴ يقينى بان الموت خير من الفقر
فودعت من اهلى وبالقلب ما به ∴ وسرت عن الاوطان فى طلب اليسر ∴ وباكية للبين
قلت لها اصبرى ∴ فللموت خير من حياة على عسر ∴ ساكسب مالا او اموت ببلدة ∴ يقل
بها فيض الدموع على قبر فامتطى غارب الامل الى الغربة وركب الطوايح مع
كل صحبة قاطعا الاغوار والانجاد حتى بلغ البيد او كاد فلم يصحب له دهره الحرون
ولا رق له زمانه المفتون ∴ ان الليالى والايام لو سيلت ∴ عن عيب انفسها
لم تكتم الخبرا ∴ فكانه فى جفن الدهر قذاء ∴ او فى حلقه شجى يدافعه بنيل الامنية
حتى اسلمه الى ربقة المنية ∴ لا يستقر بارض او يسير الى ∴ اخرى بشخص قريب
عزمه ناى ∴ يوما بحزوى ويوما بالعقيق ∴ ويوما بالعذيب ويوما بالخليصا ∴
وتارة ينتحى نجدا واونة ∴ شعب الحزون وحينا قصر تيماء ∴
وهيهات مع حرفة الادب بلوغ وطر او ادراك ارب ومع عبوس الحظ ابتسام الامل

لفظ ولم ازل مع الزمان فى تقنيل وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والحملو
مع ذلك يدافع الايام ويرجيها وتعلل العيشة ويزجيها متلفعا بالقناعة و
العفاف متمثلا بالنزاهة والكفاف غير راض بذلك التمهل ولكن مكره اخول
لا بطل متسليا باخوان قد ارتضى خلايقهم وامن بوايقهم عاشرهم بالالطاف و
رضى منهم بالكفاف لاخيرهم يرتجى ولا شرهم يتقى ∴

ان كان لا بد من اهل ومن وطن ∴ فحيث امن من الفى و يامنى
قد ذم نفسا ان يستعمل لحرفا طاها ∴ وان يركب لحوفا جماها
اوان يلحق بعض طمع جناحا ∴ وان يستقلع ذنبا اواربا اويجاها
وادبنى الزمان فما ابالى ∴ هجرت فلا ازاد ولا ازود
ولست بقابل ما عشت يوما ∴ اساد الخيل امرجل الامير

وكان المقام عمر والشاهجان الفسر عندهم بنفس السلطان فوجد بها من كتب
العلوم والاداب وصحايف اولى الافهام والالباب ما شغله عن الاهل والوطن
وادهله عن كل خل صفى وسكن فظفر منها بضالته المنشوده وبغية نفسه المقصوده
فاقبل عليها اقبال النهم الحريص وقابلها بمقام لا يزمع عنها معه محيص فجعل
يرتع فى حدايقها ويتمتع بحسن خلقها وخلايقها وشرح طرفه فى طرفها ويتلذذ
بمبسوطها وسعها واعتقد المقام بذلك الجناب الى ان يجاوروا التراب وانشد شعرا

اذا ما الدهر بتنى بحيش ∴ طليعته اغتمام واغتراب
شنت عليه من جهتى كمينا ∴ اميراه الذبالة والكتاب
ورب افنى من شم الليالى ∴ عجايب من حقايقها ارتياب
بها اجلوا همومى مستزيجا ∴ كما جلى هموهم الشراب
بتشت

الى ان حلت بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبين واليباب وكانت
لعمرى والله بلادا امونقه الارجاء ايقه الانخاذات رياض اريضه واهيه
صحيحة مربضه قد تغنت اطيارها فتمايلت طربا اشجارها وبكت انهارها
فضحكت ازهارها وطاب روح نسيمها فصح مزاج اقليمها ولعهدى بتلك
الرياض الانيقه والاشجار المهدلة الوريقه وقد ساقت اليها ارواح الجنايب
زقاق الخمر من السحايب فنفت مرقوجها مد ام الطل فنشا على ازهارها
حباب كاللؤلؤ المنحل فلما دبت من تلك الصهبا اسحاره رنحها من النسيم
خماره فتدانت ولا تدانى المحبين وتعانقت ولا عناق العاشقين يلوح
من خلالها شقايق قد شابه اشتقاق الهوا العليل فشابه شفق غادتين

دنتا للتقبيل وربما اشتبه على الغرير باسلاف الجمر وقد اسابه رشاش القطر
ويريك نهارا بنهر ناضرة فيرتاح اليه ناظره كانه صبوح من العسجد دنانير
من الابرين بنقد ويخلل ذلك الخزان تخاله ثغر المعشوق اذا عض حد
عاشق فلله درها من نزهة رامق ولون وامق وجملة امرها انها كانت
انموذج الجنه بلامين فيها ما تشتهى الانفس وتلد العين قد اشتملت
عليها المكارم وارجحت فى ارجايها الخيرات الفايضة للعالم فكم فيها من حبر
رافت حبره ومن امام يوجب حياة الاسلام سيره اثار علومهم على
صفحات الدهر مكتوبه وفضايلهم فى محاسن الدنيا والدين محسوبه
والى كل قطر محلوبه فما من متين علم وقويم راى الا ومن شرفهم مطلعه
ولا من نخوبه فضل الا وعندهم معدنه واليهم منزعه وما نشا من كريم
اخلاق بلا اختلاق الا وجدته منهم ولا اعراق من طيب اعراق الا اجتنيته
من معادنهم الطفا لهم رجال وشبانهم ابطال ومشايخهم ابدال شواهد
مناقبهم باهره ودلايل مجدهم ظاهره ومن العجب العجاب ان سلطانهم
المالك هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه الهوالك والا فانت
فى الهوالك واختل اجفال الزال ولحق اذا راى غير شى ظنه رجلا بل رجال
كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين لكنه
عز وجل لم يورثها قوما اخرين تنزيها لاوليك الابرار عن مقام المجرمين
بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين وبلاهم فالفاهم صابرين والحقهم بالشهداء
الابرار ورفعهم الى درجات المصطفين الاخيار وعسى ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فجاس خلال
تلك الديار اهل الكفر والالحاد وتحكم فى تلك الاسارى اولوا الزيغ والعناد
فاصبحت تلك القصور كالممحى من السطور واضحت تلك الاوطان ماوى الاصدا
والغربان يتجاوب فى نواحيها البوم وتناوح فى ارجايها الريح السموم يوحش
بها الانيس ويرى لمصابها ابليس ∴

كان لم يكن فيها اوانس كالدمى ∴ واقيال ملك فى سالتهم اسد
فمن حاتم فى جوده وابن مامه ∴ ومن احنف ان عد حلم ومن بعد
تداعى بهم صرف الزمان فاصبحوا ∴ لنا عبرة تدمى الجفون من بعد

فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتبعث فى
العضد وتوهى الجلد وتضاعف الكمد وتشيب الوليد وتخلب الجليد وتزود

القلب وتلاهل اللب فحينئذ تقهقر المملوك على عقبيه ناكصاً ومن الاوبة الى
حيث يستقر فيه النفس بالامن آيساً بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب
وحلم غائب وتوصّل وما كاد يصل حتى استقر بالموصل بعد مقاساة
اخطار وابتلاء واصطبار وتمحيص للاوزار واشراف غير مرة على البوار
والتبار لانه مر بين سيوف مسلولة وعساكر مغلولة ونظام عقود محلولة
ودماء مسكوبة مطلولة وكان شعاره كلما علا قتباً او قطع سبباً لقد
لقينا من سفرنا هذا نصباً والحمد لله الذي اقدرنا على الحمد واولانا نعماً
تفوت الحصر والعد وجملة الامر انه لولا فسحة في الاجل لعز ان يقال سلم
البائس او وصل ولصفق عليه اهل الوداد صفقة المغبون ولالحق بالف
الف الف الف هالك بايدي الكفار او يزيدون وخلف خلفه جل
ذخيرته ومستمد معيشته تنكر لي دهري ولم يدر انني اعز واحداث الزمان
تهون وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت اريه الصبر كيف يكون
وبعد فليس للمملوك ما يسلي به خاطره ويفرّج به قلبه وناظره الا التعليل
بازاحة العلل اذا هو بالحضرة الشريفة مثل فاسلم ودم وتمل العيش في دعة
ففي بقايك ما يغني عن السلف فانت للمجد روح والورى جسد وانت در فلا
ناسي على الصدف والمملوك الان بالموصل مقيم يعالج ما حزبه من هذا الامر
المعضل المقيم يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته يكاد يقول له بلسان القوم
تالله انك لفي ضلالك القديم يدأب نفسه في تحصيل اعراض هي لعمر الله
اعراض من صحف يكتبها واوراق يسخم بها نفسه فيها طويل واستمتاعه بها
قليل ثم الرحيل وقد عزم بعد قضاء نهمته وبلوغ بعض وطر فروته
ان يستمد التوفيق ويركب سنن الطريق عساه ان يبلغ امنيته من المثول
بالحضرة واتحاف بصره من جلالها ولو بنظرة ويلقي عصا الترحال بفنائها
الفسيح ويقيم تحت ظل كنفها الى ان يصادفه الاجل المريح وينظم نفسه
في سلك مماليكها بحضرتها كما ينتمي اليها في غيبتها ان مدت السعادة
بضبعه وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه فقد ضعف قواه عن درك الامال
وعجز عن معاركة الزمان والنزال اذ ضمت البسيطة اخوانه وحجب الجديدان
اقرانه ونزل الشيب بعذاره وضعفت منه اوطاره وانقض باز الشيب
على غراب شبابه فقنصه وكر نهار الحلم على ليل الجهل فوقصه وبدلت
محاسنه عند احبابه مساوي وحصصه واستعاض من حلة الشباب

العشيب

العشيب خلق الكبر والمشيب ⁘

وشباب بان مني وانقضى ⁘ قبل ان اقضي منه اربي
ما ارجي بعده الا الفنا ⁘ ضيق الشيب علي مطلبي

ولقد ندب المملوك ايام الشباب بهذه الابيات وما اقل غناء البكاء وقد عدم في الرقاد ⁘ تنكر لي مذ شبت دهري فاصبحت ⁘ معارفه عندي من النكرات

اذا ذكرتها النفس حنت صبابة ⁘ وجادت شؤون العين بالعبرات
الى ان اتى دهر يحسّن ما مضى ⁘ ويوسعني تذكاره حسرات
فكيف ولم يبق من كاس مشربي ⁘ سوى جرع في قعره كدرات
وكل اناء صفوه في ابتدائه ⁘ وفي القعر منه حماة وقذاة

والمملوك يتيقن انه لا ينفق هذا الهذر الذي مضى الا النظر اليه بعين
الراضي ولرأي المولى الوزير الصاحب كهف الورى بالمشارق والمغارب
فيما يلاحظه بعادة مجده منه مزيد معاقب ومراتب والسلام ولقد
طالت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ولم يمكن قطعها وكانت ولادة
ياقوت المذكور في سنة اربع او خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم
هكذا قاله وتوفي يوم الاحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين
وستمائة في الخان بظاهر حلب حسبما قدمنا ذكره في اول الترجمة رحمه الله تعالى
وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد وسلمها
الى الشيخ عز الدين ابي الحسن علي بن الاثير صاحب التاريخ الكبير فحملها الى
هناك ولما تميز ياقوت المذكور واشتهر سمى نفسه يعقوب وقدمت
حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته وكان عقيب
موته والناس يثنون عليه ويذكرون فضله وادبه ولم يقدر لي الاجتماع
به ابو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد
الرحمن المري البغدادي الحافظ المشهور كان اماماً عالماً حافظاً متقناً
قيل انه من قرية نحو الانبار تسمى نقيا وكان ابوه كاتباً لعبد الله بن
مالك وقيل انه كان على خراج الري فمات فخلف لابنه يحيى المذكور
الف الف درهم وخمسين الف درهم فانفق المال جميعه على الحديث حتى
لم يبق له نعل يلبسه وسئل يحيى المذكور كم كتبت من الحديث فقال
كتبت بيدي هذه ستمائة الف حديث وقال راوي هذا الحديث وهو
احمد بن عقبة واني اظن ان المحدثين قد كتبوا له بايديهم ستمائة الف وستمائة

الف وخلف من الكتب ماية قمطر وثلاثين قمطرا واربعة حباب شرابيه مملوة
كتبا وهو صاحب الجرح والتعديل وروى عنه الحديث كبار الائمة منهم
ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري وابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري
وابو داود السجستاني وغيرهم من الحفاظ وكان بينه وبين الامام احمد بن
حنبل رضي الله عنه من الصحبة والالفة والاشتراك في الاشتغال بعلوم
الحديث ما هو مشهور لا حاجة الى الاطالة فيه وروى عنه هو وابو خيثمه
وكانا من اقرانه وقال علي بن المديني انتهى العلم بالبصرة الى يحيى بن ابي كثير وقتادة
وعلم الكوفة الى ابي اسحق والاعمش وانتهى علم الحجاز الى ابن شهاب وعمرو بن
دينار وصار علم هولاء الستة بالبصرة الى سعيد بن ابي عروبة وشعبة
ومعمر وحماد بن سلمة وابي عوانة ومن اهل الكوفة سفيان الثوري وسفيان
بن عيينه ومن اهل الحجاز الى مالك بن انس ومن اهل الشام الى الاوزاعي
وانتهى علم هولاء الى محمد بن اسحق وهشيم ويحيى بن سعيد وابن زايده
ووكيع وابن المبارك وهو اوسع هولاء علما وابن مهدي ويحيى بن ادم وصار
علم هولاء جميعا الى يحيى بن معين وقال احمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى
بن معين فليس هو بحديث وكان يقول ها هنا رجل خلقه الله لهذا الشان
يظهر كذب الكذابين يعني يحيى بن معين وقال ابن الرومي ما سمعت احدا قط
يقول الحق في المشايخ غير يحيى بن معين وغيره كان يتحامل بالقول وقال يحيى
ما رايت على رجل قط خطا الا سترته واحببت ان ازين امره وما استقبلت رجلا
في وجهه بامر يكرهه ولكن ابين خطاه فيما بيني وبينه فان قبل والا تركته وكان
يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور واخرجنا به خبزا نضيجا وكان ينشد

المال يذهب حله وحرامه ∴ طرا ويبقى في غد اثامه
ليس التقي بمتق لالهه ∴ حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجني ويكسب اهله ∴ ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه ∴ فعلى النبي صلاته وسلامه

وذكره الدارقطني فيمن روى عن الامام الشافعي رضي الله عنه وقد سبق
في ترجمة الشافعي خبره وما جرى بينه وبين احمد بن حنبل رضي الله عنه في ذلك
وسمع ايضا من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينه واماثالهما وكان يحج
فيذهب الى مكة على المدينة ويرجع على المدينة فلما كان اخر حجة حجها خرج
على المدينة ورجع على المدينة فاقام بها ثلاثة ايام ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقايه

فاتوا فراى في النوم هاتفا يهتف به يا ابا زكريا اترغب عن جواري فلما اصبح
قال لرفقايه امضوا فاني راجع الى المدينة فمضوا ورجع فاقام بها ثلاثا ثم
مات فحمل على اعواد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته لسبع ليال
بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومايتين هكذا قال الخطيب
في تاريخ بغداد وهو غلط قطعا لما تقدم ذكره وهو انه خرج الى مكة للحج
ثم رجع الى المدينة ومات بها ومن يكون قد حج كيف يتصور ان يموت في ذي
القعده من تلك السنة فلو ذكره انه توفي في ذي الحجة لامكن وكان يحتمل ان
يكون هذا غلطا من الناسخ لكني وجدته في نسختين على هذه الصورة فيبعد
ان يكون من الناسخ والله اعلم ثم ذكر بعد ذلك ان الصحيح انه مات قبل ان
يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله في تاريخ الوفاة ثم نظرت في كتاب الارشاد
في معرفة علما الحديث تاليف ابي يعلى الخليل بن عبد الله بن احمد بن ابرهيم
بن الخليل الخليلي الحافظ ان يحيى بن معين المذكور توفي لسبع ليال بقين من
ذي الحجة من السنة فعلى هذا يكون قد حج وذكر الخطيب ايضا ان مولده كان
اخر سنة ثمان وخمسين ومايه ثم قال بعد ذكر وفاته انه بلغ سبعا
وسبعين سنة الا عشرة ايام وهذا لا يصح من جهة الحساب فتامله ورايت
في بعض التواريخ انه عاش خمسا وسبعين سنة والله اعلم بالصواب وصلى
عليه والي المدينة ثم صلي عليه مرارا ودفن بالبقيع وكان بين يدي جنازته
رجل ينادي هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورثاه بعض المحدثين فقال

ذهب العليم بعيب كل محدث ∴ وبكل مختلف من الاسناد
وبكل وهم في الحديث ومشكل ∴ يعيا به علماء كل بلاد

رضي الله عنه ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة
من تحتها وبعدها نون وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح
الطاء المهملة وبعد الالف ميم والباقي معروف فلا حاجة الى ضبطه ورايت
في بعض التواريخ انه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن بسطام مولى الجنيد
ابن عبد الرحمن الغطفاني المري امير خراسان من قبل هشام بن عبد الملك
الاموي والاول اشهر واصح اعني النسب والمري بضم الميم وتشديد الراء
هذه النسبة الى مرة غطفان وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان
بن بغيض بن ريث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة مشهورة وفي العرب عدة قبايل

تنسب اليها يقال لكل واحدة منها قرية وانما نقباى فقال ابن السمعانى فى كتاب
الانساب انها بفتح النون وكسر القاف او فتحها وبعدها با مفتوحة مثناة
من تحتها وبعد الالف با ثانية وهى من قرى الانبار منها يحيى بن معين
النقبانى قال الخطيب ويقال ان فرعون كان من اهل هذه القرية والله
اعلم بالصواب **ابو محمد يحيى بن يحيى** بن كثير بن وسلاس بن شمال بن
منغايا الليثى اصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة تولى بنى ليث
فنسب اليهم وجده كثير يكنى ابا عيسى وهو الداخل الى الاندلس وسكن
قرطبة وسمع بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بشبطون
القرطبى موطا مالك بن انس رضى الله عنه وسمع من يحيى بن مضر القيسى
الاندلسى ثم رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن
انس الموطا غير ابواب فى كتاب الاعتكاف شك فى سماعها فاثبت روايته فيها
عن زياد وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله
ابن وهب وعبد الرحمن ابن القاسم وتفقه بالمدنيين والمصريين من اكابر
اصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وكان مالك يسميه عاقل
الاندلس وكان سبب ذلك فيما روى انه كان فى مجلس مالك مع جماعة من
اصحابه فقال قايل قد حضر الفيل فخرج اصحاب مالك كلهم لينظروا اليه
ولم يخرج يحيى فقال له مالك لم لا تخرج فتراه لانه لا يكون بالاندلس
فقال انما جئت من بلدى لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم اجى
لانظر الى الفيل فاعجب به مالك وسماه عاقل اهل الاندلس ثم ان يحيى عاد
الى الاندلس وانتهت اليه الرياسة بها وبه انتشر مذهب مالك فى تلك
البلاد وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير واشهر
روايات الموطا واحسنها رواية يحيى بن يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما
عند الامرا مكينا عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضا وكان
اعلا قدرا من القضاة عند ولاة الامر هناك لزهده فى القضا وامتناعه منه
قال ابو محمد على بن احمد المعروف بابن حزم الاندلسى المقدم ذكره مذهبان
انتشرا فى بدو امرهما بالرياسة والسلطان مذهب ابى حنيفة فانه لما ولى
قضا القضاة ابو يوسف يعقوب صاحب ابى حنيفة وسياتى ذكره ان شاء
الله تعالى كانت القضاة من قبله وكان لا يولى قضا البلدان من اقصى
المشرق الى اقصى اعمال افريقية الا اصحابه والمنتمين الى مذهبه ومذهب

مالك

مالك بن انس عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان
مقبول القول فى القضاة وكان لا يلى قاض فى بلاد الاندلس الا بمشورته و
اختياره ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا
فاقبلوا على ما يرجون بلوغ اغراضهم به على ان يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط
ولا اجاب اليه وكان ذلك زايدا فى جلالته عندهم وداعيا الى قبول
رايه لديهم وحكى احمد بن ابى الفياض فى كتابه قال كتب الامير عبد الرحمن
ابن الحكم الاموى المعروف بالمرتضى صاحب الاندلس الى الفقهاء يستدعيهم
اليه فاتوا الى القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر فى شهر رمضان
الى جارية له كان يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم يملك نفسه ان وقع
عليها ثم ندم ندما شديدا فسال الفقها عن توبته من ذلك وكفارته فقال
يحيى بن يحيى يكفر ذلك بصوم شهرين متتابعين فلما بدر يحيى الى هذه
الفتيا سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده فقال بعضهم لبعض وقالوا
ليحيى ما لك لم تفته بمذهب مالك فعنده انه مخير بين العتق والطعام
والصيام فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه ان يطا كل يوم ويعتق رقبة
ولكن حملته على اصعب الامور لئلا يعود ولما انفصل يحيى عن مالك ليعود
الى بلاده وصل الى مصر ورأى عبد الرحمن بن القاسم يدون سماعه من
مالك فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسايل التى كان ابن القاسم دونها
عنه فرحل رحلة ثانية فالفى مالكا عليلا فاقام عنده الى ان مات وحضر
جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك ذكر ذلك ابو الوليد
ابن الفرضى فى تاريخه وذكر ايضا فيه ما مثاله وانصرف يحيى الى الاندلس
فكان امام وقته وواحد بلاده وكان رجلا عاقلا قال محمد بن عمر بن لبابه
فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى
ابن يحيى وكان يحيى ممن اتهم ببعض الامر فى الهيج فخرج الى طليطلة ثم استا
من فكتب اليه الامير الحكم امانا وانصرف الى قرطبة وكان احمد بن خالد
يقول لم يعط احد من اهل العلم بالاندلس منذ دخلها الاسلام من الحظوة و
عظم القدر وجلالة الذكر ما اعطيه يحيى بن يحيى وقال ابن بشكوال فى تاريخه
كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة وكان قد اخذ فى نفسه وهيئته ومقعده
هيئة مالك وحكى عنه انه قال اخذت بركاب الليث بن سعد واراد غلامه
ان يمنعنى فقال دعه ثم قال لى الليث خدمنى العلم فلم تزل بى الايام حتى رايت

ذلك ثم قال وتوفي يحيى بن يحيى في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة
ابن عباس يستسقى به وهذه المقبرة بظاهر قرطبة وذكر ابو عبد الله الحميدي
في كتاب جذوة المقتبس ان وفاته كانت لثمان بقين من الشهر المذكور و
قال ابو الوليد بن الفرضي في تاريخه انه توفي في سنة ثلاث وثلاثين وقيل
سنة اربع وثلاثين في رجب والله اعلم بالصواب رحمه الله تعالى واما وسلاس
فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الاولى ساكنة وبينهما لام الف ويزاد
فيه نون فيقال وسلاسن ومعناه بالبربرية يسمعهم وشمال بفتح الشين
المعجمة وتشديد الميم وبعدها الف ولام ومنغايا بفتح الميم وسكون النون
وفتح الغين المعجمة وبعد الالف ياء مثناة من تحتها وبعدها الف مقصورة
ومعناه عندهم قاتل الله هذا والله اعلم وقد تقدم الكلام على الليثي
والبربر ومصمودة ابو محمد يحيى بن اكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن
مشنج التميمي الاسيدي المروزي من ولد اكثم بن صيفي التميمي حكيم
العرب كان عالما بالفقه بصيرا بالاحكام ذكره الدارقطني في اصحاب الشافعي
رضي الله عنه وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان يحيى بن اكثم سليما من
البدعة ينتحل مذهب اهل السنة سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن
عيينة وغيرهما وقد مر ذكره في ترجمة سفيان وما دار بينهما وروى عنه ابو عيسى
الترمذي وغيره وقال طلحة بن محمد بن جعفر في حقه يحيى بن اكثم احد اعلام
الدنيا ومن قد اشتهر امره وعرف خبره ولم يستتر عن الصغير والكبير من الناس
فضله وعلمه ورياسته وسياسته لامره وامر اهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع
العلم بالفقه كثير الادب حسن المعارضة قائم بكل معضلة وغلب على المامون
حتى لم يتقدمه احد عنده من الناس جميعا وكان المامون ممن برع في العلوم
فعرف من حال يحيى بن اكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما اخذ بمجامع قلبه
حتى قلده قضاء القضاة وتدبير اهل مملكته وكانت الوزراء لا تعمل في تدبير
المملكة شيا الا بعد مطالعة يحيى بن اكثم ولا نعلم احدا غلب على سلطانه في
زمانه الا يحيى بن اكثم واحمد بن ابي دواد وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن
اكثم وابن ابي دواد ايهما انبل فقال كان احمد يجد مع جاريته وابنته ويحيى
يهزل مع خصمه وعدوه وكان يحيى سليما من البدعة ينتحل مذهب اهل
السنة بخلاف احمد بن ابي داود وقد تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده و
تعصبه للمعتزلة وكان يحيى يقول القران كلام الله فمن قال انه مخلوق يستتاب

فان تاب

فان تاب والا ضربت عنقه وذكر الفقيه ابو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد
الرحمن الاشبهي الملقب زين الدين في كتاب الفرايض في اخر باب الملقبات
وهي الرابعة عشر المعروفة بالمامونية وهي ابوان وابنتان لم تقسم التركة حتى
ماتت احدى البنتين وخلفت من في المسئلة سميت مامونية لان المامون
اراد ان يولي رجلا على القضاء فوصف له يحيى بن اكثم فاستحضره فلما حضر دخل
عليه وكان دميم الخلق واستحقره المامون فعلم ذلك يحيى فقال يا امير المومنين
الميت الاول رجل او امراة فعرف المامون انه قد عرف المسئلة فقلده القضا
وهذه المسئلة ان كان الميت الاول رجلا تصح المسئلتان من اربعة وخمسين
وان كانت امراة لم يرث الجد في المسئلة الثانية لانه ابو ام فتصح المسئلتان من
ثمانية عشر سهما وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان يحيى بن اكثم ولي قضاء
البصرة وسنه عشرون سنة ونحوها فاستصغره اهل البصرة فقالوا كم سن
القاضي فعلم انه استصغر فقال انا اكبر من عتاب بن اسيد الذي وجهه النبي
صلى الله عليه وسلم قاضيا الى مكة يوم الفتح وانا اكبر من معاذ بن جبل الذي
وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اهل اليمن وانا اكبر من كعب بن
سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على اهل البصرة فجعل
جوابه احتجاجا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن اسيد
مكة بعد فتحها وله احدى وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون وكان اسلم
يوم فتح مكة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اصحبك واكون معك فقال
او ما ترضى ان استعملك على ال الله تعالى فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وبقي يحيى سنة لا يقبل فيها شاهدا فتقدم اليه احد
الامنا فقال ايها القاضي قد وقفت الامور وتريثت فقال وما السبب فقال
في ترك القاضي قبول الشهود فاجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهدا وقال
غير الخطيب كانت ولاية القاضي يحيى بن اكثم القضا بالبصرة سنة اثنتين و
مائتين وقد سبق في ترجمة حماد بن ابي حنيفة ان يحيى المذكور ولي البصرة
بعد اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة وحدث محمد بن منصور قال كنا مع المامون
في طريق الشام فامر فنودي بتحليل المتعة فقال يحيى بن اكثم لي ولابي العينا بكرا
غدا اليه فان رايتما للقول وجها فقولا والا فاسكتا الى ان ادخل قال فدخلنا
اليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وانا انهى عنهما ومن انت يا جعل حتى

تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فاومأ ابو العيناء الى
محمد بن منصور رجل يقول في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يقول نكلمه نحن وامسكنا
فجاء يحيى ابن اكثم فجلس وجلسنا فقال المأمون ليحيى ما لي اراك متغيرا فقال هو
غم يا امير المؤمنين لما حدث في الاسلام قال وما حدث فيه قال النداء بتحليل
الزنا قال الزنا قال نعم المتعة زنا قال ومن اين قلت هذا قال من كتاب الله عز وجل
وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون يا امير المؤمنين زوجة
المتعة ملك يمين قال لا قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد
ولها شرائط قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين وهذا الزهري يا امير
المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن ابيهما عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انادي بالنهي عن المتعة
وتحريمها بعد ان كان امر بها والتفت الينا المأمون فقال امحفوظ هذا من حديث
الزهري فقلنا يا امير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه فقال استغفر
الله فبادروا بتحريم المتعة فبادروا بها قال ابو اسحق اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل
بن حماد بن زيد بن درهم الازدي القاضي الفقيه المالكي البصري وقد ذكر يحيى بن
اكثم فعظم امره وقال كان له يوم في الاسلام لم يكن لاحد مثله وذكر هذا اليوم و
كانت كتب يحيى في الفقه اجل كتب فتركها الناس لطولها وله كتب في الاصول
وله كتاب اورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي
مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضا فقال اصلح الله القاضي
كم اكل قال فوق الجوع ودون الشبع قال فكم اضحك قال حتى يسفر وجهك ولا
يعلو صوتك قال فكم ابكي قال لا تمل البكا من خشية الله تعالى قال فكم اخفي
عملي قال ما استطعت قال فكم اظهر منه قال ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن
عليك قول الناس قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن وكان يحيى من
ادهى الناس واخبرهم بالامور ورايت في بعض المجاميع ان احمد بن ابي خالد الاحول
وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج القاضي يحيى بن اكثم من بعض المستراحات
فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد على طرف السرير معه فقال احمد يا
امير المؤمنين ان يحيى صديقي وممن اثق به في جميع امري وقد تغير عما عهدته
منه فقال المأمون يا يحيى ان فساد امر الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي

احد

احد فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا امير المؤمنين والله انه ليعلم اني له على
اكثر مما يصف ولكنه لما راى منزلتي منك هذه المنزلة ولكنه لما راى منزلتي
منك هذه حتى ان تغير لي يوما ما فاقدح فيه عندك فاحب ان يقول لك هذا لك من
مني وانه لو بلغ نهاية مساوي ما ذكرته بسوء عندك ابدا فقال المأمون اكذلك
هو يا احمد قال نعم يا امير المؤمنين فقال استعين بالله عليكما فما رايت اتم دهاء
ولا اعظم فطنة منكما ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات
المنسوبة اليه التابعة عنه والله اعلم بحاله فيها وذكر الخطيب في تاريخه
انه ذكر لاحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس فقال سبحان الله سبحان
الله من يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا وذكر عنه ايضا انه كان يحسد
حسدا شديدا وكان مفننا متفننا وكان اذا نظر الى رجل يحفظ الفقه ساله
عن الحديث واذا راه يحفظ الحديث ساله عن النحو واذا راه يحفظ النحو ساله
عن الكلام ليقطعه ويخجله فدخل من اهل خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه
متفننا فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال ما تحفظ من الاصول قال احفظ
عن شريك عن ابي اسحق عن الحارث ان عليا رضي الله عنه رجم لوطيا فامسك ولم
يكلمه ثم قال الخطيب ايضا ودخل على يحيى بن اكثم ابنا مسعدة وكانا على
نهاية الجمال فلما راهما يمشيان في الصحن انشا يقول

يا زائرينا من الخيام ∴ حياكما الله بالسلام
لم تاتياني وبي نهوض ∴ الى حلال ولا حرام
يحزنني ان وقفتما بي ∴ وليس عندي سوى الكلام

ثم اجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا ويقال انه عزل عن الحكم بسبب
هذه الابيات ورايت في بعض المجاميع ان يحيى بن اكثم مازح الحسن بن وهب
المذكور في ترجمة احمد سليمن بن وهب وهو يومئذ صبي فلاعبه ثم جمشه فغضب
الحسن فقال فانشد يحيى

ايا قمرا جمشته فتغضبا ∴ واصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتجميش والعض كارها ∴ فكن ابدا يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة ∴ وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مسكينا وتفتن ناسكا ∴ وتترك قاضي المسلمين معذبا

وقال احمد بن يونس الضبي كان ناظر ان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن اكثم
القاضي وكان غلاما جميلا متناهي الجمال فقرص القاضي خده فخجل الغلام واستحى
وطرح القلم من يده فقال له يحيى خذ القلم واكتب ما املي عليك ثم املى الابيات

المذكور والله اعلم وقال اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الصفار سمعت ابا العينا في مجلس
ابي العباس المبرد يقول كنت في مجلس ابي العاصم النبيل وكان ابو بكر بن يحيى
بن اكثم حاضرا فنازع غلاما فارتفع الصوت فقال ابو عاصم مهيم فقالوا هذا ابو
بكر بن يحيى بن اكثم ينازع غلاما فقال ان يسرق فقد سرق اب له من قبل هكذا
ذكره الخطيب في تاريخه وذكر الخطيب ايضا في تاريخه ان المامون قال ليحيى المذكور
من الذي يقول قاض يرى الحد في الزنا ولا يرى على من يلوط من باس قال او
ما يعرف امير المومنين من القايل له قال لا قال يقوله الفاجر احمد بن نعيم
الذي يقول لا احسب الجور ينقضي وعلى الامة وال من ال عباس قال فافحم
المامون خجلا وقال ينبغي ان ينفى احمد بن ابي نعيم الى السند وهذان البيتان
من جملة ابيات اولها انطقني الدهر بعد اخراس لنايبات اطلن وسواسي يا بوس
للدهر لا يزال كما * يرفع ناسا يحط من ناس * لا افلحت امة وحق لها بطول نكس وطول
انعاس * ترضى بيحيى يكون سايسها * وليس يحيى لها بسواس

قاضي يرى الحد في الزنا * ولا يرى على من يلوط من باس
يحكم للامرد الغرير على * مثل جرير وعباس
فالحمد لله كيف قد ذهب * العدل وقل الوفاء في الناس
اميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط * والراس شر ما راس
لو صلح الدين فاستقام لقد * قام على الناس كل مقياس
لا احسب الجور ينقضي * وعلى الامة وال من ال عباس

وظني انها اكثر من هذا لكن الخطيب لم يذكر الا هذا القدر ونقلت من امالي
ابي بكر محمد بن القسم الانباري المقدم ذكره ان القاضي يحيى بن اكثم قال لرجل
يانس به ويمازحه ما تسمع الناس يقولون في قال ما اسمع الا خيرا قال ما
اسالك لتزكيني قال اسمعهم يرمون القاضي بالابنة قال فضحك وقال
اللهم غفرا المشهور هنا غير هذا وحكى ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني
ليحيى المذكور وقايع في هذا الباب وان المامون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا
اراد امتحانه فاخلى له مجلسا واستدعاه واوصى مملوكا خزريا وكان المملوك
في غاية الحسن فلما اجتمعا في المجلس وتحادثا قام المامون كانه يقضي حاجة
فوقف المملوك فتجسس المامون عليهما وكان قد قرر معه ان يعبث بيحيى
علما منه ان يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المامون فلما عبث به المملوك سمعه
المامون وهو يقول لولا انتم لكنا مومنين فدخل المامون وهو ينشد *

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وهذان البيتان لابي حليمة راشد بن اسحق الكاتب وراشد له فيه مقاطيع
كثيرة وذكر المسعودي في مروج الذهب في ترجمة المامون جملة من اخبار
يحيى في هذا الباب اضربنا عن ذكرها ومما يناسب حكاية المامون مع ما
يروى ان معوية بن ابي سفين الاموي لما مرض مرض موته واشتدت عليه
وحصل الياس منه دخل عليه بعض اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يعوده وكان استحضر من هو فيجلاه قد استدناه تجلدا له لئلا يشتفي به
فضعف من القعود واضطجع وانشد *

وتجلدي للشامتين اريهم * اني لريب الدهر لا اتضعضع *

فقام العلوي من عنده وهو ينشد * واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل
تميمة لا تنفع فعجب الحاضرون من جوابه وهذان البيتان من جملة قصيدة
طويلة لابي دويب خويلد بن خالد الهذلي يرثي بها بنيه وكان قد هلك له
خمس بنين في عام واحد اصابهم الطاعون وكانوا هاجروا معه الى مصر وهلك
ابو دويب المذكور في طريق مصر وقيل في طريق افريقية مع عبد الله بن الزبير
ثم وجدت في كتاب فلك المعاني لابن الهبارية في الباب التاسع من الكتاب
المذكور ان الحسن بن علي رضي الله عنه دخل على معوية في علته فقال
استدوني ثم تمثل ببيت ابي دويب فانشد البيت المذكور فعلم الحسن
ثم انشد البيت الثاني والله اعلم وذكرها ابو بكر بن داود الظاهري
في كتاب الزهرة منسوبة الى الحسين بن علي رضي الله عنهما والله اعلم
قلت ولم يذكر ابن الهبارية ولا الظاهري انه كان في علة الموت ولا يمكن
ذلك لان الحسن توفي قبل معوية والحسين لم يحضر وفاة معوية لانه كان
بالحجاز ومعوية توفي بدمشق ثم وجدت في اول كتاب التعازي تاليف
ابي العباس المبرد هذه القصة جرت للحسن بن علي رضي الله عنهما ومعوية
ابن ابي سفيان والظاهر ان ابن الهبارية منه نقلها والله اعلم ومثل ذلك
ايضا ما يحكى ان عقيل بن ابي طالب هاجر اخاه عليا رضي الله عنه والتحق بمعوية
فبالغ معوية في بره وزاد في اكرامه ارغاما لعلي رضي الله عنه فلما قتل علي
واستقل معوية بالامر ثقل عليه امر عقيل فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه
فبينما هما يوما في مجلس حفل باهل الشام اذ قال معوية اتعرفون ابا لهب الذي

نزل في حقه قوله تعالى تبت يدا ابي لهب من هو فقال اهل الشام لا فقال هو عمّ
هذا واشار الى عقيل فقال عقيل بن ابي طالب اتعرفون امرأته التي قال الله تعالى
في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد من هي فقالوا لا فقال هي
عمة هذا واشار الى معوية وكانت عمته ام جميل بنت حرب بن امية بن
عبد شمس بن عبد مناف زوجة ابي لهب عبد العزيز وهي المشار اليها في هذه
السورة فكان ذلك من الاجوبة المسكتة ويقرب من هذا ايضًا ان بعض الملوك
حاصر بعض البلاد وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد فكتب
الملك الحاصر الى صاحب البلد كتابًا يشير عليه بانه يسلم البلد اليه ولا يقاتله
وذكر ما جاء به من الرجال والاموال والالات وفي جملة الكتاب قوله تعالى حتى
اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فلما وصل الكتاب الى صاحب البلد و
تامله وقراه على خواصه قال من يجاوبه عن هذا فقال بعض الكتاب نكتب
اليه فتبسم ضاحكًا من قولها فاستحسن الحاضرون جوابه ومثل هذا ايضًا
ما حكاه ابن رشيق القيرواني في كتاب الانموذج وهو ان عبد الله بن ابرهيم
ابن مثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب المهدي الاصل القيرواني البلد
الشاعر المشهور كان مغرى بالسياحة وطلب الكيميا والاحجار وكان محرومًا
مقترا عليه متلافًا اذا افاد شيئًا فخرج يومًا يريد جزيرة صقلية فاسره
الروم في البحر واقام مدة طويلة الى ان هادن ثقة الدولة يوسف بن
عبد الله بن محمد بن الحسين صاحب صقلية الروم وبعث اليه بالاسرى فكان
عبد الله المذكور فيمن بعث فامتدح عبد الله المذكور ثقة الدولة بقصيدة
شكره فيها على صنعه ورجا صلته فلم يصله بشيء ارضاه وكانت فيه دعابة
فتكلم وطلب طلبًا شديدًا وهو مستخف عند بعض من يعرف من اهل صناعته
فطالت المدة فخرج سكران يشرب نقلا فانشد الا وقد كشف وحمله صاحب
الشرطة حتى ادخله على ثقة الدولة فقال له ما الذي يغلق يا ابا ليس فقال
الحال ايد الله مولانا الامير فقال من هو الذي يقول وعداوة الشعراء بئس
المقتنى في شعره ∴ فالحر ممتحن باولاد الزنا ∴ فقال هو الذي يقول وعداوة
الشعراء بئس المقتنى فتبسم ساعة ثم امر له بعمامة ودراعة واخراجه من المدينة كراهة
ان تقوم عليه نفسه فيعاقبه بعد ان عفا عنه فخرج منها وهذا المستشهد به عجز
بيتين من شعر المتنبي في قصيدته النونية التي يمدح بها بدر بن عمار واولهما

الحب

الحب مانع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما اعلنا وهي من مشاهير
قصائده واول العجز الاول

وانه المشير عليك في بضلة ∴ فالحر ممتحن باولاد الزنا

واول العجز الثاني ومكايد السفهاء واقعة بهم ∴ وعداوة الشعراء بئس المقتنى

واذ قد ذكرنا ثقة الدولة المذكور فنذكر قصيدة ابي محمد عبد الله بن محمد التنوخي
المعروف بابن قاضي ميلة التي مدحه بها في عيد الفطر وهي قصيدة لا توجد
بكمالها في ايدي الناس ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب ولم يكن عندي
منها سوى البعض ولا سمعت احدًا يروي منها غير ذلك القدر فاحببت
اثباتها لحسنها وغرابتها وهي قوله

بدا بل الهوى دمعي وقلبي المعنف ∴ ويخفي جفوني الوجد وهو المكلف
واني ليدعوني الى ما شنفته ∴ وفارقت مغناه الاغن المشنف
واخو يناجي الطرف انا وشاحه ∴ فصغر وامنا وقفه فتوقف
يطيب اجاج الماء من نحو ارضه ∴ ويحيى ويندى ريحه وهو حرجف
وان لي من وصله ان دونه ∴ متالف تنزي الريح فيها فتتلف
وغيران يجفو النوم كيلا يرى لنا ∴ اذا نام شملا في الكرى يتالف
يظل على ما كان من قرب دارنا ∴ وغفلته عما مضى يتاسف
وجوجو مزن الرعد يلتف ودقه ∴ ترى برقه كالحية الصل تطرف
كاني اذا ما لاح والرعد معول ∴ وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم بصوت الرعد راق وودقه ∴ كنفث الراقي من سمه ما اتكلف
ذكرت به ربا وما كنت ناسيًا ∴ فاذكر لكن لوعة يضعف
وما التقينا بجرعين وسيرنا ∴ بلبيك ربا والركاب تعسف
نظرت اليها والمطي كانما ∴ غواربها منها معاطس رعف
فقالت اما منكن من يعرف الفتى ∴ فقد رابني من طول ما يتشوف
اراه اذا سرنا يسير حذاءنا ∴ وان نوقف اخفاف المطي فيوقف
فقلت لتربيها ابلغاها فانني ∴ بها مستهام قالتا نتلطف
وقولا لها يا ام عمرو اليس ذا ∴ منا والمنى في خفه ليس يخلف
فقالت في ان تبذلي طارق الهوى ∴ بان غن لي منك البنان المطرف
وفي عرفات ما يخبر انني ∴ بعارفة من عطف قلبك اسعف
واما ومنا ذلك فهو هدي لنا ∴ بلا دم فيه اني في الهوى يتالف

وتقبل وكن البيت اقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
فاوصلنا ما قلته فنتمية * وقالت احاديث العلا فتزخرف
بعيشي المراخبر كما انه فتى * على لفظه برد الكلام المفوف
فلا تامنا ما الطعتما كيد نطقه * وقولا ستدرى اننا اليوم اعنف
اذا كنت ترجوا في مني الفوز بالمنا * ففي الخيف من اعراضنا تتخوف
وقد انذرا الاخلام ان وصالنا * حرام وانا عن مرادك نصدف
وهذا وفوق المخصب نخبر * بان النوى بي عن ديارك يقذف
وحاذر نفائس ليلة الغرابة * سريع فقل فتى بالعلا فرا عرف
فلم ار مثلنا خليلى مودة * لكل لسان دونه غرابين مرهف
اما انه لولا الاعين المهفهف * واشنف براق واحور اوطف
لراجح مشتاق ونام مسهل * وايقن مرتاب واقصر مدنف
وعادلة في بذل ما ملكت يدي * لراج رجاى دون صحبي تعنف
تقول اذا افنيت مالك كله * وحرجت من يعطيكه قلت يوسف
اعز فضاهى تكاد نواله * لكثرة ما يدعوا الى الشكر يجحف
اذا نحن اخلفنا مخايل ديمة * وجدنا حيا معروفه ليس يخلف
سعى وسعى الاملاك في طلب العلا * ففاز وا كدوا اذا حق واقطفوا
ويقظان شاب الطرف باللين والتقى * بكفيه ما يرجى وما يتخوف
حسام على من ناصب الدين مقلت * وستر على من راقب الله مغدف
يبايره جيشان راى وفيلق * ويصحبه سيفان عزم ومرهف
مطل على من شاءه فكانما * على حكمه صرف الردى يتصرف
دعى الله من يرعى حمى الدين عينه * ويحمي حمى الاسلام والليل اعصف
ومن وعلا في مسرح المجد مطلق * وابعاده في دمة الحلم موقف
ومن يضرب الاعداء هبرا فتلتقى * صناديدهم والبيض بالهام تقذف
ودماهم بحر صفصف الارض وبرق * كان الروابي منه بالنيل تدلف
كان الرد بنيات فيه وتق الضحى * اذا قتم في الجام من الال ترجف
يعود الدجى من بيضه وهو ابيض * ويبدو الضحى من نقعه وهو اكلف
ويحجب نور الشمس بالنقع عنهم * فتغفل الطباق هامهم لا يكشف
لهم كل عام منك جاو وفيلق * تسايل عنهم بالعوالي فتجحف
اذا ما طووا كشحا على قرح عامهم * وملوا من الالام اتاك تعرف

فكم من

فكم من اغم الوجه غاو تركته * وهاديه من عثنون لحيته اكثف
هو المقضب الماضى عهوده فانثنى * صريعا تراه جيرا وهو اسقف
لعمري لقد عاديت في الله طالبا * رضاه وقد ابليت ما الله يعرف
لطالبتهم في الاهل حتى تركتهم * فرادى وفي الادبان حتى تحنفوا
فيا ثقة الملك الذى الملك سهمه * يراش لاكباد الاعادى ويرصف
هنالك العيد الذى منك حسنه * يروق ومن اوصافك الغر يوصف
بدا معلم الارجاء يرهى كانما * على وطيه وشى العراق المسقف
اتى بعد حول زايرا عن تشوق * وقد كان ذا طرف للقياك يطرف
فطوفيه عزا وشرفه به * فلاح لنا وهو الحلى المشنف
وقابله بالسعد بحلك جعفر * فيا لك من عيد بملكين يحتف
فلا زلت تجدى قولى وتوجى * فتكفى وتستدعى لخطب فتكشف

نجزت القصيدة وكان كثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر
بن ثقة الدولة وكان اديبا شاعرا وله الابيات السايرة في غلامين
على احدهما ثوب ديباج احمر وعلى الاخر ثوب ديباج اسود

ارى بدرين قد طلعا * على غصنين في نسق
وفي ثوبين قد صبغا * صباغ الخد والحدق
فهذا الشمس في شفق * وهذا البدر في غسق

وكان عمله لهذه الابيات في سنة سبع وعشرين واربعماية ولما
توجه المامون الى مصر وذلك في سنة سبع عشرة ومايتين دخلها العشر
خلون من المحرم وخرج منها في سلخ صفر من السنة كان معه القاضى
يحيى فولاه قضا مصر وحكم بها ثلاثة ايام ثم خرج مع المامون وعدة
ابن زولاق في جملة قضاة مصر لذلك وروى عن يحيى بن اكثم انه قال
اختصم الى في الرصافه الجد الخامس يطلب ميراث ابن ابن ابن ابنه
وكان عبد الصمد بن ابى عمرو المعذل ابن غيلان بن البخاري البختري
العبدى البصري الشاعر المشهور يلازم التردد الى القاضى يحيى المذكور
ويغشى مجلسه وكان بعض الاحيان لا يقدر على الوصول اليه الا بعد مشقه
ومد له يقاسيها فانقطع عنه فلامه ذو جنه في ذلك مرارا فانشدها

تكلفنى اذلال نفسى لعزها * وهان عليها ان اهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن اكثم * فقلت سليه رب يحيى بن اكثما

ولم تزل الاحوال تختلف عليه وتتقلب به الى ايام المتوكل على الله فلما عزل
محمد بن القاضي احمد بن ابي دواد عن القضاء فوض الولاية الى القاضي يحيى و
خلع عليه خمس خلع ثم عزله في سنة اربعين ومائتين واخذ امواله وولي
في رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن
العباس الهاشمي فبعث الى القاضي يحيى فقال سلم الديوان فقال شاهدا
عدل على امير المؤمنين انه امرني بذلك فاخذ منه الديوان قهرا وغضب
عليه المتوكل فامر بقبض املاكه والزم منزله ثم حج وحمل اخته معه وعزم
على ان يجاور فلما اتصل به رجوع المتوكل بدا له في المجاورة ورجع يريد العراق
فلما وصل الى الربذة توفي بها يوم الجمعة منتصف ذي الحجة سنة اثنين
واربعين ومائتين وقيل غرة سنة ثلث واربعين ودفن هناك رحمه الله
تعالى وعمره ثلث وثلثون سنة واكثم بفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم وهو
الرجل العظيم البطن والشبعان ايضا ويقال بالثاء المثلثة والتاء المثناة من فوقها
ومعناهما واحد ذكره في كتاب المحكم وحكى ابو عبد الله الحسين بن عبد الله بن
سعيد قال كان يحيى بن اكثم القاضي صديقا لي وكان يودني واوده فمات يحيى
فكنت اشتهي ان اراه في المنام فاقول ما فعل الله بك فرايته ليلة في المنام
فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي الا انه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت علي
في الدنيا فقلت يا رب اتكلت على حديث حدثني به ابو معوية الضرير
عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انك قلت اني لاستحي ان اعذب ذا شيبة شاب في الاسلام
بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي الا انك خلطت علي في دار
الدنيا هكذا ذكره ابو القسم القشيري في الرسالة وقطن بفتح القاف و
الطاء المهملة وبعدها نون وسمعان بفتح السين المهملة وشيخ كشفت عنه
كثيرا من الكتب وارباب هذه الصناعة فلم اقف منه على حقيقة ثم وجدت
في نسخة من تاريخ بغداد للخطيب وهي صحيحة مسموعة وقد قيد هذا الاسم
بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الدال المشددة وفي اخره جيم هذا اخر
ما قدرت عليه والله اعلم بالصواب ثم وجدته في المختلف والمؤتلف لعبد
الغني بن سعيد كما قيل هاهنا والاسيدي بضم الهمزة وفتح السين المهملة
وكسر الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها دال مهملة هذه النسبة
الى اسيد وهو بطن من تميم يقال له اسيد بن عمرو بن تميم وقد تقدم الكلام

على

على التميمي والمروذي والربذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة وبعدها
هاء ساكنة وهي قرية من قرى المدينة على طريق الحاج بها توفي عند عودهم
اليها وهي التي نفى عثمان بن عفان ابا ذر الغفاري رضي الله عنهما اليها واقام
بها حتى مات وقبره ظاهر هناك يزار وميلة بكسر الميم وسكون الياء المثناة من
تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة وهي بليدة من اعمال افريقية وتوفي
جعفر بن عبد الواحد القاضي المذكور ويكنى ابا عبد الله سنة ثمان وخمسين
ومائتين وقيل سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين وقيل سنة اربع
وستين بطرسوس والله اعلم **ابو زكريا يحيى بن معاذ الرازي** الواعظ احد
رجال الطريقة ذكره ابو القسم القشيري في الرسالة وعده من جملة
المشايخ وقال في حقه نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصا و
كلام في المعرفة خرج الى بلخ واقام بها مدة ورجع الى نيسابور ومات بها ومن
كلامه كيف يكون زاهدا من لا ورع له تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك
يقول الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة
والوحدة جليس الصديقين والفوت اشد من الموت لان الفوت انقطاع عن الحق
والموت انقطاع عن الخلق والزهد ثلثة اشياء القلة والخلوة والجوع ومن خان الله
في السر هتك ستره في العلانية وسمع اسحق بن سليمن الرازي ومكي بن ابرهيم
البلخي وعلي بن محمد الطنافسي وروى عنه الغربا من اهل الري وهمذان
وخراسان احاديث مسندة قليلة وذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال
قدم بغداد واجتمع اليه بها مشايخ الصوفية والنساك ونصبوا له منصة و
اقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتحاورون فتكلم الجنيد فقال له يحيى
اسكت يا خروف ما لك وللكلام اذا تكلم الناس وكان لهم اشارات وعبارات
حسنة فمن كلامه الكلام الحسن حسن واحسن من الكلام معناه واحسن من
معناه استعماله واحسن من استعماله ثوابه واحسن من ثوابه رضى من يعمل
له ومن كلامه حقيقة المحبة انها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفا وكان يقول من
لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع المريدين ذهبا ومع العارفين المقربين
درا وياقوتا فليس من حكماء الله المريدين وكان يقول احسن شيء كلام صحيح
من لسان فصيح في وجه صبيح كلام دقيق يستخرج من بحر عميق على لسان رجل
رفيق من نفسي نقض العهود ولكني اقول لا اعود لعلي اموت قبل ان اعود ومن
دعائه اللهم ان كان ذنبي اخافني فان حسن ظني بك قد اجارني اللهم سترت

علي في الدنيا ذنوبًا انا الى سترها في القيمة احوج وقد احسنت بي اذ لم تظهرها
لعصابة عن المسلمين فلا تفضحني في ذلك اليوم على رؤس العالمين يا ارحم
الراحمين ودخل على علوي ببلخ زايرًا ومسلمًا عليه فقال له العلوي ايد الله
الاستاد ما تقول فينا اهل البيت قال ما اقول في طين عجن بماء الوحي وغرس
بماء الرسالة فهل يفوح منهما الا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي
فاه بالدر ثم زاره من الغد فقال يحيى بن معاذ ان زرتنا فبفضلك وان زرنا
فلفضلك فلك الفضل زايرًا ومزورًا ومن كلامه ما بعد طريق الى صديق ولا
استوحش في طريق من سلك فيه الى حبيب ومن كلامه مسكين ابن ادم لو خاف
النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة وقال ما صحت ارادة احد قط فمات حتى حن
الى الموت واشتها اشتها الجايع الى الطعام كاردتاف الحالات واستيحاشه من
الاهل والاخوان ووقوعه فيما يختبر فيه صريح عقله وقال من لم ينظر في الدقيق
من الورع لم يصل الى الجليل من العطا وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلث خصال
ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال عمل
كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمل والتراب ثم تطمع في
الكواعب الاتراب هيهات انت سكران بغير شراب ما اكملك لو بادرت املك
ما اجلك لو بادرت اجلك ما اقواك لو خالفت هواك وسئل عن حقيقة المحبة
قال التي لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة وله في هذا الباب كل كلام مليح و
توفي سنة ثمان وخمسين ومايتين بنيسابور رحمه الله تعالى وقال محمد بن
عبد الله قرات على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي مات حكيم الزمان يحيى
بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ونضر وجهه والحقه بنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين لست عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين و
مايتين **ابو زكريا يحيى بن عبد الوهاب** بن الامام ابي عبد الله محمد بن
اسحق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد بن منده بن بطه بن استندار بن
جهار بخت بن فيرزان واسم منده ابرهيم ومنده لقب وقيل اسم استندار بن
الفيرزان العبدي وكان من الحفاظ المشهورين واحد اصحاب الحديث المبرز
ين وقد سبق ذكر جده ابي عبد الله محمد في حرف الميم وهو ابن زكريا ابن ابي
عمرو ابن ابي عبد الله بن ابي محمد بن ابي يعقوب من اهل اصفهان وهو محدث
ابن محدث ابن محدث ابن محدث كان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة
حافظا فاضلا مكثرا صدوقا كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف اوحد بيته في عصره

خرج

خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الاصبهانيين وسمع ابا بكر محمد بن عبد الله بن
ريذة الضبي وابا طاهر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وابا منصور
محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهاني واباه ابا عمرو وعمه ابا الحسن عبيد
الله وابا القسم عبد الرحمن وابا العباس احمد بن محمد النعمان القصاص وابا
عبد الله محمد بن علي بن محمد الجصاص وابا بكر محمد بن علي بن الحسين الجوزداني و
ابا طاهر احمد بن محمود الثقفي ورحل الى نيسابور وسمع بها ابا بكر احمد بن منصور
البيهقي وبهمدان ابا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندي وبالبصرة ابا
القسم ابرهيم بن محمد بن احمد الشاهد وعبد الله بن الحسين السعداني وجماعة
كثيرة سواهم وصنف تاريخ اصبهان وغيره من المجموع ودخل بغداد حاجًا وحدث
بها واملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم ابو الفضل محمد بن ناصر وعبد
القادر بن ابي صالح الجيلي وابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوي
في خلق كثير لشهرته وسنده وروى عنه ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي
الحافظ وابو الحسن علي بن ابي تراب الزنكوي الخياط البغدادي وابو طاهر يحيى
بن عبد الغفار ابن الصايغ وابو الفضل محمد بن هبة الله بن العلا الحافظ وجماعة
كثيرة وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال كتب لي الاجازة
بجميع مسموعاته ثم قال سالت عنه ابا القسم اسمعيل بن محمد الحافظ فاثنى عليه
ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ثم قال سمعت ابا بكر محمد بن ابي منصور بن محمد
الكفتواني الحافظ يقول بيت ابن منده بدى بيحيى وختم بيحيى يريد في معرفة
الحديث والعلم والفضل وذكره الحافظ عبد الغافر بن اسمعيل بن عبد الغافر
الفارسي المقلد ذكره في سياق تاريخ نيسابور فقال ابو زكرياء يحيى بن
عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا
سافر وادرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين وكان يروي باسناد
متصل الى بعض العلماء انه قال كثرة الضحك امارة الحمق والعجلة من ضعف
العقل وضعف العقل من قلة الراي وقلة الراي من سوء الادب وسوء الادب
يورث المهانة والجبن طرف من الجنون والحسد داء لا دواء له والنمايم تورث
الضغاين وكان يروي بالاسناد المتصل الى الاصمعي انه قال دخلت في البادية
الى مسجد فقام الامام يصلي فقرا انا ارسلنا نوحًا الى قومه وارتج عليه فجعل
يرددها ويقول انا ارسلنا نوحًا الى قومه فقال اعرابي من وراه وهو قايم يصلي
يا هذا ان لم يذهب نوح فارسل غيره وكان يحيى المذكور كثيرًا ما ينشد

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ولمشترى دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

وكانت ولادته في غداة يوم الثلثا تاسع عشر شوال سنة اربع وثلثين واربعماية
وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنتي عشرة وخمسماية باصبهان ومولده بها ايضا
رحمه الله تعالى ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله وقال ابن نقطه في كتابه
الاكمال الاكمال توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسماية
وذكر ان مولد ابيه عبد الوهاب سنة ست وثمانين وثلثماية وتوفي في جمادى
الاخرة من سنة خمس وسبعين واربعماية رحمه الله تعالى وقد سبق الكلام على ضبط
اسما اجداده في ترجمة جده ابي عبد الله محمد ابو بكر يحيى بن سعدون
بن تمام بن محمد الازدي القرطبي الملقب سابق الدين احد الايمة المتاخرين في القراات
وعلوم القران الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك خرج من الاندلس في عنفوان
شبابه وقدم ديار مصر فسمع بالاسكندرية ابا عبد الله محمد بن احمد بن ابرهيم
الرازي وبمصر ابا صادق مرشد بن يحيى بن القسم المديني المصري وابا طاهر احمد بن
محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة سبع عشرة وخمسماية
وقرا بها القران على الشيخ ابي محمد عبد الله المقرى المعروف بابن بنت الشيخ ابي منصور
الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرا الحديث على ابي بكر محمد بن عبد
الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان وابي القسم بن الحصين وابي العز بن كادش
وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وهيبة وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا
قليل الكلام كثير الخير مفيدا اقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها
الى اصبهان ثم عاد الى الموصل واخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن
السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع منه مشيخة ابي عبد
الله الرازي وانتخب عليه اجزا وساله عن مولده فقال ولدت في سنة ست و
ثمانين واربعماية بمدينة قرطبة من ديار الاندلس ورايت في بعض الكتب ان مولده
سنة سبع وثمانين والاول اصح وكان شيخنا القاضي بها الدين ابو المحاسن
يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر
بروايته وقراته عليه وسياتي ذكر ذلك في ترجمته ان شا الله تعالى وقال كنا نقرا
عليه بالموصل وناخذ عنه وكنا نرى رجلا ياتي اليه فيسلم عليه وهو قايم ثم
يمد يده الى الشيخ بشي ملفوف فياخذه الشيخ من يده ولا نعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل
ويذهب ثم تقفينا ذلك فعلمنا انه دجاجة مسموطة كانت برسم الشيخ كل يوم يبتاعها

لذلك

لذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها
بيده وذكر في كتابه الذي سماه دلايل الاحكام انه لازم القراة عليه
احدى عشرة سنة اخرها سنة سبع وستين وخمسماية وكان الشيخ ابو
بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى ابي الخير الكاتب الواسطي
رواهما بالاسناد المتصل اليه انهما له

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين

وقال انشدنا ابو الوفا عبد الباقي بن وهب بن حسان قال انشدنا ابو عبد
الله محمد بن منيع بمصر لنفسه • لي حيلة فيمن ينم • وليس في الكذاب حيلة •
• من كان يخلق ما يقول • فحيلتي فيه قليله • وتوفي الشيخ ابو بكر المذكور
بالموصل في يوم عيد الفطر من سنة سبع وستين وخمسماية رحمه الله تعالى
ابو سليمان وقيل ابو سعيد يحيى بن يعمر العدواني الوشقي النحوي
البصري كان تابعيا لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم
ولقي غيرهما وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسي واسحق بن سويد
العدوي وهو احد قراء البصرة وعنه اخذ عبد الله بن ابي اسحق القراة و
انتقل الى خراسان وتولى القضا بمرو وكان عالما بالقران الكريم والنحو ولغات
العرب واخذ النحو عن ابي الاسود الدؤلي المقدم ذكره ويقال ان ابا الاسود
لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث ابوابا ثم نظر فاذا
في كلام العرب ما لا يدخل فيه فاقصر عنه فيمكن ان يكون هو يحيى بن يعمر المذكور
اذ كان عداده في بني ليث لانه حليف لهم وكان شيعيا من الشيعة الاولى
القايلين بتفضيل اهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم حكى عاصم
بن ابي النجود المقري المقدم ذكره ان الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه ان يحيى
بن يعمر يقول ان الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان يحيى يومئذ بخراسان فكتب الحجاج الى قتيبة بن
مسلم والي خراسان وقد تقدم ذكره ايضا ان ابعث الي يحيى بن يعمر فبعث
اليه فقام بين يديه فقال انت الذي تزعم ان الحسن والحسين من ذرية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لالقين الاكثر منك شعرا او لتخرجن من
ذلك قال فهو اماني ان خرجت قال نعم قال فان الله جل ثناوه يقول ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب

ويوسف وموسى وهرون وكذلك تجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين الاية قال وما بين عيسى وابرهيم اكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد
صلوات الله عليه وسلامه فقال له الحجاج ما اراك الا قد خرجت والله لقد قراتها
وما علمت بها قط وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة فلله دره
ما احسن ما استخرج وادق ما استنبط قال عاصم ابن ابى النجود ثم ان الحجاج
قال اين ولدت فقال بالبصرة قال اين نشات قال بخراسان قال فهذه العربية
انى هى لك قال رزق قال اخبرنى عنى هل الحن فسكت فقال اقسمت عليك فقال
اما اذا سالتنى ايها الامير فانك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع قال والله ذلك اللحن
السيء قال ثم كتب الى قتيبة اذا جاءك كتابى هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك
والسلام وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر
اسمعنى الحن قال فى حرف واحد قال فى اى قال فى القران قال ذاك اشنع
له ما هو قال تقول قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم فقراتها
بالرفع قال ابن سلام كانه لما طال الكلام نسى ما ابتداء به قال الحجاج
لا جرم لا تسمع لى لحنا قال يونس فالحقه بخراسان وعليها يزيد ابن المهلب
ابن ابى صفرة والله اعلم اى ذلك كان قال ابن الجوزى فى كتاب شذور
العقود فى سنة اربع وثمانين للهجرة نفى الحجاج يحيى بن يعمر لانه قال له
هل الحن فقال تلحن لحنا خفيا فقال باملتك ثلاثا فان وجدتك بعد بارض
العراق قتلتك فخرج وحكى ابو عمرو ونصر بن على عن نوح بن قيس قال ثنا عثمن
بن محصن قال خطب امير البصرة فقال اتقوا الله فانه من يتق الله فلا
هوادة عليه فلم يدروا ما قال الامير فسالوا يحيى بن يعمر فقال الهوادة
الضياع يقول من اتقى الله فليس عليه ضياع قال الفراء فى كتاب الجامع الهوادة
المهالك واحدها هوده قال الراوى فحدثت بهذا الحديث الاصمعى فقال
هذا شيء لم اسمع به قط حتى كان الساعة منك ثم قال ان الغريب لواسع
لم اسمع بذا قط وحكى الاصمعى قال حدثنا ابى قال كتب يزيد بن المهلب بن
ابى صفرة الى الحجاج بن يوسف كتابا يقول فيه انا لقينا العدو فاضطررناهم
الى عرعرة الجبل ونحن بالحضيض فقال الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام
فقيل له ان ابن يعمر عنده فقال فذاك اذا وكان يحيى بن يعمر يتعلى الشعر وهو القائل

ابى الاقوام الا بغض قومى ... قديما ابغض الناس التميما

وقال خالد الحذاء كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر وكان

ينطق

ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى الطبيعية فيه غير متكلف واخباره ونوادره
كثيرة وتوفى سنة تسع وعشرين ومائة رحمه الله تعالى ويعمر بفتح الياء المثناة
من تحتها والميم وبينهما عين مهملة وفى الاخر راء وقيل بضم الميم والاول اصح و
اشهر ويعمر بفتح الميم مضارع قولهم عمر الرجل بفتح العين وكسر الميم اذا عاش
زمانا طويلا وانما سمى بذلك تفاؤلا بطول العمر كما سمى يحيى لذلك ايضا والعد
وانى بفتح العين المهملة والواو وبينهما دال مهملة ساكنة وبعد الالف نون هذه
النسبة الى عدوان واسمه الحرث بن عمرو بن قيس عيلان وانما قيل له عدوان
لانه عدا على اخيه فهم فقتله والوشقى بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبعدها
قاف هذه النسبة الى وشقه بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان المذكور
والله اعلم

ابو زكريا يحيى بن زياد

بن زياد بن عبد الله بن منظور
الاسلمى المعروف بالفراء الديلمى الكوفى مولى بنى اسد وقيل مولى بنى منقر
كان ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب حكى عن ابى العباس
ثعلب انه قال لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ولولا الفراء
لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من اراد ويتكلم الناس فيها
على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب واخذ النحو عن ابى الحسن الكسائى وهو
والاحمر المقدم ذكره من اشهر اصحابه واخصهم به ولما عزم الفراء على الاتصال
بالمامون كان يتردد الى الباب فبينما هو ذات يوم على الباب اذ جاء ابو بشر
ثمامة بن الاشرس النميرى المعتزلى وكان خصيصا بالمامون قال فرايت ابهة اديب
فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وفاتشته عن النحو فشاهدت
نسيج وحده وعن الفقه فوجدت رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم وبا
لنجوم ماهرا وبالطب خبيرا وبايام العرب واشعارها حاذقا فقلت من تكون وما
اظنك الا الفراء قال انا هو فدخلت فاعلمت امير المؤمنين فامر باحضاره لوقته وكا
ن سبب اتصاله به وقال قطرب دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات
فقال جعفر بن يحيى البرمكى انه قد لحن يا امير المؤمنين فقال الرشيد للفراء اتلحن
فقال الفراء يا امير المؤمنين ان طباع اهل الحضر اللحن فاذا تحفظت لم الحن واذا
رجعت الى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد قوله وقال الخطيب فى تاريخ بغداد
ان الفراء لما اتصل بالمامون امره ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب
وامر ان يفرد فى حجرة من حجر الدار ووكل به جوارى وخدما يقمن بما يحتاج اليه
حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شيء حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلوات

وصير له الوراقين والزمه الامنا والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف
الحدود في سنتين وامر المامون بكتبه في الخزاين فبعد ان فرغ من ذلك خرج
الى الناس وابتدا بكتاب المعاني قال الراوي واردنا ان نعد الناس الذين اجتمعوا
لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا فلم يزل
يمله حتى اتمه ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكتسبوا
به وقالوا لا نخرجه الا الى من اراد ان ينسخه له على خمس ورق بدرهم فشكا
الناس الى الفرا فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك فقالوا انما صحبناك لننتفع بك
وكلما صنفته فليس بالناس اليه من الحاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا
نعيش به فقال قاربوهم تنتفعوا فابوا عليه فقال ساريكم وقال للناس اني
مميل كتاب معان اتم شرحا وابسط قولا من الذي امليت فجلس يمل فاملى
الحمد في مائة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل
عشر اوراق بدرهم وكان سبب املايه كتاب المعاني ان احد اصحابه وهو عمر
بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل المقدم ذكره وكتب الى الفراء ان الامير
حسن لا يزال يسالني عن اشيا من القران لا يحضرني عنها جواب فان رايت ان
تجمع لي اصولا وتجعل ذلك كتابا يرجع اليه فعلت فلما قرا الكتاب قال لاصحابه
اجتمعوا حتى املي عليكم كتابا في القران وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج
اليهم وكان في المسجد رجل يوذن فيه وكان من القرا فقال له اقرا فقرا
فاتحة الكتاب ففسرها حتى مر في القران كله على ذلك يقرا الرجل والفرا
يفسره وكتابه هذا نحو الف ورقة وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن احدا
ان يزيد عليه وكان المامون قد وكل الفرا يلقن ابنيه النحو فلما كان
يوما اراد الفرا ان ينهض الى بعض حوايجه فابتدرا الى نعل الفرا يقدمانه
له فتنازعا ايهما يقدمه واصطلحا على ان تقدم كل واحد منهما فردا وكان
المامون له على كل شي صاحب خبر فرفع ذلك الخبر اليه فوجه الى الفرا
فاستدعاه فلما دخل عليه قال من اعز الناس قال ما اعرف اعز من امير المومنين
قال بلى من اذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل
واحد ان يقدم له فردا قال يا امير المومنين لقد اردت منعهما عن ذلك ولكن
خشيت ان ادفعهما عن مكرمة سبقا اليها واكسر نفوسهما عن شريعة حرصا عليها
وقد روي عن ابن عباس انه امسك للحسن والحسين رضي الله عنهم ركابيهما حين
خرجا من عنده فقال له بعض من حضر اتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وانت اسن

منهما

منهما فقال له اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل فقال
له المامون لو منعتهما عن ذلك لاوجعتك لوما وعتبا والزمتك ذنبا وما وضع
ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما ولقد ظهرت لي
مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلث عن تواضعه
لسلطانه ووالده ومعلمه وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين الف دينار ولك عشرة
الاف درهم على حسن ادبك لهما وقال الخطيب ايضا كان محمد بن الحسن الفقيه
ابن خالة الفرا يوما جالسا عنده فقال للفرا قل رجل انعم النظر في باب من
العلم فاراد غيره الا سهل عليه فقال له محمد يا ابا زكريا قد انعمت النظر
في العربية فنسالك عن باب من الفقه فقال هات على بركة الله تعالى
قال ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ففكر الفرا
فيها ساعة ثم قال لا شي عليه فقال له محمد ولم قال لان التصغير عندنا لا
تصغير له وانما السجدتان تمام الصلوة وليس للتمام تمام فقال محمد ما ظننت
ادميا يلد مثلك وقد سبقت هذه الحكاية في ترجمة الكسائي ونبهت عليها
ثم بما ذكرته هاهنا وكان الفرا يميل الى الاعتزال وحكى سلمة بن عاصم عن
الفرا قال كنت انا وبشر المريسي يعني المقدم ذكره في بيت واحد عشرين سنة ما
تعلم مني شيئا ولا تعلمت منه شيئا وقال الجاحظ دخلت بغداد حين قدمها
المامون في سنة اربع ومايتين وكان الفرا يحبني واشتهى ان يتعلم شيا من
علم الكلام فلم يكن له فيه طبع وقال ابو العباس ثعلب كان الفرا يجلس
للناس في مسجده الى جانب منزله وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك
في الفاظه كلام الفلاسفة وقال سلمة بن عاصم اني لاعجب من الفرا كيف
كان يعظم الكسائي وهو اعلم بالنحو منه وقال الفرا اموت وفي نفسي من حتى
لانها تخفض وترفع وتنصب ولم ينقل من شعره غير هذه الابيات وقد رواها
ابو بكر حنيفة الدينوري عن ابي بكر الطوال وهي

يا اميرا على جريب من الارض ✽ له تسعة من الحجاب
جالسا في الخراب يحجب فيه ✽ ما سمعنا بحاجب في خراب
لن تراني لك العيون بباب ✽ ليس مثلي يطيق ذل الحجاب

ثم وجدت هذه الابيات لابن موسى المكفوف والله اعلم بالصواب ومولد الفرا
بالكوفة وانتقل الى بغداد وجعل اكثر مقامه بها وكان شديد الطلب للمعاش
لا يستريح في بيته وكان يجمع طول السنة فاذا كان في اخرها خرج الى الكوفة فاقام بها

ارىجين يوماً في اهله يفرق عليهم ما جمعه ويبرهم وله من التصانيف الكتابان المقدم
ذكرهما وهما الحدود والمعاني وكتابان في المشكل احدهما اكبر من الاخر وكتاب
البهي وهو صغير الحجم وقفت عليه بعد ان كتبت هذه الترجمة ورايت فيه اكثر
الالفاظ التي استعملها ابو العباس ثعلب في كتاب الفصيح وهو في حجم الفصيح
غير انه ورتبه على صورة اخرى وعلى الحقيقة ليس لثعلب في الفصيح سوى الترتيب
وزيادة يسيرة وفي كتاب البهي ايضاً الفاظ ليست في الفصيح لكنها قليلة و
ليس في الكتابين اختلاف الا في شيء قليل لا غير وله كتاب اللغات وكتاب
المصادر في القران وكتاب الجمع والتثنية وكتاب الواو وغير ذلك من الكتب
وقال سلمة بن عاصم املى الفرا كتبه كلها حفظاً لم ياخذ بيده نسخة الا في
كتابين كتاب ملازم وكتاب يافع ويفعة قال ابو بكر بن الانباري ومقدار
الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفرا ثلاثة الاف ورقة وقد مدح محمد
بن الجهم بقصيدة على روي الواو الموصولة بالها المكسورة اضربت عن ذكرها
خوف الاطالة وتوفي الفرا سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلث وستون
سنة رحمه الله تعالى والفرا بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها الف ممدودة
وانما قيل له فرا ولم يكن يعمل الفرا ولا يبيعها لانه كان يفري الكلام ذكر ذلك
الحافظ السمعاني في كتاب الانساب وعزاه الى كتاب الالقاب وذكر ابو عبد الله
المرزباني في كتابه ان زياداً ابا الفرا كان اقطع لانه حضر وقعة الحسين بن علي
رضي الله عنهما فقطعت يده في تلك الحرب وهذا عندي فيه نظر لان الفرا
عاش ثلاثاً وستين سنة فتكون ولادته سنة سبع واربعين ومايه وحرب
الحسين كانت سنة احدى وستين للهجرة فبين حرب الحسين وولادة الفرا
اربع وثمانون سنة فكم قد عاش ابوه فان كان الاقطع جده فيمكن والله اعلم
ومنظور بفتح الميم وسكون النون وضم الظاء المعجمة وسكون الواو وبعدها راء وقد
تقدم الكلام على الديلمي وبني اسد واما بنو منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه
الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر وهي قبيلة كبيرة
ينسب اليها خلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ومنها خالد بن صفوان
وشبيب بن شيبة وصفوان وشيبة المشهوران بالفصاحة والبلاغة والخطابة و
لخالد مجالس مشهورة مع امير المؤمنين السفاح ولشبيب مع المنصور والمهدي
وغيرهما وقد تقدم ذكر خالد وشبيب في ترجمة البحتري في حرف الواو

ابو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقرئ النحوي

اللغوي

اللغوي صاحب ابي عمرو بن العلاء المقرئ البصري وهو الذي خلفه في القيام با
لقراءة بعده سكن بغداد وحدث بها عن ابي عمرو بن العلاء وابن جريج وغيرهما
وروى عنه محمد ابنه وابو عبيد القسم بن سلام واسحق بن ابرهيم الموصلي
وجماعة من اولاده وحفدته وابو عمر الدوري وابو حمدون الطيب بن
اسمعيل وابو شعيب يوسف السوسي وعامر بن عمر وموسى الموصلي وابو خلاد و
غيرهم وخالف ابا عمرو في حروف كثيرة اختارها لنفسه وكان يؤدب اولاد
يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري خال المهدي واليه كان ينسب ثم
اتصل بهرون الرشيد فجعل ولده المامون في حجره فكان يؤدبه وكان ثقة وهو احد
القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو وكان صدوقا وله التصانيف الحسنة
والنظم الجيد وشعره مدون والف كتاب نوادر في اللغة على مثال كتاب
نوادر الاصمعي الذي صنفه لجعفر البرمكي وفي مثل عدد ورقه ولحق علم العربية
واخبار الناس عن ابي عمرو والخليل بن احمد ومن كان معاصرهما وحكى عن ابي
حمدون الطيب بن اسمعيل قال شهدت ابن ابي العتاهية وقد كتب عن ابي محمد
اليزيدي قريباً من الف مجلد عن ابي عمرو بن العلاء خاصة ويكون ذلك عشرة الاف
ورقة لان تقدير المجلد عشر ورقات واخذ عن الخليل من اللغة شيئاً عظيماً و
كتب عنه العروض في ابتداء وضعه له الا ان اعتماده على ابي عمرو ولشهرة علمه باللغة
وكان ابو محمد المذكور يعلم الصبيان بحذاء دار ابي عمرو بن العلاء وكان ابو عمرو
يدنيه ويميل اليه لذكائه وكان ابو محمد صحيح الرواية وله من التصانيف
كتاب النوادر المقدم ذكره وكتاب المقصور والممدود ومختصر في النحو و
كتاب النقط والشكل وقال ابن المنادي اكثرت من السؤال عن ابي محمد اليزيدي
ومحله من الصدق ومنزلته من الثقة اعدة من شيوخنا بعضهم اهل عربية
وبعضهم اهل قران وحديث فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا
يرغب عنه في شيء غير ما تتوهم عليه من الميل الى المعتزلة قد روى عنه الغريب
ابو عبيد القسم بن سلام وكفى به وما ذاك الا عن معرفة منه وكان يجالس في
ايام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحد ويقربان الناس وكان الكسائي يؤدب
الامين وهو يؤدب المامون فاما الامين فان اباه امر الكسائي ان ياخذ عليه
بحرف حمزة واما المامون فان اباه امر ابا محمد ان ياخذ عليه بحرف ابي عمرو
قال الاثرم دخل اليزيدي يوماً على الخليل بن احمد وهو جالس على وسادة
فاوسع له واجلسه معه فقال له اليزيدي احسبني ضيقت عليك فقال الخليل ما

ترجمة اليزيدي

ضاق موضع على اثنين متحابين والدنيا لا تسع متباغضين وسال المامون اليزيدي
عن شي فقال لا وجعلني الله فداك يا امير المؤمنين فقال لله درك ما وضعت
الواو قط في موضع احسن من موضعها في لفظك هذا ووصله وحمله وقال
اليزيدي دخلت على المامون يوما والدنيا غضه وعنده نعم تغنيه وكانت
من اجمل اهل دهرها فانشدت ❊

وزعمت اني ظالم فهجرتني ❊ ورميت في قلبي بسهم نافذ
نعم ظلمتك فاغفري وتجاوزي ❊ هذا مقام المستجير العائذ
هذا مقام فتى اضر به الهوى ❊ قرح الجفون بحسن وجهك لائذ
ولقد اخذتم من فؤادي انسه ❊ لا شل ربي كف ذاك الاخذ

فاستعادها المامون الصوت ثلث مرات ثم قال يا يزيدي ايكون شي احسن مما
نحن فيه قلت نعم يا امير المؤمنين قال فما هو قلت الشكر لمن خولك هذا الانعام
العظيم الجليل فقال احسنت وصدقت وامر بماية الف درهم يتصدق بها فكاني
انظر الى البدر وقد اخرجت والمامون يفرق وشكى اليزيدي الى المامون حاجة
اصابته ودينا لحقه فقال ما عندنا في هذه الايام ما ان اعطيناك بلغت به ما تريد
قال يا امير المؤمنين ان الامر ضاق علي وان الغرما ارهقوني فاحتل لي فنكر المامون
واستقر الامر على ان يحضر اليزيدي اذا جلس المامون الى الباب في مجلس
الانس وعنده ندماؤه ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول واخراج بعض
الندما اليه فلما جلس المامون حضر اليزيدي الى الباب ودفع للخادم
ورقه مختومه فادخلها الى المامون ففضها فاذا فيها مكتوب ❊

يا خير اخوان واصحاب ❊ هذا الطفيلي على الباب
فصيروني واحدا منكم ❊ او اخرجوا لي بعض اصحاب

فقراها المامون على من حضر وقال ما ينبغي ان يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل
هذه الحال فارسل اليه المامون يقول له دخولك في مثل هذا الوقت متعذر
فاختر لنفسك من احببت ان تنادمه فلما وقف على الرسالة قال ما ارى لنفسي
اختيارا سوى عبد الله بن طاهر فقال له المامون قد وقع الاختيار عليك فصر
اليه فقال يا امير المؤمنين فاكون شريك الطفيلي فقال ما يمكنني رد ابي محمد عن امره
فان احببت ان تخرج اليه والا فافتد نفسك منه فقال علي عشرة الاف درهم فقال لا
احسب ذلك منك يقنعه من مجالستك فلم يزل يزيده عشرة الاف على عشرة الاف
والمامون يقول لا ارضى له بذلك حتى بلغ ماية الف فقال له المامون فعجلها له فكتب

لربها

له بها الى وكيله ووجه رسولا وارسل اليه المامون وهو يقول قبض هذا المبلغ
في مثل هذا الحال اصلح لك من منادمته على مثل حاله فقبل ذلك منه وكان
طريفا في جميع احواله وحكى ابو احمد بن جعفر البلخي في كتابه ان اليزيدي المذكور
سئل الكسائي عن قول الشاعر ❊ ما رايت خربا نقر عنه البيض صقر ❊ لا يكون العير
مهرا لا يكون المهر مهر ❊ فقال الكسائي الخرب بفتح الخاء المعجمة والراء وفي اخرها
البا الموحدة الذكر من الحبارى والعير بفتح العين المهملة وسكون اليا المثناة من
تحتها وبعدها راء وهو الذكر من حمر الوحش فقال الكسائي يجب ان يكون منصوبا
على انه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدي الشعر صواب
لان الكلام قد تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للاولى ثم استانف الكلام
فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال ابو محمد فقال يحيى بن خالد البرمكي
اتكتني بحضرة امير المؤمنين والله ان خطا الكسائي مع حسن ادبه لاحسن من صوابك
مع سوء ادبك فقال اليزيدي ان حلاوة الظفر اذهبت عني التحفظ قلت انا قول
الكسائي في البيت اقواء ليس بجيد فان اصطلاح ارباب علم القوافي ان الاقواء يختص
باختلاف الاعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير بان يكون احد البيتين
مرفوعا والاخر مجرورا فاما اذا كان الاختلاف بالنصب مع الرفع والجر فان
ذلك يسمى اصرافا لا اقواء والى هذا اشار ابو العلا المعري في قوله من قصيدة
طويلة يرثي فيها ابيه الشريف ابا طاهر والد الرضي والمرتضى المقدم ذكرهما وهو
في صفة نعيب الغراب ❊ ينعت على الابطاء سالمة من الاقواء والاكفاء والاصراف
وهذا البيت يتعلق بما قبله ولا يظهر معناه الا بذكر ما تقدم ولا حاجة بنا الى
ذكره هاهنا بل ذكرنا موضع الاستشهاد لا غير وقد قيل ان الاصراف من جملة
انواع الاقواء فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي وهذا الفصل وان كان خارجا
لكنه ما خلا عن فايدة وغالب شعر اليزيدي جيد وقد ذكره هرون ابن المنجم
المقدم ذكره في كتاب البارع واورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله يهجو الاصمعي
انا هلي المقدم ذكره ❊ ابن الي دعي بني اصمع ❊ متى كنت في الاسرة الفاضله

ومن انت هل انت الا امرؤ ❊ اذا صح اصلك من باهله

ثم قال ابن المنجم وهذا البيت من نادر ابيات المحدثين في الهجا قلت انا وهذا
ماخوذ من قول حماد عجرد في بشار بن برد يهجوه ❊

نسبت الى برد وانت لغيره ❊ وهب ان برد انا لك امك من برد
استبق وداي المقاتل ❊ حين تلد توامن طعامه

سبحان كم رغيفه ÷ او كم عظم من عظامه
ويصوم كرها ضيفه ÷ لم يتواجدا في صيامه

وقد سبق في ترجمة ابي العباس المبرد مقطوع من شعره في شيبة بن الوليد
وكان له اخبار ونوادر فمن ذلك ما رواه انه اخذ رجل ادعى النبوة فاتي به
المهدي فقال له انت نبي فقال نعم فقال والى من بعثت فقال وهل تركتموني
اذهب الى احد ساعة بعثت وضعتموني في الحبس فضحك المهدي واستتابه
وكان لليزيدي خمسة بنين وكلهم علماء ادباء شعراء رواة للاخبار الناس وهم
ابو عبد الله محمد وابراهيم وابو القسم اسمعيل وابو عبد الرحمن عبد الله و
ابو اسحق يعقوب وكلهم الف في اللغة والعربية وكان محمد اسنهم واشعرهم
وهو القايل فيما رواه دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره من جملة ابيات ÷

اتظعن والذي تهوى مقيم ÷ لعمرك ان ذا خطر عظيم
اذا ما كنت للحدثان عونا ÷ عليك وللهموم فمن تلوم
شغلت به فما انا عنه سال ÷ ولا هو ان شغلت به رحيم

يا بعيد الدار موصولا بقلبي ولساني
ربما باعدك الدهر فادنتك الاماني

وله اشعار كثيرة جيدة وكان يودب المامون مع ابيه وثقل سمعه في اخر
عمره وكان قد خرج مع المامون الى خراسان واقام في خدمته بمدينة مرو و
ثم بقي الى ايام المعتصم وخرج معه الى مصر فتوفي بها رحمه الله تعالى واما
والده ابو محمد المذكور فانه توفي سنة اثنتين ومايتين رحمه الله تعالى بخراسان و
الظاهر انه كان بمرو فانه كان قد خرج صحبة المامون من بغداد وكانت اقامة المامون
بمرو ثم وجدت في طبقات القرا لابي عمرو الداني انه توفي في التاريخ المذكور
بمرو ثم قال بعد ذلك وقال ابن المنادي وقيل انه بلغ من السن دون المايه باعوام
يسيرة ومات بالبصرة ودفن بها والاول اصح والله اعلم وقد تقدم في حرف
الميم ذكر حفيده ابي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن ابي محمد اليزيدي
المذكور وشرح طرف من اخباره وفضله وتاريخ وفاته والعدوي بفتح العين
والدال المهملتين والواو هذه النسبة الى عدي بن عبد مناة بن اد بن طابخة
بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهي قبيلة كبيرة مشهورة ولم يكن
ابو محمد منهم وانما كان من مواليهم كان جده المغيرة مولى لامراة من بني عدي
فنسب اليهم وقد سبق في اول هذه الترجمة ذكر سبب نسبه الى يزيد ومن هو يزيد

فاغنى عن الاعادة وفي ذريته جماعة كبيرة افاضل مشاهير اصحاب تصانيف و
اشعار رايقة مشهورة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا منها واليزيديون
يفتخرون بالكتاب الذي وضعه ابرهيم بن ابي محمد المذكور في اللغة و
كتاب ما اتفق لفظه وافترق معناه وجمع فيه كل الالفاظ المشتركة في الاسما
المختلفة في المعنى ورايته في اربع مجلدات وهو من الكتب النفيسة يدل على
غزارة علم مولفه وسعة اطلاعه وله غير ذلك تواليف حسنة نافعة و
كذلك بقية اليزيديين صنفوا كتبا مشهورة مشكورة وكان يزيد الحميري
خال المهدي مقدما في دولة بني العباس وولي للمنصور البصرة واليمن و
مات في سنة خمس وستين ومايه بالبصرة وفيه قال بشار بن برد الشاعر
المقدم ذكره

ابا خالد قد كنت سباح غمرة ÷ صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطي
وكنت جوادا سابقا ثم لم تزل ÷ تاخر حتى جئت خطوا مع الخاطي
فانت بما تزداد من طول رفعة ÷ تنقص من مجد كذلك بافراط
كسنور عبد الله بيع بدرهم ÷ صغيرا فلما شب بيع بقيراط

قلت لقد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسالت اهل المعرفة بهذا الشان
فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على اثر والله اعلم ثم ظفرت بقول الفرزدق
وهو ÷

رايت الناس يزدادون يوما ÷ فيوما في الجميل وانت تنقص
كمثل الهر في صغره يغالى ÷ به حتى اذا ما شب يرخص

ومن هاهنا اخذ بشار قوله وليس المراد منه هرا بعينه بل كل هر تكون
قيمته في صغره ينقص منها في كبره ابو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن
الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب احد ايمة الادب كانت
له معرفة تامة بالادب من النحو واللغة وغيرهما قرا على الشيخ ابي العلا المعري و
ابي القسم عبيد الله بن علي الرقي وابي محمد الدهان اللغوي وغيرهم من اهل
الادب وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه ابي الفتح سليم بن ايوب
الرازي ومن ابي القسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال
الساوي البغدادي وابي القسم عبد الله بن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد
والحافظ ابو الفضل محمد بن ناصر وابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي وابو الحسن
سعد الخير بن محمد بن سهل الاندلسي وغيرهم من الاعيان وتخرج عليه خلق كثير وتتلمذ
له خلق وذكره الحافظ ابو سعد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الانساب وعدد
فضايله ثم قال سمعت ابا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقري يقول

ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضي الطريقة وذكر عنه شيئا ثم قال
وذاكرت مع ابي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت وكانه ما
انكر ما قال ثم قال ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله وصنف كتبا مفيدة
في الادب منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبي وكتاب شرح سقط
الزند وهو ديوان ابي العلا المعري وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات
وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب اصلاح المنطق وله في النحو مقدمة
حسنة والمقصود منها اسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود وله كتاب الكافي في علم
العروض والقوافي وكتاب في اعراب القران سماه الملخص وابانه في اربع مجلدات
وشروحه لكتاب الحماسة ثلثة اكبر واوسط واصغر وله غير ذلك من التواليف
وقد سبق في ترجمة الخطيب ابي بكر احمد بن علي بن ثابت الحافظ ذكره وما دار
بينهما عند قراته عليه بدمشق فلينظر هناك ودرس الادب بمدرسة النظامية
ببغداد وكان سبب توجهه الى ابي العلا المعري انه حصلت له نسخة من كتاب
التهذيب في اللغة تاليف ابي منصور الازهري في عدة مجلدات لطاف واراد
تحقيق ما فيها واخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في
مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن له ما يستاجر به مركوبا فنفذ
العرق من ظهره اليها فاثر فيها البلل وهي ببعض الوقوف ببغداد واذا راها
من لا يعرف صورة الحال فيظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب
المذكور هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة في كتاب اخبار النحاة الذي
الفه القاضي الاكرم ابن القفطي الوزير بمدينة حلب رحمه الله تعالى و
الله اعلم بصحة ذلك وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر في عنفوان شبابه
فقرا بها على الشيخ ابو الحسن طاهر بن باشاد المقدم ذكره شيئا من اللغة
ثم عاد الى بغداد واستوطنها الى الممات وكان يروي عن ابي الحسن محمد
بن المظفر بن محمد بن البغدادي جملة من شعره فمن ذلك قوله على ما حكاه
السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب المذكور وهي من اشهر اشعاره

خليلي ما احلا صبوحي بدجلة * واطيب منه بالصراة غبوقي
شربت على الماءين من ماء كرمة * فكانا كدر ذايب وعقيق
على ممري اخي وارض نقا تلا * فمن شايق حلو الهوى ومشوق
فما زلت اسقيه واشرب ريقه * وما زال يسقيني ويشرب ريقي
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى * فقال نعم هذا اخي وشقيقي

وهذه الابيات من املح الشعر واظرفه والبيت الاخير منها يستمد من معنى قول ابي
بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة الاندلسي في مدح المعتمد بن عباد
صاحب اشبيلية المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة

سالت اخاه البحر عنه فقال لي * شقيقي الا انه الساكن العذب

ما كفاه انه جعله شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال الساكن العذب والبحر
مضطرب مالح وهذا من خالص المدح واعذبه وابدعه واول هذه القصيدة

بكت عند توديعي فما علم الركب * اذاك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب واني لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

وهي قصيدة طويلة ولولا خوف الاطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرتها كلها
ولكن يكفي منها هذا الانموذج وكان الخطيب ايضا يروي عن ابن محمد المذكور من
شعره قوله * يا ناء الحي من مضر * ان سلمى ضرة القمر
ان سلمى لا فجعت بها * اسلمت طرفي الى السهر
فهي ان صدت وان وصلت * مهجتي فيها على خطر
وبياض الثغر اسكنها * في سواد القلب والبصر

وللخطيب المذكور شعر فمن ذلك قوله

فمن يسام من الاسفار يوما * فاني قد سئمت من المقام
اقمنا بالعراق على رجال * لئام ينتمون الى لئام

وقال الخطيب المذكور كتب الي ابن العميد الفياض رحمه الله تعالى

قل ليحيى بن علي * والاقاويل فنون
غير اني لست ممن * يكذب فيها ويخون
انت عين الفضل * ان مد الى الفضل عيون
انت من عز به الفضل * وقد كاد يهون
فقت من كان واتعبت * لعمري من يكون
قد مضى قبلك قران * ومضت قبلك قرون
واذا قيس بك الكل * فحصو ودجون
واذا فتش عنهم * فالاحاديث شجون
قد سمعنا ورأينا * فسهول وحزون
ووزنا بك من كان * فقيل وفنون
اين شيبان وازد * كل ما ذاك لحون

انك الاصل ومن دو ... نك في علم غصون
انك البحر واعيان ... ذوي الفضل عيون
ليس كالسبق وان ... حلّ في الحلم الحقون
ليس كالغدا المعلى ... ليس كالبيت المجون
ليس كالجدوان ... ابن هزل ومجون
ليس في الحسن سواه ... ابدًا بيض وجون
ليس كالابكار في اللطف ... وان وافتك عون
قلت للحساد كونوا ... كيف شئتم ان تكونوا
سبق الزايد بالخصل ... فعزوا او فهونوا
دمت ما خالف في ... الجد حراك وسكون
وتلقاك المنى ما فتر ... بالطير الوكون
ان ودّي لك تمًّا ... نجم الود مصون
ليس لي فيه ظهور ... تتنافى وبطون
بل لقلبي فيه حب ... بالمصافاة يكون
علق الرهن وقد تغلق ... في الحب الرهون
ومن الناس امين ... في هواه وخؤون

قال ابن الجواليقي قال لنا شيخنا الخطيب ابو زكريا فكتبت الى ابن العميد الفياض المذكور

قل للعميد اخي العلى الفياض ... انا قطرة من بحرك الفياض
شرفتني ورفعت ذكري بالذي ... البستنيه من الثنا الفضفاض
البستني حلل القريض تفضلًا ... فرفلت منها في علا ورياض
ان ابتك بالخنا عن لؤلؤ ... ابرزته من خاطر مرتاض
وبخاطري عن مثل ذاك توقف ... ما ان يكاد يجود بالاقباض
ايخاض البحر الخضم بجدول ... امدده نقاس بالرضراض
يرمي به الغرض البعيد وقد غدا ... فكري يقصر عن مدى الاغراض
يا فارس النظم المرصع جوهرًا ... والنثر يكشف غمة الامراض
لا تلزمني من ثنايك موجبًا ... حقا فلست بحقه بالقاضي
ولقد عجزت عن القريض وربما ... اعرضت عنه ايما اعراض
انعم علي ببسط عذري انني ... اقرضت عنه لذاك بالاقراض

وكانت ولادته سنة احدى وعشرين واربع مايه وتوفي في يوم الثلثا لليلتين

بقينا من جمادى الاخرة سنة اثنين وخمس مايه ببغداد ودفن في مقبرة باب ابرز رحمه الله تعالى وبطام بكسر البا الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطا المهملة وبعد الالف ميم وتقدم الكلام على الشيباني والتبريزي فاغنى عن الاعادة ابو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الملقب زين الدين النحوي الحنفي كان احد ايمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصنف تصانيف مفيده ثم ان الملك الكامل ارغبه في الانتقال الى مصر فسافر اليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لاقراء الادب وقرره على ذلك جارٍ ولم يزل الى ان توفي في سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وستماية بالقاهرة ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الامام الشافعي رضي الله عنه وقبره هناك ظاهر ومولده سنة اربع وستين وخمس مائة رحمه الله تعالى والزواوي بفتح الزاي وبين الواوين الف هذه النسبة الى زواوه وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجايه من اعمال افريقية ذات بطون وافخاذ ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى بن ابي منصور المعروف بالمنجم واسمه ابان جسيس بن ورنيد بن كاد بن مهابيد ادحيس بن فروخ داود بن مهر خسيس بن يزدجرد كان اول امره نديم الموفق ابي احمد طلحة بن المتوكل على الله والموفق المذكور هو والد المعتضد بالله ولم يلي الموفق الخلافة بل كان نايبًا عن اخيه المعتمد على الله ولم يزل في محاربة القرامطة وامره في ذلك مشهور وقصته طويلة وليس هذا موضع ذكرها ثم ان يحيى المذكور نادم الخلفا بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفي بالله بن المعتضد وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسايه وكان متكلما معتزلي الاعتقاد وله في ذلك كتب مفيده وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي وصنف كتبًا كثيره فمن ذلك كتاب الباهر في اخبار شعرا مخضرمي الدولتين ابتدأ فيه بشار بن برد واخر من اثبت فيه مروان بن ابي حفصة ولم يتمه وتممه ولده ابو الحسن احمد بن يحيى وعزم على ان يضيف الى كتاب ابيه شعرا المحدثين فذكر ابا دلامة والبه بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس وابا علي البصير وكان ابو الحسن احمد المذكور متكلما فقيها على مذهب ابي جعفر الطبري وله كتب صنفها منها كتاب اخبار اهله ونسبهم في الفرس وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب ابي جعفر الطبري ونصره مذاهبه وكتاب

الاوقات وغير ذلك وليحيى المذكور مع المعتضد وقايع ونوادر فمن ذلك ما حكاه
ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب عن يحيى
المذكور انه قال كنت يومًا بين يدي المعتضد وهو مغضب فاقبل بدر
مولاه وكان شديد الغرام به فلما راه من بعيد ضحك وقال يا يحيى
من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت يقوله الحكم بن عمرو الشاري فقال لله دره انشدني هذا الشعر فانشدته

ويلي على من اطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على اوجاعه وجعا
كانما الشمس في اعطافه لمعت * حسنًا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

وذكر ابو الفتح كشاجم الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه المصايد والمطارد
في الفصل الذي ذكر فيه صيد الاسد بالنشاب ما مثاله لما حدث ابو
احمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم النديم نديم المكتفي بالله وجد على امير
المؤمنين المكتفي بالله منصرفه من الرقة لركوبي الماء منها الى المرحلة الاولى
قبل ان يركبه هو وذلك ان ابا العباس احمد بن عبد الصمد حملني على
ذلك وسالني ان اكون معه في سفينته ففعلت ولم اظن ان المكتفي ينكر
ذلك ولا يحتمل تاخري عنه واخلالي به فلما صرنا الى الدالية امر بان ارد
منها الى قرقيسيا واقيم حتى اصيد سبعًا واحضره اليه فردني ورد معي
عدة من العباسيين كانوا قد ركبوا الماء فكتبت اليه بابيات فلم تعطفه
فوجهت الى الرحبة واقمت عند ابي محمد عبد الله بن الحسن بن سعد
القطربلي في قصف وشرب وصبوح وغبوق وهو على غاية من السرور
بمقامي عنده وكان معنا ابو جعفر محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك
الزيات فكتبت من الرحبة كتابا الى الوزير ابي الحسين القسم بن عبيد الله
وانفذت فيه شعرا سالته ان يقراه على المكتفي وهو

نفس الدهر ان يروان * سعدنا بالاحبة الاجتماع
فرماني واخوة لي بسهم * نفر النفس فهي منه شعاع
فرددنا الى وراء ومر الناس * قدمًا فاشتدت الاوجاع
لو سمعنا بمثل ما نالنا * افزعنا منه في سوانا السماع

كلفونا

كلفونا صيد السباع وانا * ليعجزن ان تصدنا السباع
ان عصينا فواجب اي قوم * كلفوا فوق طوقهم فاطاعوا
كل شيء يجوز تكليفه الانسان * الا ما كان لا يستطاع
لم تزل تمزج الملوك ولكن * مع ذاك المزاح جود وباع
وتوانى الوزير عنا فضعنا * في سبيل الاله حق مضاع
قد مددت الايدي اليه واخرى * غايات بفضله الاطماع
شافع لا يخاف ردًا اذا ما * رد عما تريده الشفاع
عثرات الملوك يتبعها الانس * واثمارها عطايا باتباع
اولنا باولي دولته خيرًا * لديه فالخير النفاع

وانفذت الكتاب مع محمد بن سليمان الخرايطي فلم يضعه القسم من يده
حتى دخل على المكتفي فقراه عليه وانشده الابيات فاستحسنها وقال يكتب
الساعة بتخلية سبيله وحمله الينا فلم يكن اسرع من ان وافاني الرسول
فوافيت وانشدت المكتفي ببغداد

عاد ليلي القصير في ارض بغداد * بعد قربها علي طويلا
اجميلا ان تتركوني وعضوني * رهن نايها غريبًا ذليلا
مفردا بالعقاب منك بالذنب * قصر احبي برني وكيلا
ان قضى اتصل بحجة الى بغداد * لاهلها لكا بفتى فتيلا
وارى الخليفة المكتفي بالله * وابن الخلايف المامولا
كالذي قد عهدت لا معرضًا * عني ولا واجدًا ولا مستحيلا
كل شيء اسامه هينًا عندي * اذا الراي منه كان جميلا

فاستحسنها ورق لشكواي بها حتى تبينت ذلك في وجهه وكلامه واخبار
يحيى ومحاسنه كثيرة وكانت ولادته سنة احدى واربعين ومايتين
وتوفي ليلة الاثنين لثلث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر سنة
ثلثماية رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر والده علي واخيه هرون وابن اخيه
علي ولم ارفع في نسبهم الا في هذه الترجمة لاني لم اظفر بالنسب على هذه
الصورة الا لما وصلت الى هذا الموضع فنقلته كما وجدته من كتاب الفهرست
لابي الفرج محمد بن اسحق النديم ولم اضبط شيئًا من اسماء اجداده
لاني لم اتحقق فيها فنقلتها كما وجدتها على حليتها ثم ازد فيها ولم انقص منها
شيئا والله الموفق للصواب ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي

الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة قال الفتح بن محمد بن
عبيد الله القيسي في كتاب مطمح الانفس في حق ابي بكر المذكور انه كان نبيل النثر
والنظام كثير الارتياح في سككه والانتظام احرز خصالا وطرز محاسنه بكرا
واصالا وجرى في ميدان الاحسان الى امد وبني من المعارف على اثبت عمد
الا ان الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته ولم يتم له وطر ولم يهم عليه من
الحظوة مطر ولا سوغته من الحرمة نصيبا ولا انزلته من النعمة مرعا خصيبا فضا
راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يصحب قوما مع توهم لا
يظفره بامان وتقلب دهر كواهي الجمان الا ان يحيى بن علي بن القسم نزعه
عن ذلك الطيش واقطعه جانبا من العيش وارقاه الى سمائه وسقاه صوب
نعمائه وفياه ظلالا وبواه اثر النعم يجوس خلاله تصرف فيه اقواله وشرف
بقوافيه نواله وافرده منها بانفس درر وقلده منها بقلايد غرر وذكر
الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي المذكور في حقه ايضا في كتاب قلايد
العقيان هو رافع راية القريض وصاحب اية التصريح فيه والتعريض اقام
شرايعه واظهر روايعه وصار عصيه طايعه اذا نظم ازرى بنظم العقود و
اتى باحسن من رقم البرود وصفا عليه حرمانه وما صفا له زمانه انتهى كلام
الفتح وقد اثبت لابي بكر المذكور هذا المقطوع من الشعر ولم ار الفتح ذكره
في واحد من كتابيه المذكورين مع انه من احسن شعره واشعره وهو ÷

بابي غزال غازلته مقلتي ÷ بين العذيب وبين شطي بارق
وسالته منه زيارة تشفي الجوى ÷ فاجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى في خيمة ÷ ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله ÷ صهبا كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه ÷ وذوابتاه حمايل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى ÷ زحزحته عني وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه ÷ كيلا ينام على وساد خافق
لما رايت الليل آخر عمره ÷ قد شاب في لمم له ومفارق
ودعت من اهوى وقلت تاسفا ÷ اعزز علي بان اراك مفارقي

وقد ذكر بعض هذه الابيات الحافظ ابو الخطاب ابن دحيه في كتابه الذي
سماه المطرب في اشعار اهل المغرب ومن شعره قصيدة يمدح بها يحيى بن
علي بن القاسم المذكور في هذه الترجمة وهي طويلة ومن مديحها قوله

نودان

نودان ليس يحيدان عن الورى ÷ كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع ÷ كتمان نور علاه المتشهر
في كل افق من جميل ثنايه ÷ عرف يزيد على دخان المجمر
زد في شمايله وزد في جوده ÷ بين الحديقة والغمام الممطر
ندب عليه من الوقار سكينة ÷ فيها خطيط كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى في غمده ÷ القى المهابة في نفوس الحضر
اربى على الغيث الملث لانه ÷ في كل كف منه خمسة ابحر
ازرى على البحر الخضم لانه ÷ اعطى كما اعطى ولم يستعبر
اقبلت مرتادا لجودك انه ÷ صوب الغمام بل زلال الكوثر
ورايت وجه النجح عندك ابيضا ÷ فركبت نحوك كل لج اخضر
يجري اليك بنا سفين اتلع ÷ مثل البعير يخزم في المنخر
وبنات اعوج قد برمن بمحنق ÷ مما قطعن من اليباب المقفر

واورد له صاحب قلايد العقيان مقطوعا وهو
يا افتك الناس الحاظا واطيبهم ÷ ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة ÷ ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي تجدده ÷ من خدك الكتب او من لحظك الرسل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة ÷ مرني بما شيت اتيه وامتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به ÷ من فعل عينك جرحا ليس يندمل

وذكره العماد الكاتب في الجريدة واورد له عدة مقاطيع ثم اعاد ذكره في اخر
الكتاب واورد له ÷
ومشمولة في الكاس تحسب انها ÷ سماء عقيق رصعت بالكواكب
بنت كعبة اللذات في حرم الصبى ÷ فحج اليها اللهو من كل جانب

ومحاسنه في الشعر كثيرة وتوفي سنة اربعين وخمسمايه رحمه الله تعالى و
بقي بفتح البا الموحده وكسر القاف وتشديد اليا ابو الفضل يحيى بن
سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفي
صاحب الديوان الشعر والخطب والرسايل ولد بطنزة ونشا بحصن كيفا
وقدم بغداد واشتغل بالادب على الخطيب ابي زكريا التبريزي والمقدم
ذكره واتقنه حتى مهر فيه وقرا الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله
عنه واجاد فيه ثم رحل عن بغداد راجعا الى بلاده ونزل ميافارقين واستوطنها

د تولى بها الخطابه وكان اليه امر الفتوى بها واشتغل عليه الناس وانتفعوا ببحثه
وذكره العماد الاصبهانى فى كتاب الخريده فقال فى حقه كان علامة الزمان فى علمه
ومعرى العصر فى نثره ونظمه له الترصيع البديع والتجنيس المتقن النفيس و
التطبيق والتحقيق واللفظ الجزل الرقيق والمعنى السهل العميق والتقسيم و
الفضل السائر المقيم ثم قال العماد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه
وكنت احب لقاه واحدث نفسى عند وصولى الى الموصل به وانا شغف
بالاستفاده كلف بمجالسة الفضلا للاستزاده فعاق دون لقائه بعد
الشقه وصعفى عن تحمل المشقه ثم ذكر له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

وخليع بت اعذله ✤ ويرى عذلى من العبث
قلت ان الخمر مخبثه ✤ قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها ✤ قال طيب العيش فى الرفث
قلت منها القى قال اجل ✤ شرفت عن مخرج الحدث
وساجفوها فقلت متى ✤ قال عند الكون فى الجدث

قلت انا ولقد اخذ الخطيب المذكور قوله شرفت عن مخرج الحدث من قول
بعضهم ولا اعرفه لكنها ابيات سايره وهى ✤

ولايم لمنى فى الخمر قلت له ✤ انى ساشربها حيا وفى جدثى
ثم فاسقنى قهوة خمرا صافيه ✤ صرفا حلالا فانى غير مكترث
فان يكن حللوها بالطبخ فهى ✤ حشاى نار تنفقها على الثلث
قالوا فلم تقياها فقلت لهم ✤ انى انزهها عن مخرج الحدث

ثم قال العماد الاصبهانى وانشدنى له بعض الفضلا ببغداد خمسة ابيات
كالخمسة السيارات مستحسنات مطبوعات مصنوعات وهى قوله

اشكو الى الله من نارين واحدة ✤ فى وجنتيه واخرى منه فى كبدى
ومن سقامين سقم قد احل دمى ✤ من الجفون وسقم حل فى جسدى
ومن نمومين دمعى حين اذكره ✤ يذيع سرى وواش منه بالرصد
ومن ضعيفين صبرى حين افكر ✤ ووده ويراه الناس طوع يدى
مهفهف رق حتى قلت من عجب ✤ اخصره خصرى ام جلده جلدى

ومن مليح شعره ابيات فى هجو مغن وهى

ومسمع غناوه ✤ يبدل بالفقر الغنا
شهدته فى عصبه ✤ رضيتهم لى قرنا

ابصرته

ابصرته فلم تخب ✤ فراستى لما دنا
وقلت من ذا وجهه ✤ كيف يكون محسنا
وددت اروح للطنق ✤ به ممتحنا
فقلت من بينهم ✤ هات اخى غن لنا
ويوم سلع لم يكن ✤ يومى تنلع هينا
فانثال منه حاجب ✤ وحاجب منه انحنا
وامتلا المجلس من فيه ✤ بيما منتنا
اوقع اذ وقع فى الا ✤ نفس اسباب العنا
وقال لما قال ✤ من يسمح فى ظل الغنا
وما اكتفى باللحن ✤ والتخليط حتى لحنا
هذا وكم يكشحن الوعد ✤ وكم تفرسنا
يوهم رمزا انه ✤ قطعه ود ندنا
وصاح صوتا نافرا ✤ يخرج عن حد الينا
وما درى بحضره ✤ ماذا على القوم جنا
قد ايد انفه ✤ وذا يسد الاذنا
ومنهم جماعة ✤ تنزعه الاعينا
فاغتظت حتى كدت ✤ من غيظ ابث الشجنا
وقلت يا قوم اسمعوا ✤ اما المغنى او انا
اقمت لا اجلس ✤ او يخرج هذا من هنا
جروا برجل الكلب ✤ ان القمم هذا والغنا
قالوا لقد رحمتنا ✤ وذدت عنا المحنا
فجرت فى اخراجه ✤ راحة نفسى والثنا
وحين ولى شخصه ✤ قرات فيهم معلنا
الحمد لله الذى ✤ اذهب عنا الحزنا

ولم اسمع مع كثرة ما قيل فى هذا الباب مثل هذا المقطوع وللخطيب المذكور
ايضا فى هذا المعنى ✤ ومسمع قوله بالكره مسموع ✤ محجب عن بيوت الناس ممنوع
غنى فبرق عينيه وحول لحييه ✤ فقلنا الفتى لا شك مصروع
وقطع الشعر حتى ود اكثرنا ✤ ان اللسان الذى فى فيه مقطوع
لم يات دعوة اقوام بامرهم ✤ ولا مضى قط الا وهو مصفوع

وقد سبق له في ترجمة الشاطبي في حرف القاف مقطوع اخر لغز في نعش وهو معنى
مليح واكثر شعره على هذا الاسلوب واللطافة وجودة المقاصد وكان يتشيع و
هو في شعره ظاهر وكان بمدينة آمد شابان بينهما مودة اكيدة ومعاشرة كثيرة
فركب احدهما ظاهر البلد وطرد فرسه فتقنطر فمات وقعد الاخر يستعمل
الشراب فشرق فمات في ذلك النهار فعمل فيهما بعض الادبا ؛

تعاشرتما العيش صفوا والردى كدرا ؛ وما عهدنا المنايا قط تقتسم
وحافظا الود حتى في حمامهما ؛ وقل ما في المنايا يحفظ الذمم

فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال هذا الشاعر قصر اذ لم يذكر
سبب موتهما وقد قلت فيهما بنفسي اخيان من آمد اصيبا بيوم مشوم عبوس
ذا هاذ اكبت من الصافنات ؛ وهذا اكبت من الخندريس

قلت لو قال ذا هاذ اكبت من الصافنات وهذا اكبت من الصافيات لكان احسن
لاجل المجانسة وكان يجعل البيت الاول بنفسي اخيان من آمد اصيبا بيوم رديء
الاداة او ما يناسب هذا ثم وجدت البيتين الاولين في كتاب الجنان تاليف
القاضي الرشيد بن الزبير المقدم ذكره في حرف الهمزة وقد نسبهما الى الفقيه
ابي الحسن بن احمد المعلم المعري لكن هكذا وجدت الحكاية بخط بعض القارئين
والله اعلم وللخطيب المذكور الخطب المليحة والرسايل المنتقاه ولم يزل على رياسته
وجلالته وافادته الى ان توفي سنة ستين واربعمايه رحمه الله تعالى والحصكفي
بفتح الحاء وسكون الصاد المهملتين وفتح الكاف وفي اخره فاء هذه النسبة
الى حصن كيفا وهو قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين
وكان القياس ان ينسبوا اليه الحصني وقد نسبوا اليه ايضا كذلك لكن اذا
نسبوا الى اسمين اضيف احدهما الى الاخر ركبوا من مجموع الاسمين اسما واحدا
ونسبوا اليه كما فعلوا هاهنا وكذلك نسبوا الى راس عين رسعني والى عبد
الله وعبد شمس وعبد الدار عبدلي وعبشمي وعبدري وكذلك كلما هو نظيره
واما طنزه بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وفي اخرها هاء ساكنة
فهي بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية المذكورة وخرج منها جماعة
من المحدثين وغيرهم ونسبوا اليها قال عماد الدين الاصبهاني الكاتب في كتاب
الخريدة منها ابرهيم بن عبد الله بن ابرهيم الطبري وهو القايل ؛

واني لمشتاق الى ارض طنزة ؛ وان خانني بعد التفرق اخواني
سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها ؛ كحلت به من شدة الشوق اجفاني

ثم قال

ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا كان هذا الشاعر حيا في شهر رمضان سنه
ثمان وستين وخمسمايه **ابو طاهر يحيى بن تميم** بن المعز بن باديس
الحميري الصنهاجي صاحب افريقيه وما والاها قد تقدم ذكر والده ورفعت
نسبه هناك وتقدم ذكر جماعة من اجداده في هذا الكتاب وكانت ولادة
يحيى المذكور بالمهديه خلافة عن ابيه تميم يوم الجمعة لاربع بقين من شهر
ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمايه والطالع الدرجة السابعة من الجدي
ثم استقل بالامر يوم وفاة والده وقد سبق ذكره في ترجمته وكان عمر الامير
يحيى يوم الاستقلال ثلثا واربعين سنة وستة اشهر وعشرين يوما وركب
على العاده واهل دولته محدقون به ورجع الى قصره فعزى باس اهل جميع
الدوله من الخواص والجند بخلع ستة وكانوا قد غيروا لباسهم لموت
ابيه ووهب للاجناد والعبيد اموالا كثيره ووعدهم مواعيد سارة وذكر
في كتاب الجمع والبيان في اخبار القيروان الذي الفه ولد اخيه عز الدين
ابو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس ان الامير تميما
قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى المذكور وكان في دار الامارة مع خاصته
وجلسائه فمضى يحيى ومن معه اليه فوجدوا تميما في بيت المال قايم بالجلوس
ثم قال لاحدهم قم فادخل ذلك البيت وخذ من الكتاب الذي صفته كذا في كان
كذا فقام ولحق به واذا هو كتاب ملحمة فقال له عد من اوله كذا وكذا ورقة واقرا
الصفحة التي انتهى اليها واذا فيها الملك المعز وهو طويل القامة الذي على وركه
الايمن خال وفي جنبه الايسر شامة فقال الامير تميم الحق الكتاب واردده
الى موضعه ففعل ثم قال تميم اما العلامتان فقد رايتهما وبقيت على الثالثه
قم انت يا شريف وانت يا فلان حتى تحققا عندي العلامة الثالثه فقاموا و
قام يحيى معهم الى موضع مستور عن تميم وكشف لهم عن جسمه فراوا شامة على
جنبه الايسر هلالية الشكل فاتوا تميما فعرفوه فقال لم اعطه انا شيا الله تعالى
الذي اعطاه ثم قال اني اخبركم بحديث عجيب وذلك انه عرض على النخاس والدته
فاستحسنتها ومالت نفسي اليها فاشتريتها وسلمتها الى خدام القصر وامرت النخاس
ان يرجع الي في قبض الثمن ثم دبرت في مال طيب حلال اخرج ثمنها منه فبينما انا مفكر في
ذلك اذ سمعت الشاكي يصيح ويرفع صوته في الاذن على مطالعتي فاخرجت راسي من
الطاق وقلت ما شانك فقال كنت تاجرا احضر في قصر المهدية حتى وجدت حنكا
عليه قفل فتركته على حاله وجئت مطالعا بامره فانفذت معه من اثق به فاذا فيه اثواب

مدهبات الاعلام قد افناها الدهر فامرت بسلك اعلامها فلم تردد ولم تنقص عن ثمن
الجاريه فتعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له ثم امر لهم بدنانير وكسا وانصرفوا قال
عبد العزيز المذكور وقد ادركت هذا الكتاب المشار اليه عند السلطان الحسن
رحمه الله تعالى يعنى الحسن بن على بن يحيى المذكور وحكى عن الكتاب امورا وقصصا
ذكر انها ستكون وكانت كما ذكر رجعت الى حديث يحيى ولما جلس فى الملك
قام بالامر وعدل فى الرعية وفتح قلاعا لم يتمكن ابوه من فتحها قال عبد العزيز المذكور
فى تاريخه وفى ايامه يعنى ايام يحيى وصل الى المهدية من طرابلس محمد بن تومرت
المقدم ذكره قادما من الحج فنزل بمسجد قبلى مسجد السبت فاجتمع اليه جماعة
من اهل المهديه وقروا عليه كتبا فى اصول علم الدين وشرع فى تغيير المنكر فرفع امره
الى يحيى فاحضره وجماعة من الفقها فراى ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم
فساله الدعا فقال له اصلحك الله لرعيتك ونفع بك ولدينك واقام مدة يسيرة
بالمهديه ثم انتقل الى المنستير فاقام بها مدة وانتقل الى بجايه وقد تقدم فى ترجمه
والده الامير تميم ان محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد فى ايامه والله اعلم
اى ذلك كان ثم قال عبد العزيز وفى سنه سبع وخمس مائة اتى الى المهديه قوم غربا
فقصدوا يحيى عطا الله وزعموا انهم من اهل الصناعة الكبيره من الواصلين الى
نهاياتها فاذن لهم فى الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه سالهم بان يظهروا له من
الصناعة ما يقف عليه فقالوا نحن نريك من القصدير التدابير والتصوير حتى
يرجع لا فرق بينه وبين الفضه ولولا نامن السروج والغضب والنود والقباب
والاوانى قنا طيرا من الفضه يجعل عوضا منها فاتيته ويستعمل جميع ذلك فى مهماته
وسالوه ان يكون ذلك فى خلوة فاجابهم واحضرهم للعمل ولم يكن عند الامير يحيى
سوى الشريف ابى الحسن على والقايد ابرهيم قايد الاعنه وكانوا اهم ثلثة و
وكانت بينهم امارة وامكنتهم الفرصة فقال احدهم دارت البويقه فتواثبوا وقصد
كل واحد منهم واحدا ممن كان فيهم فاما الذى قصد الامير يحيى فقال انا سراج
وكان يحيى جالسا على مصطبه فضربه فجات على ام راسه فقطعت طاقات من
العمامه ولم توثر فى راسه واستوثقت يده بالسكين على ضرابيه فخدشته وضربه
يحيى واغلق برجله فالقاه على ظهره فسمع الخدم الجلبه ففتحوا باب القصر من
عندهم فدخل يحيى واغلق الباب دونهم واما الشريف فلم يزل به الذى قصده حتى
قتله واما القايد ابرهيم فانه شهر سيفه ولم يزل يقاتل الثلثه وكسر الجند الباب
الذى كان بينهم ودخلوا فقتلوهم وكان دبهم زى اهل الاندلس فقتل فى البلد جماعة

ممن

ممن يلبس ذلك الزى وخرج الامير يحيى فى الحال ومشى فى البلد وسكن الفتنة وكان
يحيى عادلا فى دولته ضابطا لامور رعيته عارفا بحزم ودخله ملدبرا فى جميع ذلك
على ما يوجبه النظر العقلى ويقتضيه الراى الحكمى وتعتر فى الملاحم الملك المعتمد وتحقق
له هذا النعت بهذه الواقعه التى ذكرناها وكان كثير المطالعه لكتب الاخبار والسير
عارفا بها رحيما للضعفا شفيقا على الفقرا يطعمهم فى الشدايد فيرفق بهم ويقرب اهل
العلم والفضل من نفسه وساس العرب فى بلاده فهابوه وانكفت المطامع وكان له نظر
حسن فى صناعة النجوم والاحكام وكان حسن الوجه على حاجبه شامة اكحل العينين
مايلا فى قامته الى الطول دقيق الساقين وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه
وخلدوا مدايحهم فى دواوينهم ومن جملة شعرائه ابو الصلت امية بن عبد العزيز
بن ابى الصلت الشاعر المقدم ذكره واقام تحت كنفه بعد ان جاب الارض وتقاذفت
به البلدان وله صنف الرسالة المشهورة التى وصف فيها مصر وعجايبها وشعراها
وغير ذلك وله فيه مدايح كثيرة اجاد فيها واحسن وله ايضا مدايح فى ولده ابى الحسن
على وولد ولده الحسن بن على ومن جملة قوله فيه من مدايح قصيدة ∴

وارغب بنفسك الا عن ندى ووغا ∴ فالمجد اجمع بين الباس والجود
كذا ان يحيى الذى اجت مواهبه ∴ مست الرجاء بانجاز المواعيد
معطى الصوارم والهيف النواعم ∴ والخرد الصلادم والترك الجلاميد
انتم اشوس مضروب سرادقه ∴ على اغم بفرع النجم معقود
اذا بدا اسرير الملك محتبيا ∴ رايت يوسف فى محراب داود
من اسرة تخذوا المادى لبسهم ∴ واستوطئوا صهوات الضمر القود
محسدون على ان لا نظير لهم ∴ وهل رايت عظيما غير محسود
وان يكن جمعتكم اسرة كرمت ∴ فليس فى كل عود نفحة العود
اقول للراكب المزجى مطيته ∴ يطوى بها الارض من بيد الى بيد
لا تترك الماء عذبا فى مشارعه ∴ وتطلب الرى من حم الجلاميد
هذى موارد يحيى غير ناضبة ∴ وذا الطريق اليها غير مسدود
حكم سيوفك فيما انت طالبه ∴ فللسيوف قضا غير مردود

وله فيه غير ذلك ولما كان يوم الاربعا وهو عيد النحر سنة تسع وخمس مائة توفى
يحيى فجاة وذلك ان منجمه قال له ان فى تسيير مولدك فى هذا النهار عليك عكسا
فلا تركب فامتنع من الركوب وخرج اولاده ورجال دولته الى المصلى فلما انقرضت
الصلاة حضر رجال الدولة على ما جرت به العادة للسلام وقرا القرا وانشد الشعرا وانصرفوا

فوثب مع النايب لتدبير امورها لكونه عارفا باحوالها واقطعه بها ضيعتين واعطاه
دورا يسكنها هو واولاده واتباعه ولم اقف على تاريخ وفاة الحسن بن على المذكور
ثم قتل محمود بن زياد المذكور في وقعة سطيف في يوم الخميس في العشر الاوسط
من ربيع الاخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهذا الحسن بن على هو الذي
صنف له ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابى الصلت كتاب الحديقة

ابو على يحيى بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد قد تقدم ذكر ولديه جعفر والفضل
كل واحد منهما في بابه وكان جدهم برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار
وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران واشتهر برمك المذكور
وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار عندهم وساد ابنه خالد وتقدم
في الدولة العباسية وتولى الوزارة وقد ذكرته في ترجمة جعفر وذكرت
هناك تاريخ وفاته وقال ابو الحسن المسعودي في كتاب مروج الذهب لم يبلغ مبلغ
خالد بن برمك احد من ولده في جوده ورايه وباسه وعلمه وجميع خلاله لا يحيى
في رايه ووفور عقله ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته ولا جعفر بن يحيى
في كتابته وفصاحة لسانه ولا محمد بن يحيى في سروره وبعد همته ولا موسى
بن يحيى في شجاعته وباسه ولما بعث ابو مسلم الخراساني قحطبة بن شبيب الطاى
لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى عامل مروان بن محمد على العراقين
كان خالد بن برمك في جملة من كان معه فنزلوا في طريقهم بقرية فبينما هم على
سطح بعض دورها يتغدون اذ نظروا الى الصحراء وقد اقبلت منها اقاطيع
الوحش من الظباء وغيرها حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبة ايها الامير
ناد في الناس ومرهم ان يسرجوا ويلجموا قبل ان تهجم عليهم الخيل فقام قحطبة
مذعورا فلم ير شيئا يروعه فقال يا خالد ما هذا الراى فقال قد نهد اليك
العدو اما ترى اقاطيع الوحش قد اقبلت ازوالها جمعا كثيرا فما ركبوا حتى راوا
الغبار ولولا خالد لهلكوا واما يحيى فانه كان من النبل والعقل وجميل الخلال
على اكمل خالد وكان المهدى بن ابى جعفر المنصور قد ضم اليه ولده هرون
الرشيد وجعله في حجره فلما استخلف هرون عرف له حقه وقال له يا ابت
اجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع
له خاتمه ففي ذلك يقول الموصلى واظنه ابرهيم النديم او ابنه اسحق ✤

الم تر ان الشمس كانت سقيمة ✤ فلما ولى هرون اشرق نورها
بيمن امين الله هرون ذى الندا ✤ فهرون واليها ويحيى وزيرها

وكان

وكان يعظمه واذا ذكره قال ابى وجعل اصدار الامور وايرادها اليه الى ان نكب البرامكة
فغضب عليه وخلده في الحبس الى ان مات فيه وقتل ابنه جعفر حسبما تقدم شرحه
في ترجمته وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ومن كلامه ثلثه اشيا تدل على عقول اربابها
الهدية والكتاب والرسول وكان يقول لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا
احسن ما تكتبون وتحدثوا باحسن ما تحفظون وكان يقول الدنيا دول والمال
عارية ولنا بمن قبلنا اسوة وفينا لمن بعدنا عبرة وقال الفضل بن مروان المقدم ذكره سمعت
يحيى بن خالد يقول من لم احسن اليه فانا مخير فيه ومن احسنت اليه فانا مرتهن به
وقال القاضى يحيى بن اكثم سمعت المامون يقول لم يكن ليحيى بن خالد ولولده احد في
الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل حيث يقول

اولاد يحيى اربع كاربع الطبايع ✤ فهم اذا اختبرتهم طبايع الصنايع

قال القاضى فقلت يا امير المومنين اما الكفاية والبلاغة والسماحة فنعرفها فيهم
ففي من الشجاعة فقال في موسى بن يحيى وقد رايت ان اوليه ثغر السند وقال
اسحق بن ابرهيم النديم الموصلى المقدم ذكره حدثني ابى قال اتيت يحيى بن خالد بن
برمك فشكوت اليه ضيقة فقال ويحك ما اصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شي
ولكن ها هنا امر ادلك عليه فكن فيه رجلا وقد جاءنى صاحب خليفة مصر يسالنى ان
استهدى صاحبه شيئا وقد ابيت ذلك عليه فالح على وقد بلغنى انك اعطيت بجاريتك
فلانة ثلثة الاف دينار فهو ذا استهديه اياها واخبره انها قد اعجبتنى فاياك ان تنقصها
من ثلثين الف دينار وانظر كيف يكون قال فوالله ما شعرت الا بالرجل وافانى فساومنى
بالجارية فقلت لا انقصها من ثلثين الف دينار فلم يزل يساومنى حتى بذل لى عشرين الف
دينار فلما سمعتها ضعف قلبى عن ردها فبعتها وقبضت العشرين الفا ثم صرت الى يحيى بن
خالد فقال لى كيف صنعت في بيعك الجارية فاخبرته وقلت ما ملكت نفسى ان اجبت الى
العشرين الفا حين سمعتها فقال انك لخسيس وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءنى في مثل
هذا فخذ جاريتك فاذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين الف دينار فانه لابد ان يشتريها
منك بذلك قال فجاءنى الرجل فاستمت عليه خمسين الف دينار فلم يزل يساومنى حتى اعطانى
ثلثين الف دينار فضعف قلبى عن ردها ولم اصدق بها فاوجبتها له ثم صرت الى يحيى بن
خالد فقال لى بكم بعت الجارية فاخبرته فقال ويحك الم تودبك الاولى عن الثانية قال
فقلت والله ضعفت عن رد شى لم اطمع فيه قال فقال هذه جاريتك فخذها اليك قال
فقلت جارية افدت بها خمسين الف دينار ثم املكها اشهدك انها حرة وانى قد تزوجتها
هكذا رايت هذه الحكاية ثم نظرت في كتاب اخبار الوزرا تاليف الجهشيارى فقال ان

يحيى قال لابرهيم الموصلي لا تقبل اقل من مائة الف دينار والله ما باعها بخمسين الفا وقال له
في المرة الثانية لا تقبل اقل من خمسين الف دينار فباعها بثلثين الف دينار وقال الاصمعي
دخلت على يحيى يوما فقال يا اصمعي هل لك اهل فقلت لا قال فجارية تلذ منه
قال فامر باخراج جارية في غاية الحسن والجمال والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا
قال لي يا اصمعي خذها فشكرته ودعوت له فلما رات الجارية ذلك بكت وقالت يا
سيدي تدفعني الى هذا فما ترى من سماجته وقبحه فقال لي هل لك ان اعوضك
عنها الفي دينار قلت ما اكره ذلك فعوضني الفي دينار ودخلت الجارية الى داره فقال
لي انكرت على هذه الجارية امرا فاردت ان اعاقبها بك ثم رحمتها فقلت له هلا اعلمتني
حتى كنت لحقت على صورتي الاصلية من غير ان اسرح لحيتي واصلح عمتي واتطيب في
اتجمل فضحك وامر لي بالف دينار اخرى وحكى اسحق النديم ايضا قال كانت صلات
يحيى بن خالد اذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له اديب شاعر
وانشده

يا سمي الحصور يحيى اتيحت ⁂ لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم ⁂ فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليل ⁂ هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى صدقت وامر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخليفة سأله عن حاله فذكر
انه تزوج وقد اخذ بواحدة من ثلث اما ان يؤدي المهر وهو اربعة الاف واما ان
يطلق واما ان يقيم جاريا للمراة ما يكفيها الى ان يتهيا له نقلها فامر له يحيى باربعة
الاف دينار للمهر وباربعة الاف لثمن منزل وباربعة الاف لما يحتاج اليه المنزل وباربعة
الاف للبنية وباربعة الاف يستظهر بها فاخذ عشرين الفا وانصرف وقال محمد بن
مناذر الشاعر المشهور حج هرون الرشيد ومعه ابناه الامين محمد والمامون عبد الله
وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر فلما صاروا بالمدينة جلس الرشيد ومعه
يحيى بن خالد فاعطى الناس عطاء ثم جلس الامين ومعه الفضل فاعطاهم العطاء فكان
اهل المدينة يسمون ذلك العام عام الثلث الاعطية ولم يروا مثل ذلك قط فقلت في ذلك

اتانا بنو الاملاك من ال برمك ⁂ فيا طيب اخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدى ⁂ واخرى الى البيت العتيق المطهر
اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت ⁂ بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى ⁂ بمكة ما حجوا ثلاثة اقمر
فما خلقت الا لجود اكفهم ⁂ واقدامهم الا لاعواد منبر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة ابي عبد الله محمد بن عمر الواقدي انه قال كنت

حناطا

حناطا بالمدينة في يدي مائة الف درهم للناس اضارب بها فتلفت الدراهم فشخصت
الى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وانست الخدم والحجاب و
سالتهم ان يوصلوني اليه فقالوا اذا قدم الطعام اليه لم يحجب عنه احد ونحن ندخلك اليه
ذلك الوقت فلما حضر طعامه ادخلوني فاجلسوني معه على المائدة فسالني من انت وما
قصتك فاخبرته فلما رفع الطعام وغسلنا ايدينا دنوت منه لاقبل راسه فاشمأز من
ذلك فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه الف دينار فقال
الوزير يقرا عليك السلام ويقول استعن بهذا على امرك وعد الينا من الغد فاخذته
وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة فاتنا فيا بلغني كما سالني في اليوم الاول
فلما فرغ الطعام دنوت منه لاقبل راسه فاشمأز مني فلما صرت الى الموضع الذي يركب
منه لحقني خادم معه كيس فيه الف دينار فقال الوزير يقرا عليك السلام ويقول لك
استعن بهذا على امرك وعد علينا في غد فاخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثالث
فاعطيت مثل ذلك الذي اعطيت في اليوم الاول والثاني فلما كان في اليوم الرابع اعطيت
كما اعطيت قبل ذلك وتركني بعد ذلك اقبل راسه وقال انما منعتك ذلك لانه لم يكن
وصل اليك من معروفي ما يوجب هذا فالان قد لحقك بعض النفع مني يا غلام اعطه
الدار الفلانية يا غلام افرشه الفرش الفلاني يا غلام اعطه مائتي الف درهم يقضي
دينه بمائة الف ويصلح شانه بمائة الف ثم قال لي الزمني وكن في داري فقلت
اعز الله الوزير لو اذنت لي بالشخوص الى المدينة لاقضي الناس اموالهم ثم اعود الى
حضرتك كان ذلك ارفق بي فقال قد فعلت وامر بتجهيزي فشخصت الى المدينة فقضيت
ديني ثم رجعت اليه فلم ازل في ناحيته ودخل عليه يوما قابوس الحميري فانشده

رايت يحيى ادام الله نعمته ⁂ عليه ياتي الذي لم ياته احد
ينسى الذي كان من معروفه ابدا ⁂ الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال قلت قد حل هذا البيت الثاني شرف الدولة مسلم بن
قريش وقد قال له رجل لا تنس ايها الامير حاجتي فقال اذا قضيتها نسيتها ولمسلم بن الوليد
الانصاري في يحيى بن خالد ⁂

اجدك هل تدرين ان رب ليلة ⁂ كان دجاها من قرونك تنشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة ⁂ كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكان يحيى يقول اذا اقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا ادبرت فانفق فانها
لا تبقى وقال ذكر النعم من المنعم تكدير وتنسيان المنعم عليه كفر وتقصير وقال النية
الحسنة مع العلاء الصادق يقومان مقام النجح وقال اذا ادبر الامر كان العطب وقال الحسن بن

سهل المقام ذكره من غير ثقة الولاية لاخوانه علما ان الولاية اكبر منه اخذنا ذلك عن جما
ديوان المكارم ابي علي يحيى بن خالد بن برمك في الجملة وكان ليحيى كاتب يخص بخدمته
ويقرب من حضرته فعزم على ختان ولده فاحتفل له الناس على طبقاتهم وهاداه
اعيان الدولة ووجوه الكتاب والروسا على اختلاف منازلهم وكان لصديق قد
اختلت احواله وضاقت يده عما يريده لذلك مما دخل فيه غيره فعمد الى كيسين كبيرين
نظيفين فجعل في احدهما ملحا وفي الاخر اشنانا مكفرا وكتب معهما رقعة نسختها
لو تمت الارادة لاسعفت بالعادة ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين
الى برك وتقدمت المجتهدين في كرامتك ولكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت الحال
في مباداة اهل النعمة وخفت ان تطوى صحايف البر وليس لي فيها ذكر فانفذت المبتدا
بيمنه وبركته والمختتم بطيبه ونظافته صابرا على الم التقصير ومتجرعا غصص الاقتصار
على اليسير فاما ما لم اجد اليه السبيل في قضاء حقك فالقايم فيه بعذري قول الله
عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والسلام
فلما حضر يحيى بن خالد الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها حتى الكيسين والرقعة
فاستظرفها وامر ان يملا الكيسان مالا ويردا عليه فكان ذلك اربعة الاف دينار
وقال رجل ليحيى والله لانت احلم من الاحنف بن قيس فقال له انما يقرب الي من اعطاني
فوق حقي ونادى اسحق بن ابراهيم الموصلي احد غلمانه وكان يحيى بباب الرشيد يوما
فوقف له رجل فقال يا امير المومنين عطبت دابتي فقال الرشيد يعطى خمس مائة درهم
فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشيد يا ابت اومات الى شي ولم اعرفه قال مثلك لا
يجري هذا القدر على لسانه انما يذكر مثلك خمسة الاف الف عشرة الاف الف قال فاذا
سئلت مثل هذا كيف اقول فقال تقول يشترى له دابة وبالجملة فان اخبارهم كثيرة ولا يحتمل
هذا المختصر الاطالة اكثر من هذا ولما قتل هرون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي كما ذكرناه في
حرف الجيم من هذا الكتاب نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل كما ذكرناه في حرف الفا
من هذا الكتاب وحبسهما في الرافقة وهي الرقة القديمة تجاور الرقة الجديدة وهي البلد
المشهورة الان على شاطي الفرات ويقال لهما الرقتان تغليبا لاحد الاسمين على الاخر كما
قيل العمران والقمران وغير ذلك وحكى الجهشياري في كتاب اخبار الوزراء ان يحيى بن خالد اشتهى
في وقت من الاوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة فلم يتفق له ايجادها الا بمشقة
فلما فرغ منها سقطت القدر من يد المتخذ لها فانكسرت فانشد يحيى ابياتا يخاطب الدنيا
ومضمونها الياس وقطع الاطماع ولم يزل يحيى في حبس الرافقة الى ان مات في الثالث من
المحرم سنة تسعين ومائة فجاة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وقيل اربع وسبعين وصلى

عليه

عليه ابنه الفضل ودفن في شاطي الفرات في ربض هرثمة ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب
بخطه قد تقدم الخصم والمدعى عليه في الاثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور
ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة الى الرشيد فلم يزل يبكي يومه كله وبقي اياما يتبين الاسى
في وجهه رحمه الله تعالى وكان يحيى يجري على سفين الثوري رضي الله عنه كل شهر الف
درهم فكان سفين يقول في سجوده اللهم ان يحيى كفاني امر دنياي فاكفه امر اخرته فلما مات
يحيى راه بعض اخوانه في النوم فقال له ما صنع الله بك قال غفر لي بدعا سفين وقيل ان
صاحب هذه القضية هو سفين بن عيينة لا سفيان الثوري والله اعلم وحكى الجهشياري
ندم الرشيد على ما كان منه في امر البرامكة وتحسر على ما فرط منه في امرهم وخاطب
جماعة من اخوانه بانه لو وثق منهم بصفاء النية لاعادهم الى حالهم وكان الرشيد كثيرا
ما يقول حملونا على نصحائنا وكفاتنا واوهمونا ان يقوموا مقامهم فلما صرنا الى ما
ارادوا منا لم يغنوا عنا وانشد

اقلوا عليهم لا ابا لابيكم ... من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا

قلت هذا البيت للحطيئة الشاعر وبعده ... اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا

وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا قلت وذكر الزمخشري في كتاب ربيع الابرار ما مثاله
وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها

وحق الله ان الظلم لوم ... وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قلت وقد اتيت في هذا المختصر بالقدر الممكن مع ضيق الاوقات وتركت في هذا الباب
الذي هو حرف اليا تراجم كثيرة كان غرضي ذكرها فما اتسع الوقت لاثباتها فاخرتها
مع مسودات اخر كثيرة اعلقتها لكتاب اخر مطول اجمعه على هذا الاسلوب ان
فسح الله في الاجل ووفق للعمل يكون محتويا على فوايد جمة يحتاج اليها من يعتني بهذا
الفن ويستغني من يطالعه عن مراجعة كتب كثيرة فاني انتقيت هذه المسودات من امهات
التواريخ واخبار الناس المتقدمين والمتاخرين وفيما يغلب على الظن لم اترك شيا من
الكتب التي في ايدي الناس المشهورة والخاملة المبسوطة والوجيزة الا اخترت منه
ما يدخل في هذا الكتاب وفي عزمي بعون الله ومشيته ان يكون اكثر من عشرة اسفار
والله عز وجل المسول في الاعانة عليه والارشاد اليه بحوله وقوته ان شاء الله تعالى

ابو المظفر يحيى بن محمد بن الوزير بن هبيرة بن سعيد بن الحسين بن احمد بن الحسن
بن جهم بن عمر بن هبيرة بن علوان بن الحوفزان وهو الحرث بن شريك بن عمرو
بن قيس بن شرحبيل بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن

بكر بن وايل بن مره بن همام بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديله بن اسد
بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان الشيبانى الملقب عون الدين هكذا ساق
نسبه جماعة منهم ابن الدبيثى فى تاريخه وابن القادسى فى كتاب الوزرا وغيرهما
وانما اخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته وذكره الشعراء فى مدائحهم
وهو من قرية من البلد العراق تعرف بقرية بنى اوقر بالقاف من اعمال دجيل
وهى دور عربى مايا بالعين المهمله والنا المثناة من تحت وتعرف الان بدور
الوزير نسبة اليه وكان والده من اجنادها دخل بغداد فى صباه واشتغل
بالعلم وجالس الفقها والادبا وكان على مذهب الامام احمد بن حنبل رضى الله
عنه وحصل من كل فن طرفا وقرا الكتاب العزيز وختمه بالقراات والروايات وقرا
النحو واطلع على ايام العرب واحوال الناس ولازم الكتابه وحفظ الفاظ البلغا
وتعلم صناعه الانشا وكانت قراته للادب على ابى منصور بن الجواليقى وتفقه
على ابى الحسين محمد بن محمد ابن الفرا وصحب الشيخ اباعبد الله محمد بن يحيى بن
على بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدى الواعظ وسمع الحديث النبوى على ابى
عثمن اسمعيل بن محمد بن ملة الاصبهانى وابى القسم هبة الله بن محمد بن الحصين
الكاتب ومن بعدهما وحدث عن الامام المقتفى لامر الله امير المومنين وعن غيره
وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ ابو الفرج بن الجوزى واول ولاياته الاشراف
بالاقرحه الغربيه ثم نقل الى الاشراف على الاقامات المخزنيه ثم قلد الاشراف با
لمخزن ولم يطل فى ذلك مكثه حتى قلد فى سنة اثنين واربعين كتابة ديوان
الزمام ثم ترقى الى الوزاره وكان سبب توليته الوزارة على ما حكاه الذى جمع
سيرته انه قال من جملة مارفع قدر الوزير ونقله الى الوزاره ما جرى من مسعود
البلالى شحنه بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقى
وكان مسعود احد الخدام الجيش الخصيان الكبار من امرا دولته من سوء ادبه فى الحضره و
خروجه عن معتاد الواجب وانتشار مفسدى اصحابه وكان وزير الخليفه اذ ذاك قوام
الدين ابو القسم على بن صدقه بن على بن صدقه كتب عن الخليفة الى السلطان مسعود
عده كتب تشتمل الانكار على مسعود البلالى على ما صدر منه فلم يرجع جواب فلما
قلد عون الدين بن هبيره كتابة ديوان الزمام خاطب الخليفه فى مكاتبة السلطان
مسعود بالقضية فوقع اليه كان الوزير كتب فى ذلك عدة كتب فلم يجبه فراجع عون
الدين فى ذلك سوالك الى ان اجيب فكتب من انشائه رسالة وهى طويله فاضربت عن
ذكرها وحاصل الامر فيها انه دعا له واذكره ما كان من اسلافه يعاملون الخلفا به من حسن

الطاعة

الطاعة وان تاذب معهم والذب عنهم ممن يعتات عليهم وشكا من مسعود البلالى
وانه كاتب فى ذلك عدة دفعات وما جاء جواب واطال القول فى ذلك وكان هذا
فى سنة اثنين واربعين وخمسماية فى شهر ربيع الاخر فما مضى على هذا قليل حتى عاد
الجواب بالاعتذار والذم لمسعود البلالى والانكار لما اعتمده فاستبشر المقتفى بالله
باشارة عون الدين وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين من قلبه ولم يزل عنده
مكينا حتى استوزره قال المصنف وكان ايضا من جملة اسباب وزارته فى سنة ثلث
واربعين وصل الى بغداد الامير بن الفضل المسعودى صاحب الحلة وهو صعع با
لعراق ودلدكز السلطان وقصد فى جموع كثيره وصدر منهم فتن عظيمة تضمنتها
التواريخ فشرع الوزير قوام الدين ابن صدقه فى تدبير الحال فاخفق مسعاه فحينيد
استاذن عون الدين الخليفه فى امرهم فاذن له فى ذلك فخاطب الخارجين على الخليفه
واحسن التدبير فى ذلك حتى كف شرهم ثم قوى عليهم حتى نهب العامة اموالهم وجرت
المقادير بهذه الحال لرفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقه فانه عند انقضاء هذا
المهم استدعى الخليفه المقتفى بالله عون الدين بطاقة على يد اميرين من
امراء الدولة فتبين بفحواه لها التباشير فى اسرته فركب الى دار الخلافة فى
جماعته وتسامع الناس بوزارته فلما وصل الى باب الحجرة استدعى فدخل
وقد جلس له المقتفى بحجمة التاج فقبل الارض وسلم وتحدث ساعة بما لم يحط
به غيرهما علما ثم خرج وقد جهزوا له التشريف على عادة الوزرا ثم استدعى
ثانيا فقبل الارض ودعا بدعاء اعجب الخليفه ثم انشد ؛

ساشكر عمرا ما تراخت منيتى ؛ ايادى لم تمنن وان هى جلت
راى خلتى من حيث يخفى مكانها ؛ فكانت بمرأى منه حين تجلت

قلت وهذان البيتان لابرهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره وهى ثلثه ابيات والثالث
منهما بعد الاول ؛ فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ؛ ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
ولما انشد عون الدين هذين البيتين غير نصف البيت الثانى منهما فان الشاعر قال
فكانت قذى عينيه حتى تجلت فارأى انه يخاطب الخليفه بهذه العبارة فغيرها
تادبا ثم ان عون الدين خرج لحصان ادهم سايل الغره محجل وعليه من الحلى
ما جرت به عادتهم مع الوزرا والشرح فى ذلك يطول فاختصره وخرج بين يديه
ارباب المناصب واعيان الدولة وامرا الحضرة وجميع خدم الخلافة وسائر حجاب
الديوان والطبول تضرب امامه والسند وراه محمول على عادتهم فى ذلك حتى دخل
الديوان ونزل على طرف الايوان وجلس فى الدست وقام القراة عشا ع الشيخ سديد

الدوله ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الانبارى ولولا خوف الاطاله لذكرت العهد
فانه بديع فى بابه لكن قصدى الاختصار فاعرضت عن ذكره وهو مشهود فى ايدى
الناس فلما فرغ من قراته قرا القراء وانشد الشعراء وتولى الوزاره يوم الاربعا
ثالث عشر ربيع الاخر سنة اربع واربعين وخمسمايه وكان عالما فاضلا ذا راى
صايب وسريرة صالحة وظهر منه فى ايام ولايته ما شهد له بكفايته وحسن مقاصده
فشكر له ذلك ولحظ بعين الرعاية وتوفرت اسباب السعادة له وكان مكرما لاهل
العلم يحضر مجلسه الفضلا على اختلاف فنونهم ويقرا عنده الحديث عليه وعلى
الشيوخ بحضوره ويجرى من البحث والفوايد ما يكثر ذكره وصنف كتبا فمن ذلك
كتاب الافصاح فى شرح معانى الصحاح وهو يشتمل على تسعة عشر كتابا شرح الجمع
بين الصحيحين وكشف عما فيه من الحكم النبويه وكتاب المقتصد بكسر الصاد المهمله
وشرحه ابو محمد بن الخشاب النحوى المشهور فى اربع مجلدات شرحا مستوفا فى
الفقه على مذهب الامام احمد وارجوزه فى المقصود والممدود وارجوزه فى
علم الخط وغير ذلك وذكر شيخنا عز الدين ابو الحسن على بن محمد المعروف بابن
الاثير الجزرى فى تاريخه الصغير الاتابكى فى فصل حصار الملك محمد وزين الدين
بغداد وذلك فى ذى القعده من سنة ثلث وخمسين وخمسمايه ان المقتفى لامر
الله جد فى حفظ بغداد وقام وزيره عون الدين بن هبيرة فى هذا الامر القيام الذى
يعجز عنه غيره قال وامر المقتفى فنودى ببغداد من جرح فى القتال فله خمسة دنانير
فكان كل من جرح يحضر ذلك اليه فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحا فقال
الوزير هذا جرح صغير لا يستحق عليه شيا فعاد الى القتال فضرب فى جوفه فخرجت
امعاوه فعاد الى الوزير وقال له يا مولانا الوزير يرضيك هذا فضحك منه وامر له
بصلة واحضر من عالجه انتهى كلام ابن الاثير قلت وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد بن
ملك شاه السلجوقى وزين الدين هو ابو الحسن على بن بكتكين المعروف بكجك والد
مظفر الدين صاحب اربل وقال غير ابن الاثير ان الملك اسمه محمد شاه وان هذه
القضيه كانت فى سنة اثنين وخمسين والله اعلم ذكر ذلك ابن الجوزى فى كتاب شذور
العقود وهو اخبر لانها بلدة وهو بها وقد ذكرت محمد شاه فى ترجمة ابيه وتوفى الامام
المقتفى لامر الله ابو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة الاحد ثانى شهر ربيع الاول
سنة خمس وخمسين وخمسمايه وبويع ولده المستنجد بالله ابو المظفر يوسف فدخل
عليه وبايعه واقره على وزارته الى حين وفاته ومدحه جماعة من اماثل عصره منهم
ابو الفوارس سعد بن محمد المعروف بابن صيفى الملقب حيص بيص المقدم ذكره له فيه مدايح

منجمله

منجمله من ذلك قوله يهز حديث الجود ساكن عطفه ❊ كما هز شرب الحى صهبا قرقف
ويرسوا اذا طاشت حجا القوم واغتدت ❊ سحاب الدرى من زعزع الخطب حفحف
صروم الدنايا هاجر كل سبه ❊ ولكنه بالمجد صب مكلف
يضيق بادنا العار ذرعا وصدره ❊ باهوال ما يلقى من الحمل يعنف
اذا قيل عون الدين يحيى تالق الغمام ❊ وماس السمهري المثقف

وكان عوايدهم فى بغداد فى شهر رمضان ان الاعيان يحضرون سماط الخليفه عند
الوزير وهم يسمون السماط الطبق فكان حيص بيص من جملة من يحضر الطبق وكان
نفسه ابيه وهمته عليه واذا حضر الطبق تخطاه وقعد فوقه من ارباب المراتب
جماعة ليس فيهم فضل فيجد فى نفسه لذلك مشقة عظيمه فكتب الى الوزير
عون الدين يستعفيه من الحضور ❊

يا باذل المال فى عدم وفى سعة ❊ ومطعم الزاد فى صبح وفى غسق
وحاشر الناس اغنتهم فواضله ❊ الى مزيد من النعماء مندفق
فى كل بيت خوان من مكارمه ❊ يميرهم وهو يدعوهم الى الطبق
فاض النوال فلولا خوف مفعمة ❊ من باس عدلك بادى الناس بالغرق
وكل ارض بها صوب وساكبه ❊ حتى الوغى من نجيع الخيل والعرق
صن منكبى عن زحام ان غضبت له ❊ تمكن الطعن من خلقى ومن خلقى
وان رضيت به فالاذلال منقصة ❊ وكم تكلفته جهلا فلم اطق
انا المريض باخلاقى وسودتها ❊ وليس غير ابايى حافظا رمقى
وهبة لى كعطاياك التى كثرت ❊ فالجود بالعز فوق الجود بالورق
ان اصفر وجه الشمس من حزن ❊ على علاها المرماها الى الافق
وان توهم قوم انه حمق ❊ فربما اشبه التوقير بالحمق

واهدى الى الوزير عون الدين دواه بلور مرصعة بمرجان وفى مجلسه جماعة فيهم حيص
بيص فقال الوزير يحسن ان يقال فى هذه الدواه شى من الشعر فقال بعض الحاضرين
وكان ضريرا ولم اقف على اسمه ❊

الين لداود الحديد كرامة ❊ يقدره فى السرد كيف يريد
ولان لك البلور وهو حجارة ❊ ومعطفه صعب المرام شديد

فقال حيص بيص اعما وصفت صانع الدواه ولم تصفها فقال الوزير من عنده فقال حيص بيص

صيغت دواتك من يوميك فاشتبها ❊ على الانام ببلور ومرجان
فيوم سلمك مبيض بفيض ندى ❊ ويوم حربك قان بالدم القانى

وممدحه ابو عبد الله محمد بن مختار المعروف بابن ابلة الشاعر المقدم ذكره بقصائد عديدة منها قوله

ولع النسيم وبانة الجرعا ... وصفاك الا الحلي والودعا
يا دمنة ضاقت ملاعبها ... وصفت بمحبها ذرعا
قد كنت ذا دمع وذا جلد ... فبقيت لا جلدا ولا دمعا
صيرت جسمي للضنا سكنا ... وسكنت بعد سلاله الجرعا
يا من رأى ادما سانحة ... قلبي لها لا المغنى مرعى
كانت بمثل الدعص مئزرها ... وجلت بعود اراكه طلعا
واذا تراجعك الكلام فلا ... تعلم لايام الصبا رجعا
ولقد سعت بالكاس مهجتي ... سكرى اللواحظ وعنه السعا
في مستنير الزهر ما ضعت ... ابراده عدن ولا صنعا
باكرت مفتوعا شراه ... ومناكب الحمام لبانه فرعا
سلت عليه البارقات ظبا ... لبس الغدير بخوفها درعا
يا عاذلي ان شئت تسمعني ... عذلا فثق لصخرة سمعا
طبعا جبلت على الغرام كما ... جبل الوزير على الندى طبعا

وهو يجعل هذا الى المديح فاضربت عنه خوف الاطالة ومدحه ابو الفتح محمد بن عبد الله سبط ابن التعاويذي المقدم ذكره بقصيدة واحدة وهي

سقاها الحيا من اربع وطلول ... حكت دنفي من بعدهم ونحولي
ضمنت لها اجفان عين قريحة ... من الدمع مد دار الشؤون هطول
لئن حال رسم الدار عما عهدته ... فعهد الهوى في القلب غير محول
خليلي قد هاج الغرام وشاقني ... سنا بارق بالاجرعين كليل
ووكل طرفي بالسهاد نظرة ... تقاضى ملي بالديون مطول
اذا قلت قد اخفت جسمي صبابة ... يقول وهل حب بغير نحول
فان قلت دمعي بالاسى لي شاهد ... يقول شهود الدمع غير عدول
فلا تعذلاني ان بكيت صبابة ... على ناقض عهد الوفاء ملول
فابرح ما القى به الحب في الهوى ... ملال حبيب او ملام عذول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل ... لعبن بالباب لنا وعقول
غداة التقت الحاظها وقلوبنا ... فلم يخل الا عن دم وقتيل
الا حبذا وادي الاراك وقد سرت ... برياك ريحا شمال وقبول
وفي ابرديه كلما اعتل القبا ... شفا فؤاد بالغرام عليل

دعوت سلوا فيك غير مساعد ... وحاولت صبرا عنك غير جميل
تعرفت اسباب الهوى وحملته ... على كاهل للنائبات حمول
فلم احظ من حب الغواني بطائل ... سوى ولعي ليل بالغرام طويل

ومنها

الى كم تمنيني الليالي بماجد ... رزين وقار الحلم غير عجول
اهز اختيالا في ذراه معاطفي ... واسحب تيها في ثراه ذيولي
لقد طال عهدي بالنوال وانني ... لصب الى تقبيل كف نبيل
وان يدي يحيى الوزير لكافل ... بمالي وعون الدين خير كفيل

وكان عون الدين كثيرا ما ينشد

ما ناصحتك خبايا الود من احد ... ما لم ينلك بمكروه من العذل
مودتي لك تابى ان تسامحني ... بان اراك على شيء من الزلل

وذكر الشيخ شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزعلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين ابي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي سماه مرآة الزمان ورايته بدمشق في اربعين مجلدا وجميعه بخطه وكان ابوه قزعلي مملوك عون الدين بن هبيرة المذكور فزوجه بنت الشيخ جمال الدين ابي الفرج المذكور فاولدها شمس الدين فولاه لهذا انه سمع مشايخ بغداد يحكون ان عون الدين قال كان سبب ولايتي المخزن اني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت اياما فاشار علي بعض اهلي ان امضي الى قبر معروف فصليت عنده ودعوت ثم خرجت لاقصد البلد يعني بغداد فاجتزت بقطفتا وهي محلة من محال بغداد قال فرايت مسجدا مهجورا فدخلت اصلي ركعتين واذا بمريض ملقى على باريه فقعدت عند راسه وقلت ما تشتهي فقال سفرجلة قال فخرجت الى بقال هناك فرهنت عنده ميزري على سفرجلتين وتفاحة واتيته بذلك فاكل من السفرجلة ثم قال اغلق باب المسجد فاغلقته فتنحى عن البارية وقال احفر ههنا فحفرت فاذا بكوز فقال خذ هذا فانت احق به فقلت اما لك وارث قال لا وانما كان لي اخ وعهدي به بعيد وبلغني انه مات ونحن بالرصافة قال وبينما هو يحدثني اذ قضى فغسلته وكفنته ودفنته ثم اخذت الكوز وفيه مقدار خمس مائة دينار واتيت دجلة لاعبرها واذا بملاح في سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة فقال معي معي فنزلت معه واذا به اكثر الناس شبها بذلك الرجل فقلت من اين انت فقال من الرصافة ولي بنات وانا صعلوك فقلت ما لك احد قال لا كان لي اخ ولي عنه زمان وما ادري ما فعل الله به فقلت ابسط حجرك فبسطه فصببت المال فيه فبهت فحدثته الحديث فسالني ان اخذ نصفه فقلت والله ولا حبة منه ثم صعدت الى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها اشراق المخزن ثم تدرجت الى الوزارة

وقال جدي الشيخ ابو الفرج في كتاب المنتظم وكان الوزير يسال الله تعالى الشهادة و
يتعرض لاسبابها وكان صحيحا يوم السبت ثاني عشر جمادى الاولى من سنة
ستين وخمسمائة فنام ليلة الاحد في عافية فلما كان وقت السحر قاء فحضر طبيب
كان يخدمه فسقاه شيئا فيقال انه سمه فمات وسقي الطبيب بعده بنحو ستة
شهر سما وكان يقول سقيت كما سقيت ومات الطبيب وقال في المنتظم ايضا وكنت
ليلة مات الوزير نايما على سطح مع اصحابي فرايت في المنام كاني في دار الوزير
وهو جالس فدخل رجل بيده حربة فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب
الحايط فالتفت فاذا بخاتم من ذهب ملقى فاخذته وقلت لمن اعطيه انتظر خادما
يخرج فاعطيه اياه وانتبهت فحدثت اصحابي فلم استتم الحديث حتى جاء رجل فقال لما
الوزير فقال بعض الحاضرين هذا محال انا فارقته امس العصر وهو في عافية وجاء اخر و
صح الحديث وقال لي ولده لابد ان تغسله فاخذت في غسله ورفعت يده لاغسل مغابنها
قلت المغابن مطاوي البدن مثل الابط وغيره واحدها مغبن بفتح الميم وكسر الباء
الموحدة وسكون الغين المعجمة قال فسقط الخاتم من يده فحين رايت الخاتم تعجبت من
المنام قال ورايت في وقت غسله اثارا في وجهه وجسده تدل على انه مسموم فلما
خرجت جنازته غلقت الاسواق ببغداد ولم يتخلف عن جنازته احد وصلى عليه في جامع
القصر وحمل الى باب البصرة فدفن في مدرسته التي انشاها وقد درست الان ورثاه جماعة
من الشعراء انتهى كلام ابي الفرج ابن الجوزي وقال مولف سيرة الوزير المذكور ان
سبب موته كان بلغما ثار لمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد فبقي مهملا فقصر عن
استفراغه فدخل الى بغداد يوم الجمعة سادس جمادى الاولى وركب متحاملا الى
المقصورة لصلاة الجمعة فصلى وعاد الى داره فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم فوقع
مغشيا عليه فضج الجواري فافاق فسكتهن وبلغ الخبر ولده عز الدين ابا عبد الله محمد
وكان ينوب عنه في الوزارة فبادر اليه فلما دخل عليه قال له قد بعث استاذ الدار عضد
الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رييس الرؤسا المعروف بابن المسلمة
جماعة ليستعلم ما هذا الصياح فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال وانشد

وكم شامت بي عند موتي جهالة ؛ بظلم يسل السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا ينا له ؛ من الضر بعدي مات قبل مماتي

ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضى للصلاة وصلى قاعدا فسجد فابطا
عن القعود من السجود فحركوه فاذا هو ميت وطولع به الامام المستنجد فامر بدفنه و
خلف ولدين احدهما عز الدين المذكور والاخر شرف الدين ابو المظفر واقاموا له فقد

ذكره ابو عبد الله محمد بن القادسي في تاريخ الوزراء وانه ولد في سنة سبع وتسعين و
اربعمائة على ما ذكره من لفظه رحمه الله تعالى قال بعضهم رايته في المنام بعد موته
فسالته عن حاله فقال ؛

قد سالنا عن حالنا فاجبنا ؛ بعد ما حال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفا ما كسبنا ؛ ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا

ولما بلغ خبر موته عضد الدين ابو الفرج استاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط
ابن التعاويذي المذكور قبل هذا وهو من موالي بني المظفر واسمه نشتكين فسماه ابنه
عبد الله فاراد سبط التعاويذي ان يتقرب الى قلب عضد الدين لعلمه بما بينه وبين الوزير
فانشد مرتجلا قال لي والوزير قد مات قوم ؛ قم فبك ابا المظفر يحيى
قلت اهون عندي بذلك رزءا ؛ ومضا بابن المظفر يحيى
وقال اخر ولا اذكر اسمه الان لكنه من الشعراء المشاهير ؛

ايا رب مثل الماجد بن هبيرة ؛ يموت ويحيى مثل يحيى بن جعفر
يموت بيحيى كل فضل وسودد ؛ ويحيى بيحيى كل جهل ومنكر

والمقصود ان محاسنه كانت كثيرة وقد اطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها
ورايت في كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تاليف ابي الخطاب بن دحية
غلطا احببت التنبيه عليها في هذا الكتاب لئلا يقف عليها احد فيظنه صحيحا فيما
ذكره وهو انه قال في خلافة المقتفي لامر الله ما مثاله وسعد بوزيره ابي المظفر عون
الدين يحيى بن محمد بن هبيرة من ولد الامير الكبير ابي حفص عمر بن هبيرة وقد ذكر
المورخون فضايل جده التي حازها عون الدين من بعده ثم ذكر مكرمة جرت لعمر بن
هبيرة الفزاري امير العراقين في دولة بني امية وظن ابن دحية ان الوزير المذكور
من ذريته ذلك المقدم وعجبت منه في ذلك فان الوزير شيباني النسب كما شرحناه
في اول الترجمة وذلك فزاري النسب كما سياتي في ترجمة ولده يزيد بن عمر بن هبيرة ان شاء الله
تعالى وابن شيبان من فزاره ولا شك انه ما اوقعه في هذا الغلط الا مساواة في نسب الوزير
فقد جاء فيه عمر بن هبيرة فتوهم ان هذا هو ذاك وليس الامر كما توهمه ومثل ابن دحية
لا يعذر فقد كان حافظا ومطلعا على امور الناس وهذا امر واضح لكن الخطا موكل
بالانسان قلت واكثر من جرى ذكره في هذه الترجمة قد تقدم ذكره في هذا التاريخ فيغني
وافردت لكل واحد منهم بترجمة مستقلة سوى الشيخ الزبيدي فانه كان كبير القدر يامر با
لمعروف وينهى عن المنكر وما انتفع الوزير الا بصحبته وما ذكرته في هذا التاريخ فينبغي التنبيه
عليه اذ مثله لا يهمل وكان دخوله بغداد في سنة تسع وخمسمائة وتوفي في شهر الاول سنة خمس

وخمسين وخمسمايه رحمه الله تعالى وقال ابو عبد الله بن النجار في تاريخ بغداد ان مولده
يزيد في ليلة الاربعا الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين واربعمائة وتوفي يوم
الاثنين مستهل ربيع الاخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور
ببغداد رحمه الله تعالى وقول الاخر

ايا رب مثل الماجد بن هبيرة ❊ يموت ويحيى مثل يحيى بن جعفر

فالمراد به ابو الفضل يحيى بن ابي القسم عبد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر الملقب زعيم
الدين تولى النظر بالمخزن في جمادى الاخرة سنة اثنين واربعين وخمسمائة الى سنة تسع
وستين وفيهما ناب في الوزارة بعد عزل ابي الفرج بن المظفر ولم يزل على ذلك الى ان توفي
وكان مشكور السيرة محمود الطريقة محبا لاهل العلم وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشا
الاخرة التاسع والعشرين من صفر سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفي ليلة العشرين
من ربيع الاول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد في الحربية بتربة
له رحمه الله تعالى ابو طالب يحيى بن ابي الفرج سعيد بن ابي القسم هبة الله بن علي
بن زباده الشيباني الكاتب المنشي الواسطي الاصل البغدادي المولد والدار والوفا
الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين كان من الاعيان الاماثل والصدور والافاضل
انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشا والحساب مع مشاركته في الفقه وعلم الكلام
والاصول وغير ذلك وله النظم الجيد جالس ابا منصور بن الجواليقي وقرا عليه وعلى من بعده
وسمع الحديث من جماعة وخدم الديوان من صباه الى ان توفي عدة خدمات و
كان مليح العبارة في الانشاء جيد الفكرة حلو الترصيع لطيف الاشارة وكان الغالب
عليه في رسايله العناية بالمعاني اكثر من طلب التسجيع وله رسايل بليغة وشعر رايق
وفضله اشهر من ان يذكر وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ولم يزل على ذلك
الى ان طلب من واسط في المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ورتب حاجبا بباب
النوبي وقلد النظر في المظالم ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وسبعين
ثم اعيد اليه في جمادى الاولى سنة اثنين وثمانين فلما قتل استاذ الدار وهو مجد
الدين ابو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب
وكان قتله يوم السبت تاسع عشر شهر ربيع الاول سنة ثلث وثمانين وخمسماية
ترتب ابن زباده المذكور مكانه ثم عزل في سنة خمس وثمانين وعاد الى واسط فاقام
بها الى ان استدعي في رمضان سنة اثنين وتسعين وقلد ديوان الانشا في يوم
الاثنين الثاني عشرين في شهر رمضان ثم رد اليه النظر في ديوان المقاطعات فكان
على ذلك الى حين وفاته وكان حسن السيرة محمود الطريقة مقتديا حدث بشي يسير

وكب

وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه ونثره فمن ذلك قوله

باضطراب الزمان ترتفع الانذال فيه حتى يعم البلاء ❊
وكذا الماء ساكنا فاذا حرك ثارت من قعره الاقذاء ❊

وله

اني لاعظم ما تلقونني جلدا ❊ اذا توسطت هول الحادث الجلل
كذلك الشمس لا تزداد قوتها ❊ الا اذا حصلت في ذروة الاسل

وكتب الى الامام المستنجد يهنيه بالعيد ❊

يا ماجدا اجل قدرا ان نهنيه ❊ لنا الهناء بظل منك ممدود
الله هواك ويوم العيد منك وما ❊ في العرف انا نهني العيد بالعيد

وله

ان كنت تسعى للسيادة فاستقم ❊ تنل المراد ولو سموت الى السما
الف الكتابة وهو بعض حروفها ❊ لما استقام على الجميع تقدما

وله ايضا

لا تغبطن وزيرا للملوك وان ❊ اناله الدهر منهم فوق همته
واعلم بان له يوما تمور به ❊ الارض الوقور كما مارت لهيبته
هرون وهو اخو موسى الشقيق له ❊ لولا الوزارة لم ياخذ بلحيته

وله كل معنى مليح وله ديوان رسايل وقفت عليه في بلادنا ولم يحضرني شي منه
كي اثبته ها هنا وقال ابو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي في تاريخه انشدنا ابو طالب
يحيى بن سعيد بن هبة الله يعني ابن زباده المذكور من حفظه قال انشدني ابو بكر احمد بن
محمد الارجاني قدم بغداد علينا في سنة ثمان وثلثين وخمسمايه لنفسه قلت وهو
ناصح الدين احمد الارجاني المقدم ذكره ❊

ومقرومة العينين من دهش النوى ❊ وقد راعها بالعيس رجع حداه
تجيب باحدى مقلتيها تحيتي ❊ واخرى تراعي اعين الرقبا
رات حولها الواشين طافوا فغيضت ❊ لهم دمعها واستعجمت بجوابها
فلما بكت عيني غداة وداعهم ❊ وقد روعتني فرقة القرناء
بدت في محياها خيالات ادمعي ❊ فغاروا فظنوا ان بكت لبكاي

وكتب اليه ابو الغنايم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر المقدم ذكره
وقد عزل عن نظر واسط ❊ ولانت ان لم يثن الفت الورى ❊ بيمامك الهتان
لم يعزلوك عن البلاد لخالة ❊ تدعو الى النقصان والشنان

بل مذ رأوا أتباع جودك زاخرا ❊ حفظوا بلادهم من الطوفان

قلت وحكى لي الوجيه ابو عبد الله محمد بن علي بن ابي طالب المعروف بابن سويد التاجر التكريتي قال كان الشيخ محيي الدين ابو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين ابي الفرج بن الجوزي الواعظ المشهور قد توجه رسولا من بغداد الى الملك العادل بن الملك الكامل بن العادل بن ايوب سلطان مصر في ذلك الوقت وكان اخوه الملك الصالح نجم الدين ايوب محبوسا في قلعة الكرك يومئذ وقد شرحت ذلك في ترجمة الكامل في هذا التاريخ قال الوجيه فلما عاد محيي الدين راجعا الى بغداد وقدم دمشق كنت بها فدخلت عليه انا والشيخ اصيل الدين ابو الفضل عباس بن عثمان بن نبهان الاربلي وكان راس التجار في عصره وجلسنا نتحدث معه فقال قد حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك ان لا يخرج الملك الصالح من الحبس الا بامر اخيه الملك العادل قال فقال له الاصيل يا مولانا هذا بامر الديوان العزيز فقال محيي الدين وهل هذا يحتاج الى اذن هذا اقتضته المصلحة ولكن انت تاجر يا اصيل الدين فقال يعني مولانا اني كبرت وما ادري ما اقول وانا احكي لمولانا حكاية في هذا المعنى اعرفها من غرائب الحكايات قال هات فقال كان ابن رئيس الرؤسا ناظر واسط يحمل في كل شهر حمل واسط وهو ثلثون الف دينار لا يمكن ان يتاخر يوما واحدا عن العادة فتعذر في بعض الاشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلك وذكر لنوابه فقالوا له يا مولانا هذا ابن زيادة لما عليه من الحقوق اضعاف ذلك ومتى طالبته قام بما يتمم الحمل وزيادة فاستدعاه وقال له انت لم تؤدي كما يؤدي الناس قال انا معي خط الامام المستنجد بالمسامحة قال فهل معك خط مولانا الامام الناصر قال لا قال فقم واحمل ما يجب عليك قال ما التفت الى احد ولا احمل شيئا ونهض من المجلس فقال النواب لابن رئيس الرؤسا انت صاحب الديوان وناظر النظار ما على يدك يد ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ولو كبست داره واخذت ما فيها ما قال احد شيئا وحملوه على ذلك حتى ركب بنفسه واجناده وكان ابن زيادة يسكن قبالة واسط وقد مولا ابن رئيس الرؤسا السفن حتى يعبر اليه واذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال ما قدم هذا الا في مهم ننظر ما هو ثم نعود الى ما نحن بسببه فلما دنا من الزبزب واذا فيه خادم من خدام الخليفة فصاحوا ابسطوا الارض فقبل الارض وناولوه مطالعة وفيها قد بعثنا خلعة ودواة لابن زيادة فتجعل الخلعة على راسك والدواة على صدرك وتمشي راجلا اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه الينا وزيرا فحمل الخلعة على راسه والدواة على صدره ومشى اليه راجلا فلما راه ابن زيادة انشده ابن رئيس الرؤسا ❊

اذا المرء

اذا المرء حي فهو يرجى ويتقى ❊ وما يعلم الانسان ما في المغيب

واخذ بعضده اليه فقال له ابن زيادة لا تثريب عليكم اليوم وركب في الزبزب الى بغداد وما اعلم احدا ارسل اليه الوزارة غيره فلما وصل الى بغداد اول ما نظر فيه ان عزل ابن رئيس الرؤسا عن نظر واسط وقال هذا ما يصلح لهذا المنصب ثم قال الاصيل والا يا مولانا ان يخرج الملك الصالح ويملك ويعود اليه رسولا ويقع وجهك في وجهه وتستحي منه فانشده محيي الدين المذكور ❊

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ❊ وينشر في الموتى كليب بن وائل

فما كان الا مديدة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر وكان ما كان وكنت بمصر ومحيي الدين بها رسولا الى العادل وقبض العادل وجاء الصالح فخرج محيي الدين لتلقاه وشاهدت ذلك هكذا ذكر لي الوجيه هذه الحكاية وفيها غلط اما من الوجيه او من الاصيل فان ابن زيادة ما ولي الوزارة ولا تولى الا ما ذكرته في اوائل ترجمته فان كان هذا صحيحا فيكون ذلك لما طلب للانشاء كما شرحته والله اعلم بالصواب قال ابن الدبيثي المذكور سالت ابا طالب بن زيادة عن مولده فقال ولدت يوم الثلثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسماية وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اربع وتسعين وخمسماية وصلي عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما يعني ببغداد وزيادة بفتح الزاي وهو القطعة من الزباد الذي يتطيب به النا

يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي ذكره الحافظ ابو سعد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد فقال له شعر مطبوع غير متكلف وكتب لي ابياتا وسمعت من شعره منه وسالته عن مولده فقال ولدت في المحرم سنة ست وثمانين واربعماية بمنبج واورد له مقاطيع انشدها ابياتا فمن ذلك قوله ❊

واغيد غض زاد خط عذاره ❊ لعاشقه في همه والبلابل
تموج بحار الحسن في وجناته ❊ فتقذف منها عنبرا في السواحل
ويجري بخديه الشبيبة ماؤها ❊ فتنبت ريحانا جنوب الجداول

قلت وقد خطر لي على هذا ماخذ وهو انه جعل في البيت الثالث ويجري بخديه الشبيبة ماؤها وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة الى بحار الحسن وما كفى هذا حتى جعلها جداول والجداول الانهار واين الانهار من البحار ثم انه في البيت الثاني شبه العذار بالعنبر فكيف يجعله في البيت الثالث ريحانا واين العنبر من الريحان وان كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء ان يشبهوا به العذار لكن في مقطوع واحد من الشعر

ما الهم عاده يجمعون بينهما وكنت قد سمعت في زمن الاشتغال بالادب بيتين
استحسنتها ولم اعرف قايلهما وهما ؞

يا عاذلي في حب ذي عارض ؞ ما البلد المخصب كالماحل
يموج بحر الحسن في خده ؞ فيقذف العنبر في الساحل

فلما كان في اوايل سنه اثنين وسبعين وستمايه وقفت في القاهرة المحروسه
على مجلد من كتاب السيل والذيل تاليف عماد الدين الكاتب الاصبهاني وقد
جعله ذيلا على كتاب خريدة القصر وجريدة العصر فرايت فيه ترجمه يحيى بن نزار
المنبجي المذكور وقد ذكر له مقدار اثني عشر بيتا يمدح بها السلطان نور الدين
محمود بن زنكي رحمه الله تعالى في جملة الابيات البيت الثاني من هذين البيتين فعلمت
ان الذي نظم ذلك المعنى في البيت الثاني من الثلثه هو الذي نظم هذا البيت
في هذه الابيات التي ذكرها في كتاب السيل والذيل ثم بعد ذلك بقليل جاءني
صاحبنا جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن احمد المعروف بالحافظ اليغموري فتذاكرنا
وجرى ذكر البيتين وقال انهما لعماد الدين ابي المناقب حسام ابن عربي بن يونس
الحلي نزيل دمشق وذكر انه سمعهما منه وانه ادعاهما لنفسه فقلت له البيت الذي
فيه المعنى ليس له بل هو ليحيى بن نزار المنبجي ويكون العماد الحلي قد نظم البيت
الاول وجعله توطية للثاني واستعمله على وجه التضمين كما جرت العادة في مثله
لكنه كان ينبغي له ان ينبه على انه تضمين كيلا يعتقد من يقف عليهما انهما له فالبيت
الاول في جمله ابيات يحيى بن نزار المنبجي التي يمدح بها نور الدين رحمه الله تعالى
ثم بعد ذلك خطرت لي مؤاخذة على العماد الحلي فانه قال في بيته الذي جعله توطيه
للثاني ما البلد المخصب كالماحل والخصب والمحل انما يكونان بسبب النبات وعدمه
والبيت الثاني الذي هو التضمين شبه العذار بالعنبر وابن النبات من العنبر فالتوطية
بين البيتين ليست بملايمه وهذه المؤاخذه مثل المؤاخذة الاولة المتقدمه على الابيات
الثلثة وكنت وقفت على بيتين للعماد الحلي ايضا انشدنيهما عنه جماعة وهما ؞

قيل لي من هويت قد عبث الشعر ؞ بخديه قلت ما ذاك عاره
جمرة الخد احرقت عنبر الخال ؞ فمنها ذاك الدخان عذاره

وسنح لي مؤاخذه مثل المؤاخذة المذكوره وهي انه لما قيل له ان الشعر عبث بخديه
ما انكر ذلك بل قال ما ذاك عاره فقد وافق على انه شعر غاية ما في الباب انه قال هذا
هو الشعر ما هو عاره فكيف يقول بعد هذا جمرة الخد احرقت عنبر الخال الى اخره
فجعل العذار دخان العنبر واين دخان العنبر حتى يتم له المعنى وقد نظم صاحبنا ورفيقنا

في الاشتغال

في الاشتغال بحلب عون الدين ابو الربيع سليمان بن بهاء الدين عبد المجيد
بن العجمي بيتين الم فيهما بهذا المعنى وهما ؞

لهيب الخد حين بدا لعيني ؞ هوى قلبي عليه كالفراش
فاحرقه فصار عليه خالا ؞ وها اثر الدخان على الحواشي

وقد احسن في هذا وخلص من تلك المؤاخذه لكن وقع في مؤاخذة اخرى وهي انه
جعل العذار دخان احتراق قلبه والعماد جعله دخان عنبر الخال وبين الدخانين
بون كبير فهذا الحبيب الراجح وذاك كربه الراجح وقد سبق في ترجمة عبد الله
بن صاره الشنتريني بيتان ابدع فيهما وهما قوله ؞

ومهفهف رقت حواشي حسنه ؞ فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما ؞ نفضت عليه صباغها الاحداق

والاصل في هذا الباب كله قول ابي اسحق ابرهيم الصابي الكاتب في غلامه الاسود
واسمه يمن وقد سبق ذكر الابيات في ترجمته من هذا الكتاب والمقصود منها
هاهنا قوله ؞ لك وجه كان يمناي ؞ خطته بلفظ تمله امالي
فيه معنى من البدور ولكن ؞ نفضت صبغها عليه الليالي

ويتبع عون الدين فيهما المامه بقول ابي الحسين احمد بن منير الطرابلسي المقدم ذكره

لا تخالوا الخال يعلو خده ؞ قطرة من دم جفني نطفت
ذاك من نار فوادي جذوة ؞ فيه ساخت وانطفت ثم طفت

قال وقد خرجنا عن المقصود وانتشر الكلام لكن ما خلا من فايدة وقال ابو سعيد
السمعاني ايضا انشدني يحيى بن نزار المنبجي لنفسه ؞

لو صد عني دلالا او معاتبة ؞ لكنت ارجو تلافيه واعتذره
لكن ملالا فلا ارجو تعطفه ؞ جبر الزجاج عسير حين ينكسر

وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفه وقال ابو الفرج صدقة بن الحسين الحداد في تاريخه
المرتب على السنين ما مثاله سنة اربع وخمسين وخمسمايه في ليلة الجمعه سادس ذي
الحجة مات يحيى بن نزار المنبجي ببغداد ودفن بالوردية قيل انه وجد في اذنه ثقلا
فاستدعا انسانا من الطرقية فامتص اذنه فخرج شي من مخه فكان سبب موته
رحمه الله تعالى وقال السمعاني هو اخو ابي الغنايم التاجر المعروف وذكر ابا الغنايم
ووصفه واثنى عليه في ترجمة مستقلة في كتاب الذيل ايضا رحمه الله تعالى واما العماد
الحلي فانه كان اديبا لطيفا ظريفا على ما يحكى عنه من النوادر وله نظم مليح في المقاطيع
دون القصايد وكان يحفظ المقامات وشرحها وتوفي في ليلة الاربعا عاشر شهر

ربيع الاول سنة تسع وعشرين وستمائة ونشاء بالمحلة فنسب اليها ويعرف بابن الجمال
ثم وجدت فى مسودات بخطى بيتا منسوبا الى الوجيه ابى الحسن على بن يحيى بن
ابى الحسن بن احمد المعروف بابن الزردى الاديب الشاعر وهو ؞

عذاره دخان نار خاله ؞ وريقه من ماء ورد خده

ثم وجدت منسوبا الى ابن سنا الملك المقدم ذكره والصحيح انها للاسعد بن مماتى
المقدم ذكره ايضا ؞ سمراء قد ازرت بكل سمر ؞ بلونها ولينها وقدها

انفاسها دخان ند خالها ؞ وريقها من ماء ورد خدها
لو كتب البدر الى خدمتها ؞ بلطفها ترجمه بعبدها

ورايت للمهذب ابى نصر محمد بن محمد بن ابرهيم بن الخضر الحلبى المعروف بابن البرهان
الحاسب المنجم الطبرى ومعشوق راقت نضارة وجهه فالعين تنظر منه احسن منظر

اصلا نار الخد عنبر خاله ؞ فبدا العذار دخان ذاك العنبر

فقلت ان العماد المحلى انما اخذ ذلك المعنى من احد هؤلاء والله اعلم

ابو الحسين يحيى بن ابى على منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد بن داود
بن الجراح المصرى وهذه الزيادة فى نسبه وجدتها بخط بعض الفضلا الادبا
ولا اتحققها والاول صحيح الكاتب المنعوت تاج الدين كتب فى ديوان الانشا
بالديار المصرية مدة طويلة وكتب الكثير وكان خطه فى غاية الجودة وكان
فاضلا اديبا متفننا له نظم حسن وشعره فايق ورسايل انيقة سمع
الحديث بثغر الاسكندرية المحروس على الحافظ ابى طاهر السلفى وابى
الثنا حماد بن هبة الله الحرانى وحدث وسمع الناس عليه وله لغز فى الدملج
الذى يلبسه النساء وهو بديع فى بابه فاحببت ذكره وهو نثر ؞ ما شى قلبه
حجر ؞ ووجهه قمر ؞ ان تدانيه صبر ؞ واعتزل البشر ؞ وان اجعته رضى بالنوى
وانطوى على الجوى ؞ وان اشبعته قبل قدمك ؞ وصحب خدمك ؞ وان علقته
ضاع ؞ وان ادخلته السوق ابى ان يباع ؞ وان اظهرته حمل المتاع ؞ واحسن الامتاع
وان شددت ثانيه وحذفت منه القافيه ؞ كدر الجوه واوجب التخفيف فى
الصلوة ؞ واحدث فى وقت العصر الفجر ؞ ووقت الفجر الجلد وجمع بين العقبى
وقبح الاثر ؞ هذا وان فصلته دعا لك ؞ وابقى ما ان ركبته هالك ودعا بلغك
امالك وكثر مالك واحسن بعونه مالك والسلام ؞ قلت وهذا اللغز قد يقف عليه
من لا يعرف طريق حله فيعسر عليه تفسيره فيحتاج الى الايضاح فاقول اما قوله
ما شى قلبه حجر فمراده قلب حروف دملج فانا اذا قلبنا هذه الحروف يخرج منها جلمد

وهو

وهو الحجر وقوله ووجهه قمر يريد انه مستنير كالقمر وقوله ان تدانيه صبر واعتزل
البشر فالانسان اذا القى الدملج عنه صبر وعتزل بشرته اذ ليس فيه اهليه
المنع فهو يصبر و يعتزل المكان الذى كان فيه وقوله وان اجعته رضى بالنوى
لفظ مشترك يقع على البعد وعلى النوى التمر وعادتهم فى بلاد العراق ان
يطعموا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر وقصد هاهنا التورية
فان الدملج اذا اخرج من العضد او الساق فقد جاع فانه يكون فارغ الجوف و
يرضى بالنوى الذى هو البعد عن عضد صاحبه ويقولون فلان يرضى بالنوى
اذا كان فقيرا لا يجد ما يتبلغ به فهو يجتزى بمص النوى وهذا يفعله اهل
الحجاز والبلاد المجدبة لكثرة القلة الاقوات عندهم فقد استعمل صاحب اللغز
لفظة النوى فى هذين المعنيين وهذه هى التورية وقوله وانطوى على الجوى فا
لجوى الخلو واذا كان فارغ الجوف فهو خاو وقوله وان اشبعته قبل قدمك
مراده بالاشباع هاهنا لبس الدملج فان صاحبه اذا لبسه فقد ملا جوفه و
يكون فوق القدم فكانه يقبله وقوله وصحب خدمك فيه تورية ايضا قال الخدم
جمع خادم وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فانه لا يقال فاعل وجمعه فعل
الا فى الفاظ مسموعة مثل خادم وخدم وغيب وغايب وحارس وحرس وحامد
وحمد وغير ذلك وهو موقوف على السماع وخدم جمع خدمة ايضا وهو سير يشد فى
رسغ البعير ويشد اليه شريحة النعل وبه سمى الخلخال خدمة لانه ربما كان من
سيور ركب فيه توردة الذهب والفضة ويجمع على خدام ايضا وقوله وان علقته
ضاع هذا فيه تورية ايضا فان التغليف ان يجعل للشى غلاف والتغليف استعمال
الطيب ايضا وقوله ضاع فيه تورية ايضا فانه يقال ضاع الشى من الضياع وضاع
الطيب اذا عبقت رايحته وقوله وان ادخلته السوق ابى ان يباع لان العادة انه
لا يباع الا اذا اخرج من العضو الذى هو فيه ولا يباع قبل اخراجه فكانه قبل الاخراج
ابى البيع وقوله وان اظهرته حمل المتاع واحسن الامتاع فهذا الظاهر لا حاجة الى
تفسيره وقوله وان شددت ثانيه وهو الميم وحذفت منه القافيه وهو الجيم
فيبقى دمل وهو يكدر الجوة بالمدة و يوجب التخفيف فى الصلوة للالام ايضا وقوله
واحدث وقت العصر الفجر فالعصر فيه التورية ايضا لانه اسم للصلوة وهو مصدر
لفعل عصر وكذلك الفجر لانه اسم للصبح وهو مصدر لفعل فجر فالانسان فى
وقت عصره للدمل يحصل له الفجر والقلق واذا انفجر وخلص منه حصل له الجلد و
الراحة وقوله وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر فحصل المقابلة بين الحسن والقبح ولا

ولا شك ان عقبى انفجار الدمل حسنة وان كان الاثر الذى يبقى فى المكان قبيحا ولو
وان فضلته دعا لك معناه انك اذا فصلت احد النصفين من النصف الاخر
فالنصف الاول منه دم وهو دعا للانسان بالدوام وقوله وابقى ما ان ركبته
هالك فان الباقى منه لج واللج هو لج البحر وان كان النصف من اللج مخففا ولج
البحر مشددا لكنهم يغتفرون مثل هذا فى الالغاز والتصاحيف والاحاجى ولا
يبالون به ولا شك ان ركوب البحر هايل فلهذا قال هالك وربما بلغك انه هالك
لانه يوصل الانسان الى الموضع الذى يقصده وقوله وكثيرا ما لك معناه اذا ركبه
الانسان للتجارة وقوله واحسن بعون المساكين ما لك فعون المساكين هو السفينه
كما قال الله تعالى واما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فهى عون لهم على
حاجتهم وسد خلتهم ومال الشى عاقبة امره والله اعلم بالصواب قلت وفى اللغز
ثمان لغات لغز بضم اللام وسكون الغين ولغز بفتح اللام وسكون الغين ولغز
بفتحهما والغوزه بضم الهمزه وسكون اللام وضم الغين والضم اللام وتشديد الغين
مع القصر والغين مثل الاول الا ان الغين مخففه مفتوحه والالف ممدودة والله
اعلم وقد طال الكلام لكن الحاجة دعت اليه كيلا يبقى فيه الناس على سامعه وريب
فى مجموع بخط بعض اصحابنا الفضلا بيتين منسوبين اليه وهما :

املكنى الى البيضا اقلعها ∴ من لحيتى فتعذبها بسوداء
هذى يدى وهى منى لا تطاوعنى ∴ على مرادى فما ظنى باعداء

وكانت ولادة المذكور فى ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة احدى واربعين
وخمسمايه وتوفى فى خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة بدمياط والعدو
المخذول محاصرها رحمه الله تعالى وجراح بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الالف حاء
مهملة ثم ان العدو المخذول ملك دمياط يوم الثلثا السابع والعشرين من الشهر المذكور
والله اعلم ونقلت من خط الشيخ مهذب الدين ابو طالب محمد بن على اللخمى المعروف بابن
الخيمى نزيل مصر ان العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلثا ثانى شهر ربيع الاول سنة
خمس عشرة وستمايه ونزل البر الشرقى يوم الثلثا سادس عشر ذى القعده من السنة
واخذ الثغر يوم الثلثا السادس والعشرين من شعبان من سنه ست عشرة و
استعيدت منهم يوم الاربعا التاسع من رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ومدة
نزولهم عليها الى ان انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة اشهر وسبعة
عشر يوما ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلثا واحاطتهم بها يوم الثلثا و
ملكهم لها يوم الثلثا وقد جاء فى الخبر ان الله تعالى خلق المكروه يوم الثلثا ولفظه دقيقا

سرتانيه اصلها بالذال المعجمه ويقولونه دمط وتفسيره القدرة الربانيه وكان
اشارة الى مجمع العذب والمالح والله اعلم ابو الحسين يحيى بن عيسى بن ابرهيم بن
الحسين بن على بن حمزة بن ابرهيم بن الحسين بن مطروح الملقب جمال الدين من اهل
صعيد مصر ومولده هناك واقام بقوص مدة وتنقلت به الاحوال فى الخدم والولايات
ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح ابى الفتح ايوب الملقب نجم الدين ابن السلطان
الملك الكامل ابن الملك العادل ابن ايوب وكان اذ ذاك نايبا عن ابيه الملك بالديار
المصريه ولما اتسعت مملكة الملك الكامل بالبلاد الشرقيه وصار له امد وحصن كيفا
وحران والرها والرقة وراس عين وسروج وما انضم الى ذلك سير اليها ولده الملك
الصالح المذكور نايبا عنه وذلك فى سنة تسع وعشرين وستمايه وكان ابن مطروح
المذكور فى خدمته ولم يزل يتنقل فى تلك البلاد الى ان وصل الملك الصالح الى
مصر مالكا لها وكان دخوله القاهرة يوم الاحد السابع والعشرين من ذى القعده
سنة سبع وثلثين وستماية ثم وصل ابن مطروح بعد ذلك الى الديار المصريه
فى اوايل سنه ثمان وثلثين فرتبه السلطان ناظرا بالخزانه ولم يزل يقرب منه و
يحظى عنده الى ان ملك الملك الصالح دمشق فى الدفعة الثانيه وكان ذلك فى
جمادى الاولى من سنة ثلاث واربعين وستمايه ثم ان السلطان بعد ذلك رتب
لدمشق نوابا فكان ابن مطروح فى صورة وزير لها ومضى اليها وحسنت حاله و
ارتفعت منزلته ثم ان الملك الصالح توجه الى دمشق فوصلها فى شعبان سنه
ست واربعين وجهز عسكرا الى حمص لاستنقاذها من يدى نواب الملك الناصر
ابى المظفر يوسف الملقب صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر ابن السلطان
صلاح الدين صاحب حلب فانه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الاشرف مظفر الدين
ابى الفتح موسى ابن الملك المنصور ابرهيم ابن الملك المجاهد اسد الدين شيركوه عنوة
وكان متخيما الى الملك الصالح فخرج من مصر لاسترداد حمص له فعزل ابن مطروح
عن ولايته بدمشق وسيره مع العسكر المتوجه الى حمص واقام الملك الصالح بدمشق الى
ان ينكشف له ما يكون من امر حمص فبلغه ان الفرنج اجتمعوا بجزيرة قبرص على عزم قصد
الديار المصريه فسير الى عسكره المحاصر لحمص وامرهم ان يتركوا ذلك القصد ويعودوا
لحفظ الديار المصريه فعاد بالعسكر وابن مطروح فى الخدمه والملك الصالح متغير عليه
متنكر له لامور نقمها عليه وطرق الفرنج البلاد فى اوايل سنة سبع واربعين و
ملكوا دمياط يوم الاحد الثانى والعشرين من صفر من السنة وخيم السلطان الملك
الصالح بعسكره على المنصوره وابن مطروح مواظب الخدمه مع الاعراض عنه فلما مات

الملك الصالح في ليلة نصف شعبان سنة سبع واربعين بالمنصورة ودخل ابن مطروح
مصر واقام بها في داره الى ان مات هذه جملة حاله على الاجمال وكانت ادواته
جميلة وخلاله جميلة جمع بين الفضل والمروة والاخلاق الرضية وكان بيني و
بينه مودة اكيدة ومكاتبات في الغيبة ومجالس في الحضرة يجري فيها مذاكرات
ادبية لطيفة وله ديوان شعر انشدني اكثره فمن ذلك قوله في اول قصيدة طويلة

هي رامة فخذوا يمين الوادي ∴ وذروا السيوف تقر في الاغماد
وحذار من لحظات اعين عينها ∴ فلكم صرعن بها من الاساد
من كان منكم واثقا بفؤاده ∴ فهناك ما انا واثق بفؤادي
يا صاحبي ولي بجرعاء الحمى ∴ قلب اسير ما له من فادي
سلبته مني يوم بانوا مقلة ∴ مكحولة اجفانها بسواد
وبجسمي من انا في هواه ميت ∴ عين على العشاق بالمرصاد
واغن مسكي اللمى معسوله ∴ لولا الرقيب بلغت منه مرادي
كيف السبيل الى وصال محجب ∴ ما بين بيض ظبا وسمر صعاد
في بيت شعر نازل من شعره ∴ فالحسن منه عاكف في باد
حرسوا مهفهف قده بمثقف ∴ فتشابه المياس بالمياد
قالت لنا الف العذار بخده ∴ في ميم مبسمه شفاء الصادي

وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار ومن ذلك قوله

علقته من ال يعرب لحظه ∴ امضى واقتل من سيوف عريبه
اسكنته في المنحنا من اضلعي ∴ شوقا لبارق ثغره وعذيبه
يا عاذلي ذاك الفتور بطرفه ∴ خلوه لي انا قد رضيت بعيبه
لدن وما مر النسيم بعطفه ∴ ارج وما نفح العبير بجيبه

وكان في بعض اسفاره قد نزل في طريقه بمجدل وهو مريض فقال

يا رب ان عجز الطبيب فداوني ∴ بلطيف صنعك واشفني يا شافي
انا من ضيوفك قد حسبت وان من ∴ شيم الكرام البر بالاضياف

واخبرني انه جرى بينه وبين ابي الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المقدم ذكره
منازعة في بيت هو من جملة قصيدته التي اولها

من لي بغصن بالالحاظ ممنطق ∴ حلو الشمائل ذي اللمى والمنطق
مثري الروادف مملق من خصره ∴ اسمعت في الدنيا بمثر مملق

والبيت الذي وقع فيه النزاع قوله

واقول

واقول يا اخت الغزال ملاحة ∴ فيقول لا عاش الغزال ولا بقي

فزعم ابن شمس الخلافة ان هذا البيت له من جملة قصيدة وهي في ديوانه وعمل
كل واحد منهما محضرا اشهد فيه جماعة بان البيت له وحلف لي ابن مطروح انه كان
له وكان محترزا في اقواله ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له والله المطلع على السرائر
وانشدني بعض اصحابنا قال انشدني لنفسه ∴

يا من لبست عليه اثواب الضنا ∴ صفرا موشحة بحمر الادمع
ادرك بقية مهجة لو لم تذب ∴ اسفا عليك نفيتها عن اضلعي

وكان مدة انقطاعه في داره وضيق صدره بسبب عطلته وكثرة كلفته قد حدث
في عينيه المرض انتهى به الى مقاربة العمى وكنت اجتمع به في كل وقت فتاخرت
عنه مدة لبعد داري واوجب ذلك وكنت في ذلك الوقت انوب في الحكم بالقاهرة
المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين ابي المحاسن يوسف بن الحسن بن علي الحاكم
بالديار المصرية المعروف بقاضي سنجار فكتب الي ابن مطروح

يا من اذا استوحش طرفي له ∴ لم يخل قلبي منه من انس
والطرف والقلب على ما هما ∴ عليه ما اوى البدر والشمس

وله من جملة قصيدة طويلة

ملك الملاح ترى العيون عليه دايره يطق ∴
ويخيم بين الضلوع وفي الفؤاد له سبق ∴
والبيت الاول ماخوذ من قول المتنبي ∴
وخصر تثبت الابصار فيه ∴ كان عليه من حدق نطاقا ∴

واليطق بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة وبعدها قاف وهو عبارة
عن جماعة من الجند يبيتون كل ليلة حول خيمة الملك محيطين بها يحرسونها اذا كان
مسافرا وهو لفظ تركي والسبق بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبعدها قاف وهي
خيمة الملك اذا كان مسافرا فانه يتقدم لخيمته الى المنزلة التي يتوجه اليها حتى اذا
جاءها كانت مجهزة ينزل فيها ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التي كان بها
وله بيتان ضمنهما بيت المتنبي واحسن فيهما ∴

اذا ما سقاني ريقه وهو باسم ∴ تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قده ومدامعي ∴ مجر عوالينا ومجرى السوابق

وكان بينه وبين بهاء الدين زهير المقدم ذكره في حرف الزاي صحبة قديمة من ايام
زمن الصبى واقامتهما ببلاد الصعيد حتى كانا كالاخوين ولم يكن بينهما فرق في امور الد

ثم اتصل بخدمة الملك الصالح وهما على تلك المودة وبينهما مكاتبات بالاشعار فيما يجري
بينهما فاخبرني بهاء الدين زهير ان جمال الدين ابن مطروح كتب اليه في بعض الايام
يطلب منه درج ورق وقد ضاق به الوقت واظنهما كانا ببلاد الشرق

اقلت يا سيدي من الورق ÷ فجد بدرج كعرضك اليقق
وان اتى بالمداد مقترنا ÷ فمرحبا بالخدود والحدق

وقد سبق في ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح الى بهاء الدين وذكرت
السبب في نظم ذينك البيتين على ما حكاه لي بهاء الدين ثم بعد ذلك وصل الى
الديار المصرية من الموصل بعض الادباء وجرى حديث ما ذكره لي بهاء الدين
زهير وانه انشدني في بيت ابن الحلاوي ÷

تجيزها ويجيز المادحين بها ÷ فقل لنا ازهير انت ام هرم

فقال ذلك الاديب هذه القصيدة انشدنيها ناظمها ابن الحلاوي ونحن بالموصل
وانا اروي عنه هذا البيت على خلاف هذه الرواية فانه انشدني

تجدها ثم تجدو من اياديها ÷ فقل لنا ازهير انت ام هرم

فما ادري هل ابن الحلاوي انشدها اولا كما رواه بهاء الدين ثم غير البيت كما رواه
هذا الاديب ام حصل الغلط من احدهما والله اعلم مع ان كل واحد من الطريقين
حسن وقصة زهير بن ابي سلمى المزني الشاعر الجاهلي المشهور معلومة فلا حاجة
الى الاطالة في شرحها والخروج عما نحن بصدده فانه كان يمدح هرم بن سنان
المزني احد امراء العرب في الجاهلية وكان هرم كثير العطاء حتى انه آلى على نفسه
انه لا يسلم عليه زهير الا اعطاه غرة من ماله فرسا او بعيرا او عبدا او امة
فاجحف ذلك بهرم فجعل زهير يمر بالجماعة فيهم هرم فيقول عموا صباحا خلا
هرما وخيركم تركت ونعود الى ما كنا فيه من حديث ابن مطروح بلغني انه كتب
قبل ارتفاع درجته رقعة تتضمن شفاعة في قضاء شغل بعض اصحابه ارسلها الى
بعض الرؤساء فكتب ذلك الرئيس في جوابه هذا الامر على فيه مشقة فكتب جوابه
ثانيا لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده وهو قول
المتنبي ÷ لولا المشقة ساد الناس كلهم ÷ الجود يفقر والاقدام قتال ÷
وهذا من لطيف الاشارات وانشدني الاديب الفاضل جمال الدين ابو الحسين
يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي المعروف بالجزار قصيدة بديعة مدح
بها جمال الدين بن مطروح المذكور وهي طويلة فاقتصرت منها على ذكر غزلها وهو

هو ذا الربع ولي نفس مشوقة ÷ فاحبس الركب عسى اقضي حقوقه

فقف بي

فقف بي في شرع الهوى بعد ÷ ذاك الهجران ارضى عقوقه
لست انسى فيه ليلات مضت ÷ مع من اهوى وساعات انيقه
ولئن اضحى مجازا بعدهم ÷ فغرامي فيه ما زال حقيقه
يا صديقي والكريم الحر في ÷ مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه
ضع يدا منك على قلبي عسى ÷ ان يهدي بين جنبي خفوقه
فاض دمعي مذ رايت ربع الهوى ÷ ولكم فاض وقد شام بروقه
نقد اللؤلؤ من ادمعه فغدا ÷ ينثر في الترب عقيقه
قف معي واستوقف الركب فان ÷ لم تقف فاترك يمضي وطريقه
فهي ارض قل ما يلحقها ÷ امل والركب لم اعدم لحوقه
طال ما استجليت في ارجائها ÷ من بنيه البدر اذ يلثم شقيقه
يفضح الورد احمرار خده ÷ ويرد الخمر لو يشبه ريقه
فيه الحسن خليق لم يزل ÷ والمعالي يا ابن مطروح خليقه

وكانت ولادته يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة باسيوط
وتوفي ليلة الاربعاء مستهل شعبان سنة تسع واربعين وستمائة بمصر ودفن
بسفح المقطم وحضرت الصلاة عليه ودفنه واوصى ان يكتب عند راسه دوبيت نظمه في
مرضه وهو ÷ اصبحت بقعر حفرة مرتهنا ÷ لا املك من دنياي الا الكفنا ÷
يا من وسعت عباده رحمته ÷ من بعض عبادك المسيئين انا ÷
رحمه الله تعالى وتوفي قاضي القضاة بدر الدين يوسف المذكور يوم السبت
رابع عشر رجب سنة وستين وستمائة بالقاهرة ودفن في تربته المجاورة
لمدرسته بالقرافة الصغرى واخبرني مرارا عديدة انه ولد في شهر ربيع الاول
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في جبال اربل وهو زرازي النسب رحمه الله تعالى
واسيوط بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الياء المثناة من تحتها وبعدها واو
ساكنة ثم طاء مهملة وهي بليدة بالصعيد الاعلى من ديار مصر ومنهم من يسقط الهمزة
ويضم السين فيقول سيوط والله اعلم ابو علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب
صاحب كتاب المنهاج الذي رتبه على الحروف وجمع فيه من اسماء الحشائش و
العقاقير والادوية وغير ذلك شيئا كثيرا كان نصرانيا ثم اسلم وصنف رسالة
في الرد على النصارى وبين عوار مذهبهم ومدح فيها الاسلام واقام فيها الحجة على
انه الدين القيم وذكر فيها ما قراه في التوراة والانجيل من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
وانه نبي مبعوث فان النصارى اخفوا ذلك ولم يظهروه ثم ذكر فيها معايب اليهود والنصارى

وهي رسالة حسنة اجاد فيها وقرئت عليه في ذي الحجة سنة خمس وثمانين واربعمائة
وكان سبب اسلامه انه كان يقرا على ابي علي بن الوليد المعتزلي ويلازمه فلم
يزل يدعوه الى الاسلام ويذكر له الدلايل الواضحة حتى هداه الله تعالى وحسن
اسلامه وهو تلميذ ابي الحسن سعد بن هبة الله بن الحسن وبه انتفع في الطب
وكان له نظر في علم الادب وكتب الخط الجيد وصنف للامام المقتدي بامر الله
كثيرا من الكتب فمن ذلك كتاب تقويم الابدان وكتاب منهاج البيان فيما
يستعمله الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة ورسالة في مدح الطب
وموافقته للشرع والرد على من طعن عليه ورسالة كتبها الى اليا القس لما
اسلم وغير ذلك من التصانيف وهو من المشاهير في علم الطب وعمله وذكره
ابو المظفر يوسف سبط ابو الفرج بن الجوزي في تاريخه الذي سماه مراة
الزمان فقال انه لما اسلم استخلفه القاضي ابو الحسن القاضي ببغداد في كتب
السجلات وكان يطب اهل محلته ومعارفه بغير اجرة ويحمل اليهم الاشربه
والادويه بغير عوض ويتفقد الفقرا ويحسن اليهم ووقف كتبه قبل مماته
وجعلها في مشهد ابي حنيفة رضي الله عنه ذكر هذا كله في سنة ثلث وتسعين
واربعماية وعادته ان يذكر الانسان ويشرح احواله في سنة وفاته فان كتابه
مرتب على السنين وذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتواريخ اهل الازمان
ان ابن جزلة مات في سنة ثلث وتسعين واربعماية وزاد ابو الحسن بن الهمداني
في اواخر شعبان نقله عن ابن النجار في تاريخه وذكر غيره ان اسلامه كان في
سنة ست وستين واربعماية زاد ابن النجار في تاريخه يوم الثلثا حادي عشر
جمادي الاخرة رحمه الله تعالى وجزلة بفتح الجيم وسكون الزاي وفتح اللام وبعدها
هاء والله اعلم

ابو الفتوح يحيى بن حبش ابن اميرك الملقب شهاب
الدين السهروردي الحكيم المقتول بحلب وقيل اسمه احمد وقيل كنيته اسمه
وهو ابو الفتوح وذكر ابو العباس احمد بن ابي صيبعة الخزرجي الحكيم في كتاب طبقات
الاطبا ان اسم السهروردي المذكور عمر ولم يذكر اسم ابيه والتحقيق الذي ذكرته
اولا فلهذا بنيت الترجمة عليه فاني وجدته بخط جماعة من اهل المعرفة بهذا الفن
واخبرني جماعة اخرى لا شك في معرفتهم فقوي عندي ذلك فترجمت عليه
والله اعلم كان المذكور من علماء عصره قرا الحكمة واصول الفقه على الشيخ مجد
الدين الجيلي بمدينة المراغة من اعمال اذربيجان الى ان برع فيها وهذا المجد
الدين هو شيخ فخر الدين الرازي وعليه تخرج وبصحبته انتفع وكان اماما في فنونه

وقال

وقال في طبقات الاطبا كان السهروردي اوحد اهل زمانه في العلوم الحكمية
جامعا للفنون الفلسفية بارعا في الاصول الفقهية مفرط الذكا فصيح العبارة
وكان علمه اكثر من عقله ثم ذكر انه قتل في اواخر سنة ست وثمانين وخمسماية
والصحيح ما سنذكره في اخر هذه الترجمة ان شاء الله تعالى وعمره نحو ست و
ثلاثين سنة ثم قال ويقال انه كان يعرف علم السيميا وحكى بعض فقها العجم
انه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق قال فلما وصلنا الى القابون القرية
التي على باب دمشق في طريق من يتوجه الى حلب لقينا قطيع غنم مع تركماني فقلنا
للشيخ يا مولانا نريد من هذه الغنم راسا ناكله فقال معي عشرة دراهم خذوها واشتروا
بها راس غنم وكان هناك تركماني فاشترينا منه راسا بها ومشينا قليلا فلحقنا
رفيق له وقال ردوا الراس وخذوا اصغر منه فان هذا ما عرف يبيعكم
يساوي هذا الراس اكثر من هذا وتقاولنا نحن واياه فلما عرف الشيخ ذلك
قال خذوا الراس وامشوا وانا اقف معه وارضيه فتقدمنا نحن وبقي الشيخ يتحدث
معه ويطيب قلبه فلما ابعدنا قليلا تركه وتبعنا وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح
به وهو لا يلتفت عليه ولما لم يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسرى وقال اين تروح
وتخليني واذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه وبقيت في يد التركماني ودمها
يجري فبهت وتحير في امره ورمى اليد وخاف فرجع الشيخ واخذ تلك اليد بيده
اليمنى وبقي التركماني راجعا وهو يلتفت اليه حتى غاب عنه ولما وصل الشيخ الينا
رايناه في يده منديلا لا غير قلت ويحكى عنه مثل هذه اشيا كثيرة والله اعلم
بصحتها وله تصانيف فمن ذلك كتاب التنقيحات في اصول الفقه وكتاب التلويحات
وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق وله الرسالة المعروفة بالغربة الغربية
على مثال رسالة الطير لابي علي بن سينا ورسالة حي بن يقظان لابن سينا ايضا
وفيها بلاغة تامة اشار فيها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح
الحكما ومن كلامه فكر صورة قدسية يتلطف بها طالب الاريحية ونواحي
القدس دار لا يطاها القوم الجاهلون وحرام على الاجساد المظلمة ان تلج ملكوت
السموات فوحد الله وانت بتعظيمه ملان واذكره وانت من ملابس الاكوان
عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان فابى النظام ان يكون
غير ما كان خفيت حتى قلت لست بظاهر وظهرت من سني على الاكوان اخر ولو علمنا
انا ما نلتقي لقضينا من سلمى وطرا اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف و
ينسب اليه اشعار فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال ابيات ابن سينا العينية وهي

مذكور في ترجمته في حرف الحاء واسمه الحسين فقال هذا الحكيم

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى ⁂ وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها ⁂ ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها ⁂ رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا
فكانها برق تالق في الحمى ⁂ ثم انطوى فكانه ما ابرقا

ومن شعره المشهور

ابدا تحن اليكم الارواح ⁂ ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم ⁂ والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ⁂ ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم ⁂ وكذا دماء البائحين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم ⁂ عند الوشاة المدمع السفاح
وبدت شواهد للسقام عليهم ⁂ فيها لمشكل امرهم ايضاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم ⁂ للصب في خفض الجناح جناح
فالى لقاكم نفسه مرتاحة ⁂ والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا ⁂ فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له فقلوبهم ⁂ في نورها المشكاة والمصباح
وتمتعوا فالوقت طاب لقربكم ⁂ راق الشراب ورقت الاقداح
يا صاح ليس على المحب ملامة ⁂ ان لاح في افق الوصال صباح
لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى ⁂ كتمانهم فنما الغرام فباحوا
سمحوا بانفسهم وما بخلوا بها ⁂ لما دروا ان السماح رباح
ودعاهم داعي الحقائق دعوة ⁂ فغدوا بها مستانسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم ⁂ بحر وشدة شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه ⁂ حتى دعوا فاتاهم المفتاح
لا يطربون بغير ذكر حبيبهم ⁂ ابدا فكل زمانهم افراح
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم ⁂ فتهتكوا لما راوه وصاحوا
افناهم عنهم وقد كشفت لهم ⁂ حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ⁂ ان التشبه بالكرام فلاح
قم يا نديم الى المدام فهاتها ⁂ في كاسها قد دارت الاقداح
من كرم اكرام بدن ديانة ⁂ لا خمرة قد داسها الفلاح

وله

وله في النظم والنثر اشياء لطيفة لا حاجة في الاطالة بذكرها وكان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين واشتهر ذلك عنه فلما وصل الى حلب افتى علماؤها باباحة قتله بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه وكان اشد الجماعة عليه الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل وقال الشيخ سيف الدين الآمدي المقدم ذكره في حرف العين اجتمعت بالسهروردي في حلب فقال لي لا بد ان املك الارض فقلت من اين لك هذا فقال رايت في المنام كاني شربت ماء البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا فرايته لا يرجع عما وقع في نفسه ورايته كثير العلم قليل العقل ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

ارى قدمي اراق دمي ⁂ وهان دمي فها ندمي
فلم انفك من ندم ⁂ وليس بنافعي ندمي

والاول ماخوذ من قول ابي الفتح علي بن عبد الله البستي المقدم ذكره

الى حتفي مشى قدمي ⁂ ارى قدمي اراق دمي

وكان ذلك في دولة الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين فحبسه ثم خنقه باشارة والده السلطان صلاح الدين وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسماية بقلعة حلب وعمره ثمان وثلثون سنة وذكر القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب في اوايل سيرة صلاح الدين وقد ذكر حسن عقيدته فقال كان كثير التعظيم لشعاير الدين واطال الكلام في ذلك ثم قال ولقد امر ولده صاحب حلب بقتل شاب نشا كان يقال له السهروردي قيل عنه انه معاند للشرايع وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فامر بقتله فقتله وصلبه اياما وقال سبط ابن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد المذكور انه قال لما كان يوم الجمعة بعد الصلوة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسماية اخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق عنه اصحابه قلت واقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ورايت اهلها مختلفين في امره وكل واحد يتكلم على قدر هواه فمنهم من ينسبه الى الزندقة والالحاد ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وانه من اهل الكرامات ويقول ظهر له بعد قتله ما يشهد له بذلك واكثر الناس على انه ملحد لا يعتقد شيئا نسال الله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وان يتوفانا على مذهب اهل

الحق والرشاد وهذا الذي ذكرته في تاريخ قتله هو الصحيح وهو خلاف ما نقلته في
اول هذه الترجمة وقد قيل ان ذلك كان في سنة ثمان وليس بشيء ايضا وخش
بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وبالشين المعجمة واميرك بفتح الهمزة وبعدها
ميم مكسورة ثم ياء مثناة ساكنة وبعدها راء مفتوحة ثم كاف وهو اسم عجمي
معناه امير بتصغير امير وهم يلحقون الكاف في اخر الاسم للتصغير وقد تقدم
الكلام على سهرورد في ترجمة الشيخ ابي النجيب عبد القاهر السهروردي
فليطلب منه هناك ان شاء الله تعالى **ابوجعفر يزيد بن القعقاع**
القارئ مولى عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي عتاقة ويعرف ابو
جعفر المذكور بالمدني اخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وعن مولاه عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي وعن ابي هريرة رضي الله
عنهم وسمع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومروان بن الحكم ويقال
قرا على زيد بن ثابت رضي الله عنه وروى القراءة عرضا عنه نافع بن عبد
الرحمن بن ابي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد
الرحمن بن زيد بن اسلم وله قراءة قال ابو عبد الرحمن النسائي يزيد بن القعقاع
ثقة وكان يقرئ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة وقال محمد بن القسم المالكي
ابوجعفر يزيد بن القعقاع مولى ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم
قال ويقال انه جندب بن فيروز مولى عبد الله بن عياش المخزومي وكان من
افضل الناس وقال سليمن بن مسلم اخبرني ابوجعفر يزيد بن القعقاع انه كان
يقرئ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحرة وكانت الحرة على راس ثلث
وستين سنة من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واخبرني انه كان يمسك
المصحف على مولاه عبد الله بن عياش وكان من اقرا الناس واخذت عنه قراءته
واخبرني انه اتي به ام سلمة رضي الله عنها فمسحت على راسه ودعت له بالبركة
قال سليمن المذكور وسالته متى قرات القران فقال اقرات او قرات قلت كلا بل
اقرات فقال هيهات قبل الحرة في زمان يزيد بن معويه فكانت الحرة بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث وخمسين سنة وقال نافع بن ابي نعيم لما غسل
ابوجعفر يزيد بن القعقاع القارئ بعد وفاته نظروا ما بين نحره الى فؤاده مثل
ورقة المصحف فما شك احد ممن حضر انه نور القران وقال سليمن بن مسلم اخبرني
ابوجعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول اترى هذا كان يأتيني و
هو غلام له ذوابة فيقرا علي ثم كفرني وهو يضحك قال سليمن وقالت ام ولد ابي جعفر

ان

ان ذلك البياض الذي من نحره الى فؤاده صار غرة بين عينيه وقال سليمن رايت
ابا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت ابا جعفر فقال نعم اقرئ اخواني
عني السلام وخبرهم ان الله تعالى جعلني من الشهداء الاحياء المرزوقين واقرا ابا حازم
السلام وقل له يقول لك ابوجعفر الكيس الكيس فان الله عز وجل وملائكته يتراءون
مجلسك بالعشيات وقال مالك بن انس رحمه الله تعالى كان ابوجعفر القارئ
رجلا صالحا يفتي الناس بالمدينة وقال خليفة بن خياط مات ابوجعفر يزيد بن
القعقاع سنة اثنتين وثلثين ومائة بالمدينة وقال غيره مات سنة ثمان وعشرين
ومائة وقال ابو علي الاهوازي في اول كتاب الاقناع في القراءات قال ابن جماز لم يزل
ابوجعفر امام الناس في القراءة الى ان توفي سنة ثلث وثلثين ومائة بالمدينة وقيل
انه توفي سنة ثلثين ومائة والله اعلم بالصواب قلت وقد تكرر ذكر الحرة في هذه
التراجم في مواضع وقد يتشوف الى الوقوف على معرفة ذلك من لا علم له به والحرة
في الاصل اسم لكل ارض ذات حجارة سود فلما كانت بهذه الصفة قيل لها حرة
والحرار كثيرة والمراد بهذه الحرة حرة واقم بالقاف المكسورة وهي بالقرب من المدينة
في جهتها الشرقية كان يزيد بن معوية بن ابي سفيان في مدة ولايته قد سير الى
المدينة جيشا مقدمته مسلم بن عقبة المري فنهبها وخرج اهلها الى هذه الحرة
فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ قيل انه
بعد وقعة الحرة ولدت اكثر من الف بكر من اهل المدينة ممن ليس لهن ازواج
بسبب ما جرى فيها من الفجور ثم ان مسلم بن عقبة المري لما قتل اهل المدينة و
توجه الى مكة نزل به الموت بموضع يقال له ثنية هرشا فدعا حصين بن نمير السكوني
وقال له يا برذعة الحمار ان امير المؤمنين عهد الي ان نزل بي الموت ان اوليك و
اكره خلافه عند الموت ثم اوصى اليه باموره يعتمدها ثم قال لئن دخلت النار بعد
قتلي اهل الحرة اني اذا لشقي واما واقم فانه اسم اطم من اطام المدينة والاطم بضم الهمزة
والطاء المهملة شبيه بالقصر وكان مبنيا عند هذه الحرة فاضيفت الحرة اليه
فقيل حرة واقم والله اعلم **ابوجعفر يزيد بن القعقاع** القارئ مولى ال الزبير
بن العوام المدني اخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي
وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله عنهم وروى القراءة عنه عرضا نافع
بن ابي نعيم قال يحيى بن معين يزيد رومان ثقة وقال وهب بن جرير حدثنا
ابي قال رايت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعقدان الاي في الصلوة وقال
يزيد بن رومان كنت اصلي الى جنب نافع بن جبير بن مطعم فيغمزني فافتح عليه ونحن

تصلي وروى يزيد انه كان الناس يقومون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بثلث وعشرين ركعة في شهر رمضان وتوفي يزيد في سنة ثلثين ومائة رحمه الله
تعالى ورومان بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم ثم الف ونون ابو خالد
بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الازدي قد تقدم ذكر ابيه في حرف الميم وذكرت
نسبه وتكلمت عليه فاغنى عن الاعادة ههنا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف
وجماعة من المورخين انه لما مات ابوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان
قد استخلف يزيد ولده مكانه ويزيد ابن ثلثين سنة يومئذ فعزله عبد الملك
ابن مروان برأي الحجاج بن يوسف الثقفي وولى مكانه في خراسان قتيبة
ابن مسلم الباهلي قلت وقد تقدم ذكره في حرف القاف وصار يزيد في يد
الحجاج قلت وكان الحجاج يكره يزيد لما يراه فيه من النجابة فيخشى انه يترتب
مكانه فكان يقصده بالمكروه في كل وقت كيلا ينشا عليه وكان الحجاج في وقت
يسال المنجمين ومن يعاني هذه الصناعة عمن يكون مكانه فيقولون رجل اسمه يزيد
فلا يرى من هو اهل لذلك سوى يزيد المذكور والحجاج يومئذ امير العراقين و
كذا وقع فانه لما مات الحجاج ولي يزيد مكانه هذا قول المورخين نعود الى تتمة
ما ذكره في المعارف قال فعذبه الحجاج وهرب يزيد من حبسه الى الشام يريد
سليمان بن عبد الملك فاتاه فشفع له الى اخيه الوليد بن عبد الملك فامنه وكف
عنه ثم ولاه سليمن خراسان حين افضت اليه الخلافة فافتتح جرجان ودهستان واقبل
يزيد العراق فتلقاه موت سليمان بن عبد الملك فصار الى البصرة فاخذه عدي بن
ارطاه فاوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فهرب من حبسه وات
البصرة ومات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد وقال كيف دخلت على فاخرج بعد فقال و
الله لا تخرج الا وهي معك فامتنع سعيد فخلف يزيد بن عبد الملك فوجه اليه اخاه مسلمة
فقتله فقال الحافظ ابو القسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير يزيد بن المهلب
ولي امرة البصرة لسليمن بن عبد الملك ثم نزعه عمر بن عبد العزيز وولى عدي بن ارطاه
وقدم به على عمر مسخوطا عليه وحكى عن انس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وابيه المهلب
وروى عنه ابنه عبد الرحمن وابو عيينه بن المهلب وابو اسحق السبعي وغيرهم وقال
الاصمعي ان الحجاج قبض على يزيد واخذه بسوء العذاب فساله ان يخفف عنه العذاب على
ان يعطيه كل يوم مائة الف درهم فان اداها والا عذبه بالليل قال فجمع يوما مائة
الف درهم ليشتري بها عذاب يومه فدخل عليه الاخطل الشاعر فقال ؛

ابا خالد بادت خراسان بعدكم ؛ وقال ذوو الحاجات ابن يزيد

فلا

فلا مطر المروان بعدك مطرة ؛ ولا اخضر بالمروين بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة ؛ ولا لجواد بعد جودك جود

قوله في البيت الثاني فلا مطر المروان ولا اخضر بالمروين هما تثنيه مرو واحد اهما
مرو الشاهجان وهي العظمى والاخرى مرو الروذ وهي الصغرى وكلتاهما مدينتان
مشهورتان بخراسان وقد تكرر ذكرهما في هذا الكتاب قال فاعطاه المائة الف
فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال له يا مروزي اكل هذا الكرم وانت بهذه
الحالة قد وهبت لك عذاب هذا اليوم وما بعده قلت هكذا ذكر ابن عساكر والمشهور
ان صاحب هذه الواقعة والابيات هو الفرزدق ثم اني رايت هذه الابيات في
ديوان زياد الاعجم والله اعلم بالصواب وذكر الحافظ ايضا ان يزيد لما هرب من
الحجاج قاصدا سليمن بن عبد الملك وهو يومئذ بالرمله فاجتاز في طريق بالشام
على ابيات عرب فقال لغلامه استسقنا من هولاء لبنا فاتاه بلبن فشربه فقال للغلام
اعطهم الف درهم فقال الغلام ان هولاء لا يعرفونك فقال لكني اعرف نفسي اعطهم
الف درهم فاعطاهم وقال الحافظ ايضا حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فجاء فحلق راسه
فامر له بالف درهم فتحير ودهش وقال هذه الالف امضي الى امي فلانة فاشتريها
فقال اعطوه الفا اخرى فقال امراتي طالق ان حلقت راس احد بعدك فقال
اعطوه الفين اخرين وقال المدايني وكان سعيد بن عمرو بن العاص مواخيا ليزيد
بن المهلب فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد منع الناس من الدخول اليه فاتاه
سعيد فقال يا امير المومنين لي على يزيد خمسون الف درهم وقد حلت بيني وبينه
فان رايت ان تاذن لي فاقتضيه فاذن له فدخل عليه فسر به يزيد ليقبضها فوجه
الى منزله حتى حمل الى سعيد خمسون الف درهم وزاد غير ابن عساكر فقال وفي
ذلك يقول بعضهم ؛

لم ار محبوسا من الناس ماجدا ؛ حبا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو اذ اتاه اجاره ؛ بخمسين الفا عجلت لسعيد

وقال يزيد يوما والله للحيوة احب الي من الموت ولثناء حسن احب الي من الحيوة
ولو اني اعطيت ما لم يعط احد لاحببت ان تكون لي اذن اسمع غدا ما يقال في
اذا انا مت كريما وقد سبق ذكر هذا الكلام في ترجمة ابيه المهلب ولعله من كلامه لا
من كلام يزيد والله اعلم قال ابو الحسن المدايني باع وكيل ليزيد بن المهلب بطيخا جاءه
من مغل بعض املاكه باربعين الف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال له تركتنا بقالين
اما كان في عجايز الازد من تقسمه فيهن وفيه يقول عمر بن لجا الشاعر فيه ؛

ال المهلب قوم ان نسبتهم ؞ كانوا الاكارم اباء واجدادا
كم حاسد لهم بغيا لفضلهم ؞ وما دنا من مساعيهم ولا كادا
ان العرانين تلقاها محسدة ؞ ولا ترى للئام الناس حسادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم ؞ بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم ارواح تكون لها ؞ ال المهلب دون الناس اجسادا

وقال الاصمعي قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندري اذا ما فاتنا ؞ طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ؞ احدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا ؞ اولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فلما كان في العام المقبل وفد عليه فانشده

ما لي ارى ابوابهم مهجورة ؞ وكان بابك مجمع الاسواق
حابوك ام هابوك ام شاموا الندا ؞ بيديك فانتجعوك من الافاق
اني رايتك للمكارم عاشقا ؞ والمكرمات قليلة العشاق

فامر له بعشرة الاف درهم واجمع علماء التاريخ على انه لم يكن في دولة بني امية اكرم من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس اكرم من البرامكة والله اعلم وكان لهم في الشجاعة ايضا مواقف مشهورة وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكيا ان يزيد بن المهلب وقعت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له ابوه ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي على الحجاج وقصته مشهورة اي تنزفا جتمع اليه جماعة فذكروا يوما ال المهلب ووقعوا فيهم فقال عبد الرحمن لجريش بن هلال القريعي وكان في القوم ما لك يا ابا قدامة لا تتكلم فقال والله ما اعلم احدا اصون لنفسه في الرخا ولا ابذل لها في الشدة منهم وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب فراى بنيه قد ركبوا عن اخرهم فقال انس الله الاسلام بتلاحقكم اما والله لئن لم تكونوا اسباط نبوة انكم لاسباط ملحمة ومات ابن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة فقدم اخاه يزيد ليصلي عليه فقيل له اتقدمه وانت اسن منه والميت ابنك فقال ان اخي قد شرف في الناس وشاع له فيهم الصيت ورمته العرب بابصارها فكرهت ان اضع منه ما رفع الله تعالى ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشي وعليه حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال له يزيد اما تعرفني فقال بلى اولك نطفة

مذرة واخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك بحمل العذرة قلت وقد نظم هذا المعنى ابو محمد عبد الله بن محمد الشامي الخوارزمي فقال ؞

عجبت من معجب بصورته ؞ وكان من قبل نطفة مذرة
ومن غد بعد حسن صورته ؞ يصير في الارض جيفة قذرة
وهو على عجبه ونخوته ؞ ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير في ترجمة ابي خداش مخلد بن يزيد بن المهلب ان مخلدا احد الاسخيا الممدحين وقد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكلمه في امر ابيه يزيد وقد حبسه عمر وكان ابوه قد ولاه جرجان فاجتاز في طريقه بالكوفة فاتاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور في جماعة من اهل الكوفة فقام بين يديه وانشد

اتيناك في حاجة فاقضها ؞ وقل مرحبا يجب المرحب
ولا تكلنا الى معشر ؞ متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك في الفرع من اسرة ؞ لهم خضع الشرق والمغرب
وفي ادب فيهم ما نشات ؞ فنعم لعمرك ما ادبوا
بلغت لعشر مضت من سنيك ؞ ما يبلغ السيد الاشيب
فهمك فيها جسام الامور ؞ وهم لداتك ان يلعبوا
وجدت فقلت الا سائل ؞ فيسال او راغب يرغب
فمنك العطية للسائلين ؞ وممن ببابك ان يطلبوا

فقال له هات حاجتك فقضاها وقيل امر له بمائة الف درهم وقدم على مخلد رجل كان قد زاره قبل ذلك واجازه وقضى حقه فلما عاد اليه قال له مخلد الم تكن اتيتنا فاجزناك فقال بلى قال فما ذا اقال قول الكميت فيك ؞

فاعطى ثم اعطى ثم عدنا ؞ فاعطى ثم عدت له فعادا
مرارا ما اعود اليه الا ؞ تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاضعف ما كان اعطاه وقال قبيصة بن عمر المهلبي كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرستان واخذ صول وهو رئيس من رؤسائهم قلت كان صاحب جرجان وهو جد ابرهيم بن العباس الصولي وابي بكر محمد بن يحيى الصولي الاديبين الشاعرين المشهورين قال فاصاب يزيد اموالا كثيرة وعروضا عظيمة فكتب الى سليمن بن عبد الملك اني قد فتحت طبرستان وجرجان ولم يفتحهما احد من الاكاسرة ولا احد ممن كان بعدهم غيري وانا باعث اليك بقطران عليها الاموال والهدايا يكون اولها عندك واخرها عندي فلما مات سليمن وافضت

الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اخذ عمر بهذه العلة سليمن فحبسه
فقدم ابنه مخلد على عمر وقال قبيصة المهلبي وهب مخلد من لدن خروجه من
مرو الشاهجان الى ان ورد دمشق الف الف درهم فلما اراد مخلد الدخول
على عمر لبس ثيابا مستنكرة وقلنسوة لاطية فقال له عمر لقد شمرت قال اذا
شمرتم شمرنا واذا اسبلتم اسبلنا ثم قال ما بالك قد وسع الناس عفوك وحبست
هذا الشيخ فان يكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه والا فيمينه او فصالحه
على ضياعه فقال يزيد اما اليمين فلا يتحدث العرب ان يزيد بن المهلب صبر
عليها ولكن ضياعي فيها وفاء لما يطلب ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة
فقال عمر لو اراد الله بهذا الشيخ خيرا لابقى له هذا الفتى ويقال ان مخلد بن
يزيد اصابه الطاعون فمات وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ثم قال اليوم مات
فتى العرب وانشد متمثلا على مثل عمرو تذهب النفس حسرة ويضحي وجوه القوم
مغبرة سود ورثاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المقدم ذكره بابيات منها

وعطلت الاسرة منك الا ÷ سريرك يوم تحجب بالثياب
واخر عهدنا بك يوم تحثا ÷ عليك بدابق سهل التراب

وقال الفرزدق يرثيه

وما حملت ايديهم من جنازة ÷ ولا البست اثوابها مثل مخلد
ابوك الذي تستهزم الخيل باسمه ÷ وان كان فيها قيد شبر مطرد
وقد علموا اذ شد حقوته انه ÷ هو الليث ليث الغاب لا بالمعرد

قلت وهذا يدل على ان مخلدا مات في حدود سنة احدى ومائة لان عمر
بن عبد العزيز ولي الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين وتوفي في رجب سنة احدى
ومائة وقد مات عنده وصلى عليه ويدل على ان موت مخلد كان بدابق مرثية حمزة
بن بيض الشاعر ودابق قرية من اعمال حلب من جانبها الشمالي واليها ينسب المرج
الذي يقال له مرج دابق وبه كانت وفاة سليمن بن عبد الملك وقبره هناك مشهور
نعود الى ذكر يزيد قال ابو جعفر الطبري في تاريخه الكبير ان المغيرة بن المهلب كان
نايبا عن ابيه بمرو وعمله كله فمات في رجب سنة اثنين وثمانين كما ذكرناه في
ترجمة المهلب فاتى الخبر يزيد وعلم اهل العسكر ولم يعلموا المهلب واحب يزيد ان
يبلغه من النسا فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع و
جزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض خاصته فدعا يزيد فوجهه الى مرو فجعل
يوصيه بما يعمل ودموعه تتحدر على لحيته وكتب الحجاج الى المهلب يعزيه عن المغيرة

وكان

وكان سيدا قلت وكان المغيرة ابن اسمه بشر ذكره ابو تمام الطائي في كتاب
الحماسة في الباب الاول واورد من شعره قوله في يزيد

جفاني الامير والمغيرة قد جفا ÷ وامسى يزيد لي قد ازور جانبه
وكلهم قد نال شبعا لبطنه ÷ وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه
فيا عم مهلا واتخذني لنوبة ÷ تنوب فان الدهر جم نوايبه
انا السيف الا ان للسيف نبوة ÷ ومثلي لا تنبو عليه مضاربه
على اي باب ابتغي الاذن بعدما ÷ حجبت عن الباب الذي انا حاجبه

رجعنا الى كلام الطبري وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيما بكش وراء النهر
لحرب اهلها فسار يزيد في ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك في المفازة
وحاصل الامر انه جرى بينهم قتال شديد ورمي يزيد في ساقه ثم ان المهلب
صالح اهل كش على فدية وانصرف عنهم متوجها الى مرو فلما وصل الى زاغول
وهي من اعمال مرو الروذ اصابته الشوصة فدعا ولده حبيبا ومن حضره من ولده
ودعا بسهام فحزمت وقال اترونكم كاسريها مجتمعة فقالوا لا قال افترونكم
كاسريها متفرقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم اوصاهم وصية طويلة لا حاجة
الى ذكرها ثم قال في اخرها وقد استخلفت يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى
يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له ولده المفضل لو لم تقدمه لقدمناه
ومات المهلب حسبما ذكرناه وشرحناه في ترجمته واوصى الى حبيب فصلى عليه
ثم سار الى مرو الروذ فكتب يزيد الى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه اياه
فاقره الحجاج ثم عزله في سنة خمس وثمانين واستعمل اخاه المفضل وكان سبب
ذلك ان الحجاج وفد الى عبد الملك فمر في منصرفه بدير فنزله فقيل له ان في هذا الدير
شيخا من اهل الكتاب عالما فدعا به وقال يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما انتم فيه ونحن
فقال نعم نجد ما مضى من امركم وما انتم فيه وما هو كاين قال افمسمى ام موصوفا
قال كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة امير المؤمنين
قال نجده في زماننا الذي نحن فيه انه ملك اقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم قال
اسم رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قلت
وهو سليمن بن عبد الملك قال افتعلم ما يلي قال نعم قال فمن يليه بعدي قال رجل
يقال له يزيد قال في حيوتي ام بعد موتي قال لا ادري قال فتعرف صفته قال يغدر
غدرة لا اعرف غير هذا قال فوقع في نفسه انه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا
وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب الى عبد الملك يستعفيه من العراق فكتب اليه

قد علمت الذى تعرو وانك تريد تعلم ما فى نفسك ان الحجاج اجمع على عزل يزيد فلم
يجد له سببا حتى قدم الخيار بن سبرة وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد
فقال له الحجاج اخبرنى عن يزيد فقال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت
اصدقنى عنه قال الله اجل واعظم قد اسرج ولم يلجم قال صدقت عنه
واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك ثم كتب الى عبد الملك يذم يزيد وال المهلب
وخلاصة الامر انه كرر القول مع عبد الملك فى ذلك الى ان كتب اليه قد
اكثرت فى يزيد وال المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن
سعد السعدى فكتب اليه عبد الملك ان رايك الذى دعاك الى استفساد
ال المهلب هو الذى دعاك الى مجاعة بن سعد فانظر لى رجلا صارما ماضيا
لامرك فسمى قتيبة بن مسلم الباهلى فكتب اليه وله فبلغ يزيد ان الحجاج عزله
فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان فقالوا رجلا من ثقيف فقال
كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه ولى غيره واخلق
بقتيبة بن مسلم قال فلما اذن عبد الملك للحجاج فى عزل يزيد كره ان يكتب
بعزله فكتب اليه ان استخلف اخاك المفضل واقبل فاستشار يزيد حصين بن
المنذر فقال اقم واعتل فان امير المؤمنين حسن الراى فيك وانما اتيت
من الحجاج فان اقمت ولم تعجل رجوت ان يكتب اليه ان يقر يزيد قال انا اهل
بيت بورك لنا فى الطاعة وانا اكره المعصية والخلاف واخذ فى الجهاز فابطا
ذلك على الحجاج فكتب الى المفضل قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث
يزيد فقال له ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة ان امتنع عليه
قال بل حسدتنى قال يزيد انا احسدك ستعلم وخرج يزيد فى شهر ربيع الاخر
سنة خمس وثمانين فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلى
وقال حصين وقيل فيروز بن حصين ليزيد هذه الابيات ؛

امرتك امرا حازما فعصيتنى ؛ فاصبحت مسلوب الامارة نادما
فما انا بالباكى عليك صبابة ؛ وما انا بالداعى لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال للحصين كيف قلت ليزيد قال قلت

امرتك امرا حازما فعصيتنى ؛ فنفسك ول اللوم ان كنت لائما
فان يبلغ الحجاج ان قد عصيته ؛ فانك تلقى امره متفاقما

قال فماذا امرته به فعصاك قال امرته ان لا يدع صفرا ولا بيضاء الا حملها الى
الامير وفى تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبد الله بن همام السلولى ؛

اقيب

اقتيب قد قلنا غداة اتيتنا ؛ بدلا لعمرك من يزيد اعود
ان المهلب لم يكن كابيكم ؛ هيهات شانكم ادق واحقد
شتان من بالصبح ادرك والذى ؛ بالسيف شمر والحروب تسعر
حولان باهله الاولى فى ملككم ؛ مات الندى فيهم وعاش المنكر

قوله بدلا اعود هذا مثل يضرب للذى يولى بعد الرجل المحمود ويقال بدل اعور
وخلق اعور وقوله من بالصبح ادرك يقال ان قتيبة كان يضرب بالصبح فى مبدا
امره وقوله حولان باهله جمع احول وكان قتيبة احول وهذا الجمع مثل قولهم
اسود وسودان واحمر وحمران وغير ذلك وقد قيل ان هذه الابيات ليست
لعبد الله بن همام والله اعلم وانما لنهار بن توسعة اليشكرى ثم ذكر الطبرى
فى سنة ثمانين ان الحجاج خرج الى الاكراد والذين غلبوا على عامة ارض فارس
فخرج بيزيد معه واخويه المفضل وعبد الملك وجعل عليهم فى العسكر كهيئة الخندق
وجعلهم فى فسطاط قريبا من حجرته وجعل عليهم حرسا من اهل الشام واغرمهم
ستة الاف الف درهم واخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان
الحجاج يغيظه ذلك فقيل انه رمى بنشابة فثبتت فى ساقه فهو لا يمسها شىء
الا صاح فان حركت ادنى شىء سمعت صوته فامر ان يعذب ويدهق ساقه فلما
فعل به ذلك صاح واخته هند عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت
وناحت فطلقها ثم انه كف عنهم واقبل يستاديهم فاخذوا يودون وهم يعملون
فى التخلص من مكانهم فبعثوا الى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يامرونه ان يضمر
لهم الخيل ويرى الناس انما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلى ثمنها كيلا
تشترى فتكون لنا عدة ان نحن قدرنا ان ننجو من هاهنا ففعل ذلك مروان و
حبيب بالبصرة ايضا يعذب وامر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فاكلوا وامر
بشراب فسقوا وكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طباخه ووضع على لحيته
لحية بيضاء وخرج فراه بعض الحرس فقال كان هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض
وجهه ليلا فراى بياض اللحية فانصرف عنه وقال هذا شيخ وخرج المفضل على
اثره ولم يفطن له فجاءوا الى سفينة وقد هيئوها وهى فى البطائح وبينهم وبين البصرة
ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا الى السفينة ابطا عليهم عبد الملك وشغل عنهم
فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق لنا فقال المفضل وعبد الملك اخوه لامه
لا والله لا ابرح حتى يجىء ولو رجعت الى السجن فاقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك
وركبوا السفينة وساروا ليلتهم حتى اصبحوا ولما اصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع الى

الحجاج بذلك ففزع لذلك الحجاج وذهب وهمه انهم ذهبوا قبل خراسان وبعث البريد
الى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويامره ان يستعد لهم وبعث الى امرا
الثغور والكور ان يرصدوهم ويستعدوا وبعث الى الوليد بن عبد الملك
يخبره بهم وانه لا يراهم ارادوا الا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع
كان يقول انى لاظنه يحدث نفسه بمثل الذى صنع ابن الاشعث **قلت**
ابن الاشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وكان قد
خرج على عبد الملك بن مروان وقصته مشهورة مذكورة فى التواريخ قال
الطبرى ولما دنا يزيد من البطايح استقبلته الخيل قد هيئت لهم فخرجوا
عليها ومعهم دليل فاخذ بهم على السماوة واتى الحجاج بعد يومين فقيل
له انما اخذ الرجال طريق الشام وهذه الخيل حسرى فى طريق وقد اتى من
راهم متوجهين فى البر فبعث الى الوليد يعلمه بذلك ومضى يزيد حتى قدم
فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمن
بن عبد الملك وجا وهيب حتى دخل على سليمن فقال هذا يزيد واخوته
عندى وقد اتوا هرابا من الحجاج متعوذين بك فقال ائتنى بهم فانهم امنون
لا يصل اليهم ابدا وانا حى فجا بهم حتى دخلوا عليه فكانوا فى مكان امن
فكتب الحجاج الى الوليد ان ال المهلب خانوا مال الله وهربوا منى ولحقوا
بسليمن فلما بلغ الوليد مكانهم عند سليمن اخيه هون عليه بعض ما كان
فى نفسه وطار غضبا للمال الذى ذهبوا به وكتب سليمن الى اخيه الوليد
ان يزيد عندى وقد امنته وانما عليه ثلثة الاف الف كان الحجاج اغرمهم
ستة الاف الف فادوا ثلثة الاف الف وبقيت ثلثة الاف الف فهى على فكتب
لا والله لا اومنه حتى تبعث به الى فكتب اليه لئن انا بعثت به اليك لاجئن معه فانشدك الله
ان لا تفضحنى وان لا تخفرنى فكتب اليه الوليد والله لئن جئتنى به لا اومنه فقال يزيد
ابعثنى اليه فوالله ما احب ان اوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا ان يتشام بى لكما
الناس ابعث اليه بى وارسل معى ابنك واكتب اليه بالطف ما قدرت عليه فارسل
ابنه ايوب معه وكان الوليد امره ان يبعث به اليه فى وثاق فبعث اليه وقال لابنه اذا
اردت ان تدخل فادخل انت ويزيد فى سلسلة على الوليد ففعل ذلك حتى اذا انتهيا
الى الوليد فدخلا عليه فلما راى الوليد ابن اخيه مع يزيد فى سلسلة قال والله لقد
بلغنا من سليمن ثم ان الغلام دفع كتاب ابيه الى عمه وقال يا امير المؤمنين نفسى فداك
لا تخفر ذمة ابى وانت احق من منعها ولا تقطع منا رجا العز فى الانقطاع الينا بغوثنا بك وفدا

الكتاب

الكتاب لعبد الله امير المؤمنين من سليمن بن عبد الملك اما بعد يا امير المؤمنين فوالله انى
لاظن لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك فانزلته واجرته انك لا تذل جارى ولا
تخفر جوارى بل لم اجر الا سامعا مطيعا حسن البلا والاثر فى الاسلام هو وابوه و
ابوه واهل بيته وبعد فقد بعثت به اليك فان كنت انما تغزو قطيعتى والاخفار
لى منى والابلاغ فى مساءتى فقد قدرت ان انت فعلت ذلك وانا اعيذك بالله
من احتراز قطيعتى وانتهاك حرمتى وترك برى وصلتى فوالله يا امير المؤمنين ما تدرى
ما بقاى وبقاوك ولا متى يفرق الموت بينى وبينك فان استطاع امير المؤمنين ادام
الله سروره ان لا ياتى علينا اجل الوفاة الا وهو لى واصل ولحقى مود وعن مساءتى
نازع فليفعل والله يا امير المؤمنين ما اصبحت بشى من امور الدنيا بعد تقوى الله
تعالى فيها باسر منى برضاك وسرورك ولرضاك مما التمس به رضوان الله تعالى
فان كنت يا امير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتى وصلتى وكرامتى واعظام حقى
فتجاوز لى عن يزيد وكلما طلبته به فهو على فلما قرا كتابه قال لقد شققنا
على سليمن ثم دعا ابن اخيه فادناه ثم تكلم يزيد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال يا امير المؤمنين ان بلاكم عندنا احسن البلا فمن
ينس ذلك فلسنا ناسيه ومن يكفره فلسنا كافرين به وقد كان من بلاينا اهل
البيت فى طاعتكم والطعن فى اعين اعدايكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب
ما ان المنة فيه عظيم فقال له اجلس فجلس فامنه وكف عنه ورجع الى سليمن
سعى اخوته فى المال الذى عليه فكتب الى الحجاج انى لم اصل الى يزيد واهل بيته
مع سليمن فاكفف عنهم واله عن الكتاب الى فيهم فلما راى ذلك الحجاج كف عنهم
وكان ابو عيينة عند الحجاج عليه الف الف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن
المهلب واقام يزيد عند سليمن تسعة اشهر فى ارغد عيش وانعم بال لا ياتى سليمن
هدية الا ارسل بنصفها اليه وقال بعض جلسا يزيد له لم لا تتخذ لك دارا فقال
وما اصنع بها ولى دار حاضرة مجهزة على الدوام فقال له واين هى قال ان كنت متوليا
فدار الامارة وان كنت معزولا فالسجن ومن كلام يزيد ما يسرنى ان كفيت امور دنياى
كلها ولى الدنيا بحذافيرها فقيل له ولم ذاك فقال انى اكره عادة العجز ثم ان الحجاج
مات فى شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل كانت وفاته لخمس ليال بقين من
شهر رمضان من السنة وعمره ثلث وخمسون سنة وقيل اربع وخمسون سنة ولما
حضرته الوفاة استخلف يزيد بن ابى كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين البصرة والكوفة
وولى خراجهما يزيد بن ابى مسلم فاقرهما الوليد وكذلك فعل بكل من استخلفه الحجاج وقيل

بن الوليد الذى ولاهما وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة ثم توفى الوليد بن عبد
الملك يوم السبت النصف من جمادى الاخرة سنة ست وتسعين للهجرة بدير مروان
قلت هو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق ودفن فى مقابر باب الصغير ظاهر
دمشق وبويع سليمن بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه اخوه الوليد وفى هذه
السنة اعنى سنة ست وتسعين عزل سليمن بن عبد الملك يزيد بن ابى مسلم
عن العراق وامر عليه يزيد بن المهلب وقال خليفة بن خياط جمع ليزيد المصرات
يعنى الكوفة والبصرة سنة سبع وتسعين والله اعلم وجعل صالح بن عبد الرحمن على
الخراج وامره ان يقتل ال ابى عقيل قلت وهم اهل الحجاج وبسط عليهم العذاب
فاخذ صالح ال ابى عقيل وكان يعذبهم وكان يلى عذابهم عبد الملك بن المهلب
وكان الوليد قد عزم على خلع اخيه سليمن عن ولاية العهد ويجعل ولى عهده ولده
عبد العزيز بن الوليد وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلى والى خراسان
الذى تولى بعد يزيد بن المهلب كما سبق ذكره قبل هذا فلما ولى سليمن خافه
قتيبة بن مسلم وتوهم ان يعزله ويولى خراسان يزيد بن المهلب فكتب الى سليمن
كتابا يهنيه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد
وانه على مثل ما كان لهما من الطاعة عليه والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان وكتب
اليه كتابا اخر يعلمه فيه فتوحه ومكانه وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته فى
صدورهم ويذم المهلب وال المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان
ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا خلعه وبعث بالكتب الثلثة مع رجل من باهلة وقال
له ادفع اليه هذا الكتاب فان كان يزيد بن المهلب حاضرا فقراه ثم القاه اليه فادفع اليه
هذا الكتاب فان قراه والقاه الى يزيد فادفع اليه هذا الكتاب وان قرا الكتاب وحبسه
ولم يدفعه الى يزيد فاحبس الكتابين الاخرين قال فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمن
وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب الاول فقراه ثم القاه الى يزيد فدفع اليه
الكتاب الاخر فقراه ثم دفعه الى يزيد فاعطاه الكتاب الثالث فتغير لونه ثم دعا بطين
فختمه ثم امسكه بيده وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى فان الكتاب الاول وقيعة
فى يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وفى الكتاب الثانى ثنا على يزيد
وفى الكتاب الثالث لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتومننى لاخلعنك خلع النعال
ولاملانها عليك خيلا ورجلا ثم ان سليمن امر برسول قتيبة ان ينزل بدار الضيافة
فلما امسى دعا به سليمن واعطاه صرة فيها دنانير وقال له هذه جائزتك وهذا
عهد صاحبك على خراسان فسر وهذا رسولى معك بعهده فخرج الباهلى ومعه رسول

سليمن فلما كانا بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع رسول سليمن ودفع العهد
الى رسول قتيبة فوصل اليه واستشار اخوته فقالوا لا يثق بك سليمن بعد
هذا ثم ان قتيبة قتل كما ذكرته فى ترجمته فى حرف القاف مع الاختصار لان
الشرح فى ذلك يطول ثم فتح العراق ان يزيد بن المهلب تفكر فى نفسه لما
ولى العراق فقال ان العراق قد اخربها الحجاج وانا اليوم رجا اهل العراق ومتى
قدمتها واخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج ادخل على الناس
الحرب واعيد عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها ومتى لم ات سليمن بمثل
ما جاء به الحجاج لم يقبل منى فاتى يزيد سليمن فقال ادلك على رجل بصير بالخراج
توليه اياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم قال قد قبلنا رايك فاقبل يزيد
الى العراق وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ونزل واسطا ولما قدم يزيد
خرج الناس يتلقونه فلم يخرج صالح حتى قرب يزيد من المدينة ثم خرج اليه وبين يديه
اربع مائة من اهل الشام فلقى يزيد وسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت
لك هذه الدار فنزل يزيد ومضى صالح حتى اتى منزله وضيق صالح على يزيد فلم يملكه
شيئا واتخذ يزيد الف خوان يطعم الناس عليها فاخذها صالح فقال له يزيد اكتب
ثمنها على واشترى متاعا كثيرا وصك صكاكا كثيرة الى صالح لثمنها منه فلم يحله
فرجعوا الى يزيد فغضب وقال هذا عملى بنفسى فلم يلبث ان جاء صالح فاوسع له يزيد
فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك ان الخراج لا يقوم لها ولقد انفذت لك منذ
ايام صكا بماية الف وعجلت لك ارزاقك وسالت مالا فاعطيتك فهذا ما لا
يقوم له شى ولا يرضى امير المومنين وتوخذ به فقال له يزيد يا ابا الوليد اخر هذه الصكاك
هذه المرة وضاحكه وقال انى اجيزها فلا تكثر على قال لا اولها وولى سليمن يزيد العراق
لم يوله خراسان فقال سليمن لعبد الملك بن المهلب كيف انت يا عبد الملك ان وليتك
خراسان قال يجدنى امير المومنين حيث يحب ثم اعرض سليمن عن ذلك وكتب عبد الملك
الى رجال من خاصته بخراسان ان امير المومنين عرض على ولاية خراسان فبلغ الخبر الى
اخيه يزيد وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح بن عبد الرحمن فليس يصل معه الى
شى فدعا يزيد عبد الله بن الاهتم فقال انى اريدك لامر قد اهمنى وقد احببت ان
تكفينيه قال مرنى بما احببت قال انا فيما ترى من الضيق وقد اضجرنى ذلك وخراسان
شاغرة وقد بلغنى ان امير المومنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة
قال نعم سرحنى الى امير المومنين فانى ارجو ان اتيك بعهدك عليها قال فاكتم ما اخبرتك
به وكتب الى سليمن كتابين احدهما يذكر له فيه امر العراقين واثنى فيه على ابن الاهتم

وحمله على البريد واعطاه ثلثين الفا وسار سبعًا فقدم بكتاب يزيد على سليمن
فدخل عليه وهو يتغدى فجلس ناحية فاتى بدجاجتين فاكلهما ثم قال له سليمن
لك مجلس بعد هذا اتعود اليه ثم دعا به بعد ثالثه فقال له سليمن ان يزيد بن
المهلب كتب الي يذكر علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فقال علمك بها
قال انا اعلم الناس بها بها ولدت وبها نشات قال ما احوج امير المؤمنين الى مثلك
يشاوره في امرها فاشر علي برجل اوليه خراسان قال امير المؤمنين اعلم بمن يريد فهم
يولي فان ذكر منهم احدًا اخبرته برايي فيه هل يصلح ام لا فسمى سليمن رجلا من
قريش فقال ليس من رجال خراسان فسمى عبد الملك بن المهلب فقال لا حتى عدد
رجالا فكان اخر من ذكر وكيع بن ابي الاسود فقال يا امير المؤمنين وكيع رجل شجاع
صارم مقدام وليس بصاحبها ومع هذا انه لم يقد ثلثمائة قط فراى لاحد عليه
طاعة قال صدقت ويحك فمن لها قال رجل اعلمه لم تسمه قال من هو قال لا ابوح
باسمه الا ان يضمن لي امير المؤمنين ستر ذلك وان يجيرني منه ان علم قال نعم سمه
لي قال يزيد بن المهلب قال ذاك بالعراق والمقام بها احب اليه من المقام بخراسان
قال قد علمت يا امير المؤمنين ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال
اصبت الراي فكتب عهد يزيد بن المهلب على خراسان وكتب اليه ان ابن الاهتم
كما ذكرت من عقله ودينه وفضله ورايه ودفع الكتاب وعهد يزيد اليه فسار
سبعًا فقدم على يزيد فقال له ما وراك فاعطاه الكتاب فقال ويحك اعندك خبر
فاعطاه العهد فامر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه الى
خراسان فسار من يومه وسار يزيد الى خراسان فاقام بها ثلاثة اشهر او اربعة اشهر
ثم غزا جرجان وطبرستان ودهستان وفتحهما وذلك في سنة ثمان وتسعين وقتل
من اصحاب يزيد على حصار بعض قلاع جرجان خمسة الاف رجل فحلف يزيد يمينا
مغلظة انه ليقتلهم حتى يطحن الرحا بدمائهم فاكثر من قتلهم وكانت الدما لا تجري
حتى صب عليها الماء فجرت فطحنت واكل مما طحنت بدمائهم ثم مات سليمن بن
عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين الهجرية وقيل
لعشر ليال مضين من صفر واستخلف بدابق قرية من عمل حلب وعهد الى عمر
بن عبد العزيز رضي الله عنه فعزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق في هذه السنة
وجعل مكانه عدي بن ارطاه الفزاري فاخذ يزيد واوثقه وبعث به الى عمر بن عبد
العزيز وقد كان عمر يبغض عمرو ويقول اني لاظنه مرائيا يبغض يزيد واهل بيته
ويقول هولا جبابرة ولا احب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول اني لاظنه مرائيا

ولما

ولما وصل يزيد ساله عمر عن الاموال التي كتب بها الى سليمن فقال كنت من سليمن
بالمكان الذي قد رايت وانما كتبت الى سليمن لاسمع الناس به وقد علمت ان سليمن
لم يكن لياخذني بشيء مما سمعت ولا بامر اكرهه فقال عمر ما اجد في امرك الا حبسك
فاتق الله وادّ ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها فرده الى محبسه و
ذكر البلاذري في كتاب فتوح البلدان في الفصل المتضمن حديث جرجان
وطبرستان ان يزيد بن المهلب لما فرغ من امر جرجان سار الى خراسان فتلقته
الهدايا ثم ولى ابنه مخلدا خراسان وانصرف الى سليمن فكتب اليه ان معه
خمسة وعشرين الف الف درهم فوقع الكتاب بيد عمر بن عبد العزيز فاخذ
يزيد وحبسه والله اعلم وبعث عمر الى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان
ثم قدم مخلد بن يزيد على عمر وجرى بينهما ما سبق ذكره فلما خرج مخلد قال عمر هذا
خير عندي من ابيه فلم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات ولما ابى يزيد ان يودي المال
الى عمر البسه جبة صوف وحمله على جمل ثم قال سيروا به الى دهلك قلت وهي
جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفا يحبسون بها الى دهلك من نقموا
عليه قال فلما اخرج يزيد مروا به على الناس فجعل يقول ما لي عشيرة يذهب بي الى
دهلك انما يذهب الى دهلك بالفاسق المريب سبحان الله اما لي عشيرة فدخل على عمر سلامة
بن نعيم الخولاني فقال يا امير المؤمنين اردد يزيد الى محبسه فاني اخاف ان امضيته ان
ينتزعه قومه فاني رايت قومه قد غضبوا له فرده الى محبسه حتى بلغه مرض عمر وقيل
ان عدي بن ارطاه سلمه الى وكيع بن حسان بن ابي سود التميمي مغلولا مقيدا
في سفينة ليوصله الى عين تمر حتى يحمل الى عمر فعرض لوكيع ناس من الازد
لينتزعوه منه فوثب وكيع وانتضى سيفه وقطع قلس السفينة واخذ سيف يزيد
بن المهلب وحلف بطلاق امراته ليضربن عنقه لئن لم يتفرقوا عنه فناداهم يزيد و
اعلمهم يمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه الى الجند بعين التمر وحمله الجند الى
عمر فحبسه ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق فرآه مقيدا فانشده

اصبح في قيدك السماحة والجود ⁂ وحمل الديات والحسب
لا بطر ان ترادفت نعم ⁂ وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ما صنعت اسات الي قال ولم ذاك قال وكم ذاك قال تمدحني
على هذه الحال فقال رايتك رخيصا فاحببت ان اسلفك بضاعتي فرمى يزيد اليه
بخاتمه وقال شراؤه الف دينار وهو ربحك الى ان ياتيك راس المال واستمر في حبسه
الى ان مرض عمر في سنة احدى ومائة فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن

مروان ان يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن المهلب لما ولي العراق قد
عذب ال ابي عقيل رهط الحجاج كما سبق ذكره وكانت ام الحجاج بنت محمد بن يوسف
بن الحكم بن ابي عقيل عند يزيد بن عبد الملك وهي ام الوليد بن يزيد الفاسق بني
اميه وهي بنت اخي الحجاج وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن امكنه الله
من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك فاخذ يعمل في الهرب
فبعث الى مواليه فاعدوا له ابلا وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض
عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى اتى المكان الذي فيه ابله وقد واعدهم اليه
فاحتمل وخرج فلما جاز كتب الى عمر اني والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسي
ولكني لم امن من يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم ان كان يريد بهذه الامة
شرا فاكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب وزعم الواقدي ان يزيد بن
المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر ثم توفي عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة وقيل يوم
الاربعا لخمس ليال بقين من رجب سنة احدى ومائة رحمه الله تعالى بدير سمعان
وقيل انه مات لعشر بقين من رجب من السنة وهو ابن تسع وثلاثين سنة واشهر و
قيل انه مات بخناصرة وخناصرة بضم الخاء المعجمة وبعدها نون وبعد الالف صاد
مكسورة مهملة وبعد الراء هاء وهي بليدة قديمة بالقرب من حمص وذكرها المتنبي في
قوله احب حمصا الى خناصرة ÷ وكل نفس تحب محياها
وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقال له اشج بني
اميه وذلك ان دابة من دواب ابيه كانت شجته وقال نافع مولى ابن عمر كنت اسمع ابن
عمر كثيرا يقول ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملا الارض
عدلا قال سالم الافطس ان عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق فاتى
امه ام عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه
ودخل ابوه عليه على تلك الحال فاقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابني
ولم تضم اليه خادما ولا حاضنا يحفظه عن مثل هذا فقال لها اسكتي يا ام عاصم
فطوباك ان كان اشج بني امية وقال حماد بن زيد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مر بعجوز تبيع لبنا لها في سوق الليل فقال لها لا تغشي المسلمين وزوار بيت
الله تعالى ولا تشوبي اللبن بالما فقالت نعم يا امير المومنين ثم مر بها بعد ذلك
فقال لها يا عجوز الم اتقدم اليك ان لا تشوبي لبنك بالماء فقالت والله ما
فعلت فقالت ابنة لها من داخل الخبا اغشا وكذبا جمعت على نفسك فسمعها
عمر رضي الله عنه فهم بمعاقبة العجوز فتركها لكلام ابنتها ثم التفت الى بنيه فقال ايكم

يتزوج

يتزوجها لعل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر انا
اتزوجها فزوجها اياه فولدت له ام عاصم فتزوجت ام عاصم عبد العزيز
بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل
ليست حفصة من نسا ام عاصم ولما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولي
مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان ثم ان يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها
واخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن ارطاة الفزاري فحبسه وخلع
يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه فجاءته احدى حظاياه وقبلت الارض
بين يديه وقالت السلام عليك يا امير المومنين فانشدها ÷
مكانك حتى تنظري عم تنجلي ÷ غمامة هذا العارض المتالق
قلت وهذا البيت من جملة ابيات لبشر بن قطبة الاسدي قلت ولا حاجة
لتفصيل الحال فيه فان شرحه يطول وهذه خلاصته ثم ان يزيد بن عبد الملك جهز
لقتاله اخاه مسلمة بن عبد الملك وابن اخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ومعهما
الجيش وخرج يزيد بن المهلب للقائهم واستخلف على البصرة ولده معوية بن يزيد
وعنده الرجال والاموال وقدم بين يديه اخاه عبد الملك بن المهلب وسار
حتى نزل العقر قلت هي عقر بابل وهي عند الكوفة بالقرب من كربلا الموضع
الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما بفتح العين المهملة وسكون القاف
وبعدها را وهو الاصل اسم القصر والمواضع التي بالعقر سبعة احدها هذا
ولا حاجة الى ذكر الباقي وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك
وضعا قال الطبري ثم اقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب
واصطفوا ثم اقتتل القوم فشد اهل البصرة على اهل الشام فكشفوهم ثم ان اهل
الشام كروا عليهم فكشفوهم وكان على مقدمة جيش يزيد اخوه عبد الملك
فلما انكشف جاء الى اخيه يزيد وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب و
كانت مبايعته على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان لا
تطا الجنود بلادهم ولا بيضتهم ولا تعاد عليهم سيرة الحجاج الفاسق وكان
مروان بن المهلب بالبصرة يحرض الناس على حرب اهل الشام ويسرح الناس
الى اخيه يزيد وكان الحسن البصري رضي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن
المهلب فقال يوما في مجلسه يا عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين
غبر برهة من الدهر يهتك الله في هؤلاء القوم كل حرمة ويركب فيهم كل
معصية ياكل ما اكلوا ويقتل من قتلوا حتى اذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال انا

لله غضبان فاغضبوا ونصب قصبًا عليها خرق وبعثه رجل اخذ دعاع هناء مما يليهم
افتل ه فقال ادعوكم الى سنة عمر بن عبد العزيز الا وان من سنة عمر بن عبد العزيز
ان توضع رجلاه في قيد ثم توضع حيث وضع عمر فقال له رجل ابعدا لاهل الشام
يا ابا سعيد يعني بني امية فقال انا اعذرهم لاعذرهم الله والله لقد حدث
ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني
احرمت المدينة بما حرمت به بلد مكة فدخلها اهل الشام ثلثا لا يغلق لها
باب الا احرق بما فيه حتى ان الاقباط والانباط ليدخلون على نساء قريش فينتزعون
خمرهن من رؤسهن وخلاخلهن من ارجلهن سيوفهم على عواتقهم وكتاب
الله تحت ارجلهم انا اقتل نفسي لفاسقين تنازعا هذا الامر والله لوددت
ان الارض اخذتهما خسفا جميعًا فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فاتى الحسن هو
وبعض بني عمه الى حلقته في المسجد متنكرين فسلما عليه ثم خلوا به فاشرأب
الناس ينظرون اليهم فلاحاه يزيد ودخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له
الحسن وما انت وذاك يا ابن اللخنا فاخترط سيفه ليضربه فقال له يزيد ما
تصنع قال اقتله فقال له اغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا
قلت ويزيد بن المهلب المذكور هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته
المعروفة بالدريدية بقوله ؛

وقد سما قبلي يزيد طالبًا ؛ والعلى فضاوها ولا ونا

وكل من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشرح قضيته وكانت اقامة
يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية ايام حتى اذا
كان يوم الجمعة لاربع عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين ومائة فلما راى
الناس الدخان وقيل لهم احرق الجسر انهزموا فقيل ليزيد انهزم الناس
قال مم انهزموا قيل له احرق الجسر فلم يلبث احد قال قبحهم الله بق دخن
عليه فطار وكان يزيد لا يحدث نفسه بالهزيمة ولا الفرار وجاءه من اخبره
ان حبيبًا قتل فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله ابغض الحيوة
بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها الا بغضا امضوا قدما فقال اصحابه نعلم
ان الرجل قد استقتل واخذ من يكره القتال ينكص واخذوا يتسللون وبقيت
معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما مر بخيل كشفها او جماعة من اهل الشام
عدلوا عنه وعن سنن اصحابه فجاءه ابو رؤبة المرجي وقال ذهب الناس فهل
لك ان تنصرف الى واسط فانها حصن تنزلها وياتيك مدد اهل البصرة وياتيك اهل عمان

والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رايك الى تقول ذا الموت ايسر علي
من ذلك فقال له اني اتخوف عليك اما ترى حولك من جبال الحديد فقال له ما
ابالي بها اجبال حديد كانت او جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا واقبل
على مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه فعطفت عليه خيول
اهل الشام وعلى اصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه اخوه محمد وجماعة من اصحابه
وقال القحل بفتح القاف وسكون الحاء المهملة واخره لام ابن عياش الكلبي فلما نظر
الى يزيد قال يا اهل الشام هذا والله يزيد لاقتلنه او ليقتلني ان دونه ناسا فمن
يحمل معي يكفيني اصحابه حتى اصل اليه فقال له ناس من اصحابه نحن نحمل معك فحملوا
باجمعهم فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن
القحل ابن عياش باخر رمق فاومى الى اصحابه يريهم مكان يزيد وجا براس يزيد
مولى لبني مرة فقيل له انت قتلته قال لا وفي اثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد
الى يريدون عابر فقال الله اكبر هذا يريدون الفاسق ابن المهلب قد قتله
الله ان شاء الله تعالى فطلبوه فاتي مسلمة براسه ولم يعرف الراس فقال
حباب النبطي مهما ظننتم فلا تظنوا ان الرجل هرب ولقد قتل فقال مسلمة
وما اية ذلك فقال اني سمعته ايام الاشعث وهو يقول قبح الله ابن الاشعث
هبوه غلب على امره اكان يغلب على الموت الا مات كريما قلت ذكر الامير ابو نصر
بن ماكولا في باب القحل والفحل والعجل ما مثاله واما القحل مثل
الفحل الا ان اوله قاف فهو القحل ابن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عزيز
قتل يزيد بن المهلب وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فلما اتي براس مسلمة
لم يعرف ولم ينكر فقيل له مر براسه فليغسل ثم ليعمم ففعل ذلك فعرفه فبعث به الى اخيه
يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط وقال خليفة بن خياط ولد
يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين وتوفي مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت
من صفر سنة اثنتين ومائة والله اعلم بالصواب ولما جاءت هزيمة يزيد واسط
اخرج معوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلثين اسيرا كانوا في يديه فضرب اعناقهم
منهم عدي بن ارطاة ثم خرج وقد قال له القوم ويحك انا لا نراك تقتلنا الا ان اباك
قد قتل ثم اقبل حتى اتى البصرة ومعه المال والخزاين وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع
اهل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان فاعدوا السفن البحرية وتجهزوا
بكل الجهاز واراد معوية بن يزيد ان يتامر على ال المهلب فاجتمعوا وامروا عليهم
المفضل ابن المهلب وقالوا المفضل اكبرنا سنا وانما انت غلام حدث السن كبعض فتيان

اهلك فلم يزل الفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان وبكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا الى الفضل
وبعث مسلمة بن عبد الملك في طلب ال المهلب وطلب الفلول فادركوهم بعقبة بفارس
فاشتد قتالهم فقتل الفضل وجماعة من خواصه ثم قتل ال المهلب من عند اخرهم الا
ابا عيينة وعثمن بن الفضل فانهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل وبعث مسلمة برووسهم
الى اخيه يزيد وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لاصحابه هذا راس
عبد الملك هذا راس الفضل والله لكانه جالس معي يحدثني وقال غير الطبري
لما حمل راس يزيد بن المهلب الى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه فقال
له مه ان يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما ولما فرغ
مسلمة من حرب ال المهلب جمع له اخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في
هذه السنة ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شاعره ثابت قطنة بمراث كثيرة حسنة
منها قوله ٭ كل القبايل بايعوك على الذى ٭ تدعوا اليه وتابعوك وساروا
حتى اذا اشتجر القنا وتركتهم ٭ رهن الاسنة اسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن ٭ عارا عليك ورب قتل عار
قلت وثابت قطنة من شعرا خراسان وفرسانهم ذهبت عينه فكان يحشوها
قطنة فسمى ثابت قطنة وقد كان يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان
فلما علا المنبر ارتج عليه ولم ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال ٭
فان لا اكن فيكم خطيبا فانني ٭ بسيفى اذا جد الوغى لخطيب
فقالوا لو كنت قلت هذا على المنبر كنت اخطب الناس ذكره ابن قتيبة في طبقات
الشعرا وقال ابن الكلبي في جمهرة النسب هو ثابت بن كعب بن جابر بن كرمان بن طوفه
بن وهب بن مازن بن تميم بن الاسد بن الحرث بن العتيك بن عمرو مزيقيا بن عامر
ماء السما وقال غير الطبري ان الذى قتل يزيد هو الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي
قال الكلبي ثلاث والناس يقولون ضحى بنو امية بالدين يوم كربلا وبالكرم يوم العقر
وقال محمد بن واسع لما جاءني يزيد اشتهى باكية عمانية تندب لى قتل يزيد وال المهلب
وقال ابن عباد مكثنا نيفا وعشرين سنة بعد قتل المهلب لا يولد فينا جارية ولا
يموت منا غلام وقال خليفة بن خياط سنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب
يوم الجمعة لاثنى عشرة خلت من صفر وهو ابن تسع واربعين سنة رحمه الله تعالى
فلقد كان من النجباء الكرما الفرسان وروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل
على اخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب فراه في ثوب مصبوغ
فقال له اتلبس مثل هذا وانت ممن قيل فيه ٭ ٭ ٭

قلت قوم اذا حاربوا شدوا مازرهم ٭ دون النسا ولو باتت باطهار
فقال مسلمة ذلك ونحن نحارب اكفانا من قريش فاما ان نعق ناعق فلا ولا كرامة
قلت وهذا البيت للاخطل التغلبى النصراني الشاعر المشهور ٭ ابو العلا يزيد
بن ابي مسلم دينار الثقفى مولاهم كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفى وكان فيه
كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسببهما وقد تقدم في ترجمة يزيد بن المهلب ان
الحجاج لما حضرته الوفاه استخلفه على الخراج بالعراق فلما مات الحجاج اقره الوليد بن
عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيا وقيل ان الوليد هو الذى ولاه بعد موت
الحجاج وقال الوليد يوما مثلى ومثل الحجاج وابن ابي مسلم كرجل ضاع منه درهم
فوجد دينارا ولما مات الوليد وتولى اخوه سليمن عزل يزيد بن ابي مسلم وبعث
مكانه يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الازدى المذكور قبله واحضر اليه يزيد
بن ابي مسلم في جامعة وكان قصيرا ذميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين
فلما نظر اليه سليمن قال انت يزيد بن ابي مسلم قال نعم اصلح الله امير المومنين قال
لعن الله من اشركك في امانته وحكمك في دينه قال لا تفعل يا امير المومنين فانك
رايتنى والامور مدبرة عنى ولو رايتنى والامور مقبلة على لاستعظمت ما استصغرت
ولاستجللت ما احتقرت فقال سليمن قاتله الله ما اشد عقله واعضب لسانه
ثم قال سليمن يا يزيد اترى صاحبك الحجاج يهوى بعد في نار جهنم ام استقر في قعرها
فقال يزيد لا تقل ذلك يا امير المومنين فان الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم وبذل مهجته
لكم فهو يوم القيمة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد فاجعله حيث احببت وفي رواية
اخرى انه يحشر بين اخيك وابيك فضعه حيث شيت قال سليمن قاتله الله فما اوفاه
لصاحبه اذا اصطنعت الرجال فليصطنع مثل هذا فقال رجل من جلساء سليمن يا
امير المومنين اقتل يزيد ولا تستبقه فقال يزيد من هذا فقالوا فلان بن فلان قال
يزيد والله لقد بلغنى ان امه ما كان شعرها يوارى اذنيها فما تمالك سليمن ان
ضحك وامر بتخليته ولم يوذيه ثم كشف عنه سليمن فلم يجد عليه خيانة دينارا ولا
درهما فهم باستكتابه فقال له عمر بن عبد العزيز انشدك الله يا امير المومنين
ان تحيى ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه فقال يا ابا حفص انى كشفت عنه فلم اجد
عليه خيانة دينارا ولا درهما فقال عمر انا اوجدك من هو اعف عن الدينار و
الدرهم منه فقال سليمن من هذا فقال ابليس ما مس دينارا ولا درهما بيده
وقد اهلك هذا الخلق فتركه سليمن وحدث جويرية بن اسما ان عمر بن عبد العزيز
بلغه ان يزيد بن ابي مسلم في جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش ان يرده

وقال انى لاكره ان تستنصر بحبش هو فيهم ونقل الحافظ ابو القسم المعروف بابن عساكر
فى تاريخ دمشق فى ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب انه قال فى سنة احدى ومايه
امر يزيد بن ابى مسلم على افريقيه ونزع اسمعيل بن عبد الله بن ابى المهاجر مولى
بنى مخزوم فسار الحسن سيره وفى سنة اثنين ومايه قتل يزيد قال الطبرى فى
تاريخه الكبير وكان سبب ذلك انه كان فيما ذكر عزم ان يسير فيهم بسيرة الحجاج
بن يوسف الثقفى فى اهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان اصله من السواد
من اهل الذمه فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ووسمهم ووضع الجزيه
على رقابهم على نحو ما كان يوخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تامروا
فاجمعوا رايهم على قتله فقتلوه وولوا على انفسهم الوالى الذى كان قبل يزيد
بن ابى مسلم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع ايدينا عن الطاعه ولكن يزيد
بن ابى مسلم سامنا بما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه واعدنا عاملك فكتب
اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم ارض ما صنع يزيد بن ابى مسلم واقر محمد بن
يزيد على افريقيه وكان ذلك فى سنة اثنين ومايه قال الوضاح بن خيثمه
امرنى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن ابى
مسلم فاخرجتهم وتركته فحقد على وانى بافريقيه اذ قيل قدم يزيد واليا
فهربت منه وعلم بمكانى وامر بطلبى فظفر بى وحملت اليه فلما رانى قال
لطالما سالت الله تعالى ان يمكننى منك فقلت وانا والله لطالما سالت الله ان
يعيذنى منك فقال ما اعاذك الله والله لاقتلنك ولو سابقنى فيك ملك الموت
لسبقته ثم دعا بالسيف والنطع فاتى بهما وامر بالوضاح فاقيم على النطع وكتف
وقام وراه رجل بالسيف واقيمت الصلوة فخرج يزيد اليها فلما سجد اخذته
السيوف ودخل الى الوضاح من قطع كتافه واطلقه واعيد الى الولايه محمد بن
يزيد مولى الانصار والله اعلم هكذا قاله الطبرى محمد بن يزيد مولى وقال ابن عساكر
اسمعيل بن عبد الله والله اعلم بالصواب وقوله واحضروا اليه بن يزيد بن ابى مسلم
فى جامعه فالجامعه الغل لانها تجمع اليدين الى العنق وقوله وكان رجلا قصيرا
دميما الدميم بالدال المهمله القبيح المنظر ومنه قول عمر رضى الله عنه لا تزوجوا
بناتكم من الرجل الدميم فانه يعجبهن منهم ما يعجبه منهن واما الذميم بالذال
المعجمه فانه المذموم وكذا قول ابن الرومى الشاعر المشهور ∴

كضراير الحسناء قلن لوجهها ∴ حسدا وبغيا انه لدميم

بالدال المهمله وانما قيدته بالضبط لانه يصحف على الناس كثيرا والله

اعلم

اعلم ابو خالد يزيد بن ابى المثنى عمر بن هبيرة بن معيه بن سكين بن خديج
بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزاره ونسب فزاره معروف فلا حاجة
الى ذكره قال ابن دريد معيه تصغير معا وهو الواحد من امعاء البطن وقد
رد على ابن دريد هذا القول وقالوا بل صوابه انه تصغير معويه وسكين بضم
السين المهمله وفتح الكاف وخديج بفتح الخاء المعجمه وبغيض بفتح الباء الموحده
والباقى معروف لا حاجه الى ضبطه ذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخه الكبير
ان اصله من الشام وانه ولى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان
مع مروان بن محمد اخر ملوك بنى اميه يوم غلب على دمشق وجمع له ولايه
العراقين مولده سنة سبع وثمانين وذكره ابن عباس فى تتمة من ولى
العراقين وجمع له المصران وهما البصره والكوفه وكذلك ذكره ابن قتيبه فى
كتاب المعارف فى تتمة من ولى العراقين وعد الولاه الذين جمع لهم العراقان فكان
اولهم زياد ابن ابيه الذى استلحقه معويه بن ابى سفين واخرهم يزيد بن عمر
بن هبيره صاحب هذه الترجمه ثم قال ولم يجمع العراقان لاحد بعد هولاء وذكره
ايضا قبل هذا فى ترجمه عمر فقال وكان ابو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهورا
ثم امنه وافتتح البلد صلحا وركب اليه يزيد فى اهل بيته وكان ابو جعفر يقول
لا يعز ملك هذا فيه ثم قتله وقال خليفة بن خياط فى سنة ثمان وعشرين و
مايه وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق وذلك قبل
قتل الضحاك يعنى بن قيس الشيبانى الخارجى فسار حتى نزل هيت وكان شيخا
جسيما طويلا خطيبا اكولا شجاعا تماما وكان فيه حسد وذكره ابو جعفر الطبرى فى
تاريخه فى سنة ثمان وعشرين ومايه فقال وفى هذه السنه وجه مروان بن
محمد يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق لحرب من بها من الخوارج ثم ذكر فى سنة اثنين
وثلثين ومايه خروج قحطبة بن شبيب احد دعاة بنى العباس لما اظهروا امرهم
بخراسان وتلك النواحى وكان ابو مسلم الخراسانى المقدم ذكره فى حرف العين
اعظم الاعوان واصل تلك القضيه حتى انتظمت امورها كما هو المشهود وقد سبق
فى ترجمة ابى مسلم طرف من هذا الحديث ولا حاجة الى التطويل فيه وكان خروج
قحطبه بارض العراق وقصده محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة وجرت وقايع يطول شرحها
وحاصل الامر ان قحطبه خاض الفرات عند الفلوجه القريه المشهوره بالعراق ليقاتل
ابن هبيرة وكان فى قبالته فغرق قحطبة فى عشية الاربعا عند غروب الشمس لثمان

خلون من المحرم من هذه السنة وقام ولده الحسن بن قحطبة مقامه في تقدمة الجيش
وهي واقعة مشهورة طويلة وليس هذا موضع ذكرها وكان معن بن زائدة الشيباني
المقدم ذكره من اتباع يزيد بن هبيرة المذكور ومن اكبر اعوانه في الحروب وغيرها
فيقال انه في تلك الليلة ضرب قحطبة بن شبيب بالسيف على راسه وقيل على
عاتقه فوقع في الماء فاخرجوه حيا فقال ان مت فادفنوني في الماء لئلا يقف احد
على اخباري وقيل في غرقه غير ذلك والله اعلم عدنا الى حديث ابن هبيرة و
كان من خبره ان جيوش خراسان التي كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحسن من
بعده استظهرت عليه فهزمت عسكره ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتحصن
بها ثم وصل ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه الملقب بالسفاح واخوه ابو جعفر المنصور من الحميمة بضم الحا
المهملة القرية التي كانت مسكن بني العباس في اطراف الشام من ارض البلقا الى
الكوفة ولهما جماعة من اشياعهم واتباعهم ومن قام معهم باقامة دولتهم وازالة
دولة بني امية التي اميرها اذ ذاك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الاموي ا
لمعروف بالجعدي والمنبوز بالحمار آخر ملوكهم فلما وصل الى الكوفة بويع ابو العباس
السفاح بها يوم الجمعة لثلث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين و
ثلثين ومائة وقيل ان المبايعة كانت في شهر ربيع الاول والاول اصح وظهر امر
بني العباس وقويت شوكتهم وادبرت دولة بني امية فعند ذلك وجه السفاح
اخاه ابا جعفر المنصور لحرب يزيد بن هبيرة فجاء المنصور الى العسكر الذي مقدمه
الحسن بن قحطبة وهو مقاتل يزيد بن هبيرة فنزل فيه وقال الطبري في تاريخه الكبير
وجرت السفرة بين ابي جعفر المنصور وبين ابن هبيرة حتى جعل له امانا وكتب به
كتابا فمكث يشاور فيه العلماء اربعين ليلة حتى رضيه ابن هبيرة ثم انفذه ابو
جعفر الى ابي العباس السفاح فامره بامضائه وكان راي ابي جعفر الوفاء له بما
اعطاه وكان ابو عين على السفاح فكتب اليه باخباره كلها فكتب ابو مسلم الى السفاح
ان الطريق السهل اذا القيت فيه الحجارة فسد لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة
ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة الى ابي جعفر المنصور في الف وثلثمائة من البخارية
فاراد ان يدخل الحجرة على دابته فقام اليه الحاجب فقال مرحبا ابا خالد انزل راشدا
وقد اطاف بالحجرة عشرة آلاف من اهل خراسان فنزل ودعا له بوسادة ليجلس
عليها ثم دعا له بالقواد فدخلوا ثم قال له الخادم الحاجب ادخل ابا خالد فقال انا ومن معي

فقال

فقال انما استاذنت لك وحدك فقام ودخل ووضعت له وسادة وحادثه ساعة
ثم قام واتبعه ابو جعفر بصره حتى غاب عنه ثم مكث يقيم عنه يوما وياتيه يوما
في خمس مائة فارس وثلثمائة راجل فقال يزيد بن حاتم لابي جعفر الحاجب
قل لابن هبيرة يدع الجماعة وياتينا في حاشيته فقال له الحاجب ذلك فتغير
وجهه وجاء في حاشيته نحوا من ثلثين فقال له الحاجب كانك تاتي متاهبا
فقال ان امرتم ايها الامير ان ابن هبيرة لياتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من
سلطانه شي فقال ابو جعفر ان تمشي اليكم مشينا فقال ما اردنا بك استخفافا
ولا امر الامير بما امر به الا نظرا لك فكان ياتي بعد في ثلثة وقال محمد بن
كثير كلم ابن هبيرة يوما ابا جعفر فقال يا هناه او يا ايها المرء ثم رجع فقال ايها
الامير ان عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث فسبقني لساني
بما لم ارده والح ابو العباس السفاح على ابي جعفر يامره بقتله وهو يراجعه فكتب
اليه والله لتقتلنه او لارسلن اليه من يخرجه من حجرتك ثم يقتله فازمع على
قتله فبعث ابو جعفر من ختم بيوت الاموال ثم بعث الى وجوه من مع ابن هبيرة فحضروا
وخرج الحاجب من عند ابي جعفر فطلب ابن الحوثرة ومحمد بن نباتة وهما من الا
عيان فقاما وقد اجلس ابو جعفر ثلثة من خواصه في مائة من جماعته في حجرة فنزعت
سيوفهما وكتفا ثم دخل بعدهما اثنين ففعل بهما كذلك وبعدهم جماعة اخرى
فعل بهم كذلك فقال موسى بن عقيل اعطيتمونا عهد الله ثم خستم به انا
لنرجو ان يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط في لحية نفسه فقال له الحوثرة
ان هذا لا يغني عنك شيئا فقال لكاني كنت انظر الى هذا المآل فقتلوا واخذت
خواتيمهم وانطلق حازم والهيثم بن شعبة والاغلب بن سالم في نحو مائة
فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد هذا المال فقال ابن هبيرة لحاجبه انطلق فدلهم
على المال فاقاموا عند كل بيت نفرا ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ومع ابن هبيرة
ابنه داود وكاتبه عمرو بن ايوب وحاجبه وعدة من مواليه وبني صغير له في
حجره فجعل ينكر نظرهم فقال اقسم بالله ان في وجوه القوم لشرا فاقبلوا نحوه
فقام حاجبه في وجوههم فقال وراءكم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه
فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه ونحا الصبي من حجره وقال
دونكم هذا الصبي وخر ساجدا فقتل وهو ساجد ومضوا برؤوسهم الى ابي
جعفر المنصور فنادى بالامان للناس فقال ابو عطا السندي واسمه مرزوق
وقيل افلح مولى بني اسد يرثي ابن هبيرة

الا ان عينا لم تجد يوم واسط ؛ عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت ؛ جيوب بايدي ماتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما ؛ اقام به بعد الوفود وفود
وانك لم تبعد على متعهد ؛ بلى كل من تحت التراب بعيد

قلت وهذه المرثيه ذكرها ابو تمام الطائي في كتاب الحماسة في باب المراثي
قلت الى هاهنا انتهى ما نقلته من تاريخ الطبري مقتضبا فانني جمعته من
عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة واما غير الطبري فانه قال لما قدم
ابو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه فانزله فيه واقاموا
يقتتلون اياما وثبت معن بن زايدة مع ابن هبيرة فطال الحصار عليهم وكان
ابو جعفر المنصور يقول ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النسا وبلغ ابن
هبيرة ذلك فارسل اليه انت القايل كذا ابرز الي لترى فارسل اليه المنصور
ما اجد لي ولك مثلا الا كاسد لقي خنزيرا فقال له الخنزير بارزني فقال الاسد
ما انت لي بكفو فان بارزتك فنالني منك سوء كان عارا وان قتلتك قتلت
خنزيرا فلم احصل على حمد ولا في قتلك فخر فقال له الخنزير ان لم تبارزني لاعرفن
السباع انك جبنت عني فقال الاسد احتمال عار كذبك ايسر من تلطخ براثني
بدمك ثم ان المنصور كاتب القواد ففهم ابن هبيرة فطلب الصلح فاجابه المنصور و
كتبوا كتاب الصلح والامان وبعثوا الى السفاح فامضاه وكتب فيه فان غدر ابن هبيرة
او نكث فلا عهد له ولا امان وكان من راي المنصور الوفاء له وقال ابو الحسن المدايني
لما كتب المنصور بينه وبين ابن هبيرة كتاب الصلح خرج الى المنصور بينه وبينه
ستارة فقال ابن هبيرة ايها الامير ان دولتكم بكر فاذيقوا الناس حلاوتها
وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم الى قلوبهم ويعذب ذكركم على السنتهم وما
زلنا منتظرين لدعوتكم قال فرفع المنصور الستر بينه وبينه وقال في نفسه عجبا
لمن يامرني بقتل مثل هذا وصار ابن هبيرة يخرج الى المنصور في اخوانه في ثلثة
من اصحابه يتغدا او يتعشا عنده وكان يثني له وسادة فقيل انه كان يكاتب
عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ويدعوا اليهم والى خلع السفاح
وجاء كتاب ابي مسلم يحثه على قتل ابن هبيرة فكتب السفاح الى المنصور يامره بقتله
فقال لا افعل وله في عنقي بيعة وايمان فلا اضيعها بقول ابي مسلم فكتب السفاح
ما اقتله بقول ابي مسلم ولكن بنكثه وغدره ودسيسه الى ال ابي طالب وقد
ابيح لنا دمه فلم يجبه المنصور وقال هذا افساد الملك فكتب اليه السفاح لست منك وانت

منك

منك ان لم تقتل فقال المنصور للحسن بن قحطبة اقتله انت فامتنع فقال حازم
بن خزيمة انا اقتله فدخل عليه في جماعة من قواد خراسان وهو في القصر و
عنده ابنه داود وكاتبه ومواليه وعليه قميص مصري وملاة مورده وعهده
بالحجام وهو يريد ان يحجمه فلما راهم سجد فقتلوه وقتلوا ابنه وكاتبه ومن
كان معه وحملوا راسه الى المنصور وكان معن بن زايدة غايبا عند السفاح
فسلم وبعث المنصور براسه الى السفاح وكان ذلك في سنة اثنتين وثلثين
ومائة وقال الهيثم بن عدي لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين
لبعض اصحاب ابن هبيرة ما كان اكبر راس صاحبكم فقال له الرجل اما انه
كان اكبر وذكر الخطيب ابو زكريا التبريزي في كتاب شرح الحماسة في باب
المراثي عند ذكره ابيات ابي عطا السندي الداليه المقدم ذكرها التي
يرثي بها يزيد المذكور فقال وكان المنصور قد حلف له واكد له الايمان فلما
قتله وحمل راسه اليه قال المنصور للحرسي اترى طينه راسه ما اعظمها فقال
الحرسي طينة ايمانه اعظم من طينة راسه وهدم المنصور قصر واسط وقال
الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير كان ابن هبيرة اذا اصبح اتي بعس قلت العس
بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة مشدده هو القدح الكبير وفيه لبن
قد حلب على عسل واحيانا سكر فيشربه فاذا صلى الغداه فيجلس في مصلاه حتى
تحل الصلوة فيصلي ثم يدخل فيحركه اللبن فيدعوا بالغداة فياكل دجاجتين و
ناهضين ونصف جدي والوانا من اللحم والناهض بالنون وبعد الهاء المكسوره
ضاد معجمه وهو الفرخ من الحمام قال ثم يخرج فينظر في امور الناس الى نصف
النهار ثم يدخل فيدعوا جماعة من اعيانه وخواص الناس ويدعوا بالغدا
فيتغدى ويضع منديلا على صدره ويعظم اللقم ويتابع فاذا فرغ من الغدا تفرق
من كان عنده ودخل الى نسائه حتى يخرج الى الصلوة ثم ينظر بعد الظهر في امور
الناس فاذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسي للناس فاذا اخذ الناس
مجالسهم اتوهم بعساس اللبن والعسل والوان الاشربة قلت والعساس بكسر
العين جمع عس وقد تقدم الكلام عليه ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع
له ولاصحابه خوان مرتفع فياكل معه الوجوه الى المغرب ثم يتفرقون للصلوة
ثم ياتيه سماره فيحضرون مجلسا يجلسون فيه حتى يدعوهم فيما مر وقع حتى يذهب
عامة الليل وكان يسال كل ليلة عشر حوايج فاذا اصبحوا قضيت وكان رزقه
ستماية الف درهم فكان يفرق في كل شهر في اصحابه من قومه ومن الفقها والوجوه واهل

البوقات فقال عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي الفقيه الكوفي وكان من سماره
اذا نحن اعتمنا ومال بنا الكرا * اتانا باحدى الراحتين عياض وعياض
بوابه واحدى الراحتين الدخول او الانصراف ولم يكن له منديل فكان اذا
دعا بالمنديل قام الناس وقال شيخ من قريش اذن يزيد بن عمر بن هبيرة
في يوم صائف شديد الحر للناس فدخل عليه وعليه قميص مرقوع الجيب فجعلوا
ينظرون اليه ويتعجبون ففطن لهم فتمثل بقول ابرهيم بن هرمة قد يدرك
الشرف الفتى ورداوه * خلق وجيب قميصه مرقوع * واخباره ومحاسنه
كثيرة مشهورة قال خليفة بن خياط قتل ابن هبيرة بواسط يوم الاثنين لثلث
عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنين وثلثين ومائة رحمه الله تعالى
ابو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي قد سبق
ذكر بقية نسبه في ترجمة جده المهلب بن ابي صفرة وقد ذكرت اخاه روح بن
حاتم في حرف الراء وعم ابيه يزيد بن المهلب ومن ولده الوزير ابو محمد الحسن بن محمد
المهلبي بالمقدم ذكره وهم اهل بيت كبير اجتمع فيه خلق كثير من الاعيان الامجاد
الانجاد ذكر جرير الطبري في تاريخه ان الخليفة ابا جعفر المنصور عزل حميد ابن قحطبة
عن ولاية مصر وولاها نوفل بن الفرات ثم عزله وولى يزيد بن حاتم وذلك سنة
ثلث واربعين ومائة ثم ان المنصور عزله عن مصر في سنة اثنين وخمسين ومائة و
جعل مكانه محمد بن سعيد وقال ابو سعيد بن يونس في تاريخه ولي يزيد بن حاتم مصر
في سنة اربع واربعين ومائة وزاد غيره في منتصف ذي القعدة ثم ان المنصور خرج
الى الشام وزيارة بيت المقدس في سنة اربع وخمسين ومن هناك سير يزيد بن ابي
حاتم الى افريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص وجهز معه خمسين
الف مقاتل واستقر يزيد المذكور واليا بافريقية من يومئذ وكان وصوله
اليها واستظهاره على الخوارج في سنة خمس وخمسين ودخل مدينة القيروان
في هذا التاريخ وكان جوادا سريا مقصودا ممدحا فقصده جماعة من الشعرا
فاحسن جوائزهم وكان ابو اسامة ربيعة بن ثابت الاسدي الرقي وقيل انه
من موالي سليم قد قصد يزيد بن اسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة بن
زافر بن اسما بن اسيد بن فيقد بن جابر بن فعل بن مالك بن عوف بن امرء
القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو يومئذ وال على ارمينية وكان قد وليها
زمانا طويلا لابي جعفر المنصور ثم من بعده لولده المهدي وكان يزيد المذكور من

اشراف

اشراف قيس وشجعانهم ومن ذوي الاراء الصائبة وملاحه ربيعة المذكور بشعر
اجاد فيه فقصر في حقه ومدح يزيد بن حاتم المذكور فبالغ في الاحسان اليه
فقال ربيعة قصيدة يفضل يزيد بن حاتم على يزيد بن اسيد وكان في لسان يزيد
بن اسيد تمتمة فعرض بذكرها في هذه الابيات فقال *

حلفت يمينا غير ذي مثنوية * يمين امرء الا بها غير اثم
لشتان ما بين اليزيدين في الندا * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * اخو الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت اهل المكارم
فيا ايها الساعي الذي ليس مدركا * بمسعاته سعي البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم * لفعل اسير واحتمال العظايم
ونمت وما الازدي عنها بنائم * كفاك بنا المكرمات ابن خائم
فيا ابن اسيد لا تسام ابن حاتم * فتقرع ان ساميته سن نادم
هو البحر ان كلفت نفسك خوضه * تهالكت في اذيه المتلاطم
تمنيت مجدا في سليم سفاهة * اماني حال او اماني حالم
الا انما آل المهلب غرة * وفي الحرب قادات لكم بالخزايم
هو الانف في الخرطوم والناس بعدهم * مناسم في الخرطوم فوق المناسم
قضيت لكم آل المهلب بالعلى * وتفضيلكم حقا على كل عالم
لكم شيم ليست لخلق سواكم * سماح ونجد في الباس عند الملاحم
تهينون للاموال فيما ينوبكم * مناعيش دفاعون عن كل خازم

قال دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المقدم ذكره قلت لمروان بن ابي حفصة الشاعر
وقد تقدم ذكره يا ابا السمط من اشعركم جماعة المحدثين قال اشعرنا بيتا قلت ومن هو
قال الذي يقول لشتان ما بين اليزيدين في الندا يزيد سليم والاغر ابن حاتم
وكنت قد ذكرت بعض هذه الابيات في ترجمة اخيه روح بن حاتم ثم اني ظفرت بها
اكمل من تلك فاحببت ان افرد لها ترجمة واذكر ما جرى له لانه مثله لا يصلح ان
يكون في ترجمة اخيه وكان ربيعة بن ثابت قد قصده قبل هذه المرة فلم
يرمنه من الاحسان ما كان يرجوه فنظم ابياتا من جملتها *
اراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم
ولما عقد ابو جعفر المنصور ليزيد المهلبي المذكور على بلاد افريقية ولي يزيد السلمي

على ديار مصر خرجا معاً فكان يزيد المهلبي يقوم بكفاية الجيش فقال ربيعة الرقي المذكور

يزيد الخير ان يزيد قومي ∴ سميك لا يجود كما تجود
تقود كتيبة وتقود اخرى ∴ فترزق من تقود ومن يقود

وهذا يدل على ان ربيعة المذكور مولى سليم لقوله يزيد قومي والله اعلم وقدم
اشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر فجلس في مجلسه ودعا يزيد بغلام فساره
فقام اشعب فقبل يده فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال اني رأيتك تسار غلامك
فظننت انك قد امرت لي بشي فضحك منه وقال ما فعلت ولكني افعل ووصله و
احسن اليه وقال الطرطوشي في كتاب سراج الملوك قال سحنون بن سعيد كان
يزيد بن حاتم حكيماً يقول والله ما هبت شيئاً قط هيبتي لرجل ظلمته وانا اعلم
انه لا ناصر له الا الله تعالى فيقول حسبك الله الله بيني وبينك وذكر ابو سعيد
السمعاني في كتاب الانساب ان المهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بافريقيه
فانشده ∴ اليك قصرنا النصف من صلواتنا ∴ مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى ان يخيب رجاؤنا ∴ لديك ولكن اهنأه البر عاجله

فامر يزيد بوضع العطا في جملة وكان معه خمسون الف مرتزق فقال من احب
ان يرزق فليضع لزائري هذا درهمين من عطائه فاجتمع له مائة الف درهم وضم
يزيد الى ذلك مائة الف درهم اخرى ودفعها اليه قلت ثم وجدت البيتين المذكورين
لمروان بن ابي حفصة والله اعلم وذكر الحافظ ابو القسم المعروف بابن عساكر في تاريخ
دمشق فقال بعد ذكر احواله وولاياته ان يزيد بن حاتم قال لجلسائه استنفدوا الي
ثلثة ابيات فقال صفوان بن صفوان من بني الحرث بن الخزرج انا قال فيم
فكانها كانت في فكره ∴ لم ادر ما الجود الا ما سمعت به ∴ حتى لقيت يزيداً عصمة الناس
∴ ∴ لقيت اجود من يمشي على قدم ∴ مفضلا برداء الجود والناس
لو نيل بالجود مجد كنت صاحبه ∴ وكنت اولى به ∴ ثم كففت فقال اتمم من عباس
فقلت لا يصلح فقال لا يسمعن هذا منك احد وقال يموت بن المزرع قال لي الاصمعي
يوماً وقد جئته مسلماً الى ان ذكر الشعرا المحسنين المداحين من المولدين فقال
لي يا ابا عثمان ابن المولى من المحسنين المداحين ولقد اسهرني في ليلتي هذه حسن
مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول

واذا تباع كريمة او تشترى ∴ فسواك بائعها وانت المشتري
واذا تخيل من سحابك لامع ∴ سبقت مخيلته يد المستمطر
واذا صنعت صنيعة اتممتها ∴ بيدين ليس نداهما بمكدر

واذا

و واذا الفوارس عددت ابطالها ∴ عدوك في ابطالها بالخنصر

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور وانشده وهو امير مصر فقال

يا واحد العرب الذي ∴ اضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ∴ ما كان في الدنيا فقير

فدعا يزيد بخازنه وقال كم في بيت مالي قال فيه من العين والورق ما
مبلغه عشرون الف دينار فقال ادفعها اليه ثم قال يا اخي المعذرة الى الله تعالى
واليك والله لو ان في ملكي غيرها لما ادخرتها عنك وهذا ابن المولى هو ابو عبد الله
محمد بن مسلم وعرف بابن المولى وروى الاصمعي ايضاً ان يزيد لما كان بافريقية جاءه
البشير بخبر ان قد ولد له مولود بالبصرة فقال قد سميته المغيرة وكان عنده المهر
التميمي فقال بارك الله ايها الامير فيه وبارك له في بنيه كما بارك للجلة في ابيه ولم
يزل والياً بافريقية الى ان توفي بها يوم الثلثا لاثنتي عشرة ليلة بقيت من
شهر رمضان سنة سبعين ومائة بالقيروان ودفن بباب سلم واستخلف
على افريقيه ولده داود بن يزيد فعزله هرون الرشيد في سنة اثنين وسبعين
ومائة وولاها عمه روح بن حاتم المقدم ذكره والله اعلم ابو خالد
وابو الزبير يزيد بن مزيد بن زايدة وهو ابن اخي معن بن زايدة الشيباني المقدم
ذكره وقد استوفيت ذكر نسبه هناك فلا حاجة الى اعادته هاهنا كان يزيد المذكور
من الامرا المشهورين والشجعان المعروفين وكان والياً بارمينية فعزله عنها هرون
الرشيد سنة اثنين وسبعين ومائة ثم ولاه اياها وضم اليها اذربيجان في
سنة ثلث وثمانين وقد سبق طرف من خبره في ترجمة الوليد بن طريف الشاري
الخارجي فانه الذي تولى محاربته وقتله وذكر ارباب التواريخ ان الوليد بن طريف
الشاري لما خرج على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة وهي بين الفرات وشط الموصل
وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائة وكثر جمعه من الشراة حتى انتشر في تلك البلاد
ونهض اليهم عامل ديار بكر وربيعة فقتلوه وصاروا الى ديار مضر فهزموا عبد
الملك بن صالح بن علي العباسي بالرقة فاستشار هرون الرشيد يحيى بن خالد
البرمكي فيمن يوجه لحرب الوليد بن طريف فقال له يحيى بن خالد وجه له موسى بن
خازم التميمي فان فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام فوجهه اليه
الرشيد في جيش كثيف فلاقاه الوليد في اصحابه فهزمه الوليد وقتله فلما بلغ
الرشيد ذلك وجه اليه معمر بن عيسى العبدي فكانت بينهما عدة وقائع بناحية
دارا من ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد فظهر هذا الظهور العظيم

قال الرشيد ليس لها الا الاعرابي يزيد بن مزيد الشيباني فقال بكر بن النطاح الشاعر

لا تبعثن الى ربيعة غيرها ∴ ان الحديد بغيره لا يفلح

فوجه اليه الرشيد يزيد المذكور في عسكر ضخم وامره بمناجزته فصار يزيد
وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه وكان الوليد دائما يكر ويرد ثم كانت بينهما
حروب صعبة وبلغ الرشيد مماطلة يزيد بن مزيد له فوجه اليه خيلا بعد خيل
ثم بعث اليه من يعنفه فنادى يزيد في طلبه ثم نزل فصلى الصبح ولم يستتم صلاته
حتى طلع عليه الوليد في عسكره واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما نشبت
الحرب ناداه يزيد يا وليد ما حاجتك الى التحرز بالرجال ابرز الي قال نعم
والله فبرز الوليد وبرز اليه يزيد ووقف العسكران فلم يتحرك منهما احد
فتطاردوا ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه حتى مضت ساعات
من النهار فامكنت يزيد فيه الفرصة فضرب رجله فسقط وصاح بخيله فقطعوا عليه
واحتزوا راسه ذكر ابو يعقوب اسحق بن ابرهيم المعروف بابن الفرات الهروي في
تاريخه ان الوليد بن طريف قتله يزيد بن مزيد بالحديثة من ارض الجزيرة قلت
وهذه الجزيرة هي الجزيرة الفراتية والحديثة بالقرب من عانه وتعرف بحديثة
النورة وهي على فراسخ من الانبار وهي غير حديثة الموصل ووجه يزيد براس الوليد الى
الرشيد بكتاب الفتح مع ابنه اسد بن يزيد وفي ذلك يقول ابو الوليد مسلم بن
الوليد الانصاري الشاعر المشهور وكان منقطعا الى يزيد ومختصا به ∴

سل الخليفة سيفا من بني مطر ∴ يمضي فيخترق الاجسام والهاما
لولا يزيد ومقدار له سبب ∴ عاش الوليد مع العافين اعواما
اكرم به وبابآء له سلفوا ∴ بقوا من المجد اياما واياما

ولما انصرف يزيد الى باب الرشيد قدمه ورفع مرتبته وقال له يا ابا يزيد
ما اكثر امراء المؤمنين في قومك قال نعم الا ان منابرهم الجذوع يعني الجذوع التي
يصلبون عليها اذا قتلوا وكان قتل الوليد في سنة تسع وتسعين ومائة كما سبق
ذكره في ترجمته ورثته اخته بتلك الابيات الفائية المذكورة هناك
وقالت اخته الفارعة فيه ايضا هذين البيتين ∴

يا بني وائل لقد فجعتكم ∴ من يزيد سيوفه بالوليد
وائل بعضها يقتل بعضا ∴ لا يفل الحديد غير الحديد

وقد روى ان هرون الرشيد لما جهز يزيد الى حرب الوليد بن طريف اعطاه
ذا الفقار سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال خذه يا يزيد فانك ستنصر به فاخذه

ومضى وكان من هزيمة الوليد وقتله ما قد شرحناه وفي ذلك يقول مسلم بن
الوليد الانصاري من جملة قصيدة يمدح يزيد بن مزيد المذكور ∴

اذكرت سيف رسول الله سنته ∴ وباس اول من صلى ومن صاما

يعني باس علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ كان هو الضارب به وقد ذكر هشام
الكلبي في جمهرة النسب شيا يتعلق بذي الفقار وهي فايده يحسن ذكرها ههنا
فانه قال في نسب قريش منبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن
سعد بن سهم القرشي كانا سيدي بني سهم في الجاهلية قتلا يوم بدر و
كانا من المطعمين والعاص بن منبه قتل مع ابيه وكان له ذو الفقار فقتله
علي بن ابي طالب رضي الله عنه واخذه منه وقال غير الكلبي ان ذا الفقار
اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه قلت والفقار بفتح الفاء
جمع فقارة الظهر يقال في جمعها فقار وفقارات ويقال ذو الفقار بكسر الفاء
ايضا والفقار جمع فقرة بكسر الفاء وسكون القاف ولم يات مثله في الجموع
الا قولهم ابرة وابار رجعنا الى حديث ذي الفقار وكان سبب وصوله الى
هرون الرشيد فيما ذكره ابو جعفر الطبري باسناد متصل الى عمر بن المتوكل
وكانت امه تخدم فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب قالت كان
ذو الفقار مع محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يوم قتل في محاربته لجيش ابي جعفر المنصور العباسي والواقعة مشهورة
فلما احس محمد بالموت دفع ذا الفقار الى رجل من التجار كان معه وكان له
عليه اربع مائة دينار وقال له خذ هذا السيف فانك لا تلقى احدا من ال
ابي طالب الا اخذه منك واعطاك حقك قال وكان ذلك السيف عند ذلك
التاجر حتى ولي جعفر بن سليمن بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه اليمن والمدينة فاخبر عنه فدعا بالرجل فاخذ منه السيف و
اعطاه اربع مائة دينار فلم يزل عنده حتى قام المهدي بن المنصور واتصل به
خبره فاخذه ثم صار الى موسى الهادي ثم الى اخيه هرون الرشيد وقال
الاصمعي رايت الرشيد بطوس متقلدا سيفا فقال يا اصمعي الا اريك ذا
الفقار فقلت بلى جعلني الله فداك قال استل سيفي هذا فاستللته فرايت
فيه ثماني عشرة فقارة قلت خرجنا عن المقصود فلنرجع الى تتمة حديث
يزيد بن مزيد ذكر الخطيب ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ
بغداد ان يزيد المذكور دخل على الرشيد فقال الرشيد يا يزيد من الذي يقول

فيك : لا يعبق الطيب كفيه ومفرقه ∴ ولا يمسح عينيه من الكحل

قد عوّد الطير عادات وثقن بها ∴ فهن يتبعنه في كل مرتحل

فقال لا ادري يا امير المؤمنين قال افيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قايله فانصرف خجلا فقال الحاجب من بالباب من الشعراء فقال مسلم بن الوليد الانصاري قال ومنذ كم هو مقيم بالباب فقال منذ زمان طويل نمنعه من الوصول اليك لما عرفنه من اضافتك قال ادخله فادخله فانشده هذه القصيدة حتى ختمها فقال للوكيل بع ضيعتي الفلانية واعطه نصف ثمنها واحتبس نصفها لنفقتنا فباعها بماية الف درهم فاعطى مسلما خمسين الفا ورفع الخبر الى الرشيد فاستحضر يزيد وساله عن الخبر فاعلمه الحديث فقال قد امرت لك بماتي الف درهم لتسترجع الضيعة بماية الف وتزيد الشاعر خمسين الفا وتحبس خمسين الفا لنفقتك قال ابو بكر الانباري قال ابي سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من قول النابغة الذبياني حيث يقول ∴

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ∴ عصايب طير تهتدي بعصايب

يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم ∴ من الضاريات بالدما الدوارب

جوانح قد ايقن ان قبيله ∴ اذا ما التقى الجمعان اول غالب

لهن عليهم عادة قد عرفنها ∴ اذا عرض الخطي فوق الكواثب

الكواثب بالثاء المثلثة بعدها الباء الموحدة جمع كاثبة وهي ما تقرب من مسح الفرس امام السرج قلت واول قصيدة مسلم بن الوليد الانصاري

اجررت حبل خليع في الصبى غزل ∴ وقصرت همم العذال عن عذلي

حاط الخلافة سيف من بني مطر ∴ اقام قايمه من كان ذا ميل

كم صادم في ذرى علياً مملكة ∴ لولا يزيد بني شيبان لم يصل

ناب الامام الذي يفتر عنه اذا ∴ ما افترت الحرب عن انيابها العصل

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً ∴ اذا تغير وجه الفارس البطل

ينال بالرفق ما يعيى الرجال به ∴ كالموت مستعجلا ياتي على مهل

لا يرحل الناس الا نحو حجرته ∴ كالبيت يفضي اليه ملتقى السبل

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ∴ ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

يغدو فتغدو المنايا في اسنته ∴ شوارعاً تتحدى الناس بالاجل

اذا الخلافة عدت من عب طاعته ∴ عبالها الموت بين البيض والاسل

تراه في الامن في درع مضاعفة ∴ لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

وذكر

وذكر ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني في ترجمة مسلم بن الوليد الانصاري قال يزيد بن مزيد ارسل الي الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه الى مثلي فاتيته لابسا سلاحي مستعداً لامر ان اراده فلما راني ضحك الي وقال من ذا الذي يقول فيك حيث يقول : تراه في الامن في درع مضاعفة ∴ لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

لله من هاشم في ارضه جبل ∴ وانت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لا اعرفه يا امير المؤمنين فقال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا تعرف قايله وقد بلغ امير المؤمنين فرواه ووصل قايله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته قلت وهذان البيتان من جملة القصيدة التي ذكرت منها الابيات التي قبلها وقد روي عنه ان معن بن زايدة كان يقدمه على اولاده فعاتبته امراته في ذلك وقالت كم تقدم يزيد بن اخيك وتوخر بنيك ولو قدمتهم لتقدموا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال لها ان يزيد قريب مني وله علي حق الولد اذ كنت عمه وبعد فان بني الوط بقلبي وادنى من نفسي ولكني لا اجد عندهم من الغنا ما عنده ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيد لصار قريباً او عدو لصار حبيباً وسأريك في هذه الليلة ما تبسطين به عذري يا غلام اذهب فادع لي جساسا وزايدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى اتى جميع اولاده فلم يلبثوا ان جاوا في الغلايل الطيبة والنعال السندية وذلك بعد هداة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال معن يا غلام ادع لي يزيد فلم يلبث ان دخل عجلا وعليه سلاحه فوضع رمحه بباب المجلس ثم دخل فقال له معن ما هذه الهيئة يا ابا الزبير فقال جاني رسول الامير فسبق وهمي الى انه يريدني لمهم فلبست سلاحي وقلت ان كان الامر كذلك مضيت ولم اعرج وان كان غير ذلك فنزع هذه الالة عني من ايسر شي فقال معن انصرفوا في حفظ الله فلما خرجوا قالت زوجته قد تبين لي عذرك فقال متمثلا نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما وصيرته ملكا هماما والى هذه الحال اشار مسلم بن الوليد بقوله تراه في الامن في درع مضاعفه وقد روي ان مسلم ابن الوليد لما انتهى في انشاد هذه القصيدة الى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد الممدوح هلا قلت كما قال اعشى بكر بن وائل في مدح قيس بن معدي كرب : واذا تجي كتيبة ملمومة ∴ شهبا تخشى الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة ∴ بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال مسلم قولي احسن من قوله لانه وصفه بالخرق بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف وهو الاسم من علم معرفة العمل وانا وصفتك بالحزم قلت و

قيس الذى مدحه الاعشى هو والد الاشعث بن قيس الكندى احد الصحابة رضوان
الله عليهم قلت وقد تقدم الكلام على قوله قد عود الطير عادات وثقن بها وانه
اخذ هذا المعنى جماعة منهم ابو نواس قال عمر الوراق سمعت ابا نواس ينشد قصيدته
الرائية التى اولها * ايها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره
لا اذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره
فحسدته عليها فلما بلغ الى قوله
واذا مج القنا علقا * وتراءى الموت فى صوره
راح فى ثنى مفاضته * اسد يدمى شبا ظفره
تتأيا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره
قلت له ما تركت للنابغة شيا حيث يقول *
اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
فقال اسكت فلئن احسن الاختراع لما اسات الاتباع واخذ هذا المعنى ابو
تمام حبيب بن اوس الطاى فقال *
وقد ظللت عقبان راياته ضحى * بعقبان طير فى الدما نواهل
اقامت على الرايات حتى كانها * من الجيش الا انها لم تقاتل
وقال المتنبى ايضا * يطمع الطير فيهم طول اكلهم * حتى تكاد على احيائهم تقع
وللمتنبى ايضا * فى صفة جيش وقد الم بهذا المعنى
وذى لجب لا ذو الجناح امامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهى ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوءها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم
ولما كان يزيد واليا على اليمن قصده ابو الشمقمق مروان بن محمد مولى مروان بن محمد
الجعدى اخر ملوك بنى امية الشاعر المشهور الكوفى وكنيته ابو محمد وكان مشهورا با
لشمقمق وهو فى حال رثة وكان راجلا فمدحه وشرح حاله بقوله *
رحل المطى اليك طلاب الندا * ورحلت نحوك ناقة نعليه
اذ لم يكن لى يا يزيد مطية * فجعلتها لى فى القفار مطيه
تخدى امام اليعملات وتعتلى * فى السير تترك خلفها المهريه
من كل طاوس الحشا مزهوة * قطعا لكل تنوفة دويه
تنتاب اكرم وايل فى بيتها * حسبا وقمة مجدها مبنيه
اعنى يزيد اسيف ال محمد * فراج كل شديدة مخشيه

يوماه

يوماه يوم للمواهب والندا * خضل ويوم دم وخطو منيه
ولقد اتيتك واثقا بك عالما * ان لست تمنع مادحا بنيه
فقال صدقت يا شمقمق ولست اقبل مادحا بنيته اعطوه الف دينار ومدحه
ابو الفضل منصور بن سلمة النميرى الشاعر المشهور بقصيدة طويلة باتيه
احسن فيها كل الاحسان منها قوله *
لو لم يكن لبنى شيبان من حسب * سوى يزيد لفاتوا الناس بالحسب
ما اعرف الناس ان الجود مدفعة * للذم لكنه ياتى على النشب
وذكر ابو العباس المبرد فى كتاب الكامل ان يزيد بن مزيد المذكور نظر الى رجل
ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من
لحيتك فى مؤنة فقال اجل ولذلك اقول *
لها درهم للدهن فى كل ليلة * واخر للحنا يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت فى حافاتها الجلمان
قلت الجلمان بفتح الجيم واللام تثنية جلم وهو المقص وقال له هرون الرشيد يا
يزيد انى قد اعددتك لامر كبير فقال له يا امير المؤمنين ان الله قد اعد لك منى
قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فاذا شئت
فقل وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ان هذه المقالة دارت
بين هرون الرشيد ومعن بن زايدة عم يزيد المذكور ثم قال بعد هذا وقيل ان
هذا الكلام من كلام يزيد بن مزيد قلت انا وهذا لا يمكن ان يكون بين الرشيد
ومعن اصلا لان معنا قتل فى خلافة ابى جعفر المنصور حسبما تقدم ذكره فى
ترجمته على الاختلاف فى السنة وهو بعد الخمسين ومائة فكيف يمكن ان يقول
له الرشيد ذلك والرشيد ولى الخلافة فى سنة سبعين ومائة وذكر ابن عون
فى كتاب الاجوبة المسكتة ان الرشيد قال ليزيد المذكور فى لعب الصوالجة
كن مع عيسى بن جعفر فابى يزيد فغضب الرشيد وقال اتانف ان تكون
معه فقال قد حلفت لامير المؤمنين ان لا اكون عليه فى جد ولا هزل
ورايت فى بعض المجاميع حكاية عن بعضهم انه قال كنت مع يزيد بن مزيد
فاذا صايح فى الليل يا يزيد بن مزيد فقال يزيد على بهذا الصايح فلما
جى به قال ما حملك على ان ناديت بهذا الاسم قال نفقت دابتى ونفدت
نفقتى وسمعت قول الشاعر فتيمنت به فقال وما قال الشاعر فانشده
اذا قيل من للجود والمجد والندا * فناد بصوت يا يزيد بن مزيد فلما سمع يزيد

مقالته هش له وقال اتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال انا هو وامر له
بفرس ابلق كان معجبا به وبماية دينار وقد اطلنا القول في هذه الترجمة
لكن الكلام شجون يتعلق بعضه ببعض ومحاسن يزيد كثيره وتوفي سنة خمس
وثمانين ومايه ورثاه ابو محمد عبد الله بن ايوب التيمي بالشاعر المشهور
وقيل بل هذه المرثية لابي الوليد الانصاري الشاعر المذكور والصحيح انها
للتيمي المذكور وهي : احقا انه اودى يزيد : تبين ايها الناعي المشيد

اتدري من نعيت وكيف فاهت : به شفتاك كان بها الصعيد
احامي المجد والاسلام اودى : فما للارض ويحك لا تميد
تامل هل ترى الاسلام مالت : دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بني نزار : وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن : بدرتها وهل يخضر عود
اما هدت لمصرعه نزار : بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه : طريف المجد والحسب التليد
اما والله ما تنفك عيني : عليك بدمعها ابدا تجود
وان تجمد دموع لئيم قوم : فليس لدمع ذي حسب جمود
ابعد يزيد تختزن البواكي : دموعا او تصان لها خدود
لتبكك قبة الاسلام لما : وهت اطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر : له نشبا وقد كسد القصيد
فان تهلك يزيد فكل حي : فريس للمنية او طريد
لقد عزى ربيعة ان يوما : عليها مثل يومك لا يعود

قلت وهذا البيت الاخير قد استعمله الشعراء كثيرا فمن ذلك قول مطيع
ابن اياس يرثي يحيى بن زياد الحارثي من جملة ابيات

فاذهب لمن شئت اذ ذهبت به : ما بعد يحيى في الرزء من الم

وقال ابو نواس يرثي الامين وكنت عليه احذر الموت وحده فلم يبق لي شي
عليه احاذره وقول ابرهيم بن العباس الصولي يرثي ابنه :

انت السواد لمقلتي : تبكي عليك وناظر
من شاء بعدك فليمت : فعليك كنت احاذر

وذكر ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني في ترجمة مسلم بن الوليد
باسناد متصل الى احمد بن ابي سعد قال اهديت الى يزيد بن مزيد جارية وهو

ياكل

ياكل فلما رفع يده من الطعام وطيها فلم ينزل عنها الا ميتا وهو ببردعة فدفن في
مقام بردعة وكان مسلم بن الوليد معه في اصحابه فقال يرثيه :

قبر ببردعة استسر ضريحه : خطرا تقاصر دونه الاخطار
ابقى الزمان على ربيعة بعده : حزنا لعمر الله ليس يعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلا : حتى اذا سبق الردى بك حاروا
نفضت بك الاحلاس نفض اقامة : واسترجعت نزاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة : اثنى عليها السهل والاوعار

قد قيل ان هذا البيت الاخير ابلغ شي قيل في المراثي وهذه الابيات
في كتاب الحماسه في باب المراثي وبردعه بفتح الباء الموحدة وسكون الراء
وبعدها دال مهمله ثم عين مهمله وهي مدينة من اقصى بلاد اذربيجان قلت
هكذا رايته في التواريخ واهل تلك البلاد يقولون بردعه من اقليم اران والله اعلم
ويقال ايضا بردعه بالذال المعجمه وكذلك بردعه الدابه يقال الدال والذال
وقد قيل ان مسلم بن الوليد انما رثى بهذه الابيات يزيد بن احمد السلمي
وقيل بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي وان اول الابيات قبر بحلوان استسر
ضريحه لان الذي قيل فيه مات بحلوان بضم الحاء المهمله وهي اخر مدينة
بارض السواد من اعمال العراق والله اعلم بالصواب في ذلك كله وذكر ابو عبيد
الله المرزباني في كتاب معجم الشعرا ان ابا الهيذام بن عامر مولى يزيد بن
مزيد الشيباني هو القايل :

نعم الفتى فجعت به اخوانه : يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه : طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رايت صديقه وشقيقه : لم تدر ايهما ذوو الارحام

وذكر ابو تمام الطاي هذه الابيات في كتاب الحماسه في باب المراثي لمحمد بن
بشر الخارجي وقيل ابن بشير بالسين المهمله وهو فعيل من البشر والبشير
من البشاره وهو من خارجة عدوان قبيله وليس من الخوارج والله اعلم بالصواب
في ذلك كله ورثاه منصور النمري وهي في كتاب الحماسه بقوله :

ابا خالد ما كان ادهى مصيبة : اصابت معدا يوم اصبحت ثاويا
لعمري لئن سر الاعادي فاظهروا : شماتا لقد مروا بربعك خاليا
فان تك افنته الليالي فاوشكت : فان له ذكرا سيفني اللياليا

وكان ليزيد ولدان نجيبان سيدان احدهما خالد بن يزيد وهو ممدوح ابي تمام

الطائى وله فيه احسن المدائح وقد تضمنها ديوانه فلا حاجة الى ذكر شئ منها
لشهرة ديوانه والاخر محمد بن يزيد كان موصوفا بالكرم وانه لا يرد طالبا
فان لم يحضره مال لم يقل لا بل يعده ثم يعجل العدة وهو ممدوح احمد بن ابى
فنن صالح بن سعيد بقوله ثم وجدت هذه الابيات لابى الشيص الخزاعى فى
كتاب البارع ؛ عشق المكارم فهو مشتغل بها ؛ والمكرمات قليلة العشاق
واقام سوقا للثناء ولم يكن ؛ سوق الثناء يعد فى الاسواق
بث الصنائع فى البلاد فاصبحت ؛ يجبى اليه محامد الافاق
وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المامون فوصل اليها وفى صحبته
ابو الشمقمق الشاعر الذى ذكرته فى هذه الترجمة فلما دخل الى الموصل
نشب اللوا الذى لخالد فى شقق باب المدينه فاندق فتطير خالد من
ذلك فانشده ابو الشمقمق ارتجالا ؛
ما كان مندق اللواء لريبة ؛ تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح اضعف متنه ؛ صغر الولاية فاستقل الموصلا
فبلغ الخليفه ما جرى فكتب الى خالد قد زدناك ولاية ديار ربيعه كلها
لكون رمحك استقل الموصل ففرح بذلك واجزل جائزة ابى الشمقمق ولما
انتقض امر ارمينيه فى ايام الواثق جهز اليها خالد بن يزيد فى جيش عظيم
فاعتل فى الطريق ومات فى سنة ثلثين ومائتين ودفن بمدينة دبيل
بارمينيه رحمهم الله تعالى اجمعين **ابو عثمان يزيد بن زياد**
بن ربيعة بن مفرغ بن ذى العشيره بن الحرث بن دلال بن عوف بن عمرو بن
يزيد بن مره بن مزيد بن مسروق بن زيد بن يحصب الحميرى وبقية النسب
معروف من يحصب فلا حاجة الى ذكره هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبى
فى كتاب جمهرة النسب غير انه لم يذكر كنية يزيد بل ذكرها صاحب الاغانى
واكثر العلما يقولون هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ لا يذكرون ~~راهن على سقا و~~ يقطو
زيادا وقال صاحب الاغانى انما لقب جده مفرغا لانه راهن على سقا من
لبن يشربه كله فشربه حتى فرغه فسمى مفرغا وذكر فى ترجمة حفيده السيد
الحميرى فى كتاب الاغانى ايضا ان ابن عائشة قال مفرغ هو ربيعه ومفرغ
لقبه ومن قال ربيعه بن مفرغ لقبه ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد اخطا و
الله اعلم وقال الفضل بن عبد الرحمن النوفلى كان مفرغ المذكور حدادا باليمن
فحمل لامراة عدلا وشرط عليها عدلا فاعجزه ان تجيه بكرس ففعلت فشرب منه

ووضعه

ووضعه فقالت له رده على الكرش فقال ما عندى شئ افرغه فيه فقالت لا بد منه
ففرغه فى جوفه فقالت انك لمفرغ فعرف به وهو من حمير فيما يزعم اهله و
ذكر ابن الكلبى وابو عبيدة ان مفرغا كان شعابا بتبالة قلت تبالة بفتح التا
المثناه من فوقها وبعدها باء موحدة ثم الف ولام وفى اخرها هاء وهى
بليدة على طريق اليمن الخارج من مكة وهذا المكان كثير الخصب له ذكر فى
الاخبار والامثال والاشعار وهى اول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفى ولم
يكن راها قبل ذلك فخرج اليها فلما قرب منها اليها وسال فقيل له انها وراء تلك
الاكمه فقال لا خير فى ولاية تسترها اكمه ورجع عنها محتقرا لها وتركها فضربت
العرب بها المثل وقالت للشئ الحقير اهون من تبالة على الحجاج قال الراوى
فادعى يزيد انه من حمير وهو حليف ال خالد بن اسيد بن ابى العيص الاموى
وقيل انه كان عبدا للضحاك بن عبد عوف الهلالى فانعم عليه وكان يزيد
شاعرا غزلا محسنا فالسيد الحميرى الشاعر المشهور من ولده وهو اسمعيل
بن محمد بن يزيد المذكور كذا ذكره ابن ماكولا فى كتاب الاكمال ولقبه
السيد وكنيته ابو هاشم وهو من كبار الشيعه وله فى ذلك اخبار واشعار
مشهوره ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها
مروان بن الحكم الاموى وقد احسن فيها وكان مروان قد احسن اليه
واقمتم سوق الثناء ولم تكن ؛ سوق الثناء تقام فى الاسواق
فكانما جعل الاله اليكم ؛ قبض النفوس وقسمة الارزاق
والبيت الاول من هذين البيتين تقدم ذكره فى ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة
الشيبانى منسوبا الى احمد بن ابى فنن الشاعر المشهور يمدح به خالد بن يزيد
بن مزيد المذكور من جملة ابيات والله اعلم بالصواب فى ذلك كله ولما ولى سعيد
بن عثمان بن عفان رضى الله عنه خراسان عرض على يزيد بن مفرغ ان يصحبه
فابى ذلك وصحب عباد بن زياد بن ابيه فقال له سعيد اما اذا ابيت ان تصحبنى
واثرت صحبة عباد فاحفظ ما اوصيك به ان عبادا رجل لئيم فاياك والدالة
عليه وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة لك عن نفسك واقلل زيارته فانه
ملول ولا تفاخره وان فاخرك فانه لا يحتمل لك ما كنت احتمله ثم دعا سعيد بمال
فاعطاه له وقال استعن به على سفرك فان صح مكانك من عباد والا فمكانك
عندى ممهد فاثنى عليه ثم سار سعيد الى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد
فلما بلغ عبيد الله بن زياد امير العراقين شق عليه صحبة يزيد اخاه عبادا فلما سار

شيّعه اخوه عبيد الله وشيّعه الناس وجعلوا يودّعونه فلما اراد عبيد الله ان يودع اخاه دعا ابن مفرغ فقال له انك سألت عبّادًا ان يصحبك فاجابك وقد شقّ علي ذلك فقال له ولِمَ اصلحك الله قال لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر في موضع العذر وان عبادًا يقدم على ارض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره انت وتكسبنا شرًّا وعارًا فقال له لست كما ظن الامير وان لمعروفه عندي لشكرًا كثيرًا وان عندي ان اغفل امري عذرًا ممهدًا قال لا ولكن تضمن لي ان ابطاك عنك ما تحبّه ان لا تعجل عليه حتى تكتب الي قال نعم قال امض اذًا على الطائر الميمون قال فقدم عباد خراسان فقيل سجستان فاشتغل بحروبه وخراجه فاستبطاه ابن مفرغ ولم يكتب الى اخيه عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمّه وهجاه وكان عباد كبير اللحية كانها جوالق فسار ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جنبه ∴

الا ليت اللحى كانت حشيشًا ∴ فتعلفها خيول المسلمينا

وسعى به اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضبًا شديدًا وقال لا تحمل بي عقوبتي في هذا الشاعر مع صحبته لي وما اوخرها الا لاشفي نفسي منه فانه كان يقوم فيشتم ابي في عدّة مواضع وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال اني لاجد ريح الموت من عباد ثم دخل عليه فقال له يا امير المؤمنين اني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رايه في وجميل اثره علي وقد اخترتك عليه فلم احظ منك بطائل واردت ان تاذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال له اما اختيارك اياي فقد اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد اعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وطلبت الاذن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم وانت على الاذن قادر بعد ان اقضي حقك وبلغ عبادًا انه يسبه ويذكره وينال منه ومن عرضه فدسّ الى قوم كان لهم عليه دين ان يقدموه اليه ففعلوا فحبسه واضرّ به ثم بعث اليه بعني الاراكة وبردًا وكانت الاراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث اليه ابن مفرغ مع الرسول ايبيع المرء نفسه وولده فاخذهما عباد منه وقيل انه باعهما عليه فاشتراهما رجل من اهل خراسان فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية اديبا اتدري ما اشتريت قال نعم اشتريتك وهذه الجارية قال لا والله ما اشتريت الا العار والدمار والفضيحة ابدا اما حيث فجزع الرجل وقال له كيف ذلك يا ويلك قال نحن ليزيد بن مفرغ والله ما اصاره الى هذه الحال الا لسانه وشره فتراه يهجو عبادًا وهو امير خراسان

واخوه عبيد الله امير العراقين وعمه الخليفة معوية بن ابي سفيان في ان استبطاه ويسل عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه ووالله ما ارى احدًا ادخل بيته اشأم على نفسه واهله مما ادخلته منزلك فقال اشهدك انك واياها له فان شئتما ان تمضيا اليه فامضيا وعلي اني اخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد وان شئتما ان تكونا لي عندي فافعلا قال فاكتب اليه بذلك فكتب الرجل الى ابن مفرغ الى الحبس بما فعله فكتب اليه يشكر فعله وسأله ان يكونا عنده حتى يفرج الله عنه وقال عباد لحاجبه ما ارى هذا يعني ابن مفرغ يبالي بالمقام في الحبس فبع فرسه وسلاحه واثاثه واقسم ثمنها بين غرمايه ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبسه بها فقال ابن مفرغ ∴

شريت بردًا ولو ملكت صفقته ∴ لما تطلبت في بيع له رشدا

لولا الدعي ولولا ما تعرض لي ∴ من الحوادث ما فارقته ابدا

يا برد ما مسنا دهر اضرّ بنا ∴ من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

معنى شريت بعت وهو من الاضداد يقع على الشرا والبيع والابيات اكثر من هذا فتركت الباقي وعلم ابن مفرغ انه ان اقام على ذم عباد وهجاه وهو في حبسه زاد نفسه شرًّا فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسه ما سببه رجل ادّبه اميره ليقوم من اوده ويكف عن غربه وهذا العمري خير من جر الامير ذيله على مداهنة صاحبه فلما بلغ عبادًا ذلك رق له ورحمه واخرجه من السجن فهرب حتى اتى البصرة ثم خرج حتى اتى الشام وجعل ينتقل في مدنها هاربًا ويهجو زيادًا وولده فمن ذلك قوله في ترك سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه واتباعه عباد بن زياد ويذكر بيع برد عليه ∴

اصرمت حبلك من امامه ∴ من بعد ايام برامه

فالريح تبكي شجوها ∴ والبرق يضحك في الغمامه

لهفي على الامر الذي ∴ كانت عواقبه ندامه

تركي سعيدًا ذا الندى ∴ والبيت ترفعه الدعامه

ليثًا اذا شهد الوغى ∴ ترك الهوى ومضى امامه

فتحت سمرقند له ∴ وبنى بعرصتها خيامه

وتبعت عبد بني علاج ∴ تلك اشراط القيامه

جاءت به حبشيه ∴ سكا تحسبها نعامه

من نسوة سود الوجوه ∴ ترى عليهن الدمامه

وشربت بردًا ليتني ... من بعد برد كنت هامه
هامة تدعو صدًا ... بين المشقر واليمامه
فالهول يركبه الفتى ... خوف المخازي والسلامه
والعبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

قلت قوله وتحت عبد بني علاج بنو علاج بطن من ثقيف وسياتي ذكره عند ذكر الحرث بن كلدة في هذه الترجمة ان شاء الله تعالى قال ابو بكر بن دريد في كتاب الاشتقاق وانشد عليه

آل ابي بكرة استفيقوا ... هل تخذل الشمس بالتراج
ان ولاء النبي اعلا ... من دعوة في بني علاج

وهذا القول له سبب يذكر عند ذكر ابي بكرة بن نفيع بن الحرث في هذه الترجمه ان شاء الله تعالى وقوله في البيت الاخير سكا تحسبها نعامه يقال اذن سكا اذا كانت صغيرة والسكا التي لا اذن لها والعرب يقول كل سكا تبيض وكل شرفا تلد والشرفا التي لها اذن طويله والسكا بفتح السين المهمله وتشديد الكاف والشرفا بفتح الشين المعجمه وسكون الرا وبعدها فاء والضابط عندهم ان كل حيوان له اذن ظاهره فانه يلد وكل حيوان ليست له اذن ظاهرة فهو يبيض قال الراوي ثم ان ابن مفرغ لج في هجا بني زياد حتى تغنى به اهل البصرة في اشعاره فطلبه عبيد الله بن زياد طلبا شديدا حتى كاد يوخذ فلحق بالشام واختلف الرواه فيمن رده الى ابن زياد فقال بعضهم رده معوية بن ابي سفيان وقال بعضهم بل رده يزيد بن معوية و الصحيح انه يزيد لان عبادا انما ولي سجستان في ايام يزيد قلت ثم ذكر صاحب الاغاني عقب هذا الفصل ان سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على معوية بن ابي سفيان فقال له علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك دوني فوالله لابي خير من ابيه وامي خير من امه وانا خير منه وقد وليتك فما عزلتك وبي نلت ما نلت فقال له معوية اما قولك ان اباك خير من ابيه فقد صدقت لعمر الله ان عثمان لخير مني واما قولك ان امك خير من امه فحسب المراة ان تكون في بيت قومها وان يرضاها بعلها وينجب ولدها واما قولك انك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني ان لي بيزيد ملء الغوطة مثلك واما قولك انك وليتني فما عزلتني فما وليتني وانما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثاركم وقتلت قتلة ابيكم وجعلت الامر فيكم واغنيت فقيركم و رفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في امره فولاه خراسان رجعنا الى حديث ابن مفرغ قال الراوي ولم يزل يتنقل في قرى الشام و يهجو بني زياد واشعاره تنقل الى البصرة

فكتب

فكتب عبيد الله بن زياد امير العراق الى معوية وقيل الى يزيد وهو الاصح يقول ان ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى الى ابي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده وهرب من خراسان وطلبته حتى لفظته الارض فهرب الى الشام يتمضغ لحومنا بها ويهتك اعراضنا وقد بعثت اليك بما هجانا به لتنصف لنا منه ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم فامر يزيد بطلبه فجعل ينتقل في البلاد حتى لفظته الشام فاتى البصرة ونزل على الاحنف بن قيس وهو يضرب به المثل في الحلم وقد سبق ذكره ولمع اخباره قال فاستجار به فقال الاحنف اني لا اجير على ابن سمية واعتزل وانما يجير الرجل على عشيرته واما على سلطانه فلا ثم اتى مثلي على غيره فلم يجره احد فاجاره المنذر بن الجارود العبدي وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد وكان المنذر من اكرم الناس عليه فاغتر بذلك وادل بموضعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له اجاره المنذر بن الجارود فبعث الى المنذر فاتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره واتوه بابن مفرغ فلم يشعر ابن الجارود الا بابن مفرغ قد اقيم على راسه فقام ابن الجارود الى عبيد الله فكلمه فيه فقال اذكرك الله ان تخفر جواري ايها الامير فاني قد اجرته فقال عبيد الله يا منذر ليمدحن اباك ويمدحنك وقد هجاني وهجا ابي ثم تجيره علي لاها الله لا يكون ذلك ابدا ولا اغفرها له فغضب المنذر فقال لعلك تدل بكريمتك عندي ان شئت والله لابنتها بتطليق البتة فخرج المنذر من عنده واقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له بئس ما صحبت به عبادا فقال بئس ما صحبني عباد اخترته على سعيد بن عثمان وانفقت على صحبته جميع ما املكه وظننت انه لا يخلو من عقل زياد وحلم معوية وسماح قريش فعدل عن ظني كله ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فاراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا وما هربت من اخيك الا لما خفت ان يجري فيما يندم عليه وقد صرت الان في يدك فشانك فاصنع بي ما شئت فامر بحبسه وكتب الى يزيد بن معوية يسأله ان ياذن له في قتله فكتب اليه يزيد اياك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ نفسه فان له عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انه الجد منهم ومني وانك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ فورد الكتاب على عبيد الله فامر بابن مفرغ فسقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم وقيل التربد فاسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال وقرن

بهرة وخنزير فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه والح عليه فما يخرج
منه حتى اضعفه فسقط فقيل لعبيد الله لا تامن ان يموت فامر بان يغسل ففعلو
فلما اغتسل قال

يغسل الماء ما فعلت وقولي ✽ راسخ منك في العظام البوالي

فرده عبيد الله الى الحبس وقيل لعبيد الله كيف اخترت له هذه العقوبة
فقال لانه سلح علينا فاحببت ان تسلح الخنزيرة عليه وكان مما قاله ابن مفرغ في عباد
بن زياد من جملة ابيات ✽

اذا اودى معوية بن حرب ✽ فبشر شعب قعبك بانصداع
فاشهد ان امك لم تباشر ✽ ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان امرًا فيه لبس ✽ على رجل شديد وارتياع

وقال ايضًا

الا ابلغ معوية بن صخر ✽ مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عف ✽ وترضى ان يقال ابوك زاني
فاشهد ان رحمك من زياد ✽ كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد انها ولدت زيادًا ✽ وصخر من سمية غير دان

قلت قوله فاشهد ان رحمك من زياد البيت الثالث اخذه من قول ابي الوليد
وقيل ابي عبد الرحمن حسان بن ثابت الانصاري في بيت من جملة ابيات وهو قوله

لعمرك ان الك من قريش ✽ كال السقب من رال النعام

الال بكسر الهمزه وتشديد اللام وهو الرحم والسقب بفتح السين المهمله وسكون
القاف وبعدها باء موحدة وهو الذكر من ولد الناقة والرال بفتح الراء وبعدها
همزة وفي اخره لام وهو ولد النعام وهذه الابيات قالها حسان في ابي سفيان
ابن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان اخاه من
الرضاعه ارضعتهما حليمة ابنة ابي ذويب السعديه وكان من اكثر الناس شبهًا
بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان له فيه هجاء وكان حسان يجاوب عنه فمن ذلك هذه
الابيات الميميه المقدم ذكرها ومنها قوله ✽

الا ابلغ ابا سفيان عني ✽ مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدًا فاجبت عنه ✽ وعند الله في ذاك الجزاء
اتهجوه ولست له بكفوء ✽ فشركما لخيركما الفداء
فان ابي ووالده وعرضي ✽ لعرض محمد منكم وقاء

وقوله

وقوله فشركما لخيركما الفداء فيه كلام لاهل العلم لان شرو لاخير لانهما مراد الافضيل
ويقتضي المشاركه وانما اجابه حسان بامر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
قلت والجماعة الذين كانوا يشبهون رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهله
خمسة ابو سفيان المذكور والحسن بن علي بن ابي طالب وجعفر بن ابي طالب وقثم
بن العباس بن عبد المطلب والسايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد
المطلب بن عبد مناف هو جد الامام الشافعي رضي الله عنهم اجمعين ثم ان ابا سفيان
اسلم عام الفتح وكان في السنة الثامنة من الهجرة وحسن اسلامه وخرج مع النبي
صلى الله عليه وسلم الى الطايف وحنين ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان ابو
سفيان احد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع اليهم
المسلمون وكانت النصرة لهم وكسبوا من الغنايم سته الاف راس من الرقيق
ثم من النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم والشرح في ذلك يطول وليس هذا
موضعه وكان ابو سفيان المذكور يوميذ ممسكا بلجام بغلة النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يفارقها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجوا
ان يكون فيه خلف من حمزة بن عبد المطلب وشهد له بالجنه فقال ابو سفيان
بن الحرث من شباب اهل الجنة او سيد فتيان اهل الجنة والله اعلم واكثر العلما
يقولون اسمه كنيته ليس له اسم سواها وقيل ان اسمه المغيره وقيل المغيره
اخوه وهو ابو سفيان لا غير ويقال انه ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ اسلم حياءً منه لما تقدم من هجايه رجعنا الى حديث ابن
مفرغ وهو من شعراء الحماسه وهو القايل ✽

الا طرقتنا اخر الليل زينب ✽ عليك سلام هل لما فات مطلب
فقيل اراد بالليل الشباب ✽

وقالت تجنبنا ولا تقربنا ✽ فكيف وانتم حاجتي اتجنب
يقولون هل بعد الثلثين ملعب ✽ فقلت وهل قبل الثلثين ملعب
لقد جل خطب الشيب ان كان كلما ✽ بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وذكر المظفر الاندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الابيات

فلو ان لحمي اذ وهى لعبت به ✽ كرام الملوك او اسود وادوب
لهون من وجدي وسلى مصيبتي ✽ ولكنما اودى بلحمي اكلب

ولما بلغ الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وفاة معوية بن ابي سفيان
وبيعة ولده يزيد بن معوية عزم على قصد الكوفه بمكاتبة جماعة من اهلها كما هو

مشهودٌ فى هذه الواقعة التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه وكان فى تلك المدة
بمثل كثيرًا بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة ابيات قوله ؛

لا ذعرت السوام فى غلق الصبح ؛ مغيرًا ولا دعيت يزيدًا
يوم اعطى على المخافة ضيمًا ؛ والمنايا يرصدننى ان احيدا

فعلم من سمع ذلك منه انه سينازع يزيد بن معوية فى الامر فخرج الحسين الى الكوفة
واميرها يومئذ عبيد الله بن زياد فلما قرب منه سير اليه جيشًا مقدمه عمر بن
سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فقتل الحسين رضى الله عنه بالطف وجرى ما
جرى وروى ان معوية ابن ابى سفيان كتب الى الحسين رضى الله عنه انى لا الطف فى
راسك ثروه ولا بد لك من اظهارها ووددت لو ادركتها فاغتفرها لك وروى عن
عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه قال لو كنت من قتلة الحسين بن على رضى الله عنهما
وغفر الله لى ودخلت الجنة لما دخلتها حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر الغدانى ما تقول فى وفى الحسين يوم القيمة فقال
يشفع له ابوه وجده صلى الله عليه وسلم ويشفع لك ابوك وجدك فاعرف من
هاهنا ما تريد نقلت من تاريخ شمس الدين ابى المظفر يوسف بن قزغلى المعروف
بسبط الحافظ جمال الدين ابى الفرج بن الجوزى الواعظ الذى سماه مراة الزمان
ورايته بخطه فى اربعين مجلدا بدمشق وقد رتبه على السنين فقال فى السنة
التاسعة والخمسين للهجرة بعد ان قص حديث يزيد بن مفرغ مع بنى زياد
فقال فى اخر الحديث ومات يزيد بن مفرغ فى سنة تسع وستين للهجرة والله اعلم
وقال ابو اليقظان فى كتاب النسب مات عباد بن زياد فى سنة مائة ثم
للهجرة بجرود قلت وجرود بفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال
مهملة وهى قرية من اعمال دمشق من جهة حمص ويكون فى ارضها من حمر الوحش شئ
كثير يجاوز الحصر ولما وصل بعض عساكر الديار المصرية الى الشام فى اثنا سنة
ستين وستمائة وتوجهوا بعسكر الشام الى انطاكية وكنت يومئذ بدمشق
اقاموا عليها قليلا ثم عادوا فدخلوا دمشق فى سلخ شعبان من السنة واخبرنى
بعضهم بقضية غريبة تصلح ان تذكرها هنا لغرابتها وهى انهم نزلوا على
جرود المذكورة واصطادوا من الحمر الوحشية شيا كثيرًا على ما قالوا فذبح
واحد من الجماعة حمارًا وطبخ لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج له لحم ولا قارب النضج
فزاد فى الحطب والايقاد فلم يوثر فيه شيا ومكث يومًا كاملا لا يفعل ذلك وكلما
يفيد فقام شخص من الجند واخذ الراس يقلبه فوجد على اذنه وسمًا فقراه فاذا هو بهرام

جود

جور فلما وصلوا الى دمشق احضروا تلك الاذن عندى فوجدت الوسم ظاهرًا
وقد دق شعر الاذن الى ان بقى كالهبا وبقى موضع الوسم اسود وهو القلم
الكوفى وهذا بهرام جور من ملوك الفرس وكان قبل مبعث النبى صلى الله عليه
وسلم بزمان طويل وكان من عادته انه اذا اكثر عليه ما يصطاده وسمه واطلقه
والله يعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه والله يعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش
وعلى الجملة فان حمر الوحش من الحيوانات المعمرة وهذا الحمار لعله عاش ثمان
مائة سنة او اكثر وهذه جرود فى ارضها جبل المدخن المشهور وقد ذكره ابو
نواس فى قصيدته التى ذكر فيها المنازل لما قصد الخصيب بمصر فقال

ووافين اشراقا كنائس تدمر ؛ وهن الى رعن المدخن صور

والمدخن بضم الميم وبالدال المهملة المشددة وفتح الخاء المعجمة وبعدها نون
وسمى المدخن لانه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب ثم بعد هذا وجدت
فى كتاب مفاتيح العلوم تاليف ابى محمد بن احمد بن محمد بن يوسف الخوارزمى ان بهرام
جور بن بهرام بن سابور الجنود بن سابور ذى الاكتاف سمى بهرام جور لانه كان
مولعًا بصيد العير وهو الحمار الوحشى والاهلى ايضًا انتهى كلامه ثم ان حسبت
مدة ملكهم بعد هذا فكانت الى سنة الهجرة النبوية مقدار مائتين وست عشرة
سنة فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور الى ان ذبح فى سنة ستين
وستمائة مقدار ثمان مائة سنة واكثر والله اعلم وقد تكرر فى هذه الترجمة ذكر
زياد وبنيه وسمية وابى سفين ومعوية وهذه الاشعار التى قالها يزيد
بن مفرغ فيهم ومن لا يعرف هذه الاسباب قد يتشوق الى الاطلاع عليها فنورد
منها شيًا مختصرًا فاقول ان ابا الخير الملك الذى ذكره ابو بكر بن دريد
فى المقصورة المشهورة فى البيت الذى يقول فيه ؛

وخامرت نفس ابى الخير الجوى ؛ حتى حواه الحيف فيمن قد حوى

كان احد ملوك اليمن واسمه كنيته وقيل هو ابو الخير يزيد بن شرحبيل الكندى
وقيل ابو الخير بن عمرو وتغلب عليه قومه فخرج الى بلاد فارس يستجيش كسرى
عليهم فبعث معه جيشًا من الاساورة فلما صاروا الى كاظمة ونظروا الى وحشة
بلاد العرب وقلة خيرها قالوا الى اين تمضى مع هذا فعمدوا الى سم فدفعوه
الى الطباخ ووعدوه بالاحسان اليه ان القى ذلك السم فى طعام الملك ففعل
ذلك فما استقر الطعام فى جوفه حتى اشتد وجعه فلما علم الاساورة ذلك
دخلوا عليه فقالوا له انك قد بلغت الى هذه الحالة فاكتب لنا الى الملك كسرى

انك قد اذنت لنا في الرجوع فكتب لهم بذلك ثم ان ابو الخير خف ما به فخرج الى الطائف
البلدة التي بالقرب من مكة وكان بها الحرث بن كلدة طبيب العرب فعالجه
فابراه فاعطاه سمية بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء المثناة
من تحتها وفي اخره هاء وعبيد بضم العين المهملة تصغير عبد وكان كسرى
قد اعطاهما ابا الخير في جملة ما اعطاه ثم ارتحل ابو الخير يريد اليمن فانتقضت عليه
العلة فمات في الطريق ثم ان الحرث بن كلدة الثقفي زوج عبيد المذكور سمية المذكورة
فولدت سمية زيادا على فراش عبيد فكان يقال له زياد بن عبيد وزياد بن سمية
وزياد بن ابيه وزياد ابن امه وذلك قبل ان يستلحقه معوية كما سياتي ان شاء الله تعالى
وولدت سمية ايضا ابا بكرة نفيع بن الحرث بن كلدة المذكور ويقال نفيع بن مسروح وهو
الصحابي المشهور بكنيته رضي الله عنه وولدت ايضا شبل بن معبد ونافع بن الحرث فهولاء
الاخوة الاربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزناء وسياتي خبر ذلك بعد
الفراغ من حديث زياد ان شاء الله تعالى وكان ابو سفيان صخر بن حرب الاموي
والد معوية بن ابي سفين يتهم في الجاهلية في التردد الى سمية المذكورة فولدت
سمية زيادا في تلك المدة ولكنها ولدته على فراش زوجها عبيد ثم ان زيادا كبر
وظهرت منه النجابة والبلاغة وهو احد الخطباء المشهورين في العرب بالفصاحة
والدهاء والعقل الكثير حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد استعمل
ابا موسى الاشعري رضي الله عنه على البصرة فاستكتب زياد بن ابيه ثم ان زيادا
قدم على عمر رضي الله عنه فامر له بالف درهم ثم يذكرها بعد ما مضى وقال
لقد ضاع الف اخذها زياد فلما قدم عليه بعد ذلك قال له ما فعل الفك يا زياد
قال اشتريت بها عبيدا فاعتقته يعني اباه قال ما ضاع الفك يا زياد هل انت
حامل كتابي الى ابي موسى في عزلك عن كتابته قال نعم يا امير المؤمنين ان لم يكن ذلك
عن سخط قال ليس عن سخط قال فلم تامر بذلك قال كرهت ان احمل على الناس فضل
عقلك واستكتب ابو موسى بعد زياد الحصين بن الحر العنبري فكتب الى عمر
رضي الله عنه كتابا فلحن في حرف منه فكتب اليه ان قنع كاتبك سوطا وكان عمر
رضي الله عنه اذا وفد اليه من البصرة رجل احب ان يكون زيادا ليشفيه في
الخبر وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من
وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص اما والله
لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان والله
اني لاعرف من وضعه في رحم امه فقال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن هو

يا ابا سفين

يا ابا سفين قال انا قال مهلا ابا سفين فقال له ابو سفين شعرا :

اما والله لولا خوف شخص ∴ يراني يا علي من الاعادي
لاظهر سره صخر بن حرب ∴ ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملتي ثقيفا ∴ وتركي فيهم ثمر الفواد

فلما صار الامر الى علي رضي الله عنه وجه زيادا الى فارس فضبط البلاد وحمى و
اصلح الفساد فكاتبه معوية يريد افساده على علي رضي الله عنه فلم يفعل ووجه
بكتابه الى علي رضي الله عنه وفيه شعر تركته فكتب اليه علي انما وليتك
وانت اهل لذلك عندي ولن تدرك ما تريده مما انت فيه الا بالصبر و
اليقين وانما كانت من ابي سفين فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا يستحق بها
نسبا ولا ميراثا وان معوية ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره
ثم احذره والسلام فلما قرا زياد الكتاب قال شهد لي ابو الحسن ورب الكعبة
فذلك الذي جرى زيادا ومعوية على ما صنعا فلما قتل علي رضي الله عنه
وتولى ولده الحسن رضي الله عنه ثم فوض الامر الى معوية كما هو مشهور اراد معوية
استمالة زياد اليه وقصد تاليف قلبه ليكون معه كما كان مع علي فعلق بذلك
القول الذي صدر من ابيه بحضرة علي وعمرو بن العاص فاستلحق زيادا في
سنة اربع واربعين للهجرة فصار يقال له زياد بن ابي سفين فلما بلغ اخاه
ابا بكرة ان معوية استلحقه وانه رضي ذلك حلف يمينا لا يكلمه ابدا وقال هذا
زنا امه وانتفى من ابيه والله ما علمت سمية رأت ابا سفين قط ويله ما
يصنع بام حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ايريد ان
يراها فان حجبته فضحته وان راها فيالها مصيبة يهتك من رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وحج زياد في زمن معوية ودخل المدينة
فاراد الدخول على ام حبيبة لانها اخته على زعمه وزعم معوية ثم ذكر
قول اخيه ابا بكرة فانصرف عن ذلك وقيل ان ام حبيبة حجبته ولم تاذن
له في الدخول عليها وقيل انه حج ولم يزر من اجل قول ابي بكرة وقال جزى
الله ابا بكرة خيرا فما يدع النصيحة على حال وقدم زياد على معوية وهو
نايب عنه وحمل معه هدايا جليلة وفي جملتها عقد نفيس فاعجب به
معوية فقال زياد يا امير المؤمنين دوخت لك العراق وجبيت لك برها
وبحرها وحملت اليك لبها وسرها وكان يزيد بن معوية جالسا فقال له
اما انك ان فعلت ذلك فانا نقلناك من ثقيف الى قريش ومن عبيد الى ابي

سفيان ومن القلم الى المنابر فقال له معوية حسبك وربت بك زنادى وقال
ابو الحسن المدائنى اخبرنا ابو الزبير الكاتب عن ابن اسحق قال اشترى زياد اباه
عبيدا وقدم زياد على عمر رضى الله عنه فقال له ما صنعت باول شى اخذت
من عطيتك قال اشتريت ابى قال فاعجب ذلك عمر رضى الله عنه وهذا ينافى
استلحاق معوية اياه والله اعلم ولما ادعى معوية زيادا دخل عليه بنو امية
وفيهم عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان بن الحكم الاموى فقال يا معوية لو لم تجد
الا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة فاقبل معوية على اخيه مروان بن الحكم
وقال له اخرج عنا هذا الخليع فقال مروان والله انه لخليع ما يطاق قال معوية
والله لولا حلمى وتجاوزى لعلمت انه يطاق الم يبلغنى شعره فى وفى زياد ثم
قال لمروان اسمعنيه فقال ⁂

الا بلغ معوية بن صخر ⁂ لقد ضاقت بما ياتى اليدان
اتغضب ان يقال ابوك عف ⁂ وترضى ان يقال ابوك زان

وقد تقدم ذكر هذه الابيات منسوبة الى يزيد بن مفرغ وفيها خلاف هل
هى لابن مفرغ ام لعبد الرحمن بن الحكم فمن رواها لابن مفرغ روى البيت
الاول على تلك الحال والصورة ومن رواها على هذه الصورة رواها لعبد الرحمن
ولما استلحق معويه زيادا قربه واحسن اليه وولاه وصار من اكبر الاعوان
على ابن على بن ابى طالب رضى الله عنه حتى قيل انه لما كان امير العراقين
طلب رجلا من اصحاب الحسن بن على رضى الله عنهما يعرف بابن سرح وكان
فى الامان الذى كتب لاصحاب الحسن لما نزل عن الخلافة لمعوية فكتب الحسن الى
زياد من الحسن الى زياد اما بعد فقد علمت ما كنا اخذنا لاصحابنا من الامان
وقد ذكر لى ابن سرح انك عرضت له فاحب ان لا يتعرض له الا بخير والسلم
فلما اتاه الكتاب وقد بدا فيه بنفسه ولم ينسبه الى ابى سفيان غضب
وكتب اليه من زياد بن ابى سفين الى الحسن اما بعد فانه اتانى كتابك فى
فاسق باوية الفساق من شيعتك وشيعة ابيك وايم الله لاطلبنه ولو كان بين
جلدك ولحمك وان احب الناس الى لحما ان اكله للحم انت منه فلما قراه الحسن رضى
الله عنه بعث به الى معوية فلما قراه غضب وكتب الى زياد من معوية بن ابى
سفين الى زياد اما بعد فان الحسن بن على بعث الى كتابك اليه جواب كتابه
كان اليك فى ابن سرح فاكثرت التعجب منه وقد علمت انك من رايين راى من
ابى سفين وراى من سمية فاما رايك من ابى سفين فحلم وحزم واما رايك من سمية

فكما

فكما يكون راى مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تشتمه وتعرض له بالفسق ولعمرى
انت اولى بذلك منه وان كان بدا بنفسه ارتفاعا فان ذلك لن يضعك
واما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك فحظ دفعته عن نفسك الى من هو
اولى به منك فاذا اتاك كتابى فخل ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فقد
كتبت الى الحسن يخبره ان شا اقام عنده وان شاء رجع الى بلده وانه
ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان واما كتابك الى الحسن باسمه ولا
تنسبه الى ابيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان افاستصغرت
اباه وهو على بن ابى طالب ام الى امه وكلته وهى فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالان حين تخيرت له لو عقلت والسلام قوله لا يرمى
به الرجوان بفتح الراء والجيم وهو لفظ مثنى ومعناه المهالك قلت
وقد رويت هذه الحكاية على صورة اخرى وهى كان سعيد بن سرح مولى
كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة على بن ابى طالب رضى الله عنه
فلما قدم زياد بن ابيه الى الكوفة واليا عليها اخافه وطلبه فاتى
المدينة فنزل على الحسين بن على رضى الله عنهما فقال له الحسين ما الشان
الذى اشخصك واذعجك فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب اليه
الحسين اما بعد فانك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه
ما عليهم فهدمت داره واخذت ماله وعياله فاذا اتاك كتابى هذا
فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فانى قد اجرته فشفعنى فيه
فكتب اليه زياد بن ابى سفيان الى الحسين بن فاطمه اما بعد فقد اتانى
كتابك تبدا فيه باسمك قبل اسمى وانت طالب الحاجة وانا سلطان
وانت سوقه وكتابك الى فى فاسق لا يوويه الا فاسق مثله وشر من
ذلك توليه اباك وقد اويته اقامة منك على سوء الراى ورضى بذلك
وايم الله لا يسبقنى اليه سابق ولو كان بين جلدك ولحمك فان احب لحم
الى ان اكله للحم انت فيه فاسلمه بجريرته الى من هو اولى به منك
فان عفوت عنه لم اكن شفعتك فيه وان قتلته لم اقتله الا بحبه اباك
فلما قرا الحسين رضى الله عنه الكتاب كتب الى معويه يذكر له حال ابن
ابن سرح وكتابه الى زياد فيه واجابة زياد اياه ولف كتابه فى كتابه
وبعث به اليه وكتب الى زياد من الحسين بن فاطمه بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى زياد بن سمية عبد بنى ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر

فلما قرا معوية كتاب الحسين رضي الله عنه ضاق به الشام وكتب الى زياد اما بعد
فان الحسين بن علي بعث الى بكتابك جواب كتابه اليك في ابن سرح فاكثرت التعجب
منك وعلمت ان لك رايين احدهما من ابي سفين والاخر من سمية فاما الذي من
ابي سفين فحلم وحزم واما الذي من سمية فكما يكون راي مثلها ومن ذلك كتابك
الى الحسين تشتم اباه وتعرض له بالفسق ولعمري لانت اولى بالفسق من الحسين
ولابوك اذ كنت تنسب الى عبيد اولى بالفسق من ابيه وان كان الحسين بدا بنفسه
ارتفاعا عنك فان ذلك لم يضعك واما تشفيعه فيما شفع اليك فحظ دفعته
عن نفسك الى من هو اولى به منك فاذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك
لسعيد بن سرح وابن له داره ولا يعد عليه واردد عليه ماله فقد كتبت
الى الحسين ان يخبر صاحبه بذلك فان شاء اقام عنده وان شاء رجع الى
بلده فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان واما كتابك الى الحسين باسمه
ولا تنسبه الى ابيه فان الحسين ويلك ممن لا يرمى به الرجوان الى امه وكلته
لا ام لك وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك الفخر له ان
كنت تعقل والسلام وقال عبيد الله بن زياد ما هجيت بشي اشد علي من قول
ابن مفرغ ❊ فكر ففي ذاك ان فكرت معتبر ❊ هل نلت مكرمة الا بتامير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت ❊ ان ابنها من قريش في الجماهير
وقال قتادة قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت اباكم كان راعيا في ادناها و
اقصاها ولم يقع بالذي وقع به قلت فبهذا الطريق كان نظم ابن مفرغ هذه
الاشعار في زياد وبنيه ويقول انهم ادعياء حتى قال في زياد وابي بكرة ونافع اولاد سمية
ان زيادا ونافعا وابا بكرة عندي من اعجب العجب ❊
هم رجال ثلثة خلقوا ❊ في رحم انثى وكلهم لاب
ذا قرشي كما تقول وذا مولى ❊ وهذا ابن عمه عربي
وهذه الابيات تحتاج الى زيادة ايضاح فاقول قال اهل العلم بالاخبار ان الحرث
بن كلدة بن عمرو بن علاج بن ابي سلمة بن عبد العزى بن عمرة بن عوف بن قسي
وهو ثقيف هكذا ساق الحديث لهذا النسب ابن الكلبي في كتاب الجمهرة
وهو طبيب العرب المشهور ومات في اول الاسلام وليس يصح اسلامه و
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سعد بن ابي وقاص ان ياتي الحرث
يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على انه جائز ان يشاور اهل الكفر في
الطب اذا كانوا من اهل ذلك وكان ولد الحرث بن الحرث من المؤلفة قلوبهم وهو معدود

من جملة الصحابة

من جملة الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ويقال ان الحرث بن كلدة رجلا عقيما
لا يولد له ولد وانه مات في خلافة عمر رضي الله عنه ولما حاصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطائف قال ايما عبد تدلى الي فهو حر فنزل ابو
بكرة رضي الله عنه من الحصن في بكرة قلت بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف
وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البير وفيها الحبل يستقى بها الا ان
يسمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط الا ان صاحب مختصر العين حكاها
بالفتح ايضا وهي لغة ضعيفة لم يحكها غيره قال فكناه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا بكرة لذلك وكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واراد اخوه الحرث ان يدلي نفسه في البكرة ايضا فقال له الحرث بن
كلدة انت ابني فاقم فاقام ونسب الى الحرث بن كلدة وكان ابو بكرة قبل
ان يحسن اسلامه ينتسب الى الحرث ايضا فلما حسن اسلامه ترك
الانتساب اليه ولما هلك الحرث بن كلدة لم يقبض ابو بكرة من ميراثه
شيئا تورعا وهذا عند من يقول ان الحرث اسلم والا فهو محروم من
الميراث لاختلاف الدين فلهذا قال ابن مفرغ الابيات الثلثة الثانية
لان زيادا ادعى انه قرشي باستلحاق معوية له وابو بكرة اعترف بولاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونافع كان يقول انه ابن الحرث بن كلدة
الثقفي وامهم واحدة وهي سمية المذكورة وهو سبب نظم البيتين
في ال ابي بكرة كما تقدم ذكره وعلاج جد الحرث بن كلدة كما ذكرته
هذه قصة زياد واولاده ذكرتها مختصرة قلت الا ان قول ابن مفرغ في
البيت الثاني وكلهم لاب ليس بجيد فان زيادا ما نسبه احد الى
الحرث بن كلدة بل هو ولد عبيد لانه ولد على فراشه واما ابو بكرة ونافع
فقد نسبا الى الحرث فكيف يقول وكلهم لاب فتامله وذكر ابن النديم
في كتابه الذي سماه الفهرست ان اول من الف في المثالب كتابا زياد
بن ابيه فانه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال لهم استظهروا
به على العرب فانهم يكفون عنكم واما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي
والشهادة عليه فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة
اميرا بالبصرة وكان يخرج من دار الامارة نصف النهار وكان ابو بكرة
المذكور يلقاه فيقول اين يذهب الامير فيقول في حاجة فيقول ان
الامير يزار ولا يزور قالوا وكان يذهب الى امراة يقال لها ام جميل بنت الافقم

ابن محجد بن ابي عمرو بن شجنه بن الهرم وعدادهم في الانصار وزاد غيره ابن
الكلبي فقال الهرم بن ذويبه بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة
بن معوية بن بكر بن هوازن والله اعلم قال الراوي فبينما ابو بكرة في غرفة مع
اخوته وهم نافع وزياد المذكور وشبل بن معبد والجميع اولاد سميه المذكوره
فهم اخوة لام وكانت ام جميل المذكورة في غرفة اخرى قبالة هذه الغرفة
فضربت الريح باب غرفة ام جميل ففتحته ونظر القوم فاذا هم بالمغيره مع
المراة على هيئة الجماع فقال ابو بكرة هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا
فنظروا وحققوا اثبتوا فنزل ابو بكره فجلس حتى خرج عليه المغيره من بيت المراة
فقال له قد كان من امرك ما علمت فاعتزلنا وذهب المغيرة ليصلي بالناس
الظهر ومضى ابو بكره فقال لا والله ما تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت فقال
الناس دعوه فليصل فانه الامير واكتبوا بذلك الى عمر فكتبوا الى عمر رضي
الله عنه فامرهم ان تقدموا عليه جميعا المغيره والشهود فلما قدموا جلس
عمر رضي الله عنه فدعا بالشهود والمغيره فتقدم ابو بكرة فقال رايته بين
فخذيها قال والله لكاني انظر الى تشريم جدري بفخذيها فقال له المغيره
لقد الطفت في النظر قال ابو بكرة لم آل ان اثبت ما يخزيك الله فقال عمر لا والله
حتى تشهد لقد رايته يلج فيها ولوج المرود في المكحله فقال نعم اشهد على ذلك
فقال يا مغيره ذهب ربعك ثم دعا نافعا فقال له علي ما تشهد فقال على مثل
شهادة ابي بكره فقال لا حتى تشهد انه ولج فيها ولوج المرود في المكحلة قال نعم
حتى بلغ قذذه قلت القذذ بالقاف المضمومة وبعدها دالان معجمتان
وهي ريش السهم قال الراوي فقال عمر رضي الله عنه اذهب مغيرة ذهب
نصفك ثم دعا الثالث فقال له علي ما تشهد قال على مثل شهادة صاحبي
فقال عمر رضي الله عنه اذهب عنك مغيره ذهب ثلثة ارباعك ثم كتب الى زياد
وكان غائبا فقدم فلما راه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤس المهاجرين و
الانصار فلما راه مقبلا قال اني ارى رجلا لا يخزي الله على لسانه رجلا من ا
المهاجرين ثم ان عمر رضي الله عنه رفع راسه اليه فقال ما عندك يا سلح
الحبارى فقيل ان المغيره قام الى زياد فقال لا مخبا لعطر بعد عروس قلت
وهذا مثل من امثال العرب لا حاجة الى الكلام عليه فقد طالت هذه الترجمة
كثيرا قال الراوي فقال له المغيره يا زياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيمة
فان الله تعالى وكتابه ورسوله وامير المومنين قد حقنوا دمي الا ان تتجاوز الى ما لم

تره

تره مما رايت فلا يحملك سوء منظر رايته على ان تتجاوز ما لم تر فوالله لو كنت بين
بطني وبطنها ما رايت ان يسلك ذكري فيها قال فدمعت عينا زياد واحمر وجهه
وقال يا امير المؤمنين اما ان احق ما حق القوم فليس عندي ولكن رايت مجلسا
وسمعت نفسا حثيثا وانتهازا ورايته مستبطنها فقال عمر رضي الله عنه رايته
يدخل كالميل في المكحله فقال لا فقال عمر رضي الله عنه الله اكبر قم اليهم فاضربهم
فقام الى ابي بكره فضربه ثمانين وضرب الباقين واعجبه قول زياد ودرا الحد عن
المغيره فقال ابو بكرة بعد ان ضرب اشهد ان المغيره فعل كذا وكذا فهم عمر رضي الله
عنه ان يضربه حدا ثانيا فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان ضربته فارجم
صاحبك فتركه واستتاب عمر رضي الله عنه ابا بكرة فقال انما تستتيبني لتقبل
شهادتي فقال اجل فقال لا اشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا فلما ضربوا
الحد قال المغيرة الله اكبر الحمد لله الذي اخزاكم فقال عمر رضي الله عنه بل اخزى
الله مكانا راوك فيه وذكر عمر بن شبة في اخبار البصرة ان ابا بكرة لما جلد
امرت امه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره فكان يقال ما ذاك الا من
ضرب شديد وحكى عبد الرحمن بن ابي بكره ان اباه حلف لا يكلم زيادا ما عاش فلما
مات ابو بكره كان قد اوصى ان لا يصلي عليه زياد وان يصلي عليه ابو برزه الاسلمي
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخا بينهما وبلغ ذلك زيادا ~~ما عاش فلما مات~~
فخرج الى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره ثم ان ام جميل وافقت عمر
بن الخطاب رضي الله عنه بالموسم والمغيره هناك فقال له عمر اتعرف هذه المراة يا مغيره
فقال نعم هذه ام كلثوم بنت علي فقال له عمر اتتجاهل علي والله ما اظن ان ابا
بكرة كذب عليك وما رايتك الا خفت ان ارمى بحجارة من السماء قلت ذكر الشيخ
ابو اسحق الشيرازي في اول باب عدد الشهود في كتاب المهذب شهد على
المغيره ثلثه ابو بكره ونافع وشبل بن معبد وقال زياد رايت استا تنبو و
نفسا يعلو ورجلين كانهما اذنا حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر رضي الله
عنه الثلثه ولم يحد المغيره قلت وقد تقدم كلام الفقهاء على قول علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ان ضربته فارجم صاحبك فقال ابو نصر
بن الصباغ المقدم ذكره وهو صاحب كتاب الشامل في المذهب يريد ان هذا
ان كان شهادة اخرى فقد تم العدد وان كان هو الاول فقد جلد عليه
والله اعلم وذكر عمر بن شبة في اخبار البصرة ان العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقطعني البحرين فقال له ومن يشهد لك بذلك قال المغيرة بن شعبة فابى ان يجيز شهادته قلت وقد طالت هذه الترجمة وسببه انها اشتملت على عدة وقايع دعت الحاجة الى الكلام عليها وعلى كل واحدة منها فانتشر القول لاجل ذلك وما خلا عن فوايد والله اعلم

ابو المكشوح يزيد بن سلمة

بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المعروف بابن الطثرية الشاعر المشهور هكذا ساق نسبه ابو عمرو الشيباني وانما قيل لجدة سلمة بن الخير لانه كان لقشير ولد اخر يقال له سلمة الشر قال وقد قيل انه يزيد بن المنتشر بن سلمة وذكر ابن الكلبي انه يزيد بن الصمة احد بني سلمة الخير ابن قشير وذكر البصريون انه من ولد الاعور بن قشير وذكر ابو الحسن علي بن عبد الله الطوسي في اول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور وكان الطوسي قد اعتنى به وجمعه فقال كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا فصيحا كامل الادب وافر المروة لا يعاب ولا يطعن عليه وكان شجاعا له اصل ومحل في قومه من قشير وكان من شعراء بني امية مقدما عندهم وقال غير الطوسي كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقا سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون اذا جلس بين النسا ودقهن يقال استودقت المراة وودقت اذا مالت الى الفحل لاجل الجماع والاصل في هذه اللفظة ان تكون لذوات الحافر ثم نقلت الى بني ادم وهي بالدال المهملة والقاف والمودق هو الذي يجعل النساء يمكن اليه وكان يزيد كثيرا ما يجلس عند النسا ويتحدث معهن ويقال انه كان عنينا لا ياتي النسا وليس له عقب وهو من اعيان الشعرا وذكره ابو تمام الطائي في كتاب الحماسة في عدة مواضع فمن ذلك قوله في باب النسيب

عقيلية اما ملاث ازارها * فدعص واما خصرها فبتيل
تقيض اكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادي الاراك مقيل
اليس قليل نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس دونها * لنا من اخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدو ولم يومن عليه دخيل
اما من مقام اشتكي غربة النوى * وخوف العدى فيه اليك سبيل
فديتك اعدائي كثير وشقتي * بعيد واشياعي اليك قليل
فلا تحملي ذنبي وانت ضعيفة * فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

وكنت اذا ما جئت جئت بعلة * فافنيت علاتي فكيف اقول
فما كل يوم لي بارضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك رسول

وكان ابو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني قد جمع شعر يزيد بن الطثرية ايضا في ديوان واورد له قوله

الا بابي من قد برى الجسم حبه * ومن هو موقوف الى حبيب
ومن هو لا يزداد الا تشوقا * وليس يرى الا عليه رقيب
واني وان احموا علي كلامها * وحالت اعاد دوننا وحروب
لمثن على ليلى ثناء يزينها * قوافي بافواه الرجال تطيب
اليك احلي بذي تقضي القوى كالانها * على الناس والهجران منك نصيب
وكوني على الواشين لدا شغبة * كما ان للواشي الد شغوب
فان خفت ان لا تحملي مرة الهوى * فردي فوادي والمزار قريب

وله ايضا

بنفسي من لو مر برد بنانه * على كبدي كانت شفا انامله
ومن هابني في كل شي وهبته * فلا هو يعطيني ولا انا سايله

واما ابو الحسن الطوسي فانه اورد له

واني لاستحيي من الله ان ارى * رديفا لوصل او علي رديف
واني ارد الماء الموطا حمه * واورع وصلا منك وهو ضعيف

قلت ورايت في موضع اخر بعد البيت الاول

واني للماء المخالط القذى * اذا كثرت وراده لعيوف

واورد له الطوسي ايضا

الا رب راجي حاجة لا ينالها * واخر قد تقضى له وهو جالس
يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتاتي الذي تقضى له وهو آيس

واورد ايضا من جملة ابيات

بروعي الطيل الصد عنها اذا انا * اما ذر اسماعا عليها واعينا
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

واورد له ابياتا منها قوله

وقولا اذا عدت ذنوبا كثيرة * علينا تجناها اذى ما تغيبا
هبيني امرءا اما بريا ظلمته * واما مسيئا تاب بعد واعتبا
فلا ابت ان تقبل العذر والتي * بها كذب الواشين ثاروا مغربا

تغربت عنها بالسلق ولم اكن ؞ لمن ضن عني بالمودة اقربا
وكنت كذي داء بغى لدائه ؞ لجيبا فلما لم يجده تطببا

واورد له عبد الله المرزباني في كتاب معجم الشعرا وهي في الحماسه وقد
رويت ايضا لعبد الله بن الدمية الخثعمي والله اعلم

بنفسي واهلي من اذا عرضوا له ؞ ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البري ولم يزل ؞ به سكتة حتى يقال مريب

واورد له المرزباني في المعجم ايضا

حننت الى ريا ونفسك باعدت ؞ مزارك من ريا وشعبا كما معا

قلت وهي ابيات في غاية الرقة واللطافة ذكرها ابو تمام الطاى في كتاب
الحماسه في باب النسيب وقال انها للصمة بن عبد الله القشيري والله اعلم
بالصواب في ذلك كله وقال ابو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب
الاستيعاب في اخبار الصحابة رضي الله عنهم وقد تقدم ذكره فذكر في كتاب
بهجة المجالس ما مثاله للصمة بن عبد الله القشيري ؞

اما وجلال الله لو تذكرينني ؞ كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرا لو انه ؞ يصب على الصخر الاصم تصدعا

ثم قال بعد ذلك واكثرهم ينسبون اليه هذا الشعر وذكر الابيات بكمالها كما
ذكرها في الحماسه وبعد الفراغ منها قال ومنهم من ينسبها الى قيس بن ذريح
والى المجنون ايضا والاكثر انها للصمة والله اعلم قلت فقد وقع الاختلاف
في ان هذه الابيات العينيه هل هي ليزيد بن الطثرية ام للصمة بن عبد الله
القشيري ام لقيس بن ذريح ام للمجنون والله اعلم قلت وقد وقع ذكر القشيري
انه لقيس بن ذريح ام للمجنون والله اعلم قلت وذكر المرزباني ايضا في
كتاب الموفق قال انشدني ابو الحسن لابن الطثرية ؞

وحنت قلوصي بعد هدء صبابة ؞ فيا روعتا ما راع قلبي حنينها
فقلت لها صبرا فكل قرينة ؞ مفارقها لا بد يوما قرينها

واورد له ايضا

كيف العزاء وانت اوثق من مشى ؞ والنفس مولعة ودارك نائية
بيديك قتلي ان اردت منيتي ؞ وشفا نفسي ان اردت شفائيه
ولقد عرفت فما اويت لمدنف ؞ ما النفس عنك وان نايت بساليه

واورد له ايضا

اذا

اذا نحن جينا لم تجمل بزينة ؞ حذار الاعادي وهي باد جمالها
ولا يبتدينا بالسلام ولم نقل ؞ لهم من توقي شرهم كيف حالها

واورد له اشياء كثيرة غير هذا فنقتصر على هذا القدر وقال ابو بكر احمد بن
يحيى بن جابر البلاذري في كتاب انساب الاشراف بعد ما ذكر مقتل الوليد بن
يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموي الحكمي ووقايع جرت في سنة ست وعشر
مائة فكان في اثناء ذلك وقعة قتل فيها المشدث بن ادريس الحنفي وقتل
معه يزيد بن الطثريه المذكور على قرية يقال لها الفلج بفتح الفاء واللام
وفي اخره الجيم واظنها من قرى اليمامة ثم وجدت في كتاب ابي بكر الحازمي الذي
صنعه في اسماء المواضع ان فلج بفتح الفاء واللام واخره جيم قرية عظيمة لبني
جعدة بها منبر يقال لها فلج الافلاج من ناحية اليمامه وقال غيره فلج بينها
وبين هجر التي هي قصبه البحرين ستة ايام وبينها وبين مكة تسعة ايام
والله اعلم رجعت الى ما كنا فيه وذكر ابو اسحق الزجاج في كتاب معاني
القران الكريم في سورة الفرقان ان الرس قرية باليمامة يقال لها فلج فتكون
هذه القرية على ما قال والذي جاء في الشعر ؞

وان الذي حانت بفلج دماؤهم ؞ هم القوم كل القوم يا ام خالد

فانه بفتح الفاء وسكون اللام وهي واد بين البصرة وحمى ضرية وضرية قرية على
القرب من مكة واما فلجه الذي جاء في شعر بعض العرب حيث يقول

الا حبذا اعلام فلجة بالضحى ؞ وختم دوابي حلهتيها المنصب
يقولون ملح ما بفلجة اجن ؞ اجل هو مملوح الى القلب طيب

فهذا الاسم يقع على موضعين احدهما منزل بين مكة والبصرة والثاني موضع
بالعقيق والله اعلم رجعنا الى ما كنا فيه وكانت الوقعة في السنة التي وفيها الوليد
ابن يزيد الاموي المذكور وكان قتل الوليد في جمادى الاخرى يوم الخميس لليلتين
بقيتا منه من سنة ست وعشرين ومائة بالبخرا بفتح الباء الموحدة وسكون
الخاء المعجمة وبعد الرا الف ممدوده وذكر ابو الحسن الطوسي المذكور في هذه
الواقعه ان الزية كانت مع يزيد بن الطثريه فلما قتل المشدث وهرب اصحابه
ثبت يزيد بن الطثريه بالراية وكان عليه جبة خز فنشبت في عشرة
قلت وهي بالعين المهملة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء مفتوحة ثم
هاء وهي شجرة لها صمغ من شجر العضاة قال فعثر فضربه بنو حنيفة حتى
قتلوه قلت وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد في التاريخ المذكور فيكون قتل يزيد بن

الطثريه بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين اخر سنة ست وعشرين ومائة والله
اعلم وذكر ابو الفتح الاصفهاني في اول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد
بن الطثريه ان بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس والاول اصح ولما قتل ابن
الطثريه رثاه القحيف بن حمير بن سليم الندى بن عبد الله العقيلي بقوله

الا تبكي سراة بني قشير ÷ على صنديدها وعلى فتاها
ابا المكشوح بعدك من يحامي ÷ ومن يزجي المطي على وجاها

ورثا القحيف ايضا الوليد بن يزيد ورثاه اخوه ثور بن سلمة بقوله

اري الاثل من بطن العقيق مجاوري ÷ مقيما وقد غالت يزيد غوايله

وهي من الشعر المختار وذكر ابو تمام الطائي في الحماسة ان هذه الابيات لاخته
زينب بنت الطثريه وقيل انها لامه والله اعلم وذكر الطوسي المذكور ان هذه الاثل
كانت بالعقيق وقال ياقوت الحموي في كتابه المشترك وضعا ان العقيق عشرة مواضع
قال الاصمعي الاعقة الاودية التي يشقها السيل ثم عد المواضع فقال الثالث
عقيق عارض اليمامة وهو واد واسع مما يلي العرمة تندفق فيه شعاب العارض
وفيه عيون وقرى ثم قال والعقيق من قرى اليمامة لبني عقيل وهو عقيق تمره
في طريق اليمن من اليمامة فيحتمل ان يكون المراد بقوله بطن العقيق في هذا البيت
العقيق الاول ويحتمل العقيق الثاني والله اعلم وانما كني ابن الطثريه بابي
المكشوح لانه كان على كشحه كي نار والكشح بفتح الكاف وسكون الشين المعجمه
وبعدها الحاء المهملة وهي الخاصرة والطثريه بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء
المثلثه وبعدها راء ثم يا النسب وهاء التانيث وهي امه ينسب يزيد المذكور
اليها وهي من بني طثر بن عنز بن وائل والطثر الخصب وكثرة اللبن يقال ان
امه ولدت في عام هذا وصفه وقيل بل ولدته في عام هذا شانه وقيل
ان امه كانت مولعة باخراج زبد اللبن فسميت الطثر والطثر اللبن زبده والله
اعلم قلت وهذا الكلام في النفس منه شي فانهم قد قالوا ان امه من بني طثر بن
عنز بن وايل فعلى هذا انكون امه منسوبة الى هذه القبيله فلا معنى حينئذ لقولهم
ان امه ولدت في عام هذا وصفه وقيل بل ولدته في عام هذا شانه وقيل ان
امه كانت مولعة باخراج زبد اللبن فسميت الطثر وطثر اللبن زبده والله اعلم
فما قاله الا ان يكون عندهم فيه خلاف هل هو منسوب الى القبيلة ام الى هذا
المعنى الثاني والله اعلم بالصواب في ذلك ويروى لزينب بنت الطثريه اخت
يزيد المذكور من الشعر شي كثير فمن ذلك قولها في المدايح ÷ ÷ ÷

اشم

اشم اذا ما جئت للعرف طالبا ÷ حباك بما تحتوا عليه انامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه ÷ لجاد بها فليتق الله سايله

وتنسب هذه الابيات الى زياد الاعجم ايضا والبيت الثاني منهما يوجد في ديوان
ابي تمام الطاى ايضا في قصيدته التي اولها

اجل ايها الربع الذي خف اهله ÷ فقد ادركت فيك النوى ما تحاوله

والله اعلم بالصواب

بن ابي سلمة دينار وقيل ميمون
الملقب بالماجشون القرشي التيمي من موالي آل المنكدر من اهل المدينة سمع من
ابن عمر رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هرمز
الاعرج وروى عنه ابناه يوسف وعبد العزيز وابن اخيه عبد العزيز بن عبد
الله بن ابي سلمة وقال يعقوب بن شيبة الماجشون يعقوب بن ابي سلمة
مولى الهدير وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ولاية
عمر المدينة يتحدث ويانس به فلما استخلف عمر رضي الله عنه قدم عليه
الماجشون فقال له عمر انا تركناك حيث تركنا لبس الخز فانصرف عنه وذكره
محمد بن سعد في كتاب الطبقات وقال يعقوب بن شيبة قال مصعب وكان
الماجشون يعين ربيعة الراى على ابي الزناد لان ابا الزناد كان معاديا
لربيعة فكان ابو الزناد يقول مثلي ومثل الماجشون مثل ذيب كان يلج
على اهل قرية فياكل صبيانهم فاجتمعوا له وخرجوا في طلبه فهرب منهم
فانقطعوا عنه الا صاحب فخار فانه الح في طلبه فوقف له الذيب فقال
هو لا اعذرهم فانت ما لي ولك ما كسرت لك فخارة قط والماجشون ما كسرت
له كبرا ولا بربطا قط وقال ابن الماجشون عرج بروح الماجشون فوضعنا
على سرير الغسل وقلنا للناس نروح به فدخل غاسل اليه يغسله
فراى عرقا يتحرك في اسفل قدمه فاقبل علينا وقال ارى عرقا يتحرك ولا
ارى ان اعجل عليه فاعتللنا على الناس بالامر الذي رايناه وفي الغد
جاء الناس وغدا الغاسل عليه فراى العرق على حاله فاعتذرنا الى
الناس فمكث ثلثا على حاله ثم انه استوى جالسا فقال ايتوني بسويق فاتي به
فشربه فقلنا له خبرنا بما رايت قال نعم عرج بروحي فصعد بي الملك
حتى اتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا في السموات حتى انتهى الى السما
السابعة فقيل له من معك قال الماجشون فقيل لم ياذن له بعد بقي من عمره كذا
وكذا شهرا وكذا وكذا ساعة ثم هبط بي فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر

عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذي معي
من هذا فقال هذا عمر بن عبد العزيز قلت انه لقريب المقعد من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انه عمل بالحق في زمن الجور وانهما عملا بالحق في زمن الحق
ذكر هذا يعقوب بن شيبة في ترجمة الماجشون وذكر ابو الحسن محمد بن
احمد بن الفوارس الوراق ان يعقوب الماجشون مات سنة اربع وستين ومائة
رحمه الله تعالى هكذا انقلته من تاريخ الحافظ ابي القسم المعروف بابن عساكر
الذي جعله تاريخا لدمشق وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف في ترجمة محمد
بن المنكدر ان الماجشون من مواليه واسمه يعقوب وكان فقيها ثم قال بعد
ذلك وكان للماجشون اخ يقال له عبد الله بن ابي سلمة وابنه عبد العزيز
بن عبد الله يكنى ابا عبد الله توفي ببغداد وصلى عليه المهدي ودفنه في
مقابر قريش وذلك في سنة اربع وستين ومائة قلت وقد تقدم في هذا
الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله وذكرت ما قاله
العلماء في معنى الماجشون فاغنى عن الاعادة ها هنا وقوله ما كرهت له كبرا
ولا بربطا الكبر بفتح الكاف والباء الموحدة وبعدها راء وفي آخره هو طبل ذو
وجه واحد والبربط بفتح البائين الموحدتين بينهما راء وفي آخره طاء مهملة و
هو نوع من العود الذي للغنا واصله بر وهو الصدر بالفارسي وبط الطاير المعروف
فلما كان هذا الملهي يشبه صدر البط سمي به فاسمه بالعربي العود والمزهر
ايضا بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء وبالعجمي البربط كما
ذكرناه والله اعلم   يعقوب بن ابرهيم بن حبيب بن
خنيس بن سعد بن حبتة الانصاري وسعد بن حبتة احد الصحابة رضي
الله عنهم وهو مشهور في الانصار بامه وهي حبتة بنت مالك من بني عمرو
بن عوف واما ابو سعد بن حبتة فهو عوف بن بجير بن معوية بن سلمى بن
بجيلة حليف بني عمرو بن عوف الانصاري هكذا ساق نسب سعد بن حبتة
الانصاري في الاستيعاب واما الخطيب ابو بكر البغدادي فانه قال في تاريخه
هو سعد بن بجير بن معوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن ابي
اسامة بن سحمة بن سعد بن عبد الله بن قداد بن ربيعة بن ثعلبة بن معوية
بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضي ابو يوسف المذكور من اهل الكوفة
وهو صاحب ابو حنيفة رضي الله عنه كان فقيها عالما حافظا سمع ابا اسحق
الشيباني وسليمن التيمي ويحيى بن سعيد الانصاري والاعمش وهشام بن عروة

وعطا

وعطاء ابن السايب ومحمد بن اسحق بن يسار وتلك الطبقة وجالس محمد بن عبد
الرحمن بن ابي ليلى ثم جالس ابا حنيفة النعمن بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب
ابي حنيفة وخالفه في مواضع كثيرة وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني
الحنفي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد واحمد بن حنبل ويحيى بن
معين في اخرين وكان قد سكن بغداد وتولى القضا بها لثلثة من الخلفا المهدي
وابنه الهادي وهارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده
خطيرا مكينا وهو اول من دعي بقاضي القضاة ويقال انه اول من غير لباس
العلما الى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل
ذلك شيا واحدا لا يتميز احد عن احد بلباسه ولم يختلف يحيى بن معين واحمد
بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل وذكر ابو عمر بن عبد البر صاحب كتاب
الاستيعاب في كتابه الذي سماه الانتقا في فضايل الثلثة الفقها ان ابا يوسف
المذكور كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين ثم يقوم و
فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبري وتحامى حديثه
قوم من اهل الحديث من اجل غلبة الراي عليه وتفريعه الفروع والاحكام مع
صحبة السلطان وتقلده القضا وحكى ابو بكر البغدادي في تاريخ بغداد ان ابا
يوسف قال كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقل رث الحال فجاء ابي يوما وانا
عند ابي حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمدن رجلك مع ابي حنيفة فان ابا
حنيفة خبزه مشوي وانت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب واثرت
طاعة ابي فتفقدني ابو حنيفة وسال عني فجعلت اتعاهد مجلسه فلما كان
اول يوم اتيته بعد تاخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش و
طاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع الي صرة وقال استمتع بها فنظرت
فاذا فيها ماية درهم فقال لي الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني فلزمت
الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي ماية اخرى ثم كان يتعاهدني
وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته بنفاد شي وكانه كان يخبر بنفادها حتى
استغنيت وتمولت ثم قال الخطيب وحكي ان والد ابي يوسف مات وخلف
ابا يوسف طفلا صغيرا وان امه هي التي انكرت عليه حضوره حلقة ابي حنيفة
ثم روى الخطيب ايضا باسناد متصل الى علي بن الجعد قال اخبرني ابو يوسف
القاضي قال توفي والدي وخلفني صغيرا في حجر امي فاسلمتني الى قصار اخدمه
فكنت ادع القصار وامر الى حلقة ابي حنيفة فاجلس استمع فكانت امي تجي خلفي الى الحلقة

فناخذ بيدي فتذهب بي الى القصار وكان ابو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري و
حرصي على التعلم فلما كثر ذلك على امي وطال عليها هربي قالت لابي حنيفة ما
لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وانما اطعمه من مغزلي واقل ان
يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها ابو حنيفة مري يا رعنا هو ذا يتعلم اكل الفا
لوذج بالفستق فانصرفت عنه وقالت انت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته
فنفعني الله تعالى به وبالعلم ورفعني حتى تقلدت القضا وكنت اجالس الرشيد
واكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى هرون فالوذجة قال لي
يا يعقوب كل منه فليس يعمل لنا كل يوم مثلها قلت وما هذه يا امير المؤمنين
فقال لي هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم ضحكت قلت خيرا ابقى
الله امير المؤمنين قال لتخبرني والح علي فخبرته بالقصة من اولها الى اخرها فعجب من
ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع دينا ودنيا وترحم على ابي حنيفة وقال كان
ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين راسه وحكى علي بن المحسن التنوخي عن ابيه
عن جده قال كان سبب اتصال ابي يوسف بالرشيد انه كان قدم بغداد بعد
موت ابي حنيفة رحمه الله تعالى فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه
فجيء بابي يوسف فاتاه فافتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير واخذ له دارا بالقرب
منه ودخل القايد يوما على الرشيد فوجده مغموما فساله عن سبب غمه فقال شيء
من امر الدين قد حزبني فاطلب لي فقيها كي استفتيه فجاء بابي يوسف قال ابو
يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رايت فتى حسنا عليه اثر الملك وهو في
حجرة محبوس فاوما الي باصبعه مستغيثا فلم افهم منه ارادته وادخلت الى
الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي ما اسمك قلت يعقوب
اصلح الله امير المؤمنين قال ما تقول في امام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت
لا يجب فلما قلتها سجد الرشيد فوقع لي انه قد راى بعض اهله على ذلك وان الذي
اشار الي بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد من اين قلت هذا قلت لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرؤوا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط
الحد معها فقال واي شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة لذلك اكثر
من العلم بما جرى فالحدود لا تكون مع العلم وليس لاحد اخذ حقه بعلمه فسجد
مرة اخرى وامر لي بمال جزيل وان الزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى
وهدية امه وجماعته وصار ذلك اصلا للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم
يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى حتى قلدني القضا قلت وهذا يخالف

ما نقلته

ما نقلته قبل هذا في انه ولي القضا لثلثة من الخلفا والله اعلم بالصواب وقال طلحة بن
محمد بن جعفر ابو يوسف مشهور الفضل وهو صاحب ابي حنيفة وافقه اهل عصره ولم
يتقدمه احد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر واول من
وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب ابي حنيفة واملى المسايل ونشرها وبث علم
ابي حنيفة في اقطار الارض وقال عمار بن ابي مالك ما كان في اصحاب ابي حنيفة مثل
ابي يوسف لولا ابو يوسف ما ذكر ابو حنيفة ولا محمد بن ابي ليلى ولكنه هو نشر
قولهما وبث علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة مرض ابو يوسف في زمن
ابي حنيفة مرضا خيف عليه منه فعاده ابو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده
وضع يديه على عتبة بابه وقال ان يمت هذا الفتى فانه اعلم من عليها واوما
الى الارض وقال ابو يوسف سالني الاعمش عن مسالة فاجبته فيها فقال من اين
لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثتنا انت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا
يعقوب اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يجتمع ابواك وما عرفت تاويله حتى الان
وقال هلال بن يحيى كان ابو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وايام الناس والعرب
وكان اقل علومه الفقه ولم يكن في اصحاب ابي حنيفة مثل ابي يوسف وذكر ابو
الفرج بن المعافا بن زكريا النهرواني في كتاب الجليس والانيس عن الشافعي رضي
الله عنه انه قال مضى ابو يوسف القاضي ليسمع المغازي من محمد بن اسحق او من
غيره واخل بمجلس ابي حنيفة اياما فلما اتاه قال له ابو حنيفة يا ابا يوسف من كان
صاحب راية جالوت فقال له ابو يوسف انك امام وان لم تمسك عن هذا سالتك
والله على رؤوس الملا ايما كان اولا وقعة بدر او احد فانك لا تدري ايهما كان
قبل الاخر فامسك عنه وذكر في الكتاب المذكور ايضا عن علي بن الجعد ان القاضي
ابا يوسف كتب يوما كتابا وعن يمينه انسان يلاحظه ما يكتبه ففطن به ابو
يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت اليه وقال له هل وقفت على شيء من خطي
فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له ابو يوسف جزيت خيرا كفيتنا
مؤنة قراءته ثم انشد ؛

اسلم في كتاب سوء الادب ؛ كانه من سوء تاديبه

قال حماد بن ابي حنيفة رايت ابا حنيفة يوما وعن يمينه ابو يوسف و
عن يساره زفر وهما يتجادلان في مسالة فلا يقول ابو يوسف قولا الا افسده
زفر ولا يقول زفر قولا الا افسده ابو يوسف الى وقت الظهر فلما اذن المؤذن
رفع ابو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال له لا تطمع في رياسة بلد فيها ابو يوسف

وقضى لابي يوسف على زفر ولم يكن بعد ابي يوسف في اصحاب ابي حنيفة مثل زفر وقال
طاهر بن احمد الزبيري كان يجلس الى ابي يوسف رجل فيطيل الصمت فقال
له ابو يوسف الا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصايم فقال اذا غابت الشمس فقال
فان لم تغب الى نصف الليل فضحك ابو يوسف وقال اصبت في صمتك واخطا
انا في استدعاى لنطقك ثم تمثل

عجبت لازراء الغبي بنفسه ❊ وصمت الذي قد كان بالقول اعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما ❊ صحيفة لب المرء ان يتكلما

ومن كلام ابي يوسف صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيمة وكان يقول رووس
النعم ثلثة فاولها نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة الا بها والثانية نعمة العافية
التي لا تطيب الحيوة الا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها وقال علي بن
الجعد سمعت ابا يوسف يقول العلم شي لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وانت
اذا اعطيته كلك من اعطايه البعض كنت على غرر وكان ابو يوسف راكبا
وغلامه يعدو اوراه فقال له رجل اتستحل ان تعدو غلامك وراك فقال له
ابو يوسف ايجوز عندك ان اسلم غلامي مكاريا قال نعم فقال ابو يوسف فيعدو معي
كما كان يعدو لو كان مكاريا وقال يحيى بن عبد الصمد خوصم امير المومنين الهادي
الى القاضي ابي يوسف في بستان وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن
خلاف ذلك فقال الهادي لابي يوسف ما صنعت في الامر الذي تنوزع اليك
فيه فقال الخصم امير المومنين يسالني ان احلف امير المومنين ان شهوده شهدوا
على حق فقال له الهادي وترى ذلك فقال قد كان ابن ابي ليلى يراه فقال
اردد البستان عليه وانما احتال عليه ابو يوسف لعلمه ان الهادي لا يحلف
وقال بشر بن الوليد الكندي قال لي ابو يوسف القاضي بينا انا البارحة قد
اويت الى فراشي فاذا داق تدق الباب دقا شديدا فاخذت علي ازاري و
خرجت فاذا هو هرثمة بن اعين فسلمت عليه فقال اجب امير المومنين فقلت
يا ابا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست امن ان يكون امير المومنين
قد دعاني لامر من الامور فان امكنك ان تدفع بذلك الى غد فلعله ان
يحدث له راي فقال ما لي الى ذلك سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج
الي مسرور الخادم فامرني ان اتي بك امير المومنين فقلت تاذن لي ان اصب علي
ماء واتحنط فان كان امر من الامور كنت قد احكمت شاني وان رزق الله العافية
لن يضرني فاذن لي فدخلت فلبست ثيابا جددا وتطيبت بما امكن من الطيب ثم خرجنا

فضينا

فضينا حتى اتينا دار امير المومنين هرون الرشيد فاذا مسرور واقف فقال له هرثمة
قد جيت به فقلت لمسرور يا ابا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي وهذا وقت ضيق
فتدري لم طلبني امير المومنين قال لا قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر قلت
ومن قال ما عندهما ثالث ثم قال لي مر فاذا صرت في الصحن فانه في الرواق
وهو ذاك جالس فحرك رجلك بالارض فانه سيسالك فقل انا قال ابو يوسف
فجيت ففعلت ذلك فقال من هذا فقلت يعقوب فقال ادخل فدخلت فاذا
هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت فرد علي السلام وقال اظننا
روعناك فقلت اي والله وكذا من خلفي فقال اجلس فجلست حتى سكن روعي
ثم التفت الي وقال يا يعقوب تدري لم دعوتك قلت لا قال دعوتك لاشهدك
على هذا ان عنده جارية سالته ان يهبها لي فامتنع وسالته ان يبيعها لي فابى
والله لين لم يفعل لاقتلنه قال ابو يوسف فالتفت الى عيسى فقلت وما بلغ
الله بجارية تمنعها امير المومنين وتنزل نفسك هذه المنزلة فقال لي عجلت
علي في القول قبل ان تعرف ما عندي قلت وما في هذا من الجواب قال ان
علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك ان لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها فالتفت
الي الرشيد فقال هل لك في ذلك من مخرج قلت نعم قال وما هي قلت يهب
لك نصفها ويبيعك فيكون لم يهب ولم يبع قال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال
فاشهدك اني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بماية الف دينار
ثم قال الجارية فاتي بالجارية وبالمال فقال خذها يا امير المومنين بارك الله لك
فيها فقال الرشيد يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هي فقال هي مملوكة
ولا بد ان تستبرا ووالله لين لم ابت معها ليلتي هذه اني اظن ستخرج روحي
فقلت يا امير المومنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرا قال فاني قد
اعتقتها فمن يزوجنيها فقلت انا فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت
الله تعالى ثم زوجته اياها على عشرين الف دينار ودعا بالمال فدفعه
اليها ثم قال لي يا يعقوب انصرف ورفع راسه الى مسرور فقال يا مسرور
فقال لبيك قال احمل الى يعقوب مايتي الف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل
ذلك معي قال بشر بن الوليد فالتفت الي ابو يوسف وقال رايت باسا
فيما فعلت فقلت لا فقال خذ حقك منها قلت وما حقي قال العشر قال بشر
فشكرته ودعوت له وذهبت لاقوم فاذا بعجوز قد دخلت فقالت يا ابا يوسف
ان بنتك تقريك السلام وتقول لك والله ما وصل الي في ليلتي هذه من امير المومنين

الا المهر وقد حملت اليك النصف منه وخلفت الباقي لما احتاج اليه قال رده بعفو الله
لا قبلتها اخرجتها من الرق وزوجتها امير المؤمنين وترغب لي بهذا قال بشر فلم نزل
بطلب اليه انا وعمر مني حتى قبلها وامر لي منها بالف دينار وقال ابو عبيد الله
اليوسفي ان ام جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت الى ابي يوسف ما
ترى في كذا وكذا واحب الاشيا الي ان يكون الحق فيه كذا وكذا فافتاها بما احبت
فبعثت اليه بحق فضة فيها حقاق فضة مطبقات في كل واحدة لون من الطيب و
في جام دراهم وسطها جام فيه دنانير فقال جليس له قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال ابو يوسف ذاك حين
كانت الهدية اللبن والتمر وقال يحيى بن معين كنت عند ابي يوسف القاضي
وعنده جماعة من اصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية ام جعفر احتوت على
تخوت دبيقي ومصمت وشرب وطيب وتماثيل وغير ذلك فذاكرني رجل بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه
فيها فسمعه ابو يوسف فقال الي تعرض بذلك انما قاله النبي صلى الله عليه وسلم
والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام شل الى
الخزاين ونقلت من كتاب اسمه اللطيف ولم يذكر فيه من هو مصنفه قال كان
عبد الرحمن بن مسهر اخو علي بن مسهر قاضيا على المبارك قلت وهو بضم الميم وبعدها
باء موحدة وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها كاف وهو بليدة بين بغداد وواسط
على شاطي دجلة قال فبلغ القاضي خروج الرشيد الى البصرة ومعه ابو يوسف
القاضي في الحراقة فقال عبد الرحمن القاضي لاهل المبارك اثنوا علي عند امير المؤمنين
وعند القاضي ابي يوسف فابوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانا
اسود وجا الى الشريعة فلما اقبلت الحراقة رفع صوته وقال يا امير المؤمنين نعم القاضي
قاضينا قاضي صدق ثم مضى الى شريعة اخرى فقال مثل مقالته الاولى فالتفت
هرون الى ابي يوسف وقال يا يعقوب هذا اشر قاض في الارض قاض في موضع لا
يثني عليه الا رجل واحد فقال له ابو يوسف واعجب من هذا يا امير المؤمنين هو
القاضي يثني على نفسه قال فضحك هرون وقال هذا اظرف الناس هذا لا يعزل
ابدا وكان الرشيد اذا ذكره يقول هذا لا يعزل ابدا وقيل لابي يوسف اتولي مثل
هذا القضا فقال انه اقام ببابي مدة وشكا الي الحاجة فوليته وقال ابو العباس
احمد بن يحيى المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح اخبرني بعض اصحابنا قال الرشيد
لابي يوسف بلغني انك تقول ان هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل اقوالهم متصنعة

فقال نعم

فقال نعم يا امير المؤمنين قال وكيف ذلك قال لان من صح ستره وخلصت امانته لم نعرفه فانا
لم نعرفه ومن ظهر امره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله وبقيت هؤلاء الطبقة وهم
هؤلاء المتصنعة الذين اظهروا الستر وابطنوا غيره فتبسم الرشيد وقال صدقت
وقال محمد بن سماعة سمعت ابا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول اللهم انك
تعلم اني لم اجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ولقد اجتهدت في الحكم
بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم وكل ما اشكل علي جعلت ابا حنيفة
بيني وبينك وكان عندي والله ممن يعرف امرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه قلت
وهذا الكلام ماخوذ من قول ابي محمد عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وقد روي يمسح على خفيه فقيل له تمسح فقال نعم قد مسح عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكر هذا ابن قتيبة
في كتاب المعارف في ترجمة علي رضي الله عنه واخبار ابي يوسف كثيرة واكثر العلما على
تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير الفاظا عن عبد
الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هرون ومحمد بن اسمعيل البخاري وابي الحسن
الدارقطني وغيرهم ينبو السمع عنها فتركت ذكرها والله اعلم بحاله وكانت ولادة القاضي
ابي يوسف سنة ثلث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس اول وقت الظهر لخمس خلون
من شهر ربيع الاول سنة اثنين وثمانين ومائة ببغداد وقيل انه توفي سنة
اثنين وسبعين ومائة والاول اصح وولي القضا سنة ست وستين ومائة
ومات وهو على القضا رحمه الله تعالى واما ولده يوسف فانه كان قد نظر
في الراي والفقه معا وسمع الحديث من يونس بن ابي اسحق السبيعي والسري بن
يحيى وغيرهما وولي القضا بالجانب الغربي من بغداد في حيوة ابيه وصلى بالناس
الجمعة في مدينة المنصور بامر هرون الرشيد ولم يزل على القضاء الى ان مات في رجب
سنة اثنين وتسعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي انه ابا يوسف القاضي
لما مات ولى الرشيد مكانه ابا البختري وهب بن وهب القرشي قلت وقد تقدم
ذكره في حرف الواو وكان ابو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور يصحب ابا يوسف و
لابنه يوسف فلما توفي ابو يوسف سمع الخريمي رجلا يقول اليوم مات الفقه فانشد

الخريمي
يا ناعي الفقه الى اهله * ان مات يعقوب ولا تدري
لم يمت الفقه ولكنه * تحول من صدر الى صدر
القاه يعقوب الى يوسف * فزال من طيب الى طهر
فهو مقيم فاذا ما ثوى * حل وحل الفقه في قبر

رحمهما الله تعالى وخنيس بضم الخاء المعجمة تصغير اخنس وهو الذي تاخر انفه عن وجهه
مع ارتفاع قليل في الارنبة فالرجل اخنس والمراة خنسا وهذا التصغير يسمى تصغير
ترخيم وحقيقته ان تحذف منه الحروف الزوايد وتصغر الباقي كما قالوا ان هو د
هير واحمد وحميد واسود وسويد وغير ذلك وجبر بفتح الحاء المهملة وسكون الباء
الموحدة وبعدها تا مثناه من فوقها ثم زاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم
في عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم اجده وجبير بفتح الباء الموحدة وكسر
الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء والجيم المفتوحه والاول اصح والباقي معروف
لا حاجة الى ضبطه وسعيد بن جبير من جملة من استصغروهم اخذ هو والبرا بن
عازب وابو سعيد الخدري رضي الله عنهم فردهم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتالا شديدا امع هذه السنة
فدعاه وقال له من انت فقال سعيد بن جبير فقال اسعد الله جدك ومسح
على راسه رضي الله عنه وخنيس هو صاحب جهارسوج خنيس بالكوفة وهو لفظ عجمي
تفسيره بالعربي اربع طرق لان هذا المكان رحبة مربعة تفترق الى اربع جهات
والله اعلم **ابو محمد يعقوب بن اسحق** بن زيد بن عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي
بالولا البصري المقرى المشهور وهو احد القراء العشرة وهو المقرئ الثامن
وله في القراة رواية مشهورة منقولة عنه وهو من اهل بيت العلم بالقراءات
والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقه وكان من اقرء القراء
اخذ عنه عامة حروف القران مسندا وغير مسند من قراءة الحرميين والعراقيين
واهل الشام وغيرهم واخذ هو القراة عرضا عن سلام بن سليمن الطويل ومهدي بن
ميمون وابي الاشهب العطاردي وغيرهم وروى عن حمزة حروفا وسمع الحروف من ابي
الحسن الكسائي وسمع من جده زيد بن عبد الله وشعبة واما اسناده في القراة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قرا على سلام المذكور وقرا سلام على عاصم
بن ابي النجود وقرا عاصم على ابي عبد الرحمن السلمي وقرا ابو عبد الرحمن على علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وقرا علي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى القراة
عن يعقوب المذكور عرضا جماعة منهم روح بن عبد المومن ومحمد بن المتوكل وابو حاتم
السجستاني وغيرهم وسمع منه الزعفراني واقتدى به في اختياره عامة البصريين
بعد ابي عمرو بن العلا فهم او اكثرهم على مذهبه وكان ذلك كما هو بن عبد المنعم
بن غلبون امام الجامع بالبصرة لا يقرا الا بقراة يعقوب وقال ابو الحسين بن المنادي
قرا يعقوب على ابي عمرو وغلط في ذلك وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم مثل احمد بن حنبل رضي

الله

الله عنه عن يعقوب الحضرمي فقال صدوق وسئل ابو حاتم الرازي عنه فقال صدوق
وقال ابو حاتم السجستاني كان يعقوب الحضرمي اعلم من ادركنا ورأينا بالحروف
والاختلاف في القران الكريم وتعليله ومذاهبه ومذاهب النحو في القران الكريم وله
كتاب سماه الجامع جمع فيه اختلاف وجوه القراة ونسب كل حرف الى من قرا به و
بالجملة فانه كان امام اهل البصرة في عصره في القراات وكان ياخذ اصحابه بعد
اي القران الكريم فاذا اخطا احدهم في العدد اقامه وتوفي يعقوب المذكور في ذي
الحجة وقيل في جمادى الاولى سنة خمس ومايتين وهو الاصح وعاش هو وابوه اسحق
وجده زيد كل واحد منهم ثمانيا وثمانين سنة رحمهم الله اجمعين واما جد
ابيه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي فانه كان من الائمة الاعلام المشار اليهم في علم
قال ابو عبيدة معمر بن المثنى اول من وضع العربية ابو الاسود الدؤلي ثم ميمون
الاقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي وقد جاء في رواية اخرى
ان عنبسة قبل ميمون والله اعلم بالصواب وكان في زمان عبد الله بن ابي
اسحق عيسى بن عمر الثقفي وابو عمرو بن العلا ومات عبد الله قبلهما وذكر ابو عبد
الله المرزباني في كتابه المقتبس في اخبار النحويين ان المبرد قال اجمعت العلما با
للغة ان اول من وضع العربية ابو الاسود الدؤلي وانه لقن ذلك عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ثم اخذ النحو عن ابي الاسود عنبسة بن معدان المهري
واخذه عنه الاخفش وكان بلال بن ابي بردة بن موسى الاشعري رضي الله
عنه قد جمع بين عبد الله وابي عمرو بن العلا وبلال يومئذ متولي البصرة قال
ابو عمرو فغلبني ابن ابي اسحق بالهمز فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه وكان
عبد الله كثيرا ما ياخذ على الفرزدق الغلط في شعره فقال الفرزدق والله
لاهجونه ببيت يسير بين اهل الادب ويتمثلون به فعمل فيه

فلو كان عبد الله مولى هجوته ❊ ولكن عبد الله مولى مواليا

وانما قال الفرزدق ذلك لان عبد الله مولى الحضرميين وهم حلفاء بني عبد شمس
بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى ولهم على ذلك شواهد ولولا خوف الاطالة
لذكرت طرفا من ذلك وليس هذا موضع ذكره والله اعلم **ابو عوانه يعقوب
بن اسحق** بن ابرهيم بن يزيد النيسابوري ثم الاسفرايني الحافظ صاحب المسند
الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج كان ابو عوانه احد الحفاظ الجوالين
والمحدثين المكثرين طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة
واليمن واصبهان والري وفارس قال الحافظ ابو القسم المعروف بابن عساكر في تاريخ
دمشق سمع ابو عوانه بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد واسمعيل بن محمد بن قيراط

وشعيب بن شعيب بن اسحق وغيرهم وبمصر يونس بن عبد الاعلى وابن اخي ابن وهب
والمزني والربيع ومحمد او سعد ابني عبد الحكم وبالعراق سعدان بن نصر والحسن
الزعفراني وعمر بن شيبه وبخراسان محمد بن يحيى الذهلي ومسلم بن الحجاج ومحمد
بن رجا السندي وغيرهم وبالجزيره علي بن حرب وغيره روى عنه ابو بكر
الاسماعيلي واحمد بن علي الرازي وابو علي الحسين بن علي وابو احمد بن علي و
سليمان الطبراني ومحمد بن يعقوب بن اسمعيل الحافظ وابو الوليد الفقيه و
ابنه ابو مصعب محمد بن ابي عوانه وحج خمس مرات وقال كنت بالمصيصه
فكتب الي اخي محمد بن اسحق فكان في كتابه

فان نحن التقينا قبل موت ؛ شفينا النفس من مضض العتاب
وان سبقت بنا ايدي المنايا ؛ فكم من غائب تحت التراب

وقال ابو عبد الله الحاكم ابو عوانة من علماء الحديث واثباتهم ومن الرحالة
في اقطار الارض لطلب الحديث توفي سنة ست عشرة وثلثمائة وقال حمزة بن
يوسف السهمي روى بجرجان سنة اثنتين وتسعين ومائتين قال الحافظ ابو القسم
بن عساكر حدثني الشيخ الصالح الاصيل ابو عبد الله محمد بن محمد بن عمر الصفار
الاسفرايني قال قبر ابي عوانه باسفراين مزار للعالم ومتبرك الخلق وبجنب قبره
قبر الراوي عنه ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني في مشهد واحد داخل
باب المدينة على يسار الداخل من باب المدينة الى نيسابور من اسفراين و
قريب من مشهده مشهد الامام الاستاد ابي اسحق الاسفرايني على يمين
الداخل من باب نيسابور وبجنب قبره قبر الاستاد ابي منصور البغدادي الامام
الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجنب حيا وميتا المتظاهرين لنصرة الدين
بالحجج والبراهين سمعت جدي الامام عمر بن الصفار رحمه الله تعالى ونظر
الى القبور حول قبر الامام الاستاد ابي اسحق واشار الى المشهد وخارج المشهد
وقال قد قيل ههنا من الائمة والفقها على مذهب الامام الشافعي رضي الله
عنه اربعون اماما كل واحد منهم لو تصرف في المذهب وافتى برايه واجتهاده
يعني على مذهب الشافعي لكان حقيقا بذلك والعوام يتقربون الى مشهد الاستاد
ابي اسحق اكثر مما يتقربون الى ابي عوانه وهم لا يعرفون قدر هذا الامام الكبير
المحدث ابو عوانه لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة الاستاد ابي اسحق
وابو عوانه هو الذي اظهر لهم مذهب الشافعي رضي الله عنه باسفراين بعدما
رجع من مصر واخذ العلم عن ابرهيم المزني رضي الله عنه وكان جدي اذا وصل
الى مشهد الاستاد رايته لا يدخله احتراما بل كان يقبل عتبة المشهد وهي مرتفعة

بدرجات

بدرجات ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم الهيبة و
اذا وصل الى مشهد ابي عوانه كان اشد تعظيما له واجلالا او يزور قبره او يقف اكثر من
ذلك رحمهم الله اجمعين وعوانه بفتح العين المهمله وبعد الالف نون وقد تقدم
الكلام على النيسابوري والاسفرايني فلا حاجة الى الاعادة

ابو يوسف

يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وغيره ذكره
الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال حكى عن ابي اسحق بن مرار الشيباني ومحمد
بن مهنار محمد بن صبيح بن السماك الواعظ حكى عنه احمد بن فرح المقرى ومحمد
بن عجلان الاخباري وابو عكرمة الضبي وابو سعيد السكري وميمون بن هرون
الكاتب وغيرهم وكان يؤدب اولاد المتوكل وقال قال محمد بن السماك من عرف
الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم وراس المداراة ترك المماراة وروى ابن السكيت
ايضا عن الاصمعي وابي عبيده والفرا وجماعة غيرهم وكتبه جيدة صحيحة منها اصلاح
المنطق وكتاب الالفاظ وكتاب في معاني الشعر وكتاب القلب والابدال ولم يكن له
نفاذ في علم النحو وكان يميل في رايه واعتقاده الى مذهب من يرى تقديم علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال احمد بن عبيد شاورني ابن السكيت في منادمة المتوكل
فنهيته فحمل قولي على الحسد واجاب الى ما دعي اليه من المنادمة فبينما هو مع
المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال المتوكل يا يعقوب ايما احب اليك ابناي هذان
ام الحسن والحسين فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين رضي الله
عنهما ما هما اهله فامر الاتراك فداسوا بطنه فحمل الى داره فمات بعد غد
ذلك اليوم وكان ذلك في سنة اربع ومائتين وقال عبد الله بن عبد العزيز
وكان نهى يعقوب عن اتصاله بالمتوكل

نهيتك يا يعقوب عن قرب شادن ؛ اذا ما سطا اربى على كل ضيغم
فذق واحسا ما استحسنته لا اقول اذ ؛ عثرت لعا بل لليدين وللفم

وحكى الفرا انه سال ابن السكيت عن نسبته فقال خوزي اصلحك الله من دورق
قلت وهو بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة راء ثم قاف وهي بليدة من اعمال
خوزستان قال من كور الاهواز قلت والاهواز من خوزستان ايضا قال فبقي الفرا
اربعين يوما في بيته لا يظهر لاحد من اصحابه فسئل عن ذلك فقال سبحان الله استحي
ان ارى ابن السكيت لاني سالته عن نسبته فصدقني وفيه بعض القبح قال ابو الحسن الطوسي
كنا في مجلس ابي الحسن علي اللحياني وكان عازما على ان يملي نوادره ضعف ما املى فقال
يوما العرب تقول مثقل استعان بدفيه فقام اليه ابن السكيت وهو حدث فقال يا ابا الحسن انما

هو مثقل استثقال يريد وزن الجمل اذا نهض بحمله استثقال بحمله فقطع الاملا فلما كان
المجلس الثاني املى فقال تقول العرب هو جاري مكاشري فقام اليه ابن السكيت
فقال وما معنى مكاشري انما هو مكاسري كسر بيتي الى كسر بيته فقطع اللحياني الاملا
فما املى بعد ذلك شيا وقال ابو العباس المبرد ما رايت للبغداديين كتابا احسن
من كتاب ابن السكيت في المنطق وقال احمد بن محمد بن ابي شداد شكوت الى ابن
السكيت ضايقة فقال هل قلت شيا قلت لا قال فاقول انا ثم انشد في ❊

نفسي تروم امورا لست مدركها ❊ ما دمت احذر ما ياتي به القدر
ليس ارتحالك في كسب الغنى سفرا ❊ لكن مقامك في ضر هو السفر

وقال ابن السكيت كتب رجل الى صديق له قد عرضت لي قبلك حاجة فان نجحت
فالفاني منها حظي والباقي منها حظك وان تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم
لك والسلام ونقل من خط ما مثاله عرض سلمان بن ربيعة الباهلي الخيل فمر عمرو
بن معدي كرب الزبيدي على فرس له فقال سلمان هذا الفرس هجين فقال عمرو
بل هو عتيق فقال سلمان هو هجين فقال عمرو عتيق فامر سلمان فعطش ثم دعا
بطست فيه ماء ودعا بخيل عتاق فشرب وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب و
هذا صنيع الهجين فقال له سلمان اترى فقال عمرو اجل الهجين يعرف الهجين
فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب الى عمرو قد بلغني ما قلت لاميرك
وبلغني ان لك سيفا تسميه الصمصامة وعندي سيفا اسميه مصمما وايم الله
لئن وضعته على هامتك لا اقلع حتى ابلغ به رهابتك فان سرك ان تعلم احق ما اقول
فعد والسلام الرهابة على وزن السحابة عظم في الصدر مشرف على البطن مثل ا
للسان والله اعلم وقال ابو عثمان المازني اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد
الملك الزيات الوزير فقال محمد بن عبد الملك سل ابا يوسف عن مسئلة فكرهت
وجعلت اتباطا وادفع مخافة ان اوحشه لانه كان لي صديقا فالح علي محمد بن عبد الملك
وقال لي لم لا تساله فاجتهدت في اختيار مسئلة سهلة لا قارب يعقوب فقلت
له ما وزن نكتل من الفعل من قول الله تعالى فارسل معنا اخانا نكتل فقال
لي نفعل قلت ينبغي ان يكون ماضيه كتل فقال ليس هذا وزنه انما هو نفتعل
فقلت له نفتعل كم حرفا هو قال خمسة احرف قلت فنكتل كم حرفا قال هو اربعة
احرف فانقطع وخجل وسكت فقال محمد بن عبد الملك فانما تاخذ كل شهر الف درهم
على انك لا تحسن وزن نكتل فلما خرجنا قال لي يعقوب يا ابا عثمان هل تدري ما
صنعت فقلت والله لقد قاربتك جهدي وما لي في هذا ذنب قلت وذكر ابو الحسن بن سيل

هذه

هذه الحكاية في اول خطبة المحكم في اللغة لكنه قال ان ذلك كان بين يدي المتوكل
والله اعلم وقال غير ابن عساكر كان يعقوب ابن السكيت يودب مع ابيه بمدينة السلام
في درب القنطرة صبيان العامة حتى احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو وحكي عن ابيه
انه كان قد حج فطاف بالبيت وسعى وسال الله تعالى ان يعلم ابنه النحو فتعلم
النحو واللغة وجعل يختلف الى قوم من اهل القنطرة فاجروا له كل دفعة عشرة دراهم
واكثر حتى اختلف الى بشر وابراهيم ابني هرون وكانا يكتبان لمحمد بن عبد
الله بن طاهر الخزاعي فما زال يختلف اليهما والى اولادهما دهرا فاحتاج ابن طاهر الى
رجل يعلم اولاده وجعلهم لله في حجر ابرهيم بن اسحق المصعبي فرتب يعقوب وجعل
له رزقا خمسماية درهم ثم جعلها الف درهم وقال ابو العباس ثعلب كان ابن السكيت
يتصرف في انواع العلوم وكان ابوه رجلا صالحا وكان من اصحاب ابي الحسن الكسائي
حسن المعرفة بالعربية وكان سبب قعود يعقوب للناس وقصدهم اياه انه عمل
شعر ابي النجم العجلي وجوده فقلت له ادفعه الي لانتخه فقال يا ابا العباس
حلفت بالطلاق انه لا يخرج من يدي ولكنه بين يديك فانتخه واحضر يوم الخميس
فلما وصلت اليه عرفني بحضوري قوم ثم انتشر ذلك فحضر الناس وقال
ثعلب ايضا اجمع اصحابنا انه لم يكن بعد ابن الاعرابي اعلم باللغة من ابن السكيت
وكان المتوكل قد الزمه تاديب ولده المعتز بالله فلما جلس عنده قال له باي
شي يحب الامير ان يبدا او يريد من العلوم فقال المعتز بالانصراف قال يعقوب
فاقوم قال المعتز فانا اخف نهوضا منك وقام فاستعجل فعثر بسراويله فسقط
والتفت الى يعقوب خجلا وقد احمر وجهه فانشد يعقوب ❊

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ❊ وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب راسه ❊ وعثرته بالرجل تبرا على مهل

فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فاخبره بما جرى فامر له بخمسين الف
درهم وقال قد بلغني البيتان وكان يعقوب يقول انا اعلم من ابي بالنحو وابي
اعلم مني باللغة والشعر وقال الحسين بن عبد المجيب الموصلي سمعت ابن السكيت يقول
في مجلس ابي بكر بن ابي شيبة ❊

ومن الناس من يحبك حبا ❊ ظاهر الحب ليس بالتقصير
فاذا ما سالته عشر فلس ❊ الحق الحب باللطيف الخبير

وكان لابن السكيت شعر وهو مما تثق النفس به فمن ذلك قوله
اذا اشتملت على الياس القلوب ❊ وضاق لما به الصدر الرحيب

واوطنت المكاره واستقرت ÷ وارست في اماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ÷ ولا اغنى بحيلته الاريب
اتاك على قنوط منك غوث ÷ يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت ÷ فموصول بها فرج قريب

وكان العلما يقولون اصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وادب الكاتب تاليف
ابن قتيبة خطبة بلا كتاب لانه طول الخطبة واودعها فوايد وقال بعض العلماء
ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل اصلاح المنطق ولا شك انه من الكتب
النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه وقد عني
به جماعة فاختصره الوزير ابو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي المقدم ذكره
وهذبه الخطيب ابو زكريا التبريزي وتكلم على الابيات الواقعة فيه ابن السيرافي
وهو كتاب مفيد ولابن السكيت من التصانيف ايضاً كتاب الزبرج وكتاب
الالفاظ وكتاب الامثال وكتاب المقصور والممدود وكتاب المؤنث والمذكر
وكتاب الاجناس وهو كبير وكتاب الفرق وكتاب السرج واللجام وكتاب فعل وافعل
وكتاب الحشرات وكتاب الاصوات وكتاب الاضداد وكتاب الشجر والنبات
وكتاب الوحوش وكتاب الابل وكتاب النوادر وكتاب معاني الشعر الكبير
وكتاب معاني الشعراء الصغير وكتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه وغير
ذلك من الكتب ومع شهرته لا حاجة الى الاطالة في ذكر فضله وقد روي
في قتله غير ما ذكرته اولاً فقيل ان المتوكل كان كثير التحامل على علي بن ابي
طالب وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين وقد تقدم في ترجمة
ابي الحسن علي بن محمد بن بسام ابيات تدل على هذا ايضاً وكان ابن السكيت من
المغالين في محبتهم والتولي لهم فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت والله
ان قنبراً خادم علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل
سلوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك به فمات وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون
من رجب سنة اربع واربعين ومايتين وقيل سنة ست واربعين وقيل ثلث و
اربعين والله اعلم بالصواب وبلغ عمره ثمانيا وخمسين سنة ولما مات سير
المتوكل لولده يوسف عشرة الاف درهم وقال هذه دية والدك رحمه الله تعالى
وقال ابو جعفر احمد بن محمد المعروف بابن النحاس النحوي كان اول كلام المتوكل مع
ابن السكيت مزاحاً ثم صار جداً وقيل ان المتوكل امره ان يشتم رجلاً من قريش وان
ينال منه فلم يفعل فامر القرشي ان ينال منه فاجابه ابن السكيت فقال له المتوكل امرتك فلم

تفعل

تفعل فلما شتمك فعلت وامر به فضرب وحمل من عنده وقيل صريعاً والله اعلم اي
ذلك كان وقد تقدم في ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القصة كما سئل عن معوية
وعمر بن عبد العزيز ايهما افضل والسكيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة وبعدها
ياء مثناة من تحتها ثم تاء مثناة من فوقها وعرف بذلك لانه كان كثير السكوت طويل
الصمت وكل ما كان على وزن فعيل او فعليل فانه مكسور الاول وقوله خوزي
هو بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاي هذه النسبة الى خوزستان وهو اقليم بين
البصرة وبلاد فارس

ابو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي قد اكثر اهل
التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر اخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد
وما جرى للخلفاء معهما من الوقايع وقد اخترت من ذلك ما اودعته في هذه
الاوراق فاقول قال ابو عبد الله محمد بن الازهر الاخباري حدثني علي بن
محمد بن احمد وكان عالما بامور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربته واول امره
انه واخاه عمراً كانا صفارين في حداثتهما وكانا يظهران الزهد وان رجلاً من
اهل سجستان كان مشهوراً بالتطوع في قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكناني
المطوعي من اهل بست فصحباه وخطيا به فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراة
اخا يعقوب المذكور واقام صالح المذكور يعقوب مقام الخليفة له ثم هلك صالح
فتولى مكانه درهم بن الحسن من المطوعة ايضاً فصار يعقوب مع درهم كما كان مع
صالح ثم ان صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به فحمل الى بغداد فحبس بها
ثم اطلق وخدم السلطان ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد حتى غلظ
امر يعقوب وذكر شيخنا عز الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير في تاريخه
في سنة سبع وثلاثين ومايتين ابتدا امر يعقوب المذكور فقال وفي هذه تغلب
انسان من اهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب
بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين امير خراسان استنقذها
منه ثم ظهر بها انسان اسمه درهم بن الحسن من المطوعة فغلب عليها وكان غير
ضابط لامور عسكره وكان يعقوب بن الليث قايد عسكره فلما راى اصحاب درهم
ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه امرهم لما راوا من تدبيره وحسن
سياسته وقيامه بامرهم فلما تبين ذلك له لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل
عنه فاستبد يعقوب بالامر وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل
ناحية فصار من امره ما نذكره رجعنا الى تمام ما ذكره علي بن محمد بن احمد قال فلما دخل
درهم بن الحسن بغداد تولى يعقوب امر المطوعة وحارب الشراة الخوارج فرزق الظفر بهم حتى

حتى افناهم واخرب ضياعهم واطاعه اصحابه بمكره ودعايه طاعة لم يطيعوها احدا كان
قبله ثم اشتدت صولته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها وكانت
الترك تتخوم سجستان وملكهم زنبيل ويسمى هذا القبيل من الترك الدراوى فحضه
اهل سجستان على قتالهم واعلمهم انهم اضر من الشراة الخوارج واوجب محاربته
فغزا الترك فقتل ملكهم زنبيل وقتل ثلثة من ملوكهم بعد زنبيل ويسمى كل ملك
لهم زنبيل وانصرف يعقوب الى سجستان وقد حمل رؤسهم مع رؤس الوف منهم
فرهبته الملوك الذين حوله منهم ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبسين وملك
زابلستان وملوك السند ومكران وغيرهم وادعنوا له وكان فتحه هراة وبوشنج
فى سنة ثلث وخمسين ومايتين وامير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله
بن طاهر بن الحسين الخزاعى وعامله عليها محمد بن اوس الانبارى فخرج لمحاربته
فى تعبيه وبأس شديد وزى جميل محاربه واحسن مقاومته حتى احتال له يعقوب
فحال بينه وبين دخول المدينة وهى بوشنج وانحاز ابن اوس منهزما فقيل انه
لم يقاتله احد احسن موافقة كما احسنها ابن اوس ودخل يعقوب بوشنج وهرا
وصارت المدينتان فى يده وظفر بجماعة من الطاهرية وهم المنسوبون الى طاهر
بن الحسين الخزاعى فحملهم الى سجستان حتى وجه المعتز بالله الخليفة اليه المعروف
بابن بلعم وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب واطلقهم قال ابن الازهر الاخبارى
المذكور حدثنى محمد بن عبد الله بن مرهان قال حدثنى ابن بلعم المذكور قال صرت
اليه بكتاب امير المؤمنين المعتز بالله الى زرنج قلت وهو بفتح الراء والزاى وسكون
النون وبعدها جيم وهى كرسى بلاد سجستان قال ابن بلعم فاستاذنت عليه فاذن
لى فدخلت ولم اسلم عليه وجلست بين يديه من غير امره ودفعت اليه الكتاب فلما
اخذه قلت له قبل كتاب امير المؤمنين فلم يقبله وفضه فراجعت القهقرى الى
باب مجلسه الذى كان فيه ثم قلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله فاعجبه
ذلك واحسن مثواى ووصلنى واطلق الطاهرية وقال ابن بلعم المذكور ايضا دخلت
على يعقوب الصفار يوما فقال ينبغى ان يجيئنا من ناحية فارس رجل مستامن ومعه
ثلثة انفس او اربعة بل هو تمام الخمسة فانكرت ذلك منه وامسكت فما علمت الا و
حاجبه قد دخل فقال ايها الامير بالباب رجل مستامن ومعه اربعة انفس فقال
ادخله فدخل فسلم وقال ايها الامير معى اربعة انفس فاذن لهم فدخلوا عليه فا
لتفت الى الحاجب وقلت له اخذتهم فى المخاريق فقال لى انما انا مغلطة انهم جاؤا
بغتة ما علم بهم احد من الناس وسالت يعقوب بعد ذلك وقلت له ايها الامير لقد رايت

منك

منك عجبا فى امر المستامنة فكيف علمت بهم فقال انى اخبرك انى فكرت فى امر فارس و
رايت غرابا واقعا بازاء الطريق واختلجت احدى اصابع رجلى وتبع بعضها بعضا
فعلمت انه تصح خبر شريف وانه سياتينا من ذلك الصقع قوم مستامنة او رسل
باجله فكانوا هؤلاء قال على بن الحكم سالت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة
التى على وجهه وهى منكرة على قصبة انفه ووجنته فذكر ان ذلك اصابه
فى بعض وقايع الشراة وانه طعن رجلا منهم فرجع عليه فضربه هذه الضربة
فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط قال فمكث عشرين يوما فى فى انبوبة قصب
وفى مفتوح ليلا سفوح راسى وكان يصب فى حلقى الشى بعد الشى من الغذا
قال حاجبه وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبى اصحابه للحرب ويقاتل و
ارسل يعقوب الى المعتز بالله هدايا سنية من جملتها مسجد فضة يحمل يصلى
فيه خمسة عشر انسانا وسال ان يعطى بلاد فارس ويقرر عليه خمسة عشر الف الف
درهم على ان يتولى اخراج على بن الحسين بن قريش وكان على فارس ثم شخص يعقوب
فى اثر كتابه الى المعتز يريد كرمان فنزل بم قلت وهى بالباء الموحدة المفتوحة
وبعدها ميم مخففة هى الحد الفاصل بين سجستان وكرمان العباس بن الحسين
بن قريش اخو على بن الحسين المذكور ومعه احمد بن الليث الكردى الى السيرجان
قلت وهى مخرجا عن كرمان يريدان شيراز وقدم يعقوب اخاه على بن الليث
الكردى الى السيرجان قلت وهى بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من
تحتها ثم راء وجيم وبعد الالف نون مدينة كرمان قال وضم اليه جماعة وافا
هو على ثم ذكر احمد بن الليث الكردى اليه من الطريق فى جمع كثير من الاكراد
وغيرهم فصاروا الى دارابجرد قلت وهى بفتح الدال المهملة والف بعدها باء موحدة
ثم جيم مكسورة ثم راء وبعدها دال مهملة وهذا الاسم يقع بالاشتراك على
ثلثة مواضع الاول كورة عظيمة مشهورة بفارس قصبتها دارابجرد والثانى قرية
بفارس ايضا من اعمال اصطخر فيها معدن الزيبق فيحتمل ان يكون مصيرهم الى
الاولى او الى الثانية واما الثالثة فهو موضع نيسابور ولا يحتمل مصيرهم اليه
لانه بخراسان فلا تعلق له بفارس قال الراوى فظفر احمد بن الليث بجماعة من
اصحاب يعقوب يطلبون العلف فقتلهم وهرب منهم جماعة ووجه احمد بن
الليث رؤس من قتل من اصحاب يعقوب الى فارس فنصب على بن الحسين رؤسهم
فبلغ الخبر يعقوب فدخل كرمان فندب على بن الحسين لمحاربته طوق بن المغلس
فى خمسة الاف فارس من الاكراد سوى من تقدم مع احمد بن الليث الكردى وسار حتى

نزل على مدينة اياس من عمل كرمان فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه انه اخطا اذ دخل
عملا ليس اليه فرد عليه انت بعمل الصفر اعلم منك بعمل الحروب فعظم ذلك على يعقوب
وكان في عسكر طوق ثلثمائة رجل من الابنا فوافى يعقوب مدينة اياس فاوقع بطوق
وقتل اصحابه وهزم من بقي منهم وصبر الابنا الثلثمائة حتى استحقى يعقوب فاعطاهم
الامان فلم يقبلوا حتى قتلوا عن اخرهم وقتل يعقوب في هذه الوقعة الفي رجل واسر
الفا واسر طوق بن المفلس وقيده بقيد خفيف ووسع عليه في مطعمه وغيره و
استخرج منه الاموال ورحل يعقوب عن اياس ودخل عمل فارس فخندق على بن الحسين
على نفسه بشيراز وذلك في يوم الثلثا لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع
الاخر سنة خمس وخمسين ومائتين وكتب على بن الحسين الى يعقوب ان طوق بن
المفلس فعل ما فعل من غير امره وانه لم يامره بمحاربته وقال ان كنت تطلب كرمان
فقد خلفتها وراك وان كنت تطلب فارس فكتاب من امير المؤمنين بتسليم العمل
لا نصرف فرد عليه يعقوب ان كتابا من السلطان معي لا ينبغي ان توصله حتى يدخل
البلد وانه ان اخلى له البلد فقد ودع وازاح علته والا فالسيف بيننا والموعد
موج سكان مربح واسع بينه وبين شيراز ثلاثة فراسخ وكتب صاحب البريد ووجوه
البلد الى يعقوب يعلمونه انه ما ينبغي له مع ما وهبه الله تعالى من التطوع والديانة
وقتل الخوارج ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان التسرع الى سفك الدما لان
على بن الحسين لم يسلم البلد الا بكتاب الخليفة واعتد اهل شيراز للحصار وقد
كانت المنهزمة من اصحاب طوق اسروا ثلثة انفس من اصحاب يعقوب فحبسهم على
ابن الحسين وقد كان طوق وقت خروجه الى يعقوب اشترى دارا بشيراز بسبعين
الف درهم وقدر للنفقة عليها مالا فكتب طوق الى ابنه لا تقطع البنا عن الدار
فان الامير يعقوب قد اكرمني واحسن الي وسال الاطلاق الثلثة المأسورين من
اصحاب يعقوب فان يعقوب سال ذلك ليطلقهم اذا وافوا اليه فقال على بن
الحسين اكتبوا الى يعقوب ليصلب طوق بن المفلس وان اقل عبيدي من عبيده اكبر عندي
منه وسال يعقوب طوق بن المفلس عن امور على بن الحسين فضعف امره و
تقرب طوق الى يعقوب بمال عنده بشيراز وانه يكتب الى اهله في حمله اليه
ليتقوى به على حربه فامره يعقوب ان يفعل ذلك فكتب الى ابنه فوقع الكتاب
في يد على بن الحسين فاخذ المال وغيره من دار طوق وحمله الى داره ونحى يعقوب
واحتشد على بن الحسين قال احمد بن الحكم قال لي يعقوب اخبرني عن على بن الحسين ا
مسلم هو قلت نعم قال افرايت مسلما يوجه بالاكراد الكفار الى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون

سبايا هم

سبايا هم ويأخذون اموالهم المتعلمان احمد بن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمائة انسان
على دم واحد وافتض الاكراد مائة بكر من اهل البيوتات وحملوا معهم نحو الفي امراة الى
بلادهم افرايت مسلما يرضى بذلك قلت فعل احمد هذا عن غير امره ثم قال يعقوب له في
بعض مناظراته قل لعلي بن الحسين ان معي اقواما احرارا احتج بهم وليس يتهيا لي درهم
الا بما يحبون فيجرا لي بما يرضيهم ويجري لي في نفسي ما يشبه مثلي من البر فاذا فعلت
فانا اخوك وعونك على من حاربك وادفع لك كرمان تاكلها وانصرف الى عملي وارتحل
يعقوب فنزل قرية يقال لها خوذستان ووافى احمد بن الحكم الى على بن الحسين يوم
الثلثا لثمان خلون من جمادى الاولى من السنة وعلى يده كتاب يعقوب قال ابن الحكم
فلم يفهم على بن الحسين شيئا مما جئته به من الدهش وحاصل الكتاب بعد الدعا
له فهمت كتابك وذكرك وروده هذا البلد العظيم خطره بغير اذن من امير المؤمنين
واني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ولا ممن يمكنه ذلك وقد اسقطت عنك مؤنة
الانقسام في هذا الباب فان البلد لامير المؤمنين ونحن عبيده نتصرف بامره في
ارضه وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته وقد اسمعت من رسولك ورجعت اليه
في جواب ما حمله واديه مما يورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحا فان استعمله
ففيه السلامة ان شاء الله تعالى وان ابيت وان قدر الله تنافيك لا محيص عنه ونحن
نعتصم بالله تعالى من الهلكة ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ونرغب
اليه في السلامة دينا ودنيا بالظفر مد الله في عمرك وكتب يوم الاثنين لليلتين من
جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين ثم تزاحف الفريقان وقد اجتمع في عسكر
على بن الحسين خمسة عشر الف انسان ووجه احمد بن الليث في الطلايع وذلك في غداة
الاربعا لاربع خلون من الشهر المذكور ولما كان يوم الخميس وافت طلايع يعقوب
ثم التقى الجيشان فحملوا حملة رجل وفي الثانية انهزم اصحاب على بن الحسين عن مواقفهم
وصدقت الحملة الثانية فانهزموا ومروا على وجوههم لا يلوي احد على احد وعلى بن
يتبع اصحابه ويصيح بهم ان ارجعوا وقفوا وبنا شدكم الله تعالى فلم يلتفتوا اليه و
بقي في عدة من اصحابه فوافت المنهزمة ابواب شيراز مع العصر يوم الخميس المذكور
وكانت الوقعة بعد الظهر فضاقت عليهم الابواب فمروا على وجوههم في نواحي
شتى وبلغت هزيمتهم الاهواز وكان القتلى منهم مقدار خمسة الاف واصاب
على بن الحسين ثلث ضربات واعتوره ثلثة اسياف اصحاب يعقوب وسقط عن دابته
فارادوا قتله فاعلمهم انه على بن الحسين فاخذوا عمامته ووضعوها في وسطه وقادوها
الى يعقوب فطلب الذي اسره الثواب من يعقوب فامر له بعشرة الاف درهم فابى ان ياخذ

فقال انما جئتني بكلب اسرته فاخذ لحاجبه بلحيته فنتف اكثرها وامر يعقوب ان يقيد بقيد
عشرون رطلا وصيره مع طوق بن المغلس في الخيمة وكان قد انفذ الى ابن المغلس
وقيده ايضاً وصار يعقوب من قوره الى شيراز وتفرق اصحاب علي بن الحسين في النواحي
ثم دخل يعقوب شيراز والطبول تضرب بين يديه وظن اهل شيراز انه يريد بهم
ويستحل دماءهم واموالهم بجرمهم له فلم ينطق احد لانه كان وعد اصحابه ان
هو ظفر بهم ان يطلقهم وينهب شيراز وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ورجع
يعقوب من ليلته الى عسكره بعد ان طاف شيراز فبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم
ورجع يعقوب من ليلته فلما اصبح نادى بالامان ليخرجوا الى الاسواق فخرج الناس
ونادى في كتاب علي بن الحسين ان يرسل الذمة ممن اواهم وحضرت الجمعة فامر
الخطيب فدعا للامام المعتز بالله ولم يدع لنفسه فقيل له في ذلك فقال الامر لم يقم
بعد وقال انما مقامي عندكم عشرة ايام ثم ارجع الى عمل سجستان وبعث اخاه
الى منزل علي بن الحسين فاحضر الفرش والاثاث وفتش على الاموال فلم يقف عليها
فاحضر علياً فتهدده وتوعده فذكر انه يدلهم على المال فحمل الى منزله فاستخرج
اليه اربع مائة بدرة وقيل انه اخذ منه الف بدرة وعوض يعقوب اصحابه من
نهب شيراز كل واحد ثلثمائة درهم ثم عذب يعقوب علياً انواع العذاب وعصر
انثييه وشد الجوزتين على صدغيه فقال علي اخذت مع ما اخذت مني فرشي
قيمته اربعون الف دينار والح عليه بالعذاب وقيده باربعين رطلا فدلهم
على موضع في داره فاستخرجوا منه اربعة آلاف الف درهم وجوهراً كثيراً ثم الح
عليه بالعذاب واعلم انه لا يقنع منه دون ثلثين الف الف دينار وخلط
ووسوس من شدة العذاب وسلمه الى الحسن بن ابرهيم فضربه وعذبه وشتمه
وعذب طوق بن المغلس ايضاً وحبسهما في بيت واحد وارتحل يعقوب من شيراز
يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى من السنة الى بلاده وحمل علي بن
الحسين وطوق بن المغلس معه فلما بلغ الى كرمان البسهما المصبغ من الثياب وقنعهما
بمقانع ونادى عليهما وحبسهما ومضى الى سجستان وخلع الخليفة المعتز لثلث خلون
من رجب من هذه السنة وتولى الخلافة الامام المهتدي بالله في ذلك اليوم وخلع
المهتدي بالله مع صلوة الظهر من يوم الثلثا لاربع عشرة بقيت من رجب سنة ست
وخمسين ومائتين وبويع المعتمد على الله ولم يكن ليعقوب بن الصفار في خلافة المهتدي
كبير امر بل كان يغزو او يحارب من يليه من الملوك سجستان واعمالها ويتطرف كور
خراسان وما قرب من قوهستان ونواحي هراة وبوشنج وما اتصل بسجستان ثم دعا يعقوب

الى بلاد فارس وجبى غلاتها ورجع بنحو ثلثين الف الف درهم وصار الى سجستان واقام محمد
بن واصل يتولى الحرب والخراج ويكاتب الخليفة ويحمل بعض ما يجبى من الاموال فكان
مقدار ما يحمل خمسة آلاف الف درهم في السنة من الخراج من بلاد فارس وكان مقيماً
بها غالباً عليها ولو امكن الخليفة عزله وصرفه عنها ببعض اوليائه لما اقره ثم ورد الخبر في
جمادى الاخرة من سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب مدينة بلخ ثم خروج
منها ودخل نيسابور في ذي القعدة من سنة تسع وخمسين ومائتين بدخول واحتياط
على محمد بن طاهر الخزاعي امير خراسان وجميع الطاهرية ثم خرج منها في المحرم
سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيد اوسق وستون من اهله و
توجه نحو جرجان للقاء الحسن بن زيد العلوي امير طبرستان وجرجان ولما
بلغ الحسن بن زيد ان يعقوب يقصده اخذ من اموال الخراج ثلثة عشر الف الف
درهم مقاتاً وسلفاً وتخلص من جرجان الى طبرستان ودخل يعقوب جرجان ووجه
من اصحابه من اخذ سارية وطبرستان وكان بجرجان يعلق على دوابه كل يوم
الف قفيز شعيراً ثم خرج يعقوب الى طبرستان وخرج اليه الحسن بن زيد في خلق
كثير واعلم يعقوب اصحابه انه يقتل من انهزم وتقدم بنفسه للحرب فتبعه خمسمائة
من عبيده فحمل على الحسن واصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على القوم وكان
الحسن بن زيد قد اعد في قرية في طريقه لانهزامه بردوناً وبغلاً لانه كان رجلاً
ثقيلاً كثير اللحم وتلاحق اصحاب يعقوب به فتح الحسن بن زيد في خمسة آلاف
جريدة ففاته واخذ يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالا اكثرها
عين وظفر بجماعة من آل علي بن ابي طالب فاسر الهم واسرهم وكانت الوقعة
يوم الاثنين لاربع بقين من رجب من سنة ستين ومائتين ثم تقدم يعقوب فدخل
آمل قلت وهي بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام وهي كرسي بلاد
طبرستان قال وهرب الحسن بن زيد الى مدينة يقال لها سالوس فلم يجد من
اهلها ما كان يعرفه منهم فتنحى عنهم وخرج يعقوب من آمل في طلب الحسن بن زيد
فرحل مرحلة واحدة وبلغه الخبر ان الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قد
دخل مرو الروذ ومعه صاحب خوارزم في الفي تركي فانزعج يعقوب لذلك وقصر
من الايغال في طلب الحسن بن زيد فرجع وكتب الى امير الري في ذي الحجة سنة
ستين يأمره ان يخرج عن الري ويعلمه ان امير المؤمنين قد ولاه اياها فبلغ ذلك الخليفة
فانكره وعاقب غلمانه الذين كانوا ببغداد بالحبس واخذ الاموال ثم دخلت سنة احدى
وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان فخرج في المحرم يريد جرجان فلحقه الحسن بن زيد فمن

اجتمع اليه من الديلم واهل الجبال وطبرستان فبعث من يعقوب وقيل من لحق من اصحابه
فانهزم يعقوب الى جرجان فجاءت بها زلزلة عظيمة قتلت من اصحابه الفي انسان ورجعت
طبرستان الى الحسن بن زيد وهي آمل وسارية وما يتصل بهما واقام يعقوب بجرجان
يعسف اهلها بالخراج ويأخذ اموال الناس ودامت الزلزلة ثلاثة ايام ووردوا في جماعة
من اهل جرجان الى بغداد فسألوا عن يعقوب الصفار فذكروه بالجبروت والعسف فحرّض
الخليفة على النهوض اليه واستعد لذلك ولما رجع الصفار الى جوار الري ورجع الحاج
من الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله الى عبيد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولي
العراق بأن يجمع الحاج من اهل خراسان وطبرستان وجرجان والري ويقرأ عليهم كتاب
منه اليه فجمع الحاج القادمين من اقاصي البلاد وقرأ عليهم كتاب امير المؤمنين بالوقيعة
في الصفار بما كان من حبس عماله وبما كان من جمع الحاج في دار عبيد الله وما دفع
اليهم من النسخ وانكشف له رأي الخليفة في قصده وعمل به ثلاثين نسخة ودفع الى اهل
كوره نسخة لتذيع الاخبار بهذه النسخ في الآفاق ونمى الخبر الى يعقوب الصفار فرجع
الى نيسابور راغما ورجع لانه لم يجد علة تصلح للقاء الخليفة ولما دخل نيسابور دعا الى
اهلها باخذ الاموال ورجع يريد جهة سجستان فخرجت في جمادى الاولى من سنة احدى
وستين ومائتين ولما رجع الى سجستان خرجت كتب الخليفة الى اصحاب الملك بخراسان
وذوي الجاه والعدد بتولية كل رجل ناحيته فوردت الكتب واصحاب ابن الصفار متفرقون
في كور خراسان ثم ان ابن الصفار وصل الى عسكر مكرم من اعمال خوزستان وكاتب الخليفة
وسأله ان يوليه خراسان وبلاد فارس وما كان مضموما الى طاهر بن الحسين الخزاعي
من الكور وشرطة بغداد وسر من رأى وان يعقد له على طبرستان وجرجان والري و
اذربيجان وقزوين وان يعقد له على كرمان وسجستان والسند وان يحضر من قرئت
عليهم الكتب التي نسخت في دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما
قرئ عليهم اولا من ذكره ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ففعل ذلك الموفق بالله
ابو احمد طلحة بن المتوكل على الله وهو اخو الخليفة المعتمد على الله وكان الموفق متوليا
على الامور كلها وليس للمعتمد على الله معه حديث سوى اسم الخلافة لا غير واجابه الى
ما طلب وجمع الناس وقرئ عليهم ما اجتمد الصفار واجيب الى الولاية التي طلبها واظهر
الموالي بسر من رأى من اجابة الخليفة الى ما طلبه الصفار وتحركوا ثم ان الصفار لم يلتفت
الى ما اجيب اليه من ذلك ودخل السوس وهي ايضا مدينة من اعمال خوزستان
بالقرب من عسكر مكرم ولما دخلها عزم على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب
له الخليفة ليخلا اليه في دجلة ثم تقدم الصفار وتقدم اليه عسكر الخليفة وقد كانت

الموالي ارتابت واتهمت الامير الموفق وتوهمت ان اقبال الصفار لسبب ما انفذ اليه
من الكتب والآفاق عجب اعجب من خارج قصد من دنيخ كرسي سجستان وهي
الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان الوصول الى بلاد العراق لمحاربة الخليفة
وهو في جيوشه وعدده وتقادم مملكته في شرق الارض وغربها والصفار منفرد
بجيشه ليس معه من يعضده ولا يشاركه في هذا الامر ولما بلغ الخليفة ذلك دعا
ببرد النبي صلى الله عليه وسلم وقضيبه واخذ القوس ليكون اول من رمى ولعن
الصفار فطابت انفس الموالي ولما كان صبيحة الاحد لتسع خلون من رجب وردت
عساكر الصفار فطابت في الناحية التي يقال لها اصطربند وهي قرية بين الطيب
ودير العاقول من النهروان الاوسط وجمع اصحابه ليحمل بهم وتقدم بنفسه
كما كان يفعل قبل ذلك واقبل وعليه دراعة ديباج سود ولما توافق الصفان
خرج من الموالي صاحب القابلة فقام بين الصفين وقال لاصحاب الصفار يا اهل
خراسان وسجستان ما عرفناكم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت
وطلب الانكار وان دينكم لا يتم الا باتباع الامام وما نشك في ان هذا اللعين
قد موه عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب اليه بالحضور وهذا السلطان
قد خرج لمحاربته فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وبشرايع الاسلام فلينفرد عنه
اذ كان شاقا للعصا محاربا للسلطان فلم يجيبوه عن كلامه وكان هذا شيخ
مقدما شجاعا مقدما ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبيد الله بن طاهر بن
الحسين امير خراسان من اسر الصفار وقد تقدم ذكر اسره وحمله مقيدا
قال له شيخ يا آل طاهر اشتريتمونا باموالكم واهديتمونا الى ولد العباس
فاستخلفونا وملكونا الضياع والاموال حتى قدنا الجيوش وحاربنا عن بيضة
الاسلام فلم نخرج من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والي خراسان مع مولانا
امير المؤمنين وخلصناك من الاسر والقيد الثقيل من مدينة الى مدينة على
بغل اكاف ورددناك من العراق الى خراسان فالحمد لله على ما تفضل به علينا
مولانا من خلاصك واولانا هذا الفعل الجميل فبك بجهنا الى تتمة خبر الصفار
قال الراوي وحزر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا في ميل وكانت
دولتهم على غاية الفراهة وقيل ان جميعهم كان يزيد على عشرة الاف انسان
ووضع الخليفة لعطاق الجند وقطع ما في الطريق من الشجر والدغل واستعدوا
للحرب وجدوا فيها وشمروا وقيل ما هو الا ان نصروا او نهزموا فلا نرجع
دولتكم اليكم ووقف الخليفة المعتمد بنفسه والى جانبه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن

نيلده الشيباني وقد تقدم ذكر جده يزيد بن مزيد ووقف معه جماعة اكتنفوا
الخليفة من اهل الباس والنجدة وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب وكشف الموفق
اخو الخليفة راسه وقال انا الغلام الهاشمي وحمل على اصحاب الصفار وقتل من
الطايفتين خلق كثير فلما راى الصفار تلك الحال ولى راجعًا تاركا امواله وعرف
خزاينه وذخايره ومر على وجهه فلم تتبعه العساكر وما افلت من اصحابه رجل
الا بنهب ما اصابه وادركهم الليل فما قطعوا في الانهار لازدحامهم وثقل
الجوامع بهم وقال ابو الساج داود بن دوست وهو الذي ينسب اليه الاخبار
الساجية ببغداد للصفار لما انهزم ما رايت معك شيئا من تدبير الحروب و
كيف كنت تغلب الناس فانك جعلت ثقلك وامو الك واسرك امامك وقصدت
بلدًا على قلة المعرفة منك به وبمخايضه وانهاره بغير دليل وقابلت يوم
الاحد والريح عليك وسرت من السوس الى واسط في اربعين يومًا واوايل
العساكر مختلفة فلما توافت عددهم وجاءتهم الاموال واستحكم امرهم عاجلتك
من واسط الى دير العاقول في يومين تاخرت فوات الفرصة واقبلت تعدو في
موضع التثبت فقال الصفار لم اعلم اني احارب ولم اشك في الظفر وتوهمت ان
الرسل ترد علي فيلد و الامر فانبت عما قدرت عليه قلت هذا اخر ما نقلته
من كلام ابن الازهر مع الاختصار ونقلت من تاريخ ابي الحسين بن عبد الله بن احمد
ابن ابي الطاهر الذي جعله ذيلاً على تاريخ ابيه في اخبار بغداد وقد اطال القول
فيه فاختصرته وحذفت ما انكرته فقال كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم
بن نصر لما اغلبه على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع واربعين
ومايتين وكانت ولاية درهم ثلث سنين بعد اخراج صالح بن النضر وهو رجل من
بني كنانة من سجستان في ذي الحجة سنة سبع وثلثين ومايتين ولم يزل يعقوب
الصفار مقيمًا بسجستان يحارب الشراة والترك ويظهر انه متطوع حتى كان سنة
ثلث وخمسين ومايتين فخرج الى هراة ثم قصد بوشنج وحاصرها واخذها عنوة
وكان ذلك في خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب على حاله ولم يزل على ذلك الى
ايام المعتمد على الله ثم دخل بلخ وخرج منها ثم وصل الى رام هرمز وهو يظهر الطاعة
للخليفة المعتمد وذلك في المحرم سنة اثنين وستين ومايتين ثم ارسل رسله
الى المعتمد فدخلوا بغداد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرة من السنة
المذكورة ثم صار الى واسط واقام بها نايبا عنه ثم صار الى دير العاقول يوم
السبت لثمان خلون من رجب ثم صار الى اسطربند افتزلها ولما اتصل خبره بالمعتمد وانه

يقصد

يقصد بغداد جمع اصحابه من الاطراف وخرج من سر من راى قاصدًا محاربته ودخل
بغداد يوم الاحد لخمس بقين من ذي الحجة من السنة قال ابو الفرج كاتب القاضي عمر
لما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تزل كتبه تترى اليه من الطريق يومره بالانصراف
ويحذر سوء عاقبة فعله وان امير المومنين قد نهض في العدد والعدد وكتب
الصفار وارده باني قد علمت ان نهوض امير المومنين ليترفق وبنيه على موفقي
منه ثم عبا الخليفة جيشه للقتال على القرية المذكوره وارسلوا الماء على طريق
ابن الصفار فكان سبب هزيمته فانهم اخذوا عليه الطريق وهو لا يدري واصطف
الفريقان ولم يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار فغنم الناس من
اثقاله غنيمة عظيمة وتوهموا ان ذلك حيلة منه ومكر ولولا ذلك لا تبعوه ولقد
حدثني من حضر ذلك ان رشق الجند الموالي كان في ذلك الوقت عشرين الف سهم
وانصرف الخليفة مسرورًا بما فتح الله تعالى عليه وكان ممن تخلص من اسره ذلك اليوم
ابو عبد الله محمد بن طاهر امير خراسان وجاء الى الخليفة وهو في قيده ففك الخليفة
قيده وخلع عليه خلعة سلطانية وذكر المعتمد ذلك النهار انه راى تلك الليلة
في المنام كان انا اكتب على صدره انا فتحنا لك فتحًا مبينًا وقص الرويا على
خواصه وقال لهم قد وثقت بنصر الله تعالى وقبل الوقعة وردت كتب الصفار
الى الخليفة وفيها خضوع وتضرع ويخبر انه لم يجي الا لخدمة امير المومنين والتشريف
بالمثول بين يديه والنظر اليه وان يموت تحت ركابه فقال المعتمد نحن في مخاريق
الصفار اعلم وانه ما له عندي الا السيف وامر الخليفة بالكتاب الى ابي احمد
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو عم محمد بن طاهر فكتب اليه وهو يومئذ
متولي الشرطة ببغداد نيابة عن ابن اخيه المذكور فانه كان يتولى خراسان و
شرطتي بغداد وسر من راى وفي الكتاب فصول طويلة وحاصله انه عدد
ذنوب الصفار وما قابله به الخليفة من الاحسان والانعام وانه قلده خراسان
والبلاد التي تقدم ذكرها وانه رفع مرتبته وامر بتكنيته في كتبه واقطعه الضياع
السنية ولم يبق شي مما يعتقد فيه استصلاحه الا فعله فما زاده على ذلك الا البغي
والطغيان والتمس اشيا ان رد عنها قصد ابواب امير المومنين لاثارة الفتنة وابتغا
الغلبة فلم ير امير المومنين اجابته الى ما التمسه وتابع الكتب بالرجوع الى اعماله الجليلة
التي ولاه اياها وحذره التعرض لزوال النعم التي انعم عليه بها وعرفه انه ان اقام
على المصير الى الباب فقد عصاه وخالفه وخرج عن طاعته ثم وجه اليه في ذلك مرة
بعد اخرى مع جماعة من القضاة والفقها والقواد وقد دبر توجيههم اليه انه يرجع الى ما

هو الزهر به و واجبٌ عليه فاقام على سبيل واحد في البغي والعناد والعصيان ولم يثنه
الارشاد ولم يزل استحواذ الشيطان عليه يقوده الى الحين ويصده عن سبيل النجاة
الى مهاوي الهلكة فلما انتهى امير المؤمنين ذلك منه راى ان يقضي عليه في امر
مثله فنهض متوكلا على الله معتمدًا على كفايته لدفع الملعون عما حاوله وهو يعد
السير الى المصرع الذي سبق به قضاء الله تعالى فيه حتى توسط الطريق في مدينة
السلام وواسط واظهروا اعلامًا على بعضها الصلبان واستحل اهل الشرك على اهل
الايمان وبادر الله تعالى لم يرتد ليسلم بجريرته وفارق شرايع الاسلام واحكامه
نقضا للعهود ونكثا وحقوا للائمة واعلانا للشماتة فقدم امير المؤمنين اخاه
الموفق بالله ابا احمد ولي عهد المسلمين ومعه جماعة من موالي امير المؤمنين الذين
اخلص الله طاعتهم وثبت في المهاناة عن دولته بصايرهم واتبعهم امير المؤمنين
الرغبة الى الله سبحانه وتعالى في تاييدهم ونصرهم على عدوهم ولعنه امير المؤمنين
في الاوقات والمواقف التي علم الله صدق نيته فيها وبالها ووقف امير المؤمنين
يتامل ما يكون من اخيه ومواليه واوليايه ويواصل الامداد والجيوش اليهم
وكان الموفق بالله في قلب العسكر وظهر العون على عدو الله في اشياع ضلالته
قد ادرع العصيان وتسربل البغي واعتمد على وفود حيله وكثرة اتباعه فلما
تراى الجمعان شهر عدو الله واشياع ضلالته السلاح واسرعوا الى موالي امير
المؤمنين واوليائه وشرعت في الملعون وضلالته سيوف الحق غابره ورماحه
طاعته وسهامه نافذه حتى اثخن الملعون بالجراح وراى اتباع ضلالته ما حل به
فبادروه بالويل والثبور واكب عليهم موالي امير المؤمنين واولياؤه يقتلونهم
ويأسرون منهم وعجل الله الى النار من لا يحصى عدده الا الله تعالى ولم يزل الامر
كذلك حتى انتزع ابو عبد الله محمد بن طاهر مولى امير المؤمنين سالمًا من ايديهم
وحسروا عن مستقرهم فولى الباقون منهزمين مغلولين لا يلوون على شيء واسلم
الله تعالى الملعون وهم وما كانوا جمعوه وملكوه في سالف الايام التي املى الله
لهم فيها اقطار الارض من الاموال والامتعة والاثاث والدواب والابل والبغال
الجمهور فافاء الله على الموالي وساير الاولياء وملكهم اياه وصاروا به الى رحالهم وعلى
الجملة فان هذا الكتاب اطال القول في ذلك فاختصرته ثم كتب في اخره وكتب عبد
الله بن يحيى في يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين
ومايتين ثم قال هذا المورخ بعد هذا ومضى الصفار منهزمًا الى واسط يتخطف
اصحابه اهل القرى ويوخذ اسلحتهم واسلابهم ولم يتبعه الموالي مخافة رجعته لاشتغالهم

بالنهب

بالنهب فامسكوا عنه ورجع الخليفة الى معسكره ثم رجع الصفار الى السوس وجبى الاموال
ثم قصد تستر وحاصرها واخذها ورتب فيها نايبًا وكثر جمعه ثم رحل الى فارس في شوال
وكان الخليفة قد رجع الى المداين واقام بها يومين ثم رحل الى بغداد ومنها الى سر من
راى ودخلها يوم الجمعة لثلث عشرة ليلة خلت من شعبان ثم ذكر المورخ بعد هذا
وورد الخبر على الخليفة بوفاة يعقوب بن الليث يوم الثلثا لاربع عشرة ليلة خلت من
شوال والذي اصيب في بيوت امواله من العين اربعة الاف الف دينار ومن الورق
خمسون الف الف درهم ووافى احمد بن ابي الاصبغ يوم الخميس لسبع بقين من شوال
وقد كان الخليفة انفذه ليصلح امر يعقوب فانصرف من عند يعقوب فلما قرب
من واسط اتصل به وفاة يعقوب وقد كان قُلّد خراسان وفارس وكرمان والري
وقم واصبهان وصيرت اليه الشرطتان ببغداد وسر من راى على ان يوليها من
احب وعلى ان يوجه ثلثي ما يجبى من خراج البلاد التي يتولاها من جميع البلاد والاعمال
وتولى اخوه عمرو بن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ووردت كتب عمرو
الى الموفق اخي الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة وان يولى ما كان اخوه يتولاه
فاجيب الى سواله وولاه في ذي القعدة من السنة قلت سياقه هذا التاريخ يدل
على ان يعقوب بن الليث توفي في بقية سنة اثنتين وستين ومايتين لانه حكى
الوقعة في هذه السنة وان يعقوب انهزم ثم قال عقيب هذا وورد الخبر في شوال
ولم يذكر السنة فيدل على موته في تلك السنة والذي اعرفه من عدة تواريخ خلاف
هذا فان ابا الحسين السلامي ذكر في كتاب تاريخ اخبار ولاة خراسان في اول الفصل
المختص بعمرو بن الليث الصفار فقال كان سبب وفاة يعقوب بن الليث انه اصابه
القولنج فاشير عليه بالحقن فامتنع واختار الموت عليه فمات بجنديسابور من
خوزستان يوم الثلثا لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وستين ومايتين
قال ابو الوفاء الفارسي رايت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة وقد كتبوا عليها

ملكت خراسان واكناف فارس ٭ وما كنت من ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نسيمها ٭ كان لم يكن يعقوب فيها بجالس

ورايت بخطي في جملة مسودات ان يعقوب بن الليث الصفار توفي في سنة خمس و
ستين ومايتين بالاهواز وحمل تابوته الى جنديسابور فدفن بها وكتب على
قبره هذا قبر يعقوب المسكين وكتب بعده

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ٭ ولم تخف شر ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ٭ وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ورايت بخطى ايضًا فى موضع اخر انه توفى بجندى سابور ودفن بميدانه وهو مخالف لما
فى التاريخ المذكور وكانت وفاته بعلة القولنج واخبره طبيبه ان لا دواء له الا
الحقنة فامتنع منها واختار الموت عليها وكانت مدة علته بالقولنج والفواق
ستة عشر يومًا ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحى اربع عشرة سنة و
شهورًا وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه فى سنة خمس وستين ومائتين انه مات
فيها يعقوب بن الليث فى تاسع عشر شوال من السنة وذكر حديث القولنج وامتناعه
من الحقنة وانه مات بجندى سابور من كور الاهواز قلت وهى من اعمال خوزستان
بين العراق وبلاد فارس وقال شيخنا ايضا وكان الخليفة المعتمد قد انفذ اليه رسولاً
وكتابا يترضاه ويستميله ويقلده اعمال فارس فوصل الرسول اليه ويعقوب مريض
فجلس له ووضع عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار ومعه بصل واحضر الرسول
فادى الرسالة فقال له قل للخليفة انى عليل فان مت فقد استرحت منى واسترحت
منك وان عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف حتى اخذ بثارى او تكسرنى
فاعود الى هذا الخبز والبصل واعاد الرسول فلم يلبث يعقوب ان مات وقال ابن حوقل
فى كتاب المسالك والممالك ان جندى سابور مدينة خصيبة واسعة الخير وبها نخل و
زرع كثير ومياه وقطنها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالميرة الكثيرة
ومات بها وبها قبره والله اعلم وكان الحسن بن زيد العلوى يسمى يعقوب السندان
لثباته وكان قبل ان يرى متبسمًا وكان عاقلا حازما وكان يقول كل من عاشرته
اربعين يومًا ولا تعرف اخلاقه لا تعرفها فى اربعين سنة ولما تولى عمرو واحسن فى
السياسة والتدبير كل الاحسان حتى يقال ما ادرك فى حسن السياسة الجيوش والهداية
الى قوانين المملكة مقدار من طويل مثل عمرو بن الليث وذكر السلامى فى كتاب اخبار خراسان
شيئا كثيرا من كفايته ونهضته وقيامه بقواعد الولاية فتركته طلبا للاختصار وذكر
انه كان ينفق فى الجند فى كل ثلثة اشهر مرة ويحضر بنفسه على ذلك وان عارض الجيوش
يقعد والاموال بين يديه وجرائد الجند باسمائهم حاضرة وينادى المنادى اولا باسم عمرو
بن الليث فتقدم دابته الى العارض بجميع الة الفارس فيتفقدها ويامر بوزن ثلثمائة
درهم باسم عمرو فتحمل اليه فى صرة فياخذ الصرة ويقبلها ويقول الحمد لله الذى
وفقنى لطاعة امير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق ثم يضعها فى خفه فيكون
لم يتنزع حقه ثم يدعى بعد ذلك باصحاب الرسوم على مراتبهم فيتعرضون
بالاتهم التامة ودوابهم الفرهة ويطلبون بجميع ما يحتاج اليه الفارس و
الراجل من صغير الالة وكبيرها فمن اخل باحضار شئ منها حرموه رزقه فاعترض

يومًا

يومًا فارس كانت دابته فى غاية الهزال فقال له عمرو تاتى بها هكذا تاخذ مالنا فتنفقه
على امراتك فتسمنها وتهزل دابتك التى عليها تحارب وبها تحمل الاذى
امض فليس لك عندى شئ فقال له الجندى جعلت لك الفدا لو اعترضت
امراتى لاستسمنت فيها ادابتى فضحك عمرو وامر باعطايه وقال استبدل
بدابتك قلت ذكر القاضى كمال الدين المعروف بابن العديم الحلبى رحمه الله
تعالى فى تاريخ حلب حكاية تليق ان اذكرها ههنا لانها تشاكل هذه الحكاية وهى
كان كسرى انوشروان بن قباد قد ولى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل
والكفاية يقال له بابك بن النهروان ديوان الجند فقال لكسرى ايها الملك
انك قلما تجد امرا من صلاحه ان يجد بعض الغلظة فى الامور وهو عرض الجند
فى كل اربعة اشهر واخذ كل طبقة بكمال التها ومحاسبة المودبين فيما ياخذونه
على تاديب الرجال بالفروسية والرمى والنظر فيما الغتهم فى ذلك فى
تقصيرهم فان ذلك ذريعة فى اجراء السياسة مجاريها فقال كسرى ما السائل
بما سال باحظى من المجيب لاشتراكهما فى فضلة وانفراد المجيب بعد بالراحة
حقق مقالتك فامر فبنيت له فى موضع العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش
الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين احد من المقاتلة الا حضر للعرض
فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فامرهم فانصرفوا وفعل ذلك فى اليوم الثانى ولم
ير كسرى فيهم فامرهم فانصرفوا فنادى مناديه فى اليوم الثالث ايها الناس لا
يتخلفن من المقاتلة احد ولا من اكرم بالتاج والسرير فانه عرض لا رخصة فيه
ولا محاباة وبلغ كسرى ذلك فتسلح سلاحه وركب فاعترض على بابك وكان الذى
يوخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين
ودرعا وترسا وجرزا يلزمه منطقه وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسين بو
ترهما وثلثين نشابة وبوترين ملفوفين يعلقهما الفارس فى مغفرة واعرض
على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يجز بابك على اسمه
فتذكر كسرى الوترين فعلقهما فى مغفرة واعرض على بابك فاجاز على اسمه
وقال لسيد الكماة اربعة الاف درهم ودرهم وكان اكثر من له من الورق اربعة
الاف درهم ففضل كسرى بدرهم واحد فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى
فقال ايها الملك لا تلمنى على ما كان من اغلاظى فما اردت الا التوطئة للعدل له
والا تخاف وحيم ما دعت المحاباة قال كسرى ما اغلظ احد علينا فيما
يريد به اقامة اودنا واصلاح ملكنا الا احتملناه غلظة كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه

لما يرجوه من منفعته رجعنا الى تتمة اخبار عمرو بن الليث الصفار قال السلامي
ايضا كان رافع ابن هرثمة تبعا لابي ثور وكان ابو ثور احد قواد محمد بن
طاهر الخزاعي فلما وافا يعقوب الصفار نيسابور وكان ابو ثور من جملة من
مايل يعقوب على محمد بن طاهر فلما انصرف يعقوب الى سجستان صحبه ابو
ثور ومعه رافع بن هرثمة كان رافع رجلا طويل اللحية كريه الوجه قليل الطلاقة
فدخل يوما الى يعقوب فلما خرج من عنده قال يعقوب انا لا اميل الى هذا
الرجل فليلحق بحيث شاء فباع رافع جميع الاته ثم انصرف الى منزله بباميين
وهي قرية من قرى كنج رستاق واقام هناك الى ان استقدمه احمد بن
عبد الله الخجستاني وخجستان من جبل هراة من قرى بادغيس وكان الخجستاني
من اتباع يعقوب الصفار ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة
احدى وستين ومائتين وكان يظهر الميل الى الامراء الطاهرية مستميلا بذلك
قلوب اهل نيسابور اليه حتى انه كان يكتب في كتبه احمد بن عبد الله الطاهري
ثم كتب الخجستاني الى رافع بن هرثمة وهو في بلده يستقدمه فقدم عليه فجعله
صاحب جيشه وللخجستاني حروب ومواقف مشهورة ليس الغرض ذكر شيء منها
ها هنا ثم ان غلامين من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه وقد سكر ونام وذلك في
ليلة الاربعاء لست بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين وكان رافع بن
هرثمة غائبا فقدم بعد ذلك على جيش الخجستاني فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة
هراة وقيل نيسابور ثم عزل الموفق بالله عمرو بن الليث عن ولاية خراسان
وجعلها لابي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سنة احدى وسبعين ومائتين
وهو مقيم ببغداد فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة ما خلا اعمال
ما وراء النهر فان الموفق اقر عليها نصر بن احمد بن اسد الساماني خليفة
لمحمد بن طاهر ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد الجرجان وطبرستان وكانتا
للحسن بن زيد العلوي وتوفي في سنة سبعين ومائتين واستولى عليها اخوه
محمد بن زيد فجاءه رافع في سنة اربعة وسبعين وفارقها محمد بن زيد
الى استراباد فحصره رافع بها مدة سنتين ثم فارقها ليلا في نفر يسير الى بلاد
الديلم واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين ثم توفي
الخليفة المعتمد الموفق بالله في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتولى الخلافة
بعده المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق بالله المذكور وولى المعتضد ابا
ابرهيم اسمعيل بن احمد الساماني ما وراء النهر بعد وفاة اخيه نصر بن احمد المذكور في

وكانت

وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الاخرة سنة تسع وسبعين بسمرقند قال وعزل
رافع بن هرثمة عن خراسان وولاها عمرو بن الليث وبقي رافع بالري ثم انه هادى
الملوك المجاورين له ليستعين بهم على عمرو بن الليث في شهر فلما تم له ذلك
خرج الى نيسابور فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الاخر سنة ثلث وثمانين
ومائتين وهزمه عمرو وتبعه الى ابيورد وقصد رافع ان يخرج منها الى هراة
او مرو فعلم عمرو ان مقصده سرخس فقصدها ليأخذ عليها الطريق فعلم
رافع ذلك فخرج من ابيورد ومعه دليل واخذ به على جبال الطوس حتى اورده
باب نيسابور فدخلها فعاد عمرو اليها محاصرا بها فانهزم رافع واصحابه ووصل
الى نواحي خوارزم على الجمازات وحمل ما كان معه من الة ومال في شرذمة
قليلة وذلك يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلث وثمانين
ومائتين فوجه اليه امير خوارزم نائبا يقوم بخدمته وما يحتاج اليه الى ان
يصل الى خوارزم فوجده النائب في نحو من اصحابه فقتله لسبع خلون من شوال
يوم الجمعة سنة ثلث وثمانين ومائتين وحز راسه وحمله الى عمرو بن الليث و
هو بنيسابور فانفذه عمرو ورسله الى المعتضد ولم يكن رافع بن هرثمة وانما هرثمة
زوج امه فانتسب رافع اليه لانه اشهر ورافع بن نومرد قال ابن جرير الطبري في
تاريخه في سنة ثلث وثمانين وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة قرئ
الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة وقدم رسول عمرو بن الليث الصفار
براس رافع الى بغداد يوم الخميس لاربع خلون من المحرم سنة اربع وثمانين ومائتين
على المعتضد فامر بنصبه على الجانب الشرقي الى الظهر ثم تحويله الى الجانب
الغربي بقية النهار الى الليل ثم رده الى دار السلطان قال السلامي ووصلت
خراسان الى شط جيحون لعمرو بن الليث قلت وقد مدح البحتري الشاعر
المشهور رافع بن هرثمة وكناه ابا يوسف في مديحه وارسلها اليه فارسل له
عشرين الف درهم وهو بالعراق قال السلامي ولما وجه عمرو بن الليث براس
رافع بن هرثمة الى المعتضد سال ان يوليه ما وراء النهر مثل ما كان برسم
عبد الله بن طاهر فوعده بذلك ثم ارسل اليه المعتضد هدايا فوصلته وهو
نيسابور فابى ان يقبلها دون الوفاء بما وعده من توليته اعمال ما وراء النهر
فكتب الرسول الى المكتفي بالله بن المعتضد وكان بالري وعنده جماعة من خواص
ابيه لما ساله عمرو فانفذ اليه العهد بها فحمل اليه العهد واللواء الذي
سيرها له المعتضد بالله وامتنع من اخذها وكان في الهدية سبعة دسوت خلع

فوضعت بين يديه وافاض الرسول الخلع والهدايا بعد اخرى وكلما البس خلعة صلى ركعتين
ثم وضع العهد قدامه فقال ما هذا فقال الذى سالته فقال عمرو وما اصنع
به فان اسمعيل بن احمد لا يسلم الى ذلك الا بمائة الف سيف فقال انت سالته
فتمم الان لتولى العمل فى ناحيته فاخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه ثم
انفذ عمرو الى الرسول سبع مائة الف درهم وصرفهم ثم جهز عمرو الى الرسول و
جيشا الى اسمعيل بن احمد فعبر اسمعيل نهر جيحون وقاتلهم فقتل بعضهم و
هزم الباقين وعمرو بن الليث فى نيسابور وكانت الوقعة يوم الاثنين لاثنى عشرة
ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين وعاد اسمعيل الى بخارا وهى من اعمال
ما وراء النهر قال السلامى انتدب عمرو بن الليث لمحاربة اسمعيل محمد بن بشر
فلما عبر اسمعيل جيحون دخل موسى البجرى على محمد بن بشر وهو يحلق راسه فقال
له هل استاذنت اسمعيل فى حلق راسك يعنى ان راسه لاسمعيل لانه انتصب
لمحاربته فقال له محمد اغرب عنى لعنك الله ثم تحاربوا من الغد فانكشف اصحاب
ابن بشر وقبضوا عليه وحزوا راسه فى جملة سائر الرؤس وحملوها الى اسمعيل و
ادخلوا عليه جماعة من اصحابه ليميزوا الرؤس عن راس ابن بشر فاعلم بعضهم اسمعيل
بما قال موسى البجرى لابن بشر فعجب مما جرى الفال به وذكر الطبرى فى تاريخه
فى سنة سبع وثمانين ومائتين ان مما اتاه فى يوم الاربعا لخمس بقين من جمادى
الاولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان انه كان بين اسمعيل بن احمد وابن عمرو
وابن الليث وقعة فاسر عمرا واستباح عسكره وكان من خبر عمرو واسمعيل ان
عمرا سال السلطان ان يوليه ما وراء النهر فولاه ذلك ووجه اليه وهو مقيم
نيسابور بالخلع واللوا على ما وراء النهر بمحاربة اسمعيل بن احمد فكتب اليه اسمعيل
انك قد وليت دنيا عريضة وانما فى يدى ما وراء النهر فاقنع بما فى يديك واتركنى
مقيما بهذا الثغر فابى اجابته الى ذلك وذكر له من امر نهر بلخ وشدة عبوره
فقال عمرو لو شئت ان اسكره ببدر الاموال واعبر لفعلت فلما يئس اسمعيل من
انصرافه عنه جمع من معه من البنا والدهاقين وعبر الى الجانب الغربى وجاء
عمرو بن الليث فنزل بلخ واخذ اسمعيل عليه النواحى فصار كالمحاصر وندم على
ما فعل وطلب المحاجزة فيما ذكر فابى اسمعيل عليه ذلك ولم يكن بينهم قتال كثير
حتى هزم عمرو فولى هاربا ومر باجمة فى طريقه الواضح فقيل له انها اقرب فقال
لعامة من معه امضوا فى الطريق الواضح ومضى فى نفر يسير فدخل الاجمة و
وحلت به دابته فوقعت ولم يكن له فى نفسه حيلة ومضى من معه ولم يلووا عليه وجاء

اصحاب اسمعيل فاخذوه اسيرا فلما بلغ المعتضد ما جرى مدح اسمعيل وذم عمرا
وقال نقلت ابو ابرهيم اسمعيل كلما فى يد عمرو وتوجه اليه بالخلع ثم ذكر الطبرى
ايضا فى سنة ثمان وثمانين ومائتين وفى اول جمادى الاولى يوم الخميس ادخل
عمرو بن الليث بغداد وذكر لى ان اسمعيل بن احمد خيره بين المقام عنده اسيرا
وبين توجيهه الى امير المؤمنين فاختار توجيهه الى امير المؤمنين فوجهه وقال
السلامى فى اخبار خراسان ثم خرج عمرو الى بلخ فلاقاه بها اسمعيل فهزمه وقبض
عليه وذلك فى يوم الثلثا النصف من شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين و
مائتين وانفذه مقيدا الى سمرقند قلت وهى من اعمال ما وراء النهر ايضا
وهذا النهر هو جيحون قال وضم اليه اخاه ابا يوسف ليخدمه الى ان ورد عليه
من عند المعتضد عبد الله بن الفتح بعهد خراسان واللوا والتاج والخلع فى
سنة ثمان وثمانين وقدم معه اشناس ليتولى حمل عمرو بن الليث الى بغداد
فسلمه اسمعيل اليه فحمله وقال ابن ابى طاهر المذكور قبل هذا فى تاريخه ان
عمرو بن الليث الصفار انهزم وقتل خلق كثير من اصحابه وكانت الوقعة على باب
بلخ يوم الاربعا لاثنى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاخر سنة سبع وثمانين ومائتين
وقبل ذلك هرب ابن ابى ربيعة كاتب عمرو بن الليث الى اسمعيل بن احمد ومعه
قايد من قواده فى خلق كثير فاصبح عمرو يوم الوقعة وقد عرف الخبر ثم كثر هرب
اصحابه الى اسمعيل فصعق قلب عمرو وهرب واشتغل اسمعيل بالعسكر وبعث
فى طلب عمرو جيشا فوجدوه واقفا على فرس فقبضوا عليه وسير اسمعيل الى المعتضد
واخبره بما جرى وانه سيره الى سمرقند حتى يرد عليه امر امير المؤمنين فاشتد سرور
الخليفة بذلك وقلد الخليفة اسمعيل ما كان يتقلده عمرو مضافا الى عمله وتوجه
عبد الله بن الفتح الى اسمعيل فى طلب عمرو فلما وصل الى اسمعيل وجه فاحضر
عمرا وقيده وارسله والى جانبه رجل من اصحاب اسمعيل بيده سيف مشهور و
قيل لعمرو ان تحرك فى امرك احد رمينا راسك اليهم فلم يتحرك احد ووصلوا الى
النهروان يوم الثلثا لثلث بقين من شهر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وحمل فيل
عمرو فلما كان يوم الخميس مستهل جمادى الاولى ركب الجند للقائه وعمرو فى القبة
قد ارخى جلالها عليه فلما بلغ باب الشماسية انزل عمرو من القبة والبس عليه دراعة
ديباج وبرنس التخليط وحمل على جمل له سنامان يقال له اذا كان خفا على هذه الصورة
الفالج فى غاية الارتفاع وكان عمرو قد اهداه الى الخليفة وقد البس الجمل الديباج
وحلى بالدوليب وارسان مفضضة وادخل بغداد فاشتقها فى الجانب والشارع الاعظم

الى دار الخليفة بقصر الحسنى وعمرو رافع يديه يدعو او يتضرع دهاه منه فوقف له القاسم
واسكت عن الدعا عليه ثم ادخل على الخليفة وقد جلس له واحتفل به فوقف بين
يديه ساعة وبينهما قدر خمسين ذراعا وقال له هذا ايغيك يا عمرو ثم اخرج من بين
يديه الى حجرة قد اعدت له وكان اخوه يعقوب الصفار قد تزوج امرأة من العرب
من بلده سجستان فلما توفى يعقوب تزوجها اخوه عمرو ثم توفيت ولم تخلف ولدا
وكان لها الف وسبعماية جارية قال بعضهم كنت عند ابى على الحسين بن محمد بن
ابى الفهم المحدث فدخل رجل من اصحاب الحديث فقال له يا ابا على رايت عمرا
الصفار امس على جمل فالج من الجمال التى كان اهداها عمرو منذ ثلث سنين للخليفة
فانشده ابو على ؛

وحسبك بالصفار نبلا وعزة ؛ يروح ويغدو فى الجيوش اميرا
حباهم باجمال ولم يدر انه ؛ على جمل منها يقاد اسيرا

وعمل فى ذلك على بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر المشهور المقدم ذكره

ايها المعتز بالدنيا ؛ اما ابصرت عمرا
اركب الفالج بعد ؛ الملك والعزة قسرا
وعليه برنس الخط ؛ اذلالا وقهرا
رافعا كفيه يدعو ؛ الله اسرارا وجهرا
ان ينجيه من القتل ؛ وان يعمل صفرا

قال الطبرى وتوفى المعتضد ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الاخر سنة
تسع وثمانين ومائتين وتولى الخلافة ولده المكتفى بالله ابو محمد على وكان غايبا فى
الرقة عند موت ابيه فقدم بغداد وامر يوم الثلثا لثمان بقين من جمادى الاخرة
من السنة بهدم المطامير التى كان ابوه اتخذها لاهل الجرائم ومات عمرو بن
الليث من غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسنى وكان المعتضد عند موته
لما امتنع من الكلام امر بقتل عمرو بالايماء والاشارة ووضع يده على رقبته وعلى
عينه اى اذبح الاعور وكان عمرو اعور فلم يقبل صافى الحرمى ذلك وهو الذى امر
المعتضد بقتله وانما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته وكره قتل عمرو
ولما دخل المكتفى سال القسم بن عبد الله عن عمرو احى هو فقال نعم فسر بحياته وقال
اريد ان احسن اليه وكان عمرو يهدى الى المكتفى ويبره برا كثيرا ايام مقامه
بالرى فى حياة ابيه المعتضد فذكر ان القسم كره سواله عنه ودس اليه من قتله و
كانت مدة مملكته اثنين وعشرين سنة تقريبا قلت وانما قيل ليعقوب الصفار لانه كان

يعمل الصفر وهو النحاس وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وبعد الفاء راء وكان اخوه
يكسر الحجر حكى شيخ من الصفارين قال كان يعقوب وهو غلام فى دكانه يتعلم عمل
الصفر ولم ازل اتامل بين عينيه وهو صغير ما ال امره اليه فقيل له وكيف ذلك قال
ما تاملته قط من حيث لا يعلم بتاملى اياه الا وجدته مطرقا اطراق ذى همة وفكر ورزية
مكان من امره ما كان وقال على المرزبانى الاصفهانى الكاتب سالت بعض اصحاب
ابن الصفار عن عمرو بن الليث اخى يعقوب بن الليث الصفار وصناعته وعمرو يومئذ
محبوس بمدينة السلام فسكت عنى فلما توفى عمرو قال لى كنت سالتنى عن عمرو و
صناعته ولم يكن من الحزم اخبارك وهو يرجى ويخشى فاعلم الان انه لم يزل مكاريا
الى ان عظم شان اخيه يعقوب وتمكن من خراسان فلحق به وترك اكراء الحمير قلت
ذكر جماعة من ارباب التاريخ فى كتبهم ان ابا احمد عبيد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى
المقدم ذكره فى هذا الكتاب كان يقول عجايب الدنيا ثلاث جيش العباس بن عمرو الغنوى
يوسر العباس وحده وينجو من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشه وكانوا عشرة الاف
وجيش عمرو بن الليث يوسر عمرو وحده ويموت فى السجن ويسلم جميع وكانوا خمسين
الفا وانا ازلت فى بيتى بطالا وتولى ابنى ابو العباس الحسن بغداد قلت وكان
من حديث العباس بن عمرو الغنوى ان القرامطة لما اشتد امرهم وانتشر فى
البلاد وبالغوا فى القتل ارسل اليهم المعتضد بالله فى سنة سبع وثمانين ومائتين
جيشا مقدمه العباس المذكور فاسروا ابا العباس ابو سعيد رئيس القرامطة فى الوقعة
واسروا جميع من معه من الجيش وفى اليوم الثانى احضرهم ابو سعيد القرمطى الاسرى
فقتلهم باسرهم واحرقهم واطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده وكان ذلك
فى اخر شعبان من السنة وكانت الوقعة بين البصرة والبحرين وهى قصة طويلة
مشهورة وهذا خلاصتها اذ ليس هذا موضع التطويل فى شرحها وسياتى ذكرها
مع الاستقصا فى التاريخ الكبير ان شاء الله تعالى قلت والبيتان المذكوران
قبل هذا او انهما مكتوبان على قبر يعقوب الصفار واخر البيت الاول منهما

وما كنت من ملك العراق بايس

هذا انصف بيت من جملة ابيات ترنم بها معوية ابن ابى سفيان الاموى لما
تغلب على الشام وجاء جرير بن عبد الله البجلى من عند على بن ابى طالب رضى الله
عنه برسالة وكان على اذ ذاك مقيما بالكوفة فلما ادى جرير الرسالة الى معوية وانفض
المجلس امر معوية بنزول جرير فى مكان قريب منه وجعل يترنم بهذه الابيات تلك الليلة
ليسمع جرير فيعيد ذلك على على رضى الله عنه والابيات المشار اليها هى هذه ؛

تطاول ليلي واعترتني وساوسي ۞ لآتٍ اتى بالترهات البسابس
اتاني جرير والحوادث جمة ۞ بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
لحا الله والسيف بيني وبينه ۞ ولست لأثواب الدني بلابس
ان الشام اعطت طاعة يمينه ۞ يرامقها اشياخها في المجالس
فان يفعلوا اصدم عليا بجبهة ۞ تفت عليه كل رطب ويابس

قلت الترهات بضم التاء المثناة من فوقها وتشديد الراء وبعدها الهاء وبعد الالف تاء مثناة ثانية والبسابس بفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة وبعد الالف باء ثانية مكسورة ثم سين ثانية وهي الباطل واصل الترهات الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة فارسي معرب ثم استعير في الباطل فقيل الترهات البسابس والجبهة الخيل والجبهة الجماعة من الناس ايضا فكانه قال اصدمه بالخيل والرجال والباقي معروف لا حاجة الى تفسيره ورايت بخط بعض اهل هذا الفن ان عمرو بن الليث لما اسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الى ثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكري في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه اخوه يعقوب بن محمد وبعث بهما الى مدينة السلام ثم ولي بعده الليث بن علي بن الليث وهو ابن اخي يعقوب وعمرو المذكورين كان قد تغلب على بلاد سجستان في سنة ست وتسعين ومائتين وجرى بين سبك السبكري وطاهر المذكور ما جرى واستقرت البلاد بيد السبكري فاستخلف الليث المذكور على سجستان اخاه المعدل بن علي وسار الى بلاد فارس فهرب السبكري منه يطلب من الخليفة النجدة فجرد المقتدر بالله الجيوش في شهر رمضان سنة ست وتسعين وقدم عليها مونس المظفر وبدر الكبير والحسين بن حمدان والتقوا مع الليث بن علي فانهزم جيشه واسر هو واخوه محمد وابنه اسمعيل وعاد مونس الى بغداد ومعه الاسرى في المحرم سنة سبع وتسعين ومائتين وشهر الليث بن علي على الفيل وولي المعدل بن علي بن الليث على سجستان فسار اليه احمد بن اسمعيل الساماني في خلق كثير من الفارس والراجل فاخذ منه البلاد ثم ملك سبك السبكري الصفاري مدة ثم حمل ومعه محمد بن علي بن الليث الى بغداد وانقضى امر الصفارية والله اعلم بالصواب

ابو يوسف يعقوب بن ابي يعقوب

يوسف بن ابي محمد عبد المومن بن علي القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب قد تقدم ذكر جده عبد المومن وسياتي ذكر ابيه يوسف ان شاء الله تعالى كان صافي السمرة جدا الى الطول ما هو جميل الوجه افوه اعين شديد الكحل ضخم الاعضا

جهوري الصوت جزل الالفاظ من اصدق الناس لهجة واحسنهم حديثا واكثرهم اصابة بالظن مجربا للامور ولي وزارة ابيه فبحث عن الاحوال بحثا شافيا وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة افادته معرفة جزئيات الامور ولما مات ابوه في التاريخ الاتي في ترجمته ان شاء الله تعالى اجتمع راي اشياخ الموحدين وبني عبد المومن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه امير المومنين كابيه وجده ولقبوه المنصور وقام بالامر احسن قيام وهو الذي اظهر ابهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط احكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في امور الدين والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقام الحدود حتى في اهله وفي عشيرته والاقربين كما اقامها في ساير الناس اجمعين فاستقامت الاحوال في ايامه وعظمت الفتوحات ولما مات ابوه كان معه في الصحبة فباشر تدبير المملكة من هنالك واول ما رتب قواعد بلاد الاندلس فاصلح شانها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين وامر بقراءة البسملة في اول الفاتحة في الصلوات وارسل بذلك في ساير بلاد الاسلام التي في مملكته فاجاب قوم وامتنع اخرون ثم عاد الى مراكش التي هي كرسي ملكهم فخرج عليه علي بن اسحق بن محمد بن علي بن غانية الملثم المسوفي من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين وملك بجاية وما حولها فجهز اليه الامير يعقوب عشرين الف فارس واسطولا في البحر ثم خرج بنفسه في اول سنة ثلث وثمانين وخمسماية فاستعاد ما اخذ من البلاد ثم عاد الى مراكش وفي سنة ست وثمانين وخمسماية بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وانفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن من مدن الفرنج كانوا قد اخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخاف صاحب طليطلة وساله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طايفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر الى الامير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جحفل عرمرم من قبايل الموحدين والعرب واحتفل وجاز الى الاندلس وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسماية فعلم الفرنج فجمعوا خلقا كثيرا من اقاصي بلادهم واقبلوا نحوه قلت ورايت بدمشق في اواخر سنة ثمان وستين وستماية جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حموية شيخ الشيوخ كان بها وكان قد سافر الى مراكش واقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق

بتلك الدولة ومن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره هنا فنقول لما انقضت
المهادنة بين الامير ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن صاحب المملكة
الغربية وبين الادفونش الفرنجي صاحب جزيرة الاندلس وقاعدة مملكته يومئذ
طليطلة وذلك في اواخر سنة تسعين وخمسمائة عزم الامير يعقوب وهو حينئذ
بمراكش على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الفرنج وكتب الى ولاة الاطراف و
قواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق
انه مرض مرضا شديدا ايس منه اطباؤه فوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش
فحمل الامير يعقوب الى مراكش فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد و
عاثوا فيها واغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الادفونش فيما يليه من
بلاد المسلمين بالاندلس واقتضى الحال تفرق جيوش يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا
بالمدافعة والممانعة وكثر طمع الادفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب
يتهدده ويتوعده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وكتب اليه
من انشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض
وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد فانه لا يخفى
على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما اني امير الملة
النصرانية وقد علمت ما عليه عما الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية و
اخلادهم الى الراحة وانا اسومهم بحكم القهر وجلاء الديار واسبي الذراري وامثل با
لرجال ولا عذر لك في التخلف اذا امكنتك يد القدرة وانتم تزعمون ان الله تعالى
فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
ونحن الان نقاتل عشرة بواحد منا لا يستطيعون دفاعا ولا يملكون امتناعا وتمطل
نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتوخر اخرى فلا ادري اكان الجبن ابطا بك ام
التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لي انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ
لك التقحم معها وانا اقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر لك وعنك وعلى ان تفي
بالعهود والمواثيق والاستكثار من اهل الرهان وترسل الي جملة من عبيدك
بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات واجوز بجملتي اليك واقاتلك في اعز
الاماكن اليك ولديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة وهدية عظيمة مثلت بين يديك
وان كانت لي كانت يدي العليا واستحقيت امارة الملتين والحكم على البرين و
الله يوفق للسعادة ويسهل الارادة لا رب غيره ولا خير الا خيره ان شاء الله تعالى
فلما وصل كتابه الى الامير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلناتينهم
بجنود لا

بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع
ولا كتب الا المشرفية عنده ∴ ولا رسل الا الخميس العرمرم
قلت وهذا البيت للمتنبي ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار
وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف
بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس وسار الى ان دخل بلاد الفرنج وقد اعتدوا
واحتشدوا وتاهبوا فكسرهم كسرة شنيعة وذلك في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة
انتهى ما نقلته من الجزء المذكور قلت ثم وجدت في كتاب تذكرة الغافل وتنبيه
العاقل تاليف ابي الحجاج يوسف بن محمد بن ابرهيم الانصاري البياسي هذه الكتابة
وجوابها وقال كتبها الادفونش بن فرذلند الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين
الاتي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى وجواب يوسف على هذه الصورة ايضا
والله اعلم قلت وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على انه نقلها من خط ابن الصيرفي
الكاتب المصري فان كان كذلك فما يمكن ان تكون هذه الرسالة الى يعقوب بن
يوسف لان ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير والله اعلم ورايت
جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون هذا التاريخ ويذكرون ما ذكرته ان شاء الله
تعالى وهو ان الفرنج جمعوا جمعا عظيما وقصدوه وبلغ الامير يعقوب خبرهم وكثرة
جموعهم فما هاله ذلك وجد في السير نحوهم حتى التقوا في شمالي قرطبة على قرب قلعة
رباح في مرج الحديد وفيه نهر يشقه فنزل الى منزلة الفرنج وصافهم وذلك يوم الخميس
التاسع من شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتفق في ذلك طريقة
ابيه وجده فانهما اكثر ما يقع كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر
ووقع القتال وبرزت الابطال وصبرت الرجال فامر الامير يعقوب فرسان الموحدين
فامر العرب ان يحملوا ففعلوا وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف فاستاصلهم
قتلا وما نجا ملكهم الا في نفر يسير فلولا دخول الليل لم يبق منهم احد وغنم المسلمون
اموالهم حتى قيل ان الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون الف درع واما
الدواب على اختلاف انواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع في بلاد الاندلس بكسرة
مثلها ومن عادة الموحدين انهم لا ياسرون مشركا محاربا ان ظفروا به ولو كان ملكا
عظيما بل تضرب رقابهم كثروا او قلوا فلما اصبح جيش المسلمين اتبعوهم فالفوهم قد اخلوا
قلعة رباح لما داخلهم من الرعب فملكها الامير يعقوب وجعل فيها واليا وجيشا و
لكثرة ما حصل له من الغنايم لم يمكنه الدخول الى بلاد الفرنج في ذلك الوقت فعاد الى
مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها اشد قتال وقطع اشجارها وشن الغارات على بلادها

واخذ من اعمالها حصونا كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها وهدم اسوارها
وترك الفرنج في اسوا حال ولم يبرز اليه احد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية واقام
الى اثناء سنة ثلث وتسعين فعاد الى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله
المتقدم فلم يبق للفرنج قدرة على لقايه وضاقت عليهم الارض بما رحبت فارسلوا
اليه يلتمسون منه الصلح فاجابهم الى ذلك لما اتصل به من اخبار علي بن اسحق الميورقي
المقدم ذكره في هذه الترجمة كان قد خرج على بلاد افريقية وخرب اكثر بلادها و
تجهز نحو المغرب وسولت له نفسه النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الامير
يعقوب بجزيرة الاندلس والجهاد فيها وتاخره عن بلاد المغرب مدة ثلث سنين
فاوقع الصلح بينه وبين ملوكهم جميعهم على ما اختاره مدة خمس سنين ثم عاد الى
مراكش في اواخر سنة ثلث وتسعين ولما وصل اليها امر باتخاذ الاحواض و
الروايا والات السفر للتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا يا
سيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فمنا من له خمس سنين ومنا من له ثلث سنين
وغير ذلك فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في اول سنة خمس وتسعين
فاجابهم الى سوالهم وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المستنزهات
المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط
الفتح على هيئة الاسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم واتقان البناء
وتحسينه وتنقيمه وتحصينه وبناها على البحر المحيط الذي هناك وهي على
نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع الى
مراكش قلت وقد اختلفت الروايات في امره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان
فيه وتجرد وساح في الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات
خاملا ومنهم من يقول انه رجع الى مراكش كما ذكرناه وتوفي في غرة صفر سنة خمس
وتسعين وخمسماية رحمه الله تعالى وقيل في شهر ربيع الاخر في سابع عشره وقيل في غرة صفر
ولم ينقل شي من احواله بعد ذلك الى حين وفاته وكانت ولادته على ما ذكروه ليلة
الاربعاء رابع شهر ربيع الاول سنة اربع وخمسين وخمسماية رحمه الله تعالى وكان
ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يامر بالمعروف كما ينبغي من غير محاباة ويصلي
بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف ويقف للمراة والضعيف وياخذ لهم
بالحق واوصى ان يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به وسمعت عنه حكاية
يليق ان يذكرها ههنا وهي ان الامير الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي
حفص عمر والد الامير ابي زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية كان قد تزوج

اخت

اخت الامير يعقوب المذكور واقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت
اخيها الامير يعقوب فسير الامير عبد الواحد لطلبها فامتنعت عليه فشكا الامير
عبد الواحد ذلك الى قاضي الجماعة بمراكش وهو القاضي ابو عبد الله محمد بن
علي بن مروان فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له ان الشيخ ابا محمد عبد
الواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك ايام ثم ان الشيخ
عبد الواحد اجتمع بالقاضي في قصر الامير يعقوب بمراكش فقال له انت قاضي
المسلمين وقد طلبت اهلي وما جاوني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له ان
الشيخ ابا محمد عبد الواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب بمراكش فقال له انت قاضي
المسلمين وقد طلبت اهلي مرة وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة
لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء الى خدمة الامير يعقوب فقال
له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة انا طالب اهلي وقد منعوني منهم
فاجتمع القاضي بالامير وقال له يا مولانا الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما
ان تنفذها اليه والا فاعزلني عن القضا فسكت الامير يعقوب وقيل انه قال يا ابا عبد الله وما
هذا الاجد كيف لم استدعي خادما وقال له في السر احمل اهل الشيخ عبد الواحد اليه
فحملت اليه في ذلك الوقت او النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيا يكرهه واتبع
في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره وهذه حسنة تعد له وللقاضي ايضا فانه
بالغ في اقامة العدل وكان الامير ابو يوسف يعقوب المذكور يشدد في الزام الرعية
باقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الاوقات على شرب الخمر وقتل ايضا العمال
الذين تشكو الرعايا منهم وامر برفض فروع الفقه وان الفقهاء لا يفتون الا بالكتاب
والسنة النبوية ولا يقلدون احدا من الائمة المجتهدين المتقدمين بل تكون احكامهم
بما يودي اليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع
والقياس ولقد ادركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا من البلاد وهم على
ذلك الطريق مثل ابي الخطاب ابن دحية واخيه ابي عمرو ومحيي الدين ابن العربي
نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلاة ويامر بالنداء في الاسواق
بالمبادرة اليها فمن غفل عنها واشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا وكان قد عظم
ملكه واتسعت دايرة سلطنته حتى انه لم يبق بجميع اقطار بلاد المغرب من البحر
المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل في ولايته الى غير ذلك من جزيرة
الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادبا مصغيا الى المدح مثيبا عليه و
له الف ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي كتابه الذي سماه صفوة الادب

وديوان العرب فى مختار الشعراو هو مجموع مليح احسن فى اختياره كل الاحسان والى الامير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية وكان قد ارسل اليه السلطان صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب الاتى ذكره ان شاء الله تعالى رسولا من بنى منقذ فى سنة سبع وثمانين وخمسماية ليستنجده على الفرنج الواصلة من بلاد الغرب الى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بامير المومنين بل خاطبه بامير المسلمين فعز ذلك عليه ولم يجبه بما طلبه منه والرسول المذكور هو شمس الدين ابو الحرث عبد الرحمن بن نجم الدولة ابى عبد الله محمد بن مرشد وقد سبق فى ترجمة عمه اسامة بن منقذ تتمة نسبه هكذا ذكره الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى فى كتاب الوفيات وقال توفى فى سنة ستماية بالقاهرة ومولده فى شيراز سنة ثلث وعشرين وخمسماية وله نظم ونثر رجعنا الى حديث يعقوب وكان من شعراء دولته ابو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الاندلسى المرسى ولقد نظرت فى ديوانه فوجدت اكثر مدايحه فى الامير يعقوب المذكور فمن ذلك قوله

اتراه يترك الغزلا * وعليه شب واكتهلا
كلف بالغيد ما علقت * نفسه السلوان مذ عقلا
غير راض عن سجية من * ذاق طعم الحب ثم سلا
ايها اللوام ويحكم * ان لى عن لومكم شغلا
ثقلت عن لومكم اذنى * لم يجد فيها الهوى ثقلا
تسمع النجوى وان خفيت * وهى ليست تسمع العذلا
نظرت عينى لشقوتها * نظرات وافقت اجلا
غادلتنى مثلك لهما * تركتنى فى الهوى مثلا
هى تدبى السيات فقد * عارف اجفانها كحلا
ابطل الحق الذى بيدى * سحر عينيها وما بطلا
عرضت ذكرا فاد فطنت * بولوعى اعرضت خجلا
وبكا الى انها وجلت * من هنات تبعث الوجلا
حسبت انى ساحرقها * اذ رات راسى قد اشتعلا
ياسراة الحى مثلكم * يتلافى الحادث الجللا
قد نزلنا فى جواركم * فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباءكم * فلقينا الهول والوهلا

اضمنتم امن جيرتكم * ثم ما امنتم السبلا
واردتم غضت انفسهم * فبثثتم بينها المقلا
لينا اضنا السبق ولم * تلق تلك الاعين النجلا
عادختنا منكم فئة * اعهدتم من عهدنا ذخلا
تعليات جفونهم * وهم لم يعرفوا ثعلا
اشرعوا الاعطاف ناعمة * حين اشرعنا القنا الذبلا
واستفزتنا عيونهم * فخلعنا البيض والاسلا
وودتنا بالتمام فلم * نزل الحلى والحللا
نصروا بالحسن فانتهبوا * كل قلب بالهوى جذلا
عطلتنى الغيد من جلدى * وانا جليتها الغزلا
حملت نفسى على فتن * منتها صبرا فما احتملا
ثم قالت سوف تتركها * سلبا للحب او نفلا
قلت اما وهى قد علقت * بامير المومنين فلا
ما عدا اناملها ملكا * من راه ادرك الاملا
اودع الاحسان منحته * ما بثر ينقع الغللا
واذا ما الجود حركه * فاض من يمناه فانهملا

قلت وهى طويلة عدد ابياتها ماية وسبعة ابيات فيقتصر منها على هذا المقدار وكانت وفات هذا الشاعر فى سنة سبع وثمانين وخمسماية بمراكش وهو ابن ثلث وخمسين سنة رحمه الله تعالى ودخل الاديب ابو اسحق ابرهيم بن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر على الامير يعقوب المذكور فانشده

ازال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى بفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم بكر وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا ينسب الى اب ولا ام وانما كانم اسم بلدة بنواحى غانة وهى دار ملك السودان الذى بجنوب الغرب فسمى هذا الجنس باسم البلدة وتكرور اسم الارض التى هم بها وسمى جنسهم باسم ارضهم والجميع من بنى كوش بن حام بن نوح عليه السلام والله اعلم ولما حضرت الوفاة للامير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده ابا عبد الله محمد بن يعقوب ويلقب بالناصر

ونهض الى افريقيه فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهدية من نوابه وكان قد
استولى عليها في مدة اشتغال الامير يعقوب بالاعدا ثم تحرك محمد بن
يعقوب الى جزيرة الاندلس فكانت وقعة العقاب في سنة تسع وستمائة
وتوفي محمد في سنة عشر وستماية لعشر خلون من شعبان ومولده في سنة
ست وسبعين وخمسماية والمغاربة يقولون ان محمد بن يعقوب المذكور اوصى
عبيدة المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح
الدم لهم ثم اراد ان يختبر قدر امره لهم فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلا ففعل
ما اراده جعلوه غرضا لرماحهم فجعل يقول انا الخليفة فما تحققوا حتى هلك
والله اعلم بصحة ذلك ثم ولي بعده ولده ابو يعقوب يوسف بن محمد بن الامير
يعقوب ولقب المستنصر بالله ومولده اول شوال سنة اربع وتسعين ولم
يكن في بني عبد المؤمن احسن وجها منه ولا ابلغ في المخاطبة منه الا انه
كان مشغوفا براحته فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة في ايامه ومات
في شوال او ذي القعده سنة عشرين وستماية ولم يخلف ولدا فاتفق ارباب
دولته على تولية ابي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه
ووفور عقله فلم يحسن التدبير ولا داري اهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد
تسعة اشهر من ولايته ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان بالاندلس
ابو محمد عبد الله بن الامير يعقوب المذكور فامتنع بمرسيه وراى انه
احق بالامر من عبد الواحد وخرج الى ما في جهته من بلاد الاندلس فاستولى
عليها بغير كلفه وتلقب بالعادل فلما حقق عبد الواحد بمراكش ثارت
الفتن والافرنج بالاندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا وانهزم اصحابه
هزيمة شنيعة وهرب هو فركب البحر يريد مراكش وترك باشبيليه
اخاه ابا العلا ادريس بن الامير يعقوب وقاسى عبد الله شدايد في طريقه
الى مراكش من العربان فلما وصلها اضطربت احواله وقبض عليه اهل
مراكش وتفاوضوا فيمن يقدمونه فوقع اختيارهم على ابي زكريا يحيى بن
الناصر محمد بن يعقوب وهو اذ ذاك كما بقل وجهه غير مجرب الامور
ولم يلبث الا اياما قلايل حتى ورد الخبر من الاندلس ان ابا العلا ادريس
بن الامير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه اهل الاندلس ثم
آل امره الى ان حضره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد اخرى حتى
ضجر منه اهل مراكش وتشاءموا به واخرجوه عنهم فهرب الى جبل درن ثم

ارسل

ارسل في الباطن جماعة من اهل مراكش ليعود اليها ويقتل من بها من اعوان ابي
العلا ادريس فحضر اليها في جماعة وقتل المذكورين وجا ابو العلا من الاندلس
وخرج عليه بها الامير محمد بن يوسف بن هود الجذامي ودعى الى بني العباس
فمال اليه الناس ورجعوا عن ابي العلا ادريس فانتهى الى مراكش ويحيى بها
فتواقعوا وانهزم يحيى بن ابي العلا الى الجبل واستولى ابو العلا على مراكش وجمع
يحيى رجالا وقصد ابا العلا بمراكش فهزمه ابو العلا مرارا واضعف جماعته فالجاته
الضرورة الى الاستجارة بقوم في حصن بجهة تلمسان وكان لغلام منهم عنده ثار
بابيه فرصده يوما وهو راكب فطعنه فقتله واستبد ابو العلا بالامر و
تلقب بالمامون وكان شجاعا حازما صارما فتاكا ثم ان ابا العلا مات في الغزو
وحتف انفه ولم اتحقق تاريخ وفاته ثم اخبرني بعض اهل بلادهم انه توفي سنة
ثلثين وستماية والله اعلم واخفي ولده موته حتى دبر امره وبلغ ما امنه وهو ابو محمد
عبد الواحد بن ابي العلا ادريس ويلقب بالرشيد وتقدم بعد موت ابيه
وغلب على اخيه الاكبر واستبد بالامر وكان ابوه ابو العلا قد ازال اسم المهدي
ابي عبد الله محمد بن تومرت المقدم ذكره من الخطبة يوم الجمعه فاعاده ولده
الرشيد المذكور واستمال به قلوب جماعة وتحبب اليهم وكان الى سنة احدى
واربعين وستماية ملك المغرب الاقصى وبعض الاندلس ولم اعلم ما وراء ذلك
حتى اذكره وبعد تسطير هذه الترجمه كتب الي بعض اهل مراكش ممن عنده فضيلة
ومعرفة وكان قريب عهد ببلاده ان الرشيد المذكور توفي غريقا في صهريج
بستان له بحضرة مراكش في سنة اربعين وستمايه وكتم حاجبه امره مدة لكن ذلك
جهل شهر وفاته وولي بعده اخوه لابيه المعتضد ويعرف بالسعيد وهو ابو الحسن
علي بن ادريس ثم خرج الى ناحية تلمسان وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان مسافة
يوم واحد وقتل هناك على ظهر فرسه في صفر سنة ست واربعين وستماية
وولي بعده المرتضى ابو حفص عمر بن ابرهيم بن يوسف في شهر ربيع الاخر من السنة
وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستماية دخل الواثق ابو
العلا ادريس بن ابي عبد الله محمد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بابي دبوس
مراكش وهرب المرتضى الى ازمور وهي من نواحي مراكش فقبض عليه عامله بها
وبعث الى الواثق بذلك فامره الواثق بقتله فقتله في العشر الاخر من شهر ربيع
الاخر من سنة خمس وستين وستماية بموضع يقال له كتامه بعيد عن مراكش ثلثة
ايام واقام الواثق ثلث سنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني مرين ملوك

تلمسان وانقرضت دولة بني عبد المؤمن وكان قتل الواثق في المحرم سنة ثمان وستين
وستمائة بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة ايام في جهتها الشمالية واستولى بنو
مرين على ملكهم الآن ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة والله اعلم واما علي بن
اسحق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة وكان ابوه ابو ابراهيم اسحق بن محمد بفتح الحاء المهملة
وبعدها ميم مشددة مفتوحة وبعدها ميم مشددة مضمومة وبعدها راء ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة
ويابسة وهي ثلث جزاير متجاورة في البحر الغربي فتوفي في سنة ثمانين وخمسمائة وخلف
اربعة بنين وهم ابو عبد الله محمد توجه بعد موت ابيه الى الموحدين بالاندلس
فاعطوه مدينة دانية واحسنوا اليه غاية الاحسان وابو الحسن علي وابو زكريا يحيى
خرجا الى بلاد افريقية وفعلا الافاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث
في البلاد فمات ولا اعلم تاريخ وفاته لكنه كان حيا في سنة احدى وتسعين واستمر
يحيى على حاله وطالت مدته وذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب
الوفيات فقال خرج من ميورقة في شعبان سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد
كثيرة وكان مشهورا بالشجاعة والاقدام وتوفي في اواخر سنة ثلث وثلثين وستمائة
في البرية من نظر تلمسان وكان خروجه على عبد المؤمن وبقي اصغر الاخوة وهو ابو محمد
عبد الله ملك ميورقة الى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فجهز اليه الناصر محمد بن يعقوب
الاسطول ونزل بساحل البحر بميورقة فبرز اليهم وكان شجاعا كريما فعثر به فرسه
فسقط الى الارض فقتلوه وعلقوا جثته على السور وحملوا راسه الى مراكش واخذوا
ميورقة وبقيت بايديهم الى ان تغلب الفرنج عليها في سنة سبع وعشرين وستمائة
وفعلوا فيها العظايم من القتل والاسر وغير ذلك والاذفونش بضم الهمزة وسكون
الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة اسم لاكبر
ملوك الافرنج وهو صاحب طليطلة وغيرها والله اعلم بالصواب ❊

ابو عبد الله يعقوب بن داود بن عمرو بن عثمان بن طهمان السلمي بالولا مولى
ابي صالح عبد الله بن خازم السلمي والي خراسان كان يعقوب المذكور كاتب ابرهيم
بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولما خرج هو واخوه محمد
على ابي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقتلا في سنة خمس واربعين ومائة و
قصتهما مشهورة في التواريخ وليس هذا موضع ذكرها وكان ابوه داود بن طهمان وانحوته
كتابا للنصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني امية ولما مات داود نشا ولداه علي و
يعقوب المذكور اهل ادب وفضل وافتنان في صنوف العلوم ولما ظهر المنصور على
ابرهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب قبل قتل ابرهيم وذلك في اول خروجه والله

اعلم

اعلم وكان يعقوب سمحا جوادا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره دعبل
بن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه اسماء الشعرا وكان مقصودا
ممدحا ممن مدحه اعيان شعرا عصره مثل ابن الشيص الخزاعي وسلم الخاسر وابي
جبش وغيرهم ولما مات المنصور وقام بالامر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب
اليه حتى ادناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شانه حتى خرج كتابه
الى الدواوين ان امير المؤمنين قد اخا يعقوب بن داود فقال في ذلك سلم بن عمرو
المعروف بالخاسر ❊ ❊ ❊ ❊

قل للامام الذي جاءت خلافته ❊ تهدى اليه بحق غير مردود
نعم القرين على التقوى اعنت به ❊ اخوك في الله يعقوب بن داود

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه وفي سنة احدى وستين
تقدم اليه بتوجيه الامناء الى العمال في جميع الافاق ففعل ذلك فلم يكن ينفذ
شي من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب الى امينه بانفاذه وكان
وزير المهدي ابا عبد الله معوية بن عبد الله بن يسار الاشعري الطبراني صاحب
شرعية ابي عبيد الله ببغداد وجده يسار مولى عبد الله بن عضاه الاشعري
فلم يزل الربيع بن يونس المقدم ذكره في حرف الراء يبغي به الى المهدي ويحمله
على ابنه الزنديق فقتله المهدي وكان الربيع بعد ذلك يقبح امره عنده
ويقول له لا تثق به بعد قتلك ابنه ويذكر كفاية يعقوب بن داود حتى عزله
عن الوزارة وافرده في ديوان الرسايل واستوزر يعقوب في سنة ثلث وستين
ثم ان المهدي عزل ابا عبيد الله عن ديوان الرسايل في سنة سبع وستين
ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور وكان ابو عبيد الله المذكور يصل الى المهدي
على عادته رعاية منه لخدمته فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة ابيات

قل للوزير ابي عبيد الله هل من باقيه
يعقوب يلعب بالامور وانت تنظر ناحيه
ادخلته فعلا عليك كذاك شوم الناصيه
واخذت حقك جاهدا بيمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على امور المهدي كلها وكان المنصور قد خلف في بيوت المال
تسع مائة الف الف درهم وستين الف درهم وكان الوزير ابو عبيد الله
يشير على المهدي بالاقتصار في الانفاق وحفظ الاموال فلما عزل وولي
يعقوب زين له هواه فانفق الاموال واكب على اللذات والشرب وسماع

الغنا واستقل يعقوب بالتدبير وفي ذلك يقول بشار بن برد الشاعر المشهور
المقدم ذكره في حرف البا

بني امية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود

وكان ابو حارثة النهدي يتقلد خزن بيوت الاموال فلما خلت من المال دخل
الى المهدي ومعه المفاتيح وقال له اذا كنت قد انفقت جميع الاموال فما معنى
هذه المفاتيح معي مر من يقبضها مني فقال له المهدي دعها عندك فان الاموال
تاتيك ثم سير في استحثاث الاموال فوردت عليه في مدة يسيرة وفضل في النفقات
قليلا فوفرت الاموال وتشاغل ابو حارثة في قبض ما ورد وتخميره فلم يدخل
الى المهدي في ثلثة ايام فقال المهدي ما فعل هذا الاعرابي الاحمق فخبر بالسبب
في تاخيره فدعا به وقال له ما اخرك عنا فقال وردت الاموال فقال
يا احمق توهمت ان الاموال لا تاتينا فقال يا امير المومنين ان الحادث لو حدث
واحتيج له الى المال ولم يصلح الا به لم ينتظر حتى توجه في حمل الاموال وروي
ان المهدي حج في بعض السنين فمر بميل وعليه كتابة فوقف وقراه فاذا هو

لله درك يا مهدي من رجل ... لولا اتخاذك يعقوب بن داود

فقال لمن معه اكتب تحته على رغم انف الكاتب لهذا وتعسا لخداه فلما انصرف
وقف على الميل فقال لم يقف عليه الا لشي قد علق بقلبه من ذلك الشعر فكان كذلك
لانه اوقع بيعقوب بعد قليل وكثرت الاقوال في يعقوب ووجد اعداوه مقالا
فقالوا فيه وذكروا الخروج مع ابرهيم بن عبد الله العلوي وعرفه بعض خدمه
انه سمعه يقول بني هذا الرجل مستنزها انفق عليه خمسين الف الف درهم
من اموال المسلمين وكان المهدي قد بنى عيسى اباد واراد المهدي امرا فقال
له يعقوب هذا يا امير المومنين السرف فقال له ويلك وهل يحسن السرف الا
باهل الشرف وكان يعقوب قد تخوف ما كان فيه وسال المهدي الاقالة وهو
ممتنع ثم ان المهدي اراد يمتحن ميله الى العلوية فدعاه يوما وهو في مجلس
فرشه مورده وعليه ثياب مورده وعلى راسه جاريه عليها ثياب مورده
وعلى راسه وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الاوراد فقال له يا
يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قال على غاية الحسن فمتع الله امير المومنين به فقال
له جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك وقد امرت لك بماية الف درهم
فدعا له فقال المهدي لي اليك حاجة فقام يعقوب قايما وقال يا امير المومنين ما هذا القول

الا لموجدة وانا استعيذ بالله من سخطك فقال احب ان تضمن لي قضاها فقال
السمع والطاعة فقال له والله فقال والله ثلاثا فقال له ضع يدك على راسي واحلف
به ففعل ذلك فلما استوثق منه قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية
احب ان تكفيني مونته وتريحني منه فخذه اليك وحوله اليه وحول الجارية
ما كان في المجلس والمال فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس بالقرب منه
ليصل اليها ووجه فاحضر العلوي فوجده لبيبا فهما فقال له ويحك يا يعقوب
تلقى الله تعالى بدمي وانا رجل من ولد فاطمه رضي الله عنها بنت محمد صلى
الله عليه وسلم فقال له يعقوب يا هذا افيك خير فقال ان فعلت خيرا معي
شكرت ودعوت لك فقال له خذ هذا المال وخذ اي طريق شيت فقال
طريق كذا وكذا آمن لي فقال له امض مصاحبا وسمعت الجارية الكلام كله
فوجهت مع بعض خدمها به وقالت قل له هذا فعل الذي اثرته على نفسك بي
وهذا جزاوه منه فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ثم وجه
الى يعقوب فاحضره فلما راه قال له ما حال الرجل قال قد اراح الله منه قال مات
قال نعم قال والله قال والله تعالى قال فضع يدك على راسي فوضع يده على راسه
وحلف له فقال يا غلام اخرج الينا من هذا البيت ففتح بابه عن العلوي والمال
بعينه فبقي يعقوب متحيرا وامتنع الكلام عليه وما درى ما يقول فقال له المهدي
لقد حل دمك ولو اثرت اراقته لاراقته ولكن احبسوه في المطبق فحبسوه وامر ان
يطوى عنه خبره وعن كل احد فاقام فيه سنتين وشهورا في ايام المهدي وجميع
ايام الهادي موسى بن المهدي وخمس سنين وشهورا من ايام هرون الرشيد
ثم ذكر يحيى بن خالد امره وشفع فيه فامر باخراجه فاخرج وقد ذهب بصره
فاحسن اليه الرشيد ورد ماله وخيره المقام حيث يريد فاختار مكة فاذن
له في ذلك فاقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة ولما اطلق يعقوب
سال عن جماعة من اخوانه واخبر بموتهم فقال

لكل اناس مقبر بفنايهم ... فهم ينقصون والقبور تزيد
هم جيرة الاحياء اما محلهم ... فدان واما الملتقى فبعيد

قلت هذان البيتان في باب المراثي في كتاب الحماسة قلت هكذا ذكر تاريخ
وفاته ابو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتابه
تاريخ الوزرا وذكر غيره ان يعقوب بن داود مات سنة اثنين وثمانين والله اعلم
بالصواب وقال عبد الله بن يعقوب بن داود اخبرني ابي ان المهدي حبسه في

بيت وبنى عليها قبة قال فمكثت فيها خمس عشرة سنة وكان يدلى لى كل يوم
رغيف خبز وكوز ماء واوذن باوقات الصلوات فلما كان راس ثلاث عشر
سنة اتانى آتٍ فى منامى فقال

حَنَى على يوسف ياربِّ فاخرجه ؛ قعر جبّ نبت حوله غمم

قال فحمدت الله تعالى وقلت اتانى ذلك الآتي الفرج ثم مكثت حولا لا ارى
شيئا فلما كان راس الحول الثانى اتانى ذلك الآتي فانشدنى

عسى فرج ياتى به الله انه ؛ له كل يوم فى خليقته امرُ

قال ثم اقمت حولا اخر لا ارى شيئا ثم اتانى ذلك الآتي بعد الحول فقال

عسى الكرب الذى امسيت فيه ؛ يكون وراه فرج قريب
فيامن خايفٌ ويفك عانٍ ؛ وياتى اهله النائى الغريب

قال فلما اصبحت نوديت فظننت انى اوذن بالصلوة فدلى لى حبل اسود و
قيل لى اشدد به وسطك ففعلت واخرجونى فلما قابلت الضوء عشى بصرى
فانطلقوا بى فادخلت على هرون الرشيد فقيل لى سلّم على امير المومنين
فقلت السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته المهدى فقال
لست به فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته الهادى فقال لست به
فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الرشيد فقلت الرشيد
فقال يا يعقوب بن داود والله ما شفع فيك الى احد غير انى حملت الليلة
صبية لى على عنقى فذكرت حملك اياى على عنقك فرثيت لك من المحل
الذى كنت فيه فاخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير يلاعبه
ولما حبس المهدى يعقوب رتب فى الوزارة ابا جعفر الفيض بن ابى صالح
وكان من غلمان عبد الله بن المقفع وكان شديد الكبر وكان ابوه
نصرانيا وفيه يقول الشاعر

يا حاجبى عن حاجتى ظالما ؛ احوجك الله الى الفيض
ذاك الذى يأتيك معروفه ؛ كانما يمشى على البيض

وطهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الالف نون و
كانت ولادة ابى عبد الله معوية الاشعرى فى سنة سبعين ومائة وتوفى
فى سنة تسع وستين وقيل مات فى الوقت الذى مات فيه موسى الهادى وكانت
وفاته ببغداد ودفن فى مقابر قريش وتوفى الفيض فى سنة ثلاث وسبعين
ومائة تولى الوزارة بعد الربيع بن يونس وقد سبق ذكره فى ترجمة بشار بن برد

الشاعر ذكر يعقوب بن داود انه اعان على قتله ولما مات يعقوب رثاه
ابو حيش الهلالى وقيل النميرى واسمه حصين بن قيس البصرى وعاش مائة
سنة بابيات هى فى كتاب الحماسة واولها

يعقوب لا تبعد وجنبت الردا ؛ فليبكين زمانك الرطب الثرى

ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابرهيم بن هرون بن داود بن كلس وزير العزيز
نزار بن المعز معد بن المعز العبيدى صاحب مصر المقدم ذكرهما كان
يعقوب اولا يهوديا يزعم انه من ولد هرون بن عمران عليهما السلام وقيل
انه كان يزعم انه من ولد السموال بن عاديا اليهودى صاحب الحصن المعروف
بالابلق وهو المشهور بالوفاء وقصته مع امرء القيس الكندى الشاعر المشهور
مستفيضة بين العلماء فى الوفاء له فى ودايعه وكان يعقوب المذكور قد
ولد ببغداد ونشا بها عند باب القز وتعلم الكتابة والحساب وسافر
ابوه من بغداد الى الشام وانفذه الى مصر سنة احدى وثلثين وثلثمائة
فانقطع الى بعض خواص الاستاد كافور الاخشيدى المقدم ذكره
فجعله كافور على عمارة داره ثم صار ملازما لباب داره فراى كافور من
نجابته وشهامته وصيانته ونزاهته وحسن ادراكه ما نفق عليه
فاستحضره واجلسه فى ديوانه الخاص وكان يقف بين يديه ويخدم و
يستوفى الاعمال والحسابات ويدخل يده فى كل شى ثم لم تزل احواله تتزايد
مع كافور حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له ويكرمونه ولم تتطلع نفسه
الى اكتساب مال وارسل له كافور شيا فرده عليه واخذ منه القوت خاصة
وتقدم كافور الى ساير الدواوين ان لا يمضى دينار ولا درهم الا بتوقيعه
فوقع فى كل شى وكان يبر ويصل من الليسير الذى ياخذه لهذا كله وهو
على دينه ثم انه اسلم يوم الاثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من شعبان
سنة ست وخمسين وثلثمائة ولزم الصلوة ودراسة القران الكريم ورتب
لنفسه رجلا من اهل العلم شيخا عارفا بالقران المجيد والنحو فقط كتاب
السيرافى فكان يبيت عنده ويصلى به ويقرا عليه ولم تزل حاله تزيد
وتنمى مع كافور الى ان توفى كافور فى التاريخ المذكور فى ترجمته وكان ابو
جعفر بن الفرات المقدم ذكره فى حرف الجيم وزير كافور يحسده ويعاديه
فلما مات كافور قبض على جميع الكتاب واصحاب الدواوين وقبض يعقوب بن
كلس فى جملتهم فلم يزل يتوصل ويبذل المال حتى افرج عنه فلما خرج من الاعتقال

اقترض من اخيه وغيره مالاً وتحمّل به وسار متخفياً قاصداً بلاد المغرب فلقي القايد
جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز العبيدي المقدم ذكره في حرف الجيم في
الطريق وهو متوجه بالعساكر والخزاين الى الديار المصرية ليملكها فرجع في
الصحبة وقيل انه استمر على قصده وانتهى الى افريقية وتعلق بخدمة المعز
معدّ العبيدي المقدم ذكره ثم رجع الى الديار المصرية ولم يزل يترقى الى ان
ولي الوزارة للعزيز بن نزار بن المعز معدّ وعظمت منزلته عنده واقبلت عليه
الدنيا وانثال الناس عليه ولازموا بابه ومهّد قواعد الدولة وساس امورها
احسن سياسة ولم يبق لاحد معه كلام وكان في ايام المعز يتصرف في
الخدم الديوانية ثم انتقل الى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة
ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلثماية وقال ابن زولاق في
تاريخه بعد ذكر المعز وتاريخ وفاته ما مثاله وممن وزر للمعز الوزير يعقوب
بن كلس وهو اول من وزر للدولة الفاطمية وبالغ في طاعته الى ان استوزره
هذا اخر كلام ابن زولاق وقال غيره كان يعقوب يحب اهل العلم ويجمع عنده العلما
ورتب مجلساً لنفسه في كل ليلة جمعة يقرا فيه مصنفاته على الناس و
يحضره القضاة والفقها والقرا والنحاة وجميع ارباب الفضايل واعيان العدول
وغيرهم من وجوه الدولة واصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه قام الشعرا ينشدونه
المدايح وكان في داره قوم يكتبون القران الكريم واخرون يكتبون كتب الحديث
والفقه والادب حتى الطب ويعارضون ويقابلون ويشكلون المصاحف في
ينقطونها وكان من جملة جلسائه الحسن بن عبد الرحيم الزولاني مصنف كتاب
الاسجاع ورتب في داره المطابخ لنفسه ولجلسائه ومطابخ لغلمانه وحاشيته
واتباعه وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من اهل العلم والكتاب وخواص
اتباعه ومن يستدعيه وينصب موايد عديدة ياكل عليها الحجاب وبقية الكتاب
ووضع في داره ميضاة للطهور ثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغربا وكان
يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام وتعرض عليه رقاع
الناس في حوايجهم والظلامات وقرر عنده بخدمة العزيز جماعة جعلهم قوادا
يركبون بالمواكب والعبيد ولا يخاطب واحد منهم الا بالقايد وكان في جملة
هولاء القواد القايد ابو الفتوح فضل بن صالح الذي تنسب اليه منية القايد
فضل وهي بليدة بالاعمال الجيزية من الديار المصرية ثم ان الوزير المذكور شرع
في تحصين داره ودور غلمانه بالدروب والحرس والسلاح والعدد وعمرت ناحية

بالاسواق

بالاسواق واصناف ما يباع من الامتعة من المطعوم والمشروب والملبوس ويقال ان
داره كانت بالقاهرة في موضع مدرسة الوزير صفي الدين ابي محمد عبد الله بن
علي بن محمد المعروف بابن شكر المختصة بالطايفة المالكية وان الحارة المعروفة
بالوزيرية التي بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة الى اصحاب الوزير لانهم كانوا
يسكنونها وكان الوزير ابو الفضل بن الفرات المقدم ذكره يغدو اليه ويروح
ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويعوّل عليه فيها ويجلس معه
في مجلسه ومع ما حبيه لو الكاتب فياكل معه بعد ان جرى عليه منه ما سبق ذكره وكان
هيبته عظيمة وجوده وافر واكثر الشعراء من مدايحه ولقد نظرت في ديوان
ابي حامد احمد بن محمد الانطاكي المعروف بابي الرقعمق الشاعر المقدم ذكره فوجدت
اكثر مدايحه في الوزير المذكور والقصيدة التي نقلت بعضها في ترجمته مدح بها
الوزير المذكور ورايت في تاريخ الامير المختار عز الملك محمد بن ابي القاسم المعروف
بالمسبحي المقدم ذكره فصلا طويلا يتعلق بشرح حال الوزير المذكور كتابا في وعظم
ما ذكرته ها هنا نقلته منه وصنف الوزير المذكور كتابا في الفقه مما سمعه
من المعز وولده العزيز وجلس في شهر رمضان سنة تسع وستين وثلثماية
مجلسا حضره الخاص والعام وقرا فيه الكتاب بنفسه على الناس وحضر هذا المجلس
الوزير ابو الفضل بن الفرات المذكور وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتون الناس
من المصريين يقولون ان الوزير المذكور كانت له طيور فايقة اصيلة مختاره تسبق
كل ساير سابقها وكان لمخدومه العزيز طيور ايضا سابقة فاخره فسابقه الوزير
يوما ببعض الطيور فسبق طاير الوزير فشق ذلك على العزيز ووجد اعداوه سبيلا
الى الطعن فيه فقالوا للعزيز انه قد اختار من كل صنف اجوده واعلاه ولم يبق منه
الا ادناه حتى الحمام وقصدوا بذلك الاغرا به حسدا منهم لعله يتغير عليه فاتصل
ذلك بالوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذي ∴ له العلا والنسب الثاقب
طايرك السابق لكنه ∴ جاء وفي خدمته حاجب

فاعجبه ذلك وسرّي عنه ما وجده عليه هكذا ذكره القاضي الرشيد بن الزبير
المقدم ذكره في كتاب الجنان وقد ذكر غيره ان هذين البيتين لولي الدولة ابي
محمد احمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصري وقد سبق ذكره في
ترجمة ابي الحسن علي بن احمد بن نوبخت الشاعر وانما لم افرده بترجمة لاني لم اظفر
بتاريخ وفاته وذكر ابو القاسم علي بن منجب بن يمن الكاتب المعروف بابن الصيرفي

في جزو سماه الاشارة الى من نال الوزارة ذكر فيه وزراء المصريين الى عصره وتبدا بذكر
يعقوب المذكور فقال كان يهوديا ما ابا الفقه محافظا على دينه جميل المعاملة
مع التجار فيما يتولاه واتصل بخدمة كافور الاخشيدي فحمد خدمته ورد اليه زمام
دواوينه بمصر والشام فضبطها على حسب ارادته وكان سبب حظوته عنده ان يهوديا
قال ان في دار ابن البلدي بالرملة ثلثين الف دينار مدفونة وقد توفي فكتب
يعقوب الى كافور رقعة يقول فيها ان في دار ابن البلدي بالرملة عشرين الف دينار
مدفونة في موضع اعرفه وانا اخرج اصلها فاجابه الى ذلك وانفذ معه البغال لحملها
وورد الخبر بموت بكير بن هرون التاجر فجعل اليه النظر في تركته واتفق موت يهودي
بالفرما ومعه احمال كتان فاخذها وفتحها فوجد فيها عشرين الف دينار فكتب
الى كافور بذلك فتبرك به وكتب اليه بحملها فباع الكتان وحمل الجميع وسار الى الرملة
فحفر الدار التي لابن البلدي واخرج المال وهو ثلثون الف دينار فكتب الى كافور
عرفت الاستاذ انها عشرون الف دينار ووجدت ثلثين الف دينار فازداد محله
من قلبه وتصوره بالعفة ونظر في تركة هرون واستقصى وحمل منها مالا كثيرا فارسل
اليه كافور صلة كبيرة فاخذ منها الف درهم ورد الباقي وقال بهذه كفاية فزاد
امره عنده حتى انه كان يشاوره في اكثر اموره وقال عبد الله اخو مسلم العلوي رايت
يعقوب قايما بباب كافور فلما مضى قال لي اني وزير بين جنبيه وسار الى المغرب
وخدم المعز وتولى امور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين
وثلثماية ولقبه بالوزارة وامر ان لا يخاطبه احد الا بها ولا يكاتب الا بذلك ثم
اعتقله في سنة ثلاث وسبعين وثلثماية في القصر فاقام معتقلا اشهرا ثم اطلقه
في سنة اربع وسبعين ورده الى ما كان عليه ووجدت رقعة في دار الوزير المذكور
في سنة ثمانين وثلثماية وهي السنة التي توفي فيها نسختها

احذروا من حوادث الازمان ❊ وتوقوا طوارق الحدثان
قد امنتم من الزمان ونمتم ❊ رب خوف مكمن في امان

فلما قراها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واجتهد ان يعرف كاتبها فلم يقدر
على ذلك ولما اعتل علة الوفاة اخر السنة المذكورة ركب اليه العزيز عايدا وقال له
وددت انك تباع فابتاعك بملكي او تفتدى فافديك بولدي فهل من حاجة توصي
بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال فيما يخصني فانت ارعى لحقي من ان استرعيك
اياه وارأف على من اخلفه من ان اوصيك به ولكني انصح لك فيما يتعلق بدولتك سالم
الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح

ان عرضت

ان عرضت لك فيه فرصة ومات فامر العزيز ان يدفن في داره وهي المعروفة بدار الوزارة
بالقاهرة داخل القصر في قبة كان بناها وصلى عليه والحده بيده في قبره وانصرف
حزينا لفقده وامر بغلق الدواوين اياما بعده وكان اقطاعه من العزيز في سنة
مايتي الف دينار ووجد له من العبيد والمماليك اربعة الاف غلام ووجد له
جوهر بايع مايتي الف دينار وبز من كل صنف بخمسماية الف دينار وكان عليه
للتجار ستة عشر الف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره
وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال كان يهوديا من اهل بغداد خبيثا
ذا مكر وله حيل ودها وفيه فطنة وذكا وكان في قديم امره خرج الى الشام فنزل
الرملة وصار بها وكيلا فانكسر اموال التجار وهرب الى مصر فتاجر كافورا الاخشيدي
فراى منه فطنة وسياسة ومعرفة بامر الضياع فقال لو كان مسلما لصلح ان يكون
وزيرا فطمع في الوزارة فاسلم يوم جمعة في جامع مصر فلما عرف الوزير ابو الفضل
جعفر بن الفرات امره قصده فهرب الى المغرب واتصل بيهود كانوا مع المعز
وخرج معه الى مصر فلما مات المعز وقام ولده الملقب بالعزيز استوزر ابن
كلس في سنة خمس وستين وثلثماية فلم يزل مدبر امره الى ان هلك في ذي الحجة
سنة ثمانين وثلثماية وقال غيره ابتدا المرض بالوزير يوم الاحد الحادي والعشرين
من ذي القعدة سنة ثمانين وثلثماية واعتقل لسانه ثم تزايد به المرض واشتد واطلق
لسانه ثم توفي ليلة الاحد على صباح الاثنين لخمس خلون من ذي الحجة من السنة
المذكورة وكفن في خمسين ثوبا واجتمع الناس كلهم من القصر الى داره وخرج العزيز
وعليه الحزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته ان لا يركب الا بها وصلى
عليه وبكى وحضر مواراته ويقال انه كفن وحنط بما مبلغه عشرة الاف دينار وذكر من
العزيز وهو يقول واطول اسفي عليك يا وزير وبكا عليه القايد جوهر بكا شديدا و
انما كان بكاؤه على نفسه لانه عاش بعده سنة واحدة وغدا الشعرا الى قبره ويقال
انه رثاه ماية شاعر واخذت قصايدهم واجيزوا وقيل انه مات على دينه وكان
يظهر الاسلام والصحيح انه اسلم وحسن اسلامه وقال يوما وقد ذكر اليهود في مجلسه
كلاما تبوء اليهود سماعهم ثم بين عوراتهم وفساد دينهم ومذهبهم وانهم على غير شيء
وان اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهو محمد بن زيد وكانت ولادته في سنة
ثمان عشرة وثلثماية ببغداد عند باب القز رحمه الله تعالى وكلس بكسر الكاف واللام
المشددة وبعدها سين مهملة والسموال بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها
همزة مفتوحة ثم لام وعادياء بعين مهملة وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها

محمود ده وامّا القايد جوهر فقد تقدّم ذكره في ترجمة القايد الفضل فانه كان رجلا
نبيلا كريما ممدحا واليه تنسب جمعية القايد فضل البليدة التي في اعمال الجيزة التي قبالة
مصر وفيه يقول ابو القاسم عبد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور

انما الفضل غرة ✤ في وجوه المدايح
اريحيّ دياحه ✤ عبقات الروايح
كعبة الجود كفه ✤ بين غاد ورايح
انما تصلح الامور ✤ براي ابن صالح

وكان مكينا في دولة الحاكم المذكور ثم نقم عليه وحبسه وضرب عنقه في مجلسه
يوم السبت عشية لاحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وتسعين
وثلثماية ولم يظهر منه جزع ولقي في حصيره واخرج من الحجرة التي كان محبوسا بها
رحمه الله تعالى واما ابو القاسم الشاعر المذكور فان الحاكم المذكور قتله مع جماعة
من الاعيان في يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين و
ثلثماية واحرقهم بالنار وكان قتل الجميع في حجرة واحدة والله اعلم رحمهم الله تعالى
اجمعين **ابو يوسف** يعقوب بن صابر المنجنيقي يعقوب بن صابر بن بركات بن
عمار بن علي بن الحسين بن جويرة الحراني الاصل البغدادي المولد والدار المنجنيقي
الملقب نجم الدين الشاعر المشهور ذكره ابو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن
الدبيثي في تاريخه الذي جعله ذيلا لتاريخ الحافظ ابي سعد عبد الكريم بن السمعاني
الذي ذيله على تاريخ بغداد تاليف الحافظ ابي بكر احمد بن ثابت البغدادي وقد
سبق ذكر كل واحد من هولاء الثلثة في هذا التاريخ فقال ابن الدبيثي كان يعقوب
المذكور مقدما على اهل صناعته يعني في صنعة المنجنيق وما يتعلق به وكان فيه
فضل ويقول الشعر وسمع شيا من الحديث من ابي المظفر السمرقندي وابي منصور بن
الشطرنجي علقت عنه شيا من شعره انشدني ابو يوسف يعقوب بن صابر لنفسه

قبلت وجنته فالفت جيده ✤ خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره ✤ عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده ✤ بتصاعد الزفرات من انفاسي

سالته عن مولده فقال في ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة اربع وخمسين وخمس ماية
وقال غير ابن الدبيثي كان ابن صابر المنجنيقي جنديا في ابتدا امره مقدما على المنجنيقيين
بمدينة السلام بغداد ولم يزل مغرى بادب السيف والقلم وصناعة السلاح والرياضة و
اشتهر بذلك ولم يلحقه احد من ابناء جنسه وزمانه في درايته وفهمه لذلك وصنف كتابا

يتضمن

يتضمن احوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور وبنا المعاقل واحوال الفروسية والهندسة
والمصابرة على القلاع والحصار والرياضة والميدانية والحيل الحربية وفنون العلاج بالسلاح
وعمل الات الحروب والكفاح وصنوف الخيل وصفتها وقد قسم هذا الكتاب ورتبه ابوابا
كل باب منه يشتمل على فصول وكان شيخا هشا مليحا لطيفا تلقاه لطيف المحاورة شريف
النفس متواضعا فيه تودد وبشر وسكون وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو معاني
مبتكرة يقصد الشعر ويعمل المقاطيع وجمع من شعره كتابا مختصرا سماه معاني المعاني
وملح الخلفاء وكانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله ابو العباس
احمد خليفة العصر في ذلك الوقت قلت وكانت اخباره في حيوته متواصلة الينا واشعاره
تنقلها الرواة عنه ويحكون وقايعه ومحاورته وما ينظم في ذلك من الاشعار الرايقة
والمعاني البديعة ولم يتفق لي رويته مع المجاورة وقرب الدار من الدار لانه كان
ببغداد ونحن بمدينة اربل وهما متجاورتان لكن لكثرة اطلاعي على اخباره وما
يتفق له من النظم المنقول عنه في وقته كان كنت معاشره وما زلت مشغوفا بشعره
مستعذبا اسلوبه فيه واجتمعت بخلق كثير من اصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا
الشيخ عفيف الدين ابو الحسن اسلوبه فيه علي بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلي
فانه انشدني له شيا كثيرا فمن ذلك قوله

كلفت بعلم المنجنيق ورميه ✤ لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم القريض لتفوقي ✤ فلم اخل في الحالين من قصد حايط

وانشدني عنه ايضا وذكر انه لم يسبق اليه

لا تكن واثقا عن كظم الغيظ ✤ اغتيالا وخف عزار الحقود
والظبى المرهفات اقتل ما كانت ✤ اذا غاض ماؤها في الغمود

وانشدني ايضا في جارية سودا كان يهواها وهي حبشية

وجارية من بنات الحبوش ✤ بذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابي فشبت ✤ غراما ولم الد بالشيب راض
وكنت اعيرها بالسواد ✤ فصارت تعيرني بالبياض

وانشدني عنه له

وجارية عبرت للطواف ✤ وعبرتها احدثا تدمع
فقلت ادخلي البيت لا تجزعي ✤ ففيه الامان لمن يجزع
سلا انه ليتني شيخ ✤ فقالت ومن شيبه افزع

وانشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد وقد لبس تبان ازرق وشك

على ظهره شكوه منفوضة كما جرت عادة من يتعاطى السباحة او العوم فقال في ذلك

يا للرجال تشكايتي من شكوه ؞ اضحت تعانق من احب واعشق
جمعت هوى كهواى الا انها ؞ تطفوا ويثقلني الغرام فاغرق
ويغيظني الشان عند عناقه ؞ اردافه فهو العدو الازرق

وقال صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلي صاحب كتاب عقود الجمان انشدني
صابر لنفسه هذه الابيات لكنه روى البيت الثاني منها على صورة اخرى فقال

حملت هوى كهواى فهى بوصله ؞ تطفوا ويثقلني الغرام فاغرق

وهذا من المعاني النادره فان العرب اذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت
هو عدو ازرق وقد جاء هذا في كلامهم واشعارهم كثيرا واستعمله الحريري في
المقامة الرابعة عشر فقال قد اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر
اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا
الموت الاحمر وادرجت في الرسايل ولا اتحقق الان صاحبها قد اورد ناظما
الحديد الاخضر في ماء الورد الاحمر من عدو الله الازرق من بني الاصفر و
هو باب متسع فلا حاجة الى الاطالة في ذكر شواهده وانشدني الي عنه ايضا
في جماعة من الصوفية اضافهم فاكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب الى
شيخهم يذكر حاله معهم ؞ ؞ ؞ ؞

مولاي يا شيخ الرباط الذي ؞ ابان عن فضل وعلياء
اليك اشكوا جور صوفية ؞ بأتوا ضيوفي داء وداي
اتيتهم بالزاد مستاثرا ؞ وتب تشكو الجوع احشاي
مشوا على الخبز ومن عادة ؞ الزهاد ان يمشوا على الماء
وهم الى الان ضيوفي فخذ ؞ لهم بخبز وبحلواء
او لا فخذهم واكفنيهم فما ؞ يحسن في مثلهم راي

وانشدني عنه ايضا في الصوفيه

قد لبس الصوف لترك الصفا ؞ مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شانهم ؞ شر طويل تحت ذيل قصير

وانشدني عنه ايضا وهو من المعاني المستظرفة

قالوا اتراه يسل شعر عذاره ؞ وسباله مستهزئا بزواله
فتسل عنه وخذ حبيبا غيره ؞ فاجبتهم لازلت عبد وصاله
هل يحسن السلوان عن حب يرى ؞ ان لا يفارقني بنتف سباله

وانشدني له غيره ابن عدلان وقال لما كبر ابن صابر وضعفت حركته صار اذا
مشى يتوكا على عصا فقال في ذلك ؞ ؞ ؞ ؞

القيت عن يدي العصا زمن الشبيبة للنزول
وحملتها لما دعى داعى المشيب الى الرحيل

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشران وكان كثير الاراجيف ففرغ من
ذلك فقعد على الطريق بنجم فقال فيه ابن صابر ؞ ؞ ؞ ؞

ان ابن بشران على علاته ؞ من خيفة السلطان صار منجما
طبع المشوم على الفضول فلم يطق ؞ في الارض ارجافا فارجف في السما

قلت وانشدني الاديب شهاب الدين ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سالم المعروف
بابن التلعفري لنفسه في بعض ليالي شهر رمضان سنه ثمان وثلثين وستمايه
بالقاهره المحروسه وهو من شعرا العصر ؞ ؞ ؞ ؞

يا شيب كيف وما انقضى ؞ زمن الصبا عاجلت محو اللمة السودا
لا تعجلن فوالذي جعل الدجى ؞ من ليل الحرق البهيم ضياء
لو انها يوم الحساب صحيفتي ؞ ما سر قلبي كونها بيضاء

فقلت له قد اغرت على بيت نجم الدين بن صابر حتى انك قد اخذت معظم
لفظه وجميع معناه والوزن والروي وهو قوله ؞ لو ان لحية من يشيب صحيفة
لمعاده ما اختارها بيضا فحلف انه لم يسمع هذا البيت الا بعد عمله الابيات المذكوره
والله اعلم بذلك وهذا البيت لابن صابر من جملة ابيات وهي ؞ ؞ ؞ ؞

قالوا بياض الشيب نور ساطع ؞ يكسوا الوجوه مهابة وضياء
حتى سرت وخطاته في مفرقي ؞ فوددت ان لا افقد الظلماء
وعدلت استبقي الشباب تعللا ؞ بخضابها فصبغتها سوداء
لو ان لحية من يشيب صحيفة ؞ لمعاده ما اختارها بيضاء

واخبرني بعض الادبا ان ابن صابر كتب الى بعض الرؤسا ببغداد يقول

ما جئت اسالك المواهب مادحا ؞ اني لما اوليتني لشكور
لكن اتيت عن المعالي مخبرا ؞ لك ان سعيك عندها مشكور

ووقفت في القاهره على كراريس فيها شعره وقد اجاد في كلما نظمه ورايت فيها
البيتين المشهورين المنسوبين الى جماعة من الشعرا ولا يعرف قايلهما على الحقيقة وهما

الفتى في لطافة اخرقني ؞ فيقين ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ؞ ليس داود فيه كالعنكبوت

÷ وعمل ابن صابر في جوابها ÷

ايها المدعي الفخار دع الفخر ÷ لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغار ÷ وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النار ÷ مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقط الجمر ÷ وما الجمر للنعام بقوت

قلت وعلى البيتين الاولين نظم جماعة من الشعرا المعاصرين لنا ابياتا فمن ذلك قول الكمال ابي محمد القسم بن القسم بن عمر بن منصور الواسطي نزيل حلب صاحب شرح المقامات حتى دود القز ينسج موقه ثم يموت بعد ما سدى وقلما يلحم العنكبوت وقول المهذب ابي عبد الله محمد بن ابي الحسن بن يحيى الانصاري المعروف بابن الادحل الموصلي نزيل ميافارقين ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

اقول وقد قالوا نراك مقطبا ÷ اذا ما ادعى دين الهوى غير اهله
يحق لدود القز يقتل نفسه ÷ اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وهذا ينظر الى قول بعضهم

اذا شوركت في امر بدون ÷ فلا يلحقك عارا ونفور
ففي الحيوان يشترك اضطرارا ÷ ارسطاليس والكلب العقور

وقول الاخر

وللزنبور والبازي جميعا ÷ لدى الطيران اجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز ÷ وما يصطاده الزنبور فرق

قلت وعلى ذكر دود القز ينبغي ان يذكر ما يقال عن السرفه بضم السين المهمله وبعدها راء ساكنة ثم فاء قال الجوهري في كتاب الصحاح هي دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت يقال في المثل هو اصنع من سرفة وذكر لي بعض الفضلا ان السرفه هي الارضة والله اعلم ومما ينبغي ان يلحق بالابيات المقدم ذكرها قول بعضهم

ان اعوز الحاذق فاستبدلوا ÷ مكانه اخرق لم يحذق
فلاعب الشطرنج من دابه ÷ وضع حصاة موضع البيدق

والاصل في هذا كله قول المتنبي

وشر ما قنصته راحتي قنص ÷ شهب البزاة سواء فيه والرخم

قلت وفي هذه الابيات الاوايل ما يحتاج الى زيادة ايضاح فليبين كل من يقف عليها ليفهم معناها فالبيت الاول وما ذكره من امر الياقوت من خاصيته فان الياقوت

ان

ان النار لا تؤثر فيه والى هذا اشار الحريري في المقامة التاسعة والاربعين بقوله من جملة ابيات ÷ وظالما اصلي الياقوت جمر غضى ÷ ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت ÷

وقال اخر في غلام له اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به ÷ من المروة ان لا يمنع القوت
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه ÷ وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

وقد جاء هذا كثيرا في الشعر لكن الاختصار اولى واما قول ابن صابر في الجواب في البيت الثاني نسج داود لم يفد ليلة الغار الى اخره فهذا اشارة الى مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه فانهما خافا من مشركي قريش بمكة ان يتبعوهما فدخلا غار ثور بالثاء المثلثة وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من مكه ونسج العنكبوت في الحال على باب الغار فلما وصل المشركون اليه رأوا اثر العنكبوت على الباب قالوا ليس هاهنا احد فانه لو دخله احد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال لان المشركين بادروا اليهما ليلحقوهما فاخفى الله سبحانه وتعالى اثرهما وهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقوله في البيت الثالث وبقاء السمند في لهب النار الى اخره والسمند بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهمله ويقال السمندل ايضا بزيادة اللام ذكروا انه طاير يقع في النار فلا تؤثر فيه ويعمل من ريشه مناديل وتحمل الى هذه البلاد فاذا اتسخت المناديل طرحت في النار فتاكل النار الوسخ الذي عليها ولا تحترق المناديل ولا تؤثر النار فيها ولقد رايت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهو في طول الحزام وعرضه فجعلوها في النار فما عملت فيه فغمسوا احد جوانبه في الزيت ثم تركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زمانا طويلا يشتعل ثم اطفاوه وهو على حاله ما تغير فيه شي ويقولون انه يجلب من بلاد الهند وان هذا الطاير يكون هناك وفيه نكتة ينبغي ان يذكرها هاهنا وهي ان طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه على السراج زمانا طويلا وهي لا تعلق فيه فقال بعض الحاضرين هذا ما تعمل فيه النار ولكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار ففعلوا ذلك فاشتعل فظهر من هذا ان النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لا بد من غمسه في شي من الادهان ثم رايت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي جعله لنفسه سيرة انه قدم للملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضا كما كانت والله اعلم ومثله السرفون وهي دويبة تعيش في كور الزجاج في حال توقده واضطرامه

وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها الا في موضع النار المستمرة الدايمة فسبحان خالق كل شي
وهي بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها و
واما البيت الرابع الذي ذكر فيه النعام وانه يلتقم الجمر فهذا شي شاهدناه كثيرا وهو
معروف بين الناس وليس بغريب وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام اتصل
بعضه ببعض فانتشر وتوفي ابن صابر المذكور في ليلة الثامن والعشرين من صفر سنة
ست وعشرين وستماية ببغداد ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الحادثة بباب المشهد
المعروف بموسى بن جعفر رضي الله عنهما وحوثرة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح
الثاء المثلثة وبعدها راء ثم هاء وهي في الاصل اسم حشفة الذكر وبها سمي الانسان
قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب سمي ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن
وايل حوثرة لانه جاء فمر بامراة معها قعب لها فاستامها فاكثرت فقال والله لو
ادخلت حوثرتي فيه يعني كمرته لملاته فسمي حوثرة والمنجنيق بفتح الميم وسكون
النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون اليا المثناة من تحتها وبعدها قاف
هذه النسبة الى المنجنيق وهو معروف واذ قد جرى ذكره فينبغي الكلام عليه ففيه
اشيا غريبة منها انه من جملة الالات المنقولة المستعملة والقاعدة في هذا الباب
ان تكون ميمه مكسورة ولا يشذ عن ذلك الا الفاظ قليلة مثل منخل ومدهن
ومسعط وغير ذلك مع ان ابن الجواليقي في كتاب المعرب حكى فيه اربع لغات فتح الميم و
كسرها على القاعدة ومنجنوق بالواو بدل اليا ومنجليق باللام عوض النون الثانية و
حكى في الميم والنون الاولى ثلثة اقوال قيل انهما اصليتان وقيل الميم اصلية والنون
زايدة والله اعلم واخبرني الشهاب ابن التلعفري المذكور ان مولده في الخامس والعشرين
من جمادى الاخرة سنة ثلث وتسعين وخمسماية بالموصل وتوفي في عاشر شوال سنة
خمس وسبعين وستماية بمدينة حماه وانشد قبيل موته لنفسه وهو اخر شعره

اذا ما بات من ترب فراشي ❊ وبت مجاور الرب الرحيم
فهنوني اصيحابي وقولوا ❊ لك البشرى قدمت على كريم

وهو اسم عجمي فان الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية مثل الجرموق والجوذق
والجوسق والجلاهق والقبج وغير ذلك وهذا باب مطرد وكذلك الجيم والصاد
لا يجتمعان في كلمة عربية مثل الصهريج والجص والصولجان والجصطل وغير ذلك وهو
ايضا باب مطرد واذا جمعناه حذفنا احدى النونين فان حذفنا النون
الاولى قلنا مجانيق وان حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق وقال الجوهري في
كتاب الصحاح الاصل في المنجنيق من جي نيك تفسيره بالعربية ما اجودني قلت

تفسيره من انا وتفسير جي الش وتفسير نيك جيد اي انا الش جيد قال الجوهري ثم عرب
فقيل منجنيق وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وابو هلال العسكري في كتاب الاوايل
ان اول من وضع المنجنيق جذيمة الابرش ملك العرب وبلد الحيرة في ذلك الزمان
وقال الواحدي في تفسيره الوسيط في تفسير سورة الانبيا ان المشركين لما عزموا على احراق
ابرهيم الخليل عليه السلام واضرموا النار لم يدروا كيف يلقونه فيها فجاهم ابليس لعنه
الله تعالى فدلهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنع فوضعوه فيه ثم رموه والله اعلم وهذا
الفصل كله وان كان خارجا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فايدة فلذلك بسطت القول
فيه

ابو البقا يعيش بن علي بن يعيش

بن ابي السرايا بن محمد بن علي بن
الفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان بن القاضي بن بشر بن حيان الاسدي
الموصلي الاصل الحلبي المولد والمنشا الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن
الصانع قرا النحو على ابي السخا فتيان الحلبي وابي العباس المغربي البيروزي و
سمع الحديث على ابي الفضل عبد الله بن احمد الخطيب الطوسي بالموصل وعلى ابي
محمد عبد الله بن عمر بن سويدة التكريتي وبحلب من ابي الفرج يحيى بن محمود الثقفي
والقاضي ابي الحسن احمد بن محمد الطرسوسي وخالد بن محمد بن نصر بن صغير
القيسراني وبدمشق على تاج الدين الكندي وغيرهم وحدث بحلب وكان فاضلا
ماهرا في النحو والتصريف رحل من حلب في صدر عمره قاصدا بغداد ليدرك
ابا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الانباري المتقدم ذكره وتلك الطبقة
بالعراق وبلاد الجزيرة فلما وصل الى الموصل بلغه خبر وفاته وقد ذكرت تاريخ موته
في ترجمته فاقام بالموصل مدة وسمع الحديث بها ثم رجع الى حلب ولما عزم على التصدي
للاقراء سافر الى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين ابي اليمن زيد بن الحسن الكندي الامام
المشهور وقد تقدم ذكره في حرف الزاي وساله عن مواضع مشكلة في العربية وعن اعراب
ما ذكره ابو محمد الحريري في المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية وهو قوله في اواخرها حتى
اذا لالا الافق ذنب السرحان وان ابتلاج الفجر وحان فاستبهم جواب هذا المكان
على الكندي هل الافق وذنب السرحان مرفوعان او منصوبان او الافق مرفوع وذنب
السرحان منصوب او على العكس وقال له قد علمت قصدك وانك اردت اعلامي بمكانك
من هذا العلم وكتب له خطه بعلمه والثنا عليه ووصف تقدمه في الفن الادبي قلت
وهذه المسئلة يجوز فيها الاوجه الاربعة والمختار منها نصب الافق ورفع ذنب السرحان
وقد ذكر ذلك تاج الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المتقدم ذكره المعروف
بالمسعودي في كتاب شرح المقامات ولولا خوف الاطالة لبينت ذلك ولما وصل الى

حلب لاجل الاشتغال بالعلم الشريف كان دخولي اليها يوم الثلثا مستهل ذي القعدة
سنة ست وعشرين وستماية وهي اذ ذاك ام البلاد مشحونة بالعلما والمشتغلين وكان
الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الادب لم يكن فيهم مثله فشرعت في القراءة عليه
وكان يقرى بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة
الرواحية وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه
في وقت الاقرا وابتدات بكتاب اللمع لابن جني فقرات عليه معظمه مع سماعي الدروس
الجماعة الحاضرين وذلك في اواخر سنة سبع وعشرين وما اتممته لاعلى عزم لعله
اقتضى ذلك وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدي والمنتهي وكان
خفيف الروح ظريف الشمايل كثير المجون مع سكينة ووقار ولقد حضرت يوما حلقته وبعض
الفقهاء يقرا عليه اللمع لابن جني فقراه بيت ذي الرمة في باب النداء :

ايا ظبية الوعساء بين جلاجل ∴ وبين النقا انت ام ام سالم

فقال له الشيخ ان هذا الشاعر لشدة ولهه بالمحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة ام
سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشعرا في تشبيهم النسا الصباح الوجوه
الغزلان والمها اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امراة ام ظبية فقال انت ام ام سالم
واطال الشيخ موفق الدين القول في ذلك وبسطه باحسن عبارة بحيث يفهمه البليد
البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكليته حتى يتوهم من يراه على تلك
الصورة انه قد عقل جميع ما قاله فلما فرغ الشيخ من شرحه قال له الفقيه يا مولانا ايش
في المراة الحسنا يشبه الظبية فقال له الشيخ قول منبسط تشبهها في ذنبها وقرونها
فضحك الحاضرون وخجل الفقيه وما عدت رايته حضر مجلسه قلت وجلاجل
بفتح الجيم وضم الجيم الثانية ايضا وكنا يوما نقرا عليه بالمدرسة الرواحية فجاءه
رجل من الاجناد وبيده مسطور وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية
فقال له يا مولانا اشهد على ما في هذا المسطور فاخذه الشيخ من يده وقرا اوله اقرت
فاطمة فقال له الشيخ انت فاطمة فقال له الجندي يا مولانا الساعة تحضر وخرج الى باب
المدرسة فاحضرها وهو يتبسم من كلام الشيخ ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة
عامر الشعبي ان شخصا دخل عليه وعنده امراة فقال ايكما الشعبي فقال له هذه وكنا
يوما نقرا عليه في داره فعطش بعض الحاضرين فطلب من الغلام ماء فاحضره له فلما شرب
قال ما هذا الا ما بارد فقال له الشيخ لو كان خبزا حارا لكان احب اليك وكنا يوما عنده
بالمدرسة الرواحية فجا المؤذن واذن قبل العصر فقال الشيخ موفق الدين عسى ان يكون له
شغل وهو مستعجل وكان يوما عند القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب فالتي

ذكره

ذكره ان شاء الله تعالى فجرى ذكر زرقاء اليمامة وانها كانت ترى الشي من المسافة البعيدة
حتى قيل تراه من مسافة ثلثة ايام فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك فقال الشيخ
موفق الدين انا ارى الشي من مسافة شهرين فتعجب الحاضرون من قوله وما امكنهم
ان يقولوا له شيئا فقال له القاضي كيف هذا يا موفق الدين فقال لاني ارى الهلال
فقال له كنت قلت كذا وكذا سنة قال الوقت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضي وكان
قصدي الايهام عليهم وله نوادر كثيرة يطول ذكرها وكنت يوما عنده وقد قدم من
الموصل رجل من فضلاء المغاربة في علم الادب فحضر حلقته وبحث في دروسه بحث رجل
فاضل وجرى ذكر مباحث جرت له مع جماعة من ادبائها وقال كنت عند ضياء الدين نصر
الله بن الاثير الجزري قلت وقد سبق ذكره فتجاوزنا وتناشدنا فانشد شعرا قول بعض
المغاربة قلت هذه الابيات ذكرها ابو اسحق الحصري انها لبعض مشايخ القيروان ورواها عنه
ولم يعينه : ومعذرين كان نبت خدودهم ∴ اقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالعقيق ونضدوا ∴ تحت الزبرجد لولوا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلي راهم ∴ وجد الهوى بهم اليه طريقا

قلت ونصف البيت الثاني مثل قول ابن الذروي المصري في ابياته التي سبق ذكرها
في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله ∴ ∴ ∴ ∴

جلا تحت ياقوت الملا ثغر لولو ∴ رطيب وابدى شاربا من زمرد

ومن المنسوب الى ابي محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي المقدم ذكره في حرف
الحا

جوهري الاوصاف يقصر عنه ∴ كل فهم وكل ذهن دقيق
شارب من زمرد وثنايا لولو ∴ فوقها فم من عقيق

وذكرت بهذه الابيات بيتين كنت احفظهما ويحسن ذكرهما بعد هذا وهما

لما وقفنا للوداع وصارما ∴ كنا نظن من الهوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقايق لولوا ∴ ونثرت من فوق البهار عقيقا

وكذا البيت الوا وا الدمشقي فامطرت لولوا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب
بالبرد وكذا قول محمد بن سعيد العامري الدمشقي وقيل انها لابي الفلح

لما اعتنقنا للوداع واعربت ∴ عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومحاجر ∴ وجمعن بين بنفسج وشقايق
وانا الفداء لظبية احداقنا ∴ موصولة من وجهها بحدايق

وينسب الى ابي الفتح الحسن بن ابي حصينة الحلبي الشاعر المشهور من هذا ايضا

ولما وقفنا للوداع وقلبها ∴ وقلبي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لولوا رطبا وفاضت مدامعي ∴ عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وانشدني صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري الاربلي المقدم ذكره لنفسه

ولما التقينا ومر الزمان جرى ∴ دمع عيني دماً في المآقي
فقال عذولي به لؤلؤاً ∴ اتجري عقيقاً وهذا التلاقي
فقلت حبيبي لا تعجلن ∴ جعلت فداك ميتاً وباقي
فتلك اوائل دمع الوداع ∴ وهذي اواخر دمع الفراق

وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد منسوباً الى ابي الحسن بن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه فلم اجد هذه الابيات فيه والله اعلم وهي ∴ ∴

وقد كنت لا آتي اليك مخاتلاً ∴ لديك ولا اثني عليك تصنعاً
ولكن رأيت المدح فيك فريضة ∴ علي اذا كان المديح تطوعاً
فقمت بما لم يخف عنك مكانه ∴ من القول حتى ضاق فيما توسعاً
فلا تتخالجك الظنون فانها ∴ مآثم واترك في للصلح موضعاً
فلو غيرك الموسوم عندي بريبة ∴ لاعطيت فيه مدعي القول ما ادعى
فوالله ما طولت بالقول فيكم ∴ لساناً ولا عرضت للذم مسمعاً
ولكنني اكرمت نفسي فلم تهن ∴ واجللتها عن ان تذل وتخضعا
فبانت كان العداوة بانت ∴ وقاطعت كان الوفا تقطعا

قلت وقد قيل في هذا الباب شيء كثير ولا حاجة الى الاطالة وشرح الشيخ موفق الدين كتاب المفصل لابي القاسم الزمخشري شرحاً مستوفياً ليس في جملة الشروح مثله وشرح تصريف الملوكي لابن جني شرحاً مليحاً وانتفع به خلق كثير من اهل حلب وغيرها حتى ان الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته وكانت ولادته لثلث خلون من شهر رمضان سنة ثلث وخمسين وخمسماية بحلب وتوفي بها في سحر الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلث واربعين وستماية ودفن من يومه بالمقام المنسوب الى ابرهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه رحمه الله تعالى

ابو بكر يموت بن المزرع

بن موسى بن سيار بن حكيم بن جبلة بن حصن بن اسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحرث بن الديل بن عمرو بن تميم بن عبد القيس بن وديعة بن لكيز بن غنم بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان العبدي البصري قلت ووجدت في كتاب جمهرة النسب تاليف ابن الكلبي عند ذكر حكيم بن جبلة المذكور وقد ساق نسبه على هذه الصورة وفي الحاشية مكتوب ما مثاله من ولد حكيم بن جبلة المذكور يموت بن المزرع وساق نسبه على هذه الصورة حتى الحقه بحكيم بن جبلة المذكور والعهدة عليه في ذلك ورأيت بخطي في مسودتي يموت بن المزرع بن يموت بن عيسى بن سيار بن المزرع بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن ضمرة بن دلهاث بن وديعة بن بكر بن وديعة بن

بكر

بكر بن بكر بن افصى المذكور والله اعلم بالصواب في ذلك وكان يموت قد سمى نفسه محمداً وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ثم ذكره في حرف الياء وقال هو يموت وهو ابن اخت ابي عثمن الجاحظ وقد تقدم ذكره قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة احدى وثلثماية وهو شيخ كبير وحدث بها عن ابي عثمن المازني وابي حاتم السجستاني وابي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهضمي وعبد الرحمن بن اخي الاصمعي ومحمد بن يحيى الازدي وابي اسحق ابرهيم بن سفين الزيادي وغيرهم روى عنه ابو بكر الخرائطي وميمون بن راشد وابو الفضل العباس بن محمد المزكي وابو بكر بن مجاهد المقرئ وابو بكر بن الانباري وغيرهم كان اديباً اخبارياً وله ملح ونوادر وكان لا يعود مريضاً خوفاً ان يتطير باسمه وكان يقول بليت بالاسم الذي سماني ابي به فاني اذا عدت مريضاً فاستاذنت عليه فقيل من هذا قلت انا ابن المزرع واسقطت اسمي ومدحه منصور الفقيه الظريف الشاعر المشهور بقوله ∴ ∴ ∴ ∴

انت تحيى والذي يكره ان يحيى يموت ∴ انت صنو النفس بل انت لروح النفس قوت
انت للحكمة بيت لا خلت منك بيوت ∴

فمن اخباره انه قال اخبرني ابو الفضل الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول كان سخط هرون الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في سنة ثمان وثمانين ومائة ولقد كنت عند هرون الرشيد وقد اتي بعبد الملك بن صالح يرفل في قيوده فلما نظر اليه الرشيد قال له هيه يا عبد الملك كاني والله انظر الى شؤبوبها قد همع والى عارضها قد لمع وكاني بالوعيد قد اقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلاً مهلاً يا بني هاشم فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور اثناء ازمتها فخذوا حذاركم مني قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك افذا اتكلم ام توأماً فقال لا بل توأماً فقال اتق الله يا امير المؤمنين فيما ولاك وراقبه في رعاياك فقد سهلت والله لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال اخو بني جعفر بن كلاب ∴

ومقام ضيق فرجته ∴ ببيان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل او فياله ∴ زل عن مثل مقامي وزحل

قال فاراد يحيى بن خالد البرمكي ان يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغني انك حقود فقال اصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي فانهما لباقيان في قلبي قال الاصمعي فالتفت الرشيد الي وقال يا اصمعي حررها فوالله ما احتج احد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم امر به فرد الى محبسه ثم التفت الرشيد الي وقال يا اصمعي والله لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مراراً

يمنعني من ذلك ابقايي على قومي في مثله قلت وعبد الملك بن صالح قد ذكرته في ترجمة
ابي عبادة الوليد البحتري ونبهت على تاريخ وفاته وروى يموت بن المزرع ايضا
ان احمد بن محمد بن عبد الله ابا الحسن الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي اللاهي انه
كان اذا مدحه شاعر لم يرض شعره قال للغلام امض به الى المسجد الجامع ولا تفارقه
حتى يصلي ماية ركعة ثم اطلقه فتحاماه الشعرا الا الافراد المجيدين فجاءه ابو عبد الله
الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستاذنه في النشيد فقال له قد
عرفت الشرط قال نعم ثم انشد

اردنا في ابي حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة
وقلنا اكرم الثقلين طرا * ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوايزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي * عيالي انما الشان الزكاة
فيامر لي بكسر الصاد منها * فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه وقال من اين اخذت هذا المعنى فقال من قول ابي تمام الطاي

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حايهن فانهن حمام

فاستحسن ذلك واحسن صلته وكان احمد بن المدبر يتولى الخراج بمصر فحبسه
احمد بن طولون في سنة خمس وستين ومايتين ومات في حبسه في صفر سنة
سبعين ومايتين وقيل بل قتله ابن طولون والله اعلم والمدبر بكسر البا الموحدة
المشددة وحدث ابن المزرع ايضا عن خاله ابي عثمان الجاحظ انه طلب المعتصم
جارية كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور المعروف بالوراق وكانت تسمى نشوى
وكان شديد الغرام بها وبذل في ثمنها سبعة الاف دينار فامتنع محمود من بيعها
لانه كان يهواها ايضا فلما مات محمود اشتريت الجارية للمعتصم من تركته بسبع
ماية دينار فلما دخلت عليه قال لها كيف رايت تركتك حتى اشتريتك من سبعة
الاف بسبع ماية قالت اجل اذا كان الخليفة ينظر لشهواته المواريث فان سبعين دينارا
الكثيرة في ثمني فضلا عن سبعماية فخجل المعتصم من كلامها وقال ابن المزرع حدثني
من راى قبرا بالشام عليه مكتوب لا يغترن احد بالدنيا فاني ابن من كان يطلق
الريح اذا شاء ويحبسها اذا شاء وبجدايه قبر عليه مكتوب كذب الماص بطولمه
لا يظن احد انه ابن سليمان بن داود عليهم السلام انما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق
ثم ينفخ بها الجمر قال فما رايت قبلها قبرين يتشاتمان والله اعلم ولابن المزرع اخبار
ونوادر وحكايات كثيرة ولسنا نقصد الاطالة بل الايجاز حسب الامكان الا ان
ينشر الكلام وكان له ولد يسمى ابا فضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وكان شاعرا

مجيدا

مجيدا ذكره المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فقال في حقه هو من شعرا
هذا الزمان وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث ماية وفيه يقول ابوه يمدحا طبا له

مهلهل قد دخلت سطور هدى * وكانحنى بها الزمن العفوت
وحادت الرجال بكل ربع * فاذعن لي الحثالة والرتوت
فابرح ما احن عليه قلبي * كريم غاله زمن عنوت
كفى حزنا بضيعة ذي قديم * وابناء العبيد لها البخوت
وقد اصبحت عيني بعد غمض * مخافة ان تضيع اذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء * بمثلك ان فنيت وان بقيت
فجب في الارض وابغ بها علوما * ولا يقطعك جايحة سنوت
وان بخل العليم عليك يوما * فذل له وديدنك السكوت
وقل بالعلم كان ابي جوادا * يقال ومن ابوك فقل يموت
تفزلك الاباعد والاعادي * بعلم ليس يجحده البهوت

وكان يموت قد قدم مصر مرارا واخر قدومه اليها في سنة ثلاث وثلاثماية
وخرج في سنة اربع وثلثماية وقال ابو سعيد بن يونس الصدفي المصري في تاريخه
المختص بالغربا قال يموت بن المزرع مات سنة اربع وثلاث ماية بدمشق وقال
ابو سليمان بن زبد في تاريخه انه مات سنة ثلاث وثلاثماية بطبرية والله
اعلم واما ولده المهلهل فان الخطيب ذكره في تاريخ بغداد وقال هو شاعر
مليح الشعر في الغزل وغيره وسكن بغداد وسمع منه وكتب عنه شعره ابو الفضا
ابرهيم بن محمد المعروف بتوزون ثم قال الخطيب اخبرنا التنوخي قال لنا ابو الحسين
احمد بن محمد بن العباس الاخباري حضرت في سنة ست وعشرين وثلثماية
مجلس تحفة القوالة جارية ابي عبد الله بن عمر البازبار والى جانبه عن يمينه
ابو فضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وعن يمينه ابو القاسم بن ابي الحسن البغدادي
فغنت تحفة من وراء الستارة هذه الابيات

لي شغل به عن الشغل عنه * بهواه وان تشاغل عني
ظن بي جفوة فاعرض عني * وبدا منه ما تخوف مني
سره ان اكون فيه حزينا * فسروري اذا تضاعف حزني

فقال لي ابو فضلة هذا الشعر لي فسمعه ابو القاسم وكان ينحرف عن ابي فضلة فقال له
قل له ان كان هذا الشعر له يزيد فيه بيتا فقلت له ذلك على وجه جميل فقال

هو في الحسن فتنة قد اضاءت * فتنتي في هواه من كل فن

ومن المنسوب الى مهلهل ايضا

جلّت محاسنه عن كل تشبيه ؛ وجل عن واصف في الناس يحكيه
انظر الى حسنه واستغن عن صفتي ؛ سبحان خالقه سبحان باديه
النرجس الغض والورد الجني والا ؛ قحوان النضير النضر في فيه
دعى بالحاظه قلبي الى عطبي ؛ فجاءه مسرعا طوعا يلبيه
مثل الفراشة تاتي اذ ترى لهبا ؛ الى السراج فتلقي نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعرا غير هذا فاضربت عن ذكره والمزرع بضم الميم وفتح الزاي
وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة هكذا قاله لى الشيخ الحافظ زكي الدين
ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري رحمه الله تعالى واما حكيم بن
جبلة المذكور في عمود هذا النسب فانه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ويقال ايضا
بضم الحاء وفتح الكاف ويقال جبلة وجبل وكان من اعوان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ولما بويع علي بالخلافة بايعه طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام الاسدي
والزبير بن العوام الاسدي رضي الله عنهما فعزم علي رضي الله عنه على تولية الزبير البصرة
وتولية طلحة اليمن فخرجت مولاة لعلي رضي الله عنه فسمعتهما يقولان ما بايعناه الا
بالسنتنا وما بايعناه بقلوبنا فاخبرت مولاها بذلك فقال ابعدهما الله تعالى ومن
نكث فانما ينكث على نفسه وبعث الى البصرة عثمن بن حنيف الانصاري والى اليمن
عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فاستعمل ابن حنيف الانصاري جبلة المذكور على
شرطته بالبصرة ثم طلحة والزبير لحقا بمكة وبها عايشة رضي الله عنها فاتفقوا وقصدوا
البصرة وفيها ابن حنيف المذكور فاتى حكيم بن جبلة الى ابن حنيف واشار عليه بمنعهم من
دخول البصرة فابى وقال ما ادري ما ارى امير المومنين في ذلك فدخلوا وتلقاهم الناس
فوقفوا في مربد البصرة وتكلموا في قتل عثمن بن عفان رضي الله عنه وبيعة علي رضي الله عنه
فرد عليهم رجل من بني عبد القيس فقاتلوه ونتفوا لحيته ونزل الناس بالمجادلة ثم
اضطربوا فجا حكيم بن جبلة الى ابن حنيف الانصاري فدعاه الى قتالهم فابى ثم اوعد
ابن الزبير الى مدينة الرزق ليرزق اصحابه من الطعام الذي فيها وغدا حكيم بن جبلة
في سبع مائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون من اصحابه وروى ان ابن
جبلة قال لامراته وكانت من الازد لاعملن بقومك اليوم عملا يكونون به حديثا للناس
فقالت له امن قومي اليوم سيضربونك ضربة تكون حديثا للناس فلقيه رجل يقال له
سحيم فضرب عنقه فبقي معلقا بجلده فاستدار راسه فبقي مقبلا بوجهه على دبره و
كان ذلك قبل وصول علي رضي الله عنه بجيوشه اليهم ثم قدم عليهم وتقاتل الجيشان

يوم

يوم الخميس النصف من شهر جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله
بن زياد ثم كانت الوقعة العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر
المذكور وكان اول قدومهم وقتل حكيم بن جبلة المذكور قبل ذلك بايام في هذا الشهر
المذكور وقتل بين الفريقين مقدار سبعة الاف وقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما
في ذلك اليوم بغير قتال ولولا خوف الاطالة لشرحته وقال المامونى في تاريخه وقيل
ان اهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل ان تغرب الشمس وقد كان القتال وقت
ان نسرا مر بما حول المدينة ومعه شي معلق فتامله الناس فوقع فاذا كف فيها خاتم
نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ثم كل من بين مكة والمدينة ممن قرب من
البصرة وبعد وعلموا بالوقعة بما نقلت النسور اليهم من الايدي والاقدام قلت
وذكر كشاجم في كتاب المصايد والمطارد ان العقاب القت كف عبد الرحمن بمكة
وكذلك ذكر في كتاب المهذب في الفقه في باب الصلوة على الميت وذكر ابن الكلبي و
ابو اليقظان في كتابيهما ان العقاب القتها باليمامة والله اعلم بالصواب ابو يعقوب
يوسف بن يحيى المصري البويطي صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه كان واسطة
عقد جماعته واظهرهم نجابة واختص به في حيوته وقام مقامه في الدروس والفتوى بعد
وفاته سمع الاحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي المقدم ذكره ومن الامام
الشافعي رضي الله عنه وروى عنه اسمعيل الترمذي وابرهيم بن اسحق الحربي والقاسم بن
المغيرة الجوهري واحمد بن منصور الرمادي وغيرهم وكان قد حمل في ايام الواثق بالله من مصر
الى بغداد في مدة المحنة واريد على القول بخلق القران الكريم فامتنع من الاجابة الى ذلك
فحبس ببغداد ولم يزل في السجن والقيد حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا قال
الربيع بن سليمن رايت البويطي على بغل وفي عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل و
القيد سلسلة من الحديد فيها طوبة وزنها اربعون رطلا وهو يقول انما خلق الله سبحانه
وتعالى بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقا خلق مخلوقا فوالله لاموتن في حديدي حتى
ياتي من بعدي قوم يعلمون انه قد مات في هذا الشان قوم في حديدهم ولئن ادخلت عليه
لاصدقنه يعني الواثق وقال ابو عمر عبد البر الحافظ في كتاب الانتقا في فضايل الثلثة
الفقها ان ابن ابي الليث الحنفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه فاخرجه في وقت المحنة
في القران العظيم فيمن اخرج من مصر الى بغداد ولم يخرج من اصحاب الشافعي غيره وحمل
الى بغداد وحبس ومات في السجن وقال الشيخ ابو اسحق الشيرازي في كتاب طبقات
الفقها كان ابو يعقوب البويطي اذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس
ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان اين تريد فيقول اجيب داعي الله فيقول

ارجع عافاك الله فيقول ابو يعقوب اللهم انك تعلم انى قد اجبت داعيك فيصرف وقال
ابو الوليد بن الجارود وكان البويطى جارى فما كنت انتبه ساعة من الليل الا سمعته
يقرا او يصلى وقال الربيع كان ابو يعقوب ابدا يحرك شفتيه بذكر الله تعالى وقال
ما رايت احدا انزع بحجة من كتاب الله تعالى من ابى يعقوب البويطى وقال الربيع
ايضا كان لابى يعقوب منزلة من الشافعى رضى الله عنه وكان الرجل ربما يسال عن
المسئلة فيقول له سل ابا يعقوب فاذا اجابه اخبره فيقول هو كما قال ويقول هذا
لسانى وقال الخطيب البغدادى فى تاريخه لما مرض الشافعى مرضه الذى مات فيه جاء
محمد بن عبد الحكم ينازع البويطى فى مجلس الشافعى فقال البويطى انا احق به منك و
قال ابن عبد الحكم انا احق بمجلسه منك فجاء ابو بكر الحميدى وكان تلك الايام بمصر فقال
قال الشافعى ليس احد احق بمجلسى من يوسف بن يحيى وليس احد من اصحابى اعلم منه
فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدى كذبت انت وكذب ابوك وكذبت امك وغضب
ابن عبد الحكم فترك مجلس الشافعى وتقدم فجلس فى الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعى
ومجلسه وجلس البويطى فى مجلس الشافعى فى الطاق الذى كان يجلس فيه وقال ابو العباس
محمد بن يعقوب الاصم رايت ابى فى المنام فقال له يا بنى عليك بكتاب البويطى فليس فى
الكتب اقل خطا منه وقال الربيع بن سليمان كنت عند الشافعى انا والمزنى وابو يعقوب
البويطى فنظر الينا فقال لى انت تموت فى الحديث وقال للمزنى هذا لو ناظره الشيطان
قطعه او جدله وقال للبويطى انت تموت فى الحديد فقال الربيع فدخلت على البويطى ايام
المحنة فرايته مقيدا الى انصاف ساقيه مغلولة يداه الى عنقه وقال الربيع كتب الى
ابو يعقوب من السجن انه لياتى على اوقات لا احس بالحديد انه على يدى حتى تمسه
يدى فاذا قرات كتابى هذا فاحسن خلقك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا
ما كنت اسمع الشافعى رضى الله عنه يتمثل بهذا البيت ∴ ∴ ∴

اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ∴ ولن يكرم النفس التى لا يهينها

واخباره كثيرة وتوفى يوم الجمعة قبل الصلوة فى رجب سنة احدى وثلثين ومايتين
فى القيد والسجن ببغداد وقيل انه توفى سنة اثنين وثلثين والاول اصح رحمه الله
تعالى وقال ابن الفرات فى تاريخه توفى يوم الثلثا فى رجب والله اعلم والبويطى بضم الباء
الموحده وفتح الواو وسكون الياء المثناه من تحتها وبعدها طاء مهمله هذه النسبة الى
وهى قرية من الصعيد الادنى من ديار مصر ويوسف فيه ست لغات ضم السين وفتحها
وكسرها مع الواو وضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض الواو فالمجموع ست لغات
والباء فى اوله مضمومه فى اللغات الست وسياتى نظيره فى يونس والله اعلم بالصواب

ابو القاسم

ابو القاسم يوسف بن احمد بن يوسف بن كج الكجى الدينورى كان احد ايمة الشافعيه
صحب ابا الحسين بن القطان وحضر مجلس ابى القاسم عبد العزيز الداركى وجمع بين
رياسة العلم والدنيا وارتحل اليه الناس من الافاق للاشتغال عليه بالدينور
رغبة فى علمه وجودة نظره وله وجه فى مذهب الشافعى رضى الله عنه وصنف كتبا كثيرة
انتفع بها الفقها قال ابو سعد السمعانى لما انصرف ابو على الحسين بن شعيب السنجى
من عند الشيخ ابى حامد الاسفراينى اجتاز به فراى علمه وفضله فقال له يا استاد
الاسم لابى حامد والعلم لك فقال ذاك رفعته بغداد وحطتنى الدينور وولى القضا
ببلاده وكانت له نعمة كثيرة وقتله العيارون بالدينور فى ليلة السابع والعشرين
من شهر رمضان سنة خمس واربع مائة رحمه الله تعالى وكج بكاف مفتوحه وجيم
مشدده وقد تقدم الكلام على الدينورى فاغنى عن الاعادة والكجى نسبة الى جده المذكور
والله اعلم ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى
امام عصره فى الحديث والاثر وما يتعلق بهما روى بقرطبة عن ابى القسم خلف بن
القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر وابى محمد بن عبد المومن و
ابى عمر الباجى وابى عمر الطلمنكى وابى الوليد بن الفرضى وغيرهم وكتب اليه من اهل
المشرق ابو القسم السقطى المكى وعبد الغنى بن سعيد الحافظ وابو ذر الهروى وابو
محمد بن النحاس المصرى وغيرهم قال القاضى ابو على بن سكره سمعت شيخنا القاضى
ابا الوليد الباجى يقول لم يكن بالاندلس مثل ابى عمر بن عبد البر فى الحديث وقال
الباجى ايضا ابو عمر احفظ اهل المغرب وقال ابو على الحسين بن احمد بن محمد الغسانى
الاندلسى الجيانى المقدم ذكره ابن عبد البر شيخنا من اهل قرطبة بها طلب وتفقه
ولزم ابا عمر احمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الاشبيلى وكتب بين يديه ولزم
ابا الوليد بن الفرضى الحافظ وعنه اخذ كثيرا من علم الحديث ودأب فى طلب العلم
وافتن فيه وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الاندلس والف فى الموطا كتبا
مفيده منها كتاب التمهيد لما فى الموطا من المعانى والاسانيد ورتبه على اسما شيوخ
مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه احد الى مثله وهو سبعون جزءا وقال
ابو محمد بن حزم لا اعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله فكيف احسن منه ثم صنع كتاب
الاستذكار لمذاهب علماء الامصار فيما تضمنه الموطا من معانى الراى والاثار وكتاب
شرح فيه الموطا على وجهه ونسق ابوابه وجمع فى اسماء الصحابة رضى الله عنهم اجمعين
كتابا جليلا مفيدا سماه كتاب الاستيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما
ينبغى فى روايته وحمله وله كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير وكتاب العقل

والعقلا وما جاء في اوصافهم وله كتاب صغير في قبايل العرب وانسابهم وغير ذلك
من تواليفه وكان موفقا في التاليف معانا عليه ونفع الله به وكان مع تقدمه
في علم الاثر وبصره في الفقه ومعاني الحديث له بسطة كثيرة في علم النسب وفارق
قرطبه وجال في غرب الاندلس مدة ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن دانيه
من بلادها وبلنسيه وشاطبه في اوقات مختلفه وتولى قضا الاشبونه و
وشنترين في ايام ملكها المظفر بن الافطس وصنف كتاب بهجة المجالس وانس
المجالس في ثلثه اسفار جمع فيه اشيا مستحسنة للمذاكره والمحاضره ومن ذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم راى في منامه انه دخل الجنه وراى فيها عذقا مدلا فاعجبه
وقال لمن هذا فقيل لابي جهل فشق ذلك عليه وقال ما لابي جهل والجنه والله لا
يدخلها ابدا فانها لا يدخلها الا نفس مومنه فلما اتاه عكرمه بن ابي جهل مسلما فرح
به وقام اليه وتاول ذلك العذق عكرمه ابنه ومنه انه قيل لجعفر بن محمد الصادق
كم تتاخر الرويا فقال راى النبي صلى الله عليه وسلم كان كلبا ابقع يلغ في دمه فكان
شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين رضي الله عنه وكان ابرص فكان تاخير الرويا
بعد خمسين سنة ومن ذلك ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رويا فقصها
على ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا ابا بكر رايت كاني وانت نرقا درجه
فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال يا رسول الله يقبضك الله تعالى الى رحمته و
مغفرته واعيش بعدك سنتين ونصفا ومن ذلك ان بعض اهل الشام قال لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه رايت كان الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق
من النجوم قال مع ايهما كنت قال مع القمر قال مع الاية الممحوة لا تعمل لي عملا ابدا
فعزله وقتل مع معويه بن ابي سفيان وقالت عايشه رضي الله عنها رايت كان ثلثه
اقمار سقطوا في حجري فقال لها ابوها الصديق رضي الله عنه ان صدقت روياك
دفن في بيتك ثلثه من خير اهل الارض فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها
قال لها ابوها ابو بكر هذا احد اقمارك وهو خيرها ومنه ايضا ان اعرابيا وقيل هو
الحطيبه الشاعر المشهور اراد سفرا فقال لامراته ؛ ؛ ؛

عدي السنين لغيبتي وتصبري ؛ وذري الشهور فانهن قصار

فاجابته

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا ؛ وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك سفره وقال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حيان من افخر الشعر
فقلت اختلف في ذلك فقال افخر الشعر وضاح اليمن حيث يقول ؛

اذا

اذا قلت هاتي نوليني تبسمت ؛ وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت عندها ؛ واعلمتها ما رخص الله في اللمم

ومنه ايضا قيل لاسلم بن زرعه ان انهزمت من اصحاب مرداس غضب عليك
الامير عبيد الله بن زياد فقال لان يغضب علي وانا حي خير من ان يرضى وانا
ميت ومنه ايضا سب اعرابي اعرابيا فسكت فقيل له لم سكت عنه فقال ليس
لي علم بمساويه وكرهت ان ابهته بما ليس فيه ؛ ؛ ؛

ثالبني عمرو وثالبته قد ؛ اثم المثلوب والثالب
قلت له خيرا وقال الخنا ؛ كل على صاحبه كاذب

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا قال فيك ما لا يعلم من الخير اوشك
ان يقول فيك ما لا يعلم من الشر ومنه ايضا ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقال والله كان افضل من ان يخدع واعقل من ان يخادع ومنه ايضا روي
انه لما اهبط الله تعالى ادم عليه السلام الى الارض اتاه جبريل عليه السلام فقال
يا ادم ان الله عز وجل قد خيرك ثلث خصال لتختار منهن واحده وتتخلى عن اثنتين
فقال وما هن قال الحيا والدين والعقل فقال ادم اني قد اخترت العقل فقال جبريل
عليه السلام للحيا والدين ارتفعا فقد اختار العقل قالا لا نرتفع قال ولم اعصيتما
قالا لا ولكن امرنا الا نفارق العقل حيث كان وقال عبد الملك بن عبد الحميد ابياتا

الماء في دار عثمن له ثمن ؛ والخبز فيها له شان من الشان
عثمن يعلم ان الحمد ذو ثمن ؛ لكنه يشتهي حمدا بمجان
والناس اكيس من ان يحمدوا احدا ؛ حتى يروا عنده اثار احسان

ومن كتاب بهجة المجالس ايضا قال الرياشي خرج الناس بالبصره ينظرون هلال
شهر رمضان فراه رجل واحد منهم ولم يزل يومي اليه حتى راه معه غيره وعاينوه
فلما كان هلال الفطر جا الجماز صاحب النوادر الى ذلك الرجل فدق عليه الباب وقال
له قم اخرجنا مما ادخلتنا قلت وهذا الجماز هو ابو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد
بن عطا بن ربان مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو ابن اخت سليم الخاسر قال
السمعاني في حقه كان خبيث اللسان حسن النادره وكان اكبر من ابي نواس وقيل
في نسبه غير ذلك والجماز لقبه وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الالف زاي
فمن نوادره انه قال اصبحت في يوم مطير فقالت لي امراتي اي شي يطيب في هذا اليوم
فقلت لها الطلاق فسكتت عني ودخل عليه يوما بعض اخوانه وقد طبخ رعوف الطعام
فقال الداخل لا اله الا الله ما اعجب الرزق فقال الجماز الحرمان والله اعجب منه امرانه

طالق ان دققه وقال الهروي ولدت امراتي البارحة ولدا كانه دينار منقوش فقال
له الحاذ لا عن امه وللحجاز ايضا شعر ذكره في كتاب الورقة فمن ذلك ما كتبه الى صاحب
له كان يلازمه في الجامع ثم انقطع عنه ❊ ❊ ❊ ❊

هجرت المسجد الجامع والهجر لريبه ❊ فلا نافلة تاتي ولا تشهد مكتوبه

❊ واخبارك تاتينا على الاعلام منصوبة ❊

❊ فان زدت من الغيبة زدناك من الغيبة ❊

ومنه ايضا قال اردشير احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع واعلموا ان
الكرام اصبر نفوسا واللئام اصبر اجساما قلت هذه الكلمة نقلتها من بهجة المجالس
وفيه كفاية فلا حاجة الى الاطالة وتوفي الحافظ ابو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم
من شهر ربيع الآخر سنة ثلث وستين واربع ماية بمدينة شاطبة من شرق
الاندلس وقال صاحبه ابو الحسن طاهر بن مفوز المعافري وهو الذي صلى عليه سمعت
ابا عمر بن عبد البر يقول ولدت يوم الجمعة والامام يخاطب لخمس بقين من شهر
ربيع الآخر سنه ثمان وستين وثلثماية رحمه الله تعالى وقد تقدم في ترجمة الخطيب
ابي بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ انه كان حافظ الشرق وابن عبد البر
حافظ الغرب وماتا في سنة واحدة وهما امامان في هذا الفن والنمري بفتح النون
والميم وبعدها راء هذه النسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون وكسر الميم وانما تفتح
الميم في النسبة خاصة وهي قبيلة كبيرة مشهورة وقد تقدم الكلام على القرطبي و
شاطبة فاغنى عن الاعادة وذكر ابو عمر المذكور ان والده ابا محمد عبد الله بن
محمد بن عبد البر توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثماية ومولده سنة
ثلثين وثلثماية رحمه الله تعالى وكان ولده ابو محمد عبد الله بن يوسف من اهل
الادب البارع والبلاغة وله رسايل وشعر فمن شعره قوله ❊ ❊ ❊ ❊

لا تكثرن تاملا ❊ واحبس عليك عنان طرفك

فلربما ارسلته ❊ فرماك في ميدان حتفك

قيل انه مات في سنه ثمان وخمسين واربع والله اعلم بالصواب رحمهم الله اجمعين
ابو محمد يوسف بن ابي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي النحوي
اللغوي الاخباري الفاضل بن الفاضل قد تقدم ذكر ابيه الحسن في حرف الحا وكان
ابو محمد المذكور عالما بالنحو وتصدر في مجلس ابيه في التاريخ المذكور في ترجمته وخلفه
على ما كان عليه وقد كان يفيد الطلبة في حيوة ابيه واكمل كتاب ابيه الذي سماه
الاقناع وهو كتاب جليل نافع في بابه فان اباه كان قد شرح كتاب سيبويه كما تقدم في

ترجمته

ترجمته وظهر له بالاطلاع والبحث في حال التصنيف ما لم يظهر لغيره ممن يعاني هذا الفن
وصنف بعد ذلك الاقناع فكان ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ومات قبل
اتمامه فكمله ولده يوسف المذكور عليه واذا تامله المنصف لم يجد بين اللفظين و
الفصلين تفاوتا كثيرا ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب في شرح ابيات استشهادات
كتب مشهورة مثل شرح كتاب سيبويه وهو الغاية في بابه وبسطه وشرح ابيات اصلاح
المنطق واجاد فيه وشرح ابيات المجاز لابي عبيدة وشرح معاني الزجاج وشرح ابيات
غريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام الى غير ذلك وكانت كتب اللغة تقرا عليه
مرة رواية ومرة دراية وقرى عليه كتاب البارع للمفضل بن سلمة وهو كتاب كبير في عدة
مجلدات هذب به كتاب العين في اللغة المنسوب الى الخليل بن احمد المقدم ذكره واضاف
اليه من اللغة طرفا صالحا ونقل من ظهر نسخة كتاب اصلاح المنطق قال ابو العلا المعري
حدثني عبد السلام البصري خازن دار العلم ببغداد وكان صديقا صدوقا قال كنت في
مجلس ابي سعيد السيرافي وبعض اصحابه يقرا عليه اصلاح المنطق لابن السكيت فمضى
بيت حميد بن ثور ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ومطوية الاقراب اما نهارها ❊ فسبت واما ليلها فذميل

فقال ابو سعيد ومطوية اصلحه بالخفض ثم التفت الينا فقال هذه واو رب فقلت
اطال الله بقاء القاضي ان قبله ما يدل على الرفع فقال وما هو فقلت ❊ ❊

اتاك بي الله الذي انزل الهدى ❊ ونور واسلام عليك دليل

ومطوية الاقراب فعاد واصلحه وكان ابنه ابو محمد حاضرا فتغير وجهه لذلك ونهض
لساعته ووقته والغضب يستطير في شمايله الى دكانه وكان سمانا فباعها واشتغل
بالعلم الى ان برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح ابيات اصلاح المنطق قال ابو العلا وحدثني
من رآه وبين يديه اربعماية ديوان وهو يعمل هذا الكتاب فلم يزل امره على سداد و
اشتغال وافادة الى ان توفي ليلة الاربعا لثلث بقين من شهر ربيع الاول سنة خمس
وثمانين وثلثماية وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ودفن من الغد وصلى عليه ابو بكر محمد
بن موسى الخوارزمي ذكر ذلك هلال ابن المحسن الصابي الكاتب في تاريخه وقال غيره مولده
في سنة ثلثين وثلثماية وتوفي يوم الاثنين لثلث بقين من الشهر المذكور والله
اعلم رحمه الله تعالى وكان دينا صالحا ورعا متقشفا وكان بينه وبين ابي طالب احمد
بن ابي بكر العبدي النحوي المقدم ذكره مباحث ومناظرات منقولة بين الناس و
ليس هذا موضع ذكرها وقد تقدم الكلام في ترجمة ابيه على السيرافي فلا حاجة الى اعادته
وقال ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك سيراف فرضة عظيمة لفارس وهي مدينة

جليلة وابنيتها بساج متصل الى جبل يطل على البحر وليس بها ماء ولا زرع ولا ضرع وهي
من اعنى بلاد فارس بالقرب من حمايه وبحرهم والله اعلم ومن سيراف ينتهي الانسان على
ساحل البحر الى حصن ابن عماره وهو حصن منيع على البحر وليس بجميع فارس حصن
امنع منه ويقال ان صاحبه هو الذي قال الله تعالى فيه وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا وقال ابن حوقل كان اسم هذا الملك المذكور الجلندي بضم الجيم
واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها الف واليه اشار بعضهم يخاطب
بعض الظلمة كان الجلندي ظالما وانت منه اظلم وقيل غير ذلك والله اعلم بالصواب
ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن خرزاد النجيرمي اللغوي البصري نزيل مصر وهو
من اهل بيت فيه جماعة من الفضلاء والادباء ما منهم الا من هو ماهر في اللغة كامل
الادب متقن لها روى ابو يعقوب المذكور عن ابي يحيى بن زكريا بن يحيى بن خلاد
الساجي وطبقته وروى عنه ابو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره وكان يوسف
امثل اهل بيته وله خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية التحرير ولذلك خطوط
جماعة قريبة منه ولاهل مصر رغبة وتنافس كثير في خطه حتى بلغت نسخة من ديوان
جرير بخطه عشرة دنانير واكثر ما يروى الكتب القديمة في اللغة والاشعار العربية
وايام العرب في الديار المصرية من طريقه فانه كان رواية لها عارفا بها وكان اهل بيته
يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب وكان ابو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعدي
النحوي المصري قد اخذ اللغة عن اصحاب ابي يعقوب المذكور وادرك ابا يعقوب ولم
ياخذ عنه لانه راه وهو صبي قال الموفق ابو الحجاج يوسف بن الخلال المصري كاتب
الانشا الاتي ذكره ان شاء الله تعالى قال لي ابن بركات رايت ابا يعقوب وهو ماش
في طريق القرافة وهو شيخ اسمر اللون كث اللحية مدور العمامة وبيده كتاب وهو يطالع
فيه في مشيته وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر فان الحافظ ابا اسحق ابرهيم بن
سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكر في كتاب الوفيات الذي جمعه فقال توفي
ابو يعقوب بن خرزاد النجيرمي يوم الثلثا رابع المحرم سنة ثلث وعشرين واربع مائة وقال
غيره ولد ابو يعقوب يوسف النجيرمي يوم عرفة من سنة خمس واربعين وثلثمائة رحمه الله
تعالى وابن بركات المذكور ولد بمصر في سنة عشرين وخمسماية وكان نحوي مصر هكذا
قاله الموفق بن الخلال المذكور فكيف يمكن ان يرى ابا يعقوب وقد كان ابن بركات في تاريخ
وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره لكن لعله راى ولده والله اعلم وقال القاضي
الفاضل ليس في شعر ابن بركات المذكور احسن من هذين البيتين وعملهما في مسافر العطار

يا عنق الابريق من فضة ∴ ويا قوام الغصن الرطب

هبك

هبك تجافيت فاقصيتني ∴ تقدر ان تخرج من قلبي

وكان ابن بركات قد اخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي المقدم ذكره في حرف الطاء
وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان واثنى عليه وخرزاد بضم الخاء
المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الالف ذال معجمة قلت هكذا يضبط
اهل الحديث هذا الاسم وهو لفظ عجمي وتفسير زاد بالعربي ابن واما خر
فليس له معنى الا ان يكون اهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك فيكون
اصله خار بالالف وهو الشوك فيكون خارزاد معناه ابن الشوك وخرشيد ايضا
الشمس فان كانوا ارادوا هذا او حذفوا شيد فيحمل على الجملة فانهم يتلاعبون با
لاسماء العجمية والله اعلم ثم وجدت في كتاب البلدان تاليف البلاذري في الفصل
المتضمن حديث بلاد فارس واعمالها ارض اردشير خره ثم قال ومعنى اردشير بها
واردشير بن بابك بن ساسان اول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى
هذا يكون خرزاد بها ولد كما هو عادتهم في التقديم والتاخير وتقدير الكلام ولد
بها اي بالناحيه او غير ذلك والله اعلم والنجيرمي بفتح النون وكسر الجيم وسكون
الياء المثناه من تحتها وفتح الراء وفي اخرها ميم هذه النسبة الى نجيرم ويقال نجارم
قال ابو سعيد السمعاني في كتاب الانساب هي محلة بالبصرة وقال غيره هي قرية في بحر
البصرة في طريق فارس عند سيراف والله اعلم بالصواب وكذا هي في كتب المسالك
والممالك وهي على بحر فارس وظاهر الحال ان جماعة من اهلها دخلوا البصرة و
سكنوا هذه المحلة فسميت باسم بلدهم والله اعلم ابو يعقوب يوسف بن ايوب
بن يوسف بن الحسين بن وهره بن يعقوب الهمذاني الفقيه العالم الزاهد العامل
الرباني صاحب المقامات والكرامات قدم في صباه الى بغداد بعد الستين واربعمائة
ولازم الشيخ ابا اسحق الشيرازي المقدم ذكره وتفقه عليه حتى برع في اصول
الفقه والمذهب والخلاف وسمع الحديث من القاضي ابي الحسين محمد بن علي
بن المهتدي بالله وابي الغنايم عبد الصمد بن علي بن المامون وابي جعفر محمد بن احمد
بن المسلمة وطبقتهم وسمع باصبهان وسمرقند وكتب اكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك
ورفضه واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علما من اعلام
الدين يهتدي به الخلق الى الله تعالى وقد تقدم بغداد في سنة خمس عشرة
وخمسمائة وحدث بها وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها
قبولا عظيما من الناس قال ابو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح حضرت
مجلس شيخنا يوسف الهمذاني في النظامية وقد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقا وا

ه وسأله عن مسألة فقال له الامام يوسف اجلس فانى اجد من كلامك رايحة
الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام قال ابو الفضل فاتفق انه بعد ذلك بمدة
قدم رسول نصرانى من ملك الروم الى الخليفه فمضى اليه ابن السقا وساله ان
يستصحبه وقال له يقع لى ان اترك دين الاسلام وادخل فى دينكم فقبله النصرانى
وخرج معه الى القسطنطنيه والتحق بملك الروم وتنصر ومات على النصرانيه
قال الحافظ ابو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد
فى ترجمة يوسف الهمدانى المذكور سمعت ابا الكرم عبد السلام بن احمد المقرى
يقول كان ابن السقا قاريا للقران الكريم مجودا فى تلاوته حدثنى من راه بالقسطنطنيه
ملقى على دكة مريضا وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه فسالته
هل القران باق على حفظك فقال ما اذكر منه الا ايه واحدة ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين والباقى نسيته نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته
وحلول نقمته ونساله الثبات على دين الاسلام امين امين امين قال ابو
سعيد بن السمعانى يوسف بن ايوب الهمدانى من اهل بوزنجرد قرية من قرى
همدان مما يلى الرى الامام الورع التقى الناسك العامل بعلمه والقايم بحقه صاحب
الاحوال والمقامات الجليله واليه انتهت تربية المريدين الصادقين واجتمع برباطه بمرو
جماعة من المنقطعين الى الله تعالى ما لا يتصور ان يكون فى غيره من الربط مثلهم
وكان من صغره الى كبره على طريقة مرضيه وسداد واستقامة خرج من قريته الى بغداد
وقصد الامام ابا اسحق الشيرازى وتفقه عليه ولازم ملازمة مقامه ببغداد حتى برع
فى الفقه وفاق اقرانه خصوصا فى علم النظر وكان الشيرازى يقدمه على جماعة كثيرة من
اصحابه مع صغر سنه لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه ثم ترك كلما كان
فيه من المناظرة وخلا بنفسه واشتغل بما هو الاهم من عبادة ربه تعالى ودعوة الخلق
اليها وارشاد الاصحاب الى الصراط المستقيم نزل مرو وسكنها وخرج الى هراه واقام
بها مدة ثم سيل الرجوع الى مرو فى اخر عمره فخرج منها متوجها الى مرو فادركته منيته
بباميين بين هراه وبغشور فى شهر ربيع الاول سنة خمس وثلثين وخمسماية ودفن ثم
نقل بعد ذلك الى مرو وكان مولده تقديرا لا تحقيقا فى سنة اربعين او احدى و
اربعين واربعماية ببوزنجرد رحمه الله تعالى قلت هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار
المذكور مقتضبا وفيه الفاظ تحتاج الى ايضاح اما وهره فهو بفتح الهاء والواو والراء
وفى اخره هاء ثانيه وهو اسم جده المذكور ولا اعرف معناه بالعربى والقسطنطنيه
بضم القاف وسكون السين المهمله وفتح الطاء المهمله وسكون النون وكسر الطاء الثانيه

وسكون

وسكون الياء المثناه من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانيه وفى اخرها هاء ساكنه
وهى اعظم مداين الروم بناها قسطنطين ملك الروم وهو اول من تنصر من ملوك
الروم فنسبت المدينه اليه واما بوزنجرد فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو
وفتح الزاى والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهمله وهى قرية من قرى
همدان على مرحلة منها مما يلى ساوه كذا قاله ابو سعيد السمعانى فى كتاب الانساب
واما مرو فقد تقدم الكلام عليها واما باميين بالباء الموحدة وبعد الالف ميم مفتوحة
ثم ياء مثناه من تحتها مكسوره وبعدها ياء ثانيه ساكنه ثم نون فهى بليدة بخراسان
كما ذكرنا وهراه قد تقدم الكلام عليها وانها احدى كراسى خراسان فانها اربعة
نيسابور وهراة ومرو وبلخ وبغشور بضم الباء الموحدة وسكون الغين المعجمه وضم الشين
المعجمه وبعد الواو الساكنه راء وهى بليدة بخراسان ايضا بين مرو وهراة وقد تقدم فى
ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوى انه منسوب اليها والله اعلم
ابو الحجاج يوسف بن سليمن بن عيسى النحوى المعروف بالاعلم من اهل شنتمرية الغرب
رحل الى قرطبه فى سنة ثلث وثلثين واربع ماية واقام بها مدة واخذ عن ابى القاسم
ابرهيم بن محمد بن زكريا الافليلى وابى سهل الحرانى وابى مسلم بن احمد الاديب وكان
عالما بالعربيه واللغة ومعانى الاشعار حافظا لجميعها كثير العناية بها حسن الضبط
لها مشهورا بمعرفتها واتقانها اخذ الناس عنه كثيرا وكانت الرحلة فى وقته اليه
وقد اخذ عنه ابو على الحسين بن محمد الغسانى الجيانى المقدم ذكره وغيره وكف بصره
شرح كتاب الجمل فى كتاب مفرد وساعد بحفظ ابن الافليلى المذكور على شرح ديوان المتنبى
وغالب ظنى انه شرح الحماسه للشنتمرى فى خمس مجلدات وقد غاب عنى الان من كان
مصنفه والظنه هو والله اعلم وقد اجاد فيه وتوفى سنة ست وسبعين واربعماية رحمه الله
تعالى باشبيلية من جزيرة الاندلس وكانت ولادته فى سنة عشر واربعماية رحمه الله تعالى
وذكر ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى الاشبيلى خطيب جامعها قال مات ابو
عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوال سنة ست وسبعين واربع ماية
فسرت الى الشيخ الاستاذ ابى الحجاج الاعلم فاعلمته بوفاته فانهما كانا كالاخوين محبة وودا
فلما اعلمته انتحب وبكى بكاء كثيرا واسترجع ثم قال لا اعيش بعده الا اشهرا فكان
كذلك ورايت بخط الرجل الصالح العالم محمد بن حسن المقرى الاندلسى رحمه الله تعالى
ان ابا الحجاج المذكور انما قيل له الاعلم لانه كان مشقوق الشفة العليا شقا فاحشا قلت
ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له اعلم والفعل الماضى منه علم بكسر اللام يعلم بفتحها
علما بفتحها ايضا والمراة علماء اذا كانت كذلك فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال له افلح

بالفا والحا المهملة والفعل منه كما تقدم في الاعلم يقال فلح بكسر اللام يفلح فلحًا بفتحهما فيهما
وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعاهات كلها ان يكون عين الفعل الماضي
مكسورة وفي المضارع والمصدر مفتوحة يقال خوس يخوس خوسًا وبرص يبرص برصًا
وعمي يعمى عمًا وكذلك اعلم وافلح وكان ابو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري
رضي الله عنه اعلم فلما اسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم دعني انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبًا ابدًا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعه فعسى ان يقوم مقامًا تحمده وكان سهيل من الخطباء الفصحاء البلغا
وهو الذي جاء في صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ثم انه اسلم وحسن اسلامه والمقام
الذي وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل هو انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف وقام سهيل خطيبًا
وسكن الناس ومنعهم من الاختلاف وكان هذا هو المقام المحمود وقول عمر رضي الله عنه
دعني انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبًا ابدًا وانما قال ذلك لانه اذا كان مشقوق
الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام الا بمشقة وكلفة وهذا الذي
فعل عمر رضي الله عنه وكان عنترة بن شداد العبسي الفارس المشهور افلح فكان
يقال له الفلحا لفلحة كانت به وانما ذهبوا به الى تانيث الشفة والله اعلم وسنتمر
يه بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التا المثناة من فوقها والميم وكسر الرا و
بعدها يا مشددة مثناة من تحتها وبعدها ها ساكنة وهي مدينة بالاندلس في غربها
والحديبية بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها يا ساكنة مثناة من تحتها
وهو موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ويروى بتشديد اليا الاخيرة
ايضا والله اعلم وبه التوفيق ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن
عتاب الاسدي القاضي حلب المعروف ابن شداد الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعي توفي
ابوه وهو صغير السن فنشا عند اخواله بني شداد فنسب اليهم وكان شداد جده
لامه وكان يكنى اولا ابا العز ثم غير كنيته وجعلها ابا المحاسن كما ذكرته ولد بالموصل
ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلثين وخمسمائة وحفظ بها القران الكريم
في صغره ثم قدم الشيخ ابو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقدم ذكره الى الموصل فلا
زمه وقرا عليه بالطرق السبع واتقن عليه القراات قال ابو المحاسن المذكور في بعض
تواليفه اول من اخذت عليه شيخي الحافظ ضياء الدين ابو بكر يحيى بن سعدون بن
تمام بن محمد الازدي القرطبي رحمه الله تعالى فاني لازمته بالقراة عليه احدى عشرة
سنة وقرات عليه معظم ما رواه من كتب القراة وقراة القران العظيم ورواية الحديث

وشرحه

وشرحه والتفسير حتى كتب لي خطه شهد لي بانه ما قرا احد عليه اكثر مما قرات و
عندي خطه بجميع ما قرات عليه في قريب من كراسين وفهرست ما رواه جميعه عندي
وانا ارويه عنه وبما يشتمل عليه فهرست البخاري ومسلم من عدة طرق وغالب كتب
الحديث وغالب كتب الادب وغيره واخر روايتي عنه شرح الغريب لابي عبيد القاسم
بن سلام قرايته عليه في مجالس اخرها في العشر الاخر من شعبان سنة سبع وستين و
خمسمائة قلت وهي السنة التي مات فيها الشيخ القرطبي حسبما ذكرته في ترجمته ثم قال
ومنهم الشيخ ابو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي سمعت
عليه بعض تفسير الثعلبي واجازني ان اروي عنه جميع ما رواه على اختلاف انواع
الروايات وكتب لي خطه بذلك في فهرست سماعي مؤرخا بخامس جمادى الاولى
سنة ست وستين وخمسمائة وكان مشهورًا بعلمي الحديث والفقه وولي قضاء البصرة
ودرس بالاتابكية القديمة ومنهم الشيخ مجد الدين ابو الفضل عبد الله بن احمد بن
محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من
الافاق وعاش نيفًا وسبعين سنة قلت كانت ولادة ابي الفضل بن الطوسي الخطيب
المذكور في منتصف صفر سنة سبع وثمانين واربعمائة ببغداد بباب المراتب وتوفي
في ليلة الثلثا رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن
بمقبرة باب الميدان رحمه الله تعالى رجعنا الى تتمة كلام ابي المحاسن بن شداد وسمعت
عليه يعني الخطيب المذكور كثيرًا من مسموعاته واجازني جميع ما رواه في سادس رجب
سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ومنهم القاضي فخر الدين ابو الرضا سعيد بن عبد الله
بن القاسم الشهرزوري سمعت عليه مسند الشافعي رضي الله عنه ومسند ابي عوانه
ومسند ابي يعلى الموصلي وسنن ابي داود وكتب لي خطه بذلك وهو في فهرستي
وسمعت عليه الجامع لابي عيسى الترمذي واجازني رواية ما رواه وكتب لي خطه بذلك
في شوال سنة سبع وستين وخمسمائة ومنهم الحافظ مجد الدين ابو محمد عبد الله
بن علي الاشيري الصنهاجي اجازني جميع ما يرويه على اختلاف انواعه في فهرستي
خطه بذلك قلت توفي ابو محمد عبد الله الاشيري المذكور في شوال سنة احدى و
ستين وخمسمائة بالشام ودفن ببعلبك ظاهر باب حمص شمالي البلد رحمه الله تعالى
ومنهم الحافظ سراج الدين ابو بكر محمد بن علي الجياني قرات عليه صحيح مسلم من اوله الى
اخره بالموصل والوسيط للواحدي واجازني رواية ما يرويه في تاريخ سنة تسع وخمسين
وخمسمائة فهذا الذي حضرني في خاطري وقد سمعت من جماعة لم يحضرني روايتهم
عند جمع هذا الباب كشهدة الكاتبة في بغداد وابي المغيث في الحريم والشيخ رضي الدين

القزويني المدرس بالنظامية وجماعة شذت عنى اسماؤهم فلم اذكرهم اذ كان فى هؤلاء غنية وهذا
اخر ما ذكره عن نفسه وقال غيره انه قرا الفقه على ابى البركات عبد الله بن الشيرجي المذكور
فقيه الموصل وكان عالما زاهدا متقشفا وتوفى فى جمادى الاولى سنة اربع وسبعين
وخمسماية بالموصل ودفن بظاهرها ثم اشتغل بالخلاف على الصاين ابى حازم صاحب محمد
بن يحيى الشهيد النيسابوري ثم باحث فى الخلاف متفننى اصحابه كالفخر النوقاني والبرى
والعماد النوقاني والسيف الحوارى والعماد الميانجى ثم انحدر الى بغداد وبعد الاشتغال
التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب بها معيدا بعيد وصوله اليها واقام معيدا نحو
اربع سنين والمدرس بها يومئذ ابو نصر احمد بن عبد الله بن محمد الشاشي وكان [illegible]
ابن الشاشي المذكور التدريس بالنظامية فى شهر ربيع الاخر سنة ست وستين وخمسماية
وعزل عنها فى سلخ رجب سنة سبع وستين وتوفى بعده رضي الدين ابو احمد بن اسمعيل
القزويني فى التاريخ المذكور وابو المحاسن المذكور مستمر بها على الاعادة وكان رفيقه
فى الاعادة الشديد محمد السلماسى وقد تقدم ذكره ثم اصعد الى الموصل فى سنة تسع وستين
فرتب مدرسا فى المدرسة التى انشاها القاضى كمال الدين ابو الفضل محمد بن الشهرزورى
المتقدم ذكره ولازم الاشتغال وانتفع به جماعة وله كتاب فى الاقضية سماه ملجا الحكام عند
التباس الاحكام ذكر فى اوايله انه حج فى سنة ثلث وثمانين وخمسماية وزار البيت المقدس
والخليل عليه افضل الصلوة والسلام بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخل دمشق
والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب فذكر انه سمع بوصوله فاستدعاه اليه فظن انه ساله
عن كيفية قتل الامير شمس الدين بن المقدم فانه كان امير الحاج فى تلك السنة من جهة صلاح
الدين وقتل على جبل عرفات لامر يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره فلما دخل عليه ذكر له
قابله بالاكرام التام وما زاد على السؤال عن الطريق ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل وساله
عن جزء من الحديث ليسمعه عليه فاخرج له جزءا فيه اذكار البخارى وانه قراه عليه
بنفسه فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الاصفهانى وقال له السلطان يقول
لك اذا عدت من الزيارة وعزمت على العود تعرفنا بذلك فلنا اليك مهم فاجابه بالسمع
والطاعة فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه وجمع فى تلك المدة كتابا يشتمل على فضايل
الجهاد وما اعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين يحتوى على مقدار ثلثين كراسة فخرج اليه
واجتمع به على بقيعة حصن الاكراد وقدم له الكتاب الذى جمعه وقال انه على عزم الانقطاع
فى مشهد بظاهر الموصل اذا وصل اليها ثم انه اتصل بخدمة صلاح الدين فى مستهل جمادى
الاولى سنة اربع وثمانين وخمسماية ثم ولاه قضا العسكر والحكم بالقدس الشريف ولما كنت متولي
الحكم بدمشق المحروسة جاني فى بعض شهور سنة ست وستين وستماية اسجال قد ثبت مضمونه

عند

عند القاضى ابى المحاسن المذكور وهو يومئذ قاضى العسكر الصلاحى قد انقطع ثبوته بموت
فعدت اثباته عندى لذلك وتاملته الى اخره لانى استغربته فقد كان شيخنا واخذنا
عنه كثيرا وحصل الانتفاع بصحبته عندنا البقية ما ذكره ابو المحاسن المذكور فقال
انه كان قد حضر الى خدمة صلاح الدين فى صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن
اسمعيل والقاضى محيى الدين بن الشهرزورى لما وصلا اليه فى رسالة واتفق فى تلك المدة
وفاة البهاء الدمشقى المدرس كان بمصر فى مدرسة منازل العز وخطيب مصر وان صلاح
الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل وانه حضر عند السلطان دفعة ثانية
ودفعة ثالثة فى رسالة من الموصل وهو على حران وكان صلاح الدين مريضا يومئذ وذكر
انه لما توفى صلاح الدين كان حاضرا وتوجه الى حلب لجمع كلمة الاخوة اولاد صلاح الدين
صاحب دمشق وتحليف بعضهم لبعض وان الملك الظاهر غياث الدين صاحب دمشق
بطلبه منه واحوجه الى ذلك فارسله الظاهر الى مصر لاستحلاف اخيه الملك العزيز
عماد الدين عثمان بن صلاح الدين وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على
ذلك فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضى كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد المعروف
بابن العديم فى تاريخه الصغير الذى سماه زبدة الحلب فى تاريخ حلب ما مثاله وفى
سنة احدى وتسعين وخمسماية اتصل القاضى بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن
رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر وقدم اليه الى حلب وولاه قضاها ووقوفها
وعزل عن قضاها زين الدين ابا البيان بنا بن البانياسى نايب محيى الدين بن
الزكى وحل بها الدين فى رتبة الوزارة والمشاورة انتهى كلامه قلت وهذا القاضى
بنا هو ابن الفضل بن سليمن الجبرى ويعرف بينهم بدمشق ببيت البانياسى وكان
السلطان صلاح الدين بزكى القاضى محيى الدين ابا المعالى محمد بن الزكى الدمشقى المقدم
ذكره القضا بحلب فاستناب فيها زين الدين بنا ابن البانياسى المذكور واستمر بها
الى التاريخ المذكور وكانت حلب فى ذلك الزمان قليلة المدارس وليس بها من العلما
الا نفر يسير فاعتنى ابو المحاسن المذكور بترتيب امورها وجمع الفقها بها وعمرت
فى ايامه المدارس الكثيرة وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعا جيدا يحصل منه
جملة مستكثرة ولم يكن له خرج كبير فانه لم يولد له ولا كان له اقارب فتوفر له شى كثير
فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق فى قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكى رحمه
الله تعالى للشافعية ورايت تاريخ عمارتها مكتوبا على سقف مسجدها وهو الموضع المعد
لالقا الدروس وذلك فى سنة احدى وستماية ثم عمر فى جوارها دار الحديث النبوى
وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها ولها بابان باب الى المدرسة وباب الى دار

الحديث وشباكان الى الجهتين وهما متقابلان بحيث ان الذي يقف في احدى المكانين
نرى من يكون في المكان الاخر ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقها
من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفاده وكثر الجمع بها فكان بين والدي رحمه الله
تعالى وبين ابي المحاسن المذكور موانسة كثيرة وصحبة اكيدة المودة من الاشتغال بالموصل
فجيت اليه وكان اخي قد سبقني بمدة قليلة وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر
الدين ابو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف الكاف
كتابا بليغا في حقنا يقول فيه انت تعلم ما يلزم من امر هذين الولدين وانهما ولدا اخي
وولدا اخيك ولا حاجة مع هذا الى تاكيد وصية واطال القول في ذلك فتفضل القاضي
ابو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام واحسن حسب الامكان وعمل ما يليق بمثله وانزلنا
في مدرسته ورتب لنا اعلا الوظايف والحقنا بالكبار مع الشبيبة في السن والابتدا في
الاشتغال وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ دخولي الى حلب
فاغنى عن الاعادة ولم نزل عنده الى ان توفي في التاريخ الاتي ذكره ولم يكن بمدرسته في ذلك
الزمان كله مدرس بل كان المدرس بنفسه وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة
وحفظ الدرس والقايه فرتب اربعة من الفقهاء الفضلا برسم الاعادة والجماعة يشتغلون
عليهم وكنت انا واخي نقرا على الشيخ جمال الدين ابي بكر الماهاني لانه كان من بلدنا ورفيق
والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين ابي حامد بن يونس المقدم ذكره فمات في ثالث
شوال سنة سبع وعشرين وستماية وقد نيف على ثمانين سنة فترددت الى الشيخ نجم الدين
ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ
ذاك معيد المدرسة السيفية فقرات عليه كتاب الوجيز للغزالي الى الاقرار وعلى الجملة
فقد خرجنا عما نحن بصدده بسبب انتشار الكلام وكان القاضي ابو المحاسن المذكور بيده حل
الامور وعقدها لم يكن لاحد معه في الدولة كلام وكان سلطانها الملك العزيز ابا المظفر
محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين وهو صغير السن تحت حجر الطواشي شهاب
الدين ابي سعيد طغرل وهو اتابكه ومتولي اموره وتدبير الدولة باشارة القاضي ابي المحاسن
لا يخرج عنها شي من الامور وكان للفقها في ايامه حرمة تامة ورعاية كثيرة خصوصا جماعة
مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه وكنا
نسمع عليه الحديث ونتردد اليه في داره فقد كانت له قبة يختص بها وهي شتوية لا يجلس في
الصيف والشتا الا فيها لان الهرم كان قد اثر فيه حتى صار كفرخ الطاير من الضعف لا
يقدر على الحركة للصلاة وغيرها الا بمشقة عظيمة وكانت النزلات تعتريه في دماغه فلا
يفارق تلك القبة في الشتا ويكون عنده منقل كبير عليه من الفحم والنار شي كثير ومع هذا كله

لا يزال مزكوما وعليه الفرجية البرطاسي والثياب الكثيرة وتحته الطراحة الوثيرة فوق
البسط ذوات الخمايل الثخينة بحيث انا كنا نجد عنده الحر والكرب وهو لا يشعر به
لكثرة استيلا البرودة عليه من الضعف وكان لا يخرج لصلاة الجمعة الا في شدة القيظ واذا
قام الى الصلوة بعد الجهد يكاد يسقط ولقد كنت انظر الى ساقيه اذا وقف للصلوة
وكانهما عودان دقيقان لا لحم عليهما وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث
عليه وكان يعجبه ذلك وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة والادب غالب عليه وكان
كثيرا ما ينشد في مجالسه

ان السلامة من ليلى وجارتها ∴ ان لا يمر على حال بناديها

وكان يتمثل ايضا كثيرا بقول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهذا
البيت من جملة قصيدة طويلة وهو

وعهودهم بالرمل قد نقضت ∴ وكذاك ما يبنى على الرمل

فانشده في بعض الايام فقال له بعض اصحابنا الحاضرين يا مولانا قد استعمل
ابن المعلم العراقي في هذا المعنى استعمالا مليحا فقال ابن المعلم هو ابو الغنايم
فقال نعم فقال ما احسن ما كان كيف قال فانشده

نقضوا العهود وحق ما يبنى ∴ على رمل اللوى بيد الهوى ان ينقضا

فقال ما اقصر لقد تلطف في قوله بيد الهوى فقال له يا مولانا وقد استعمله في
قصيدة اخرى فقال هات فانشده

ولم يبن على الرمل ∴ فكيف انتقض العهد

فاستحسنه وكان كثيرا ما ينشد ابيات ابي الفوارس سعد بن محمد المعروف
بحيص بيص المقدم ذكره وكان يقول انه سمعها منه ويرويها عنه وقد تقدم
ذكره في ترجمة الحيص فاغنى عن الاعادة اولها

لا تضع من عظيم قدر وان ∴ كنت مشارا اليه بالتعظيم

وكان يقول انشدني القاضي الفاضل لبعضهم ونحن نزول على قلعة صفد

قل للقلعة لما ان الت بلهاق ∴ بجانب جبل حلق فهودها زوجان

قلت هذان البيتان منسوبان الى ابن المبارك المقدم ذكره والله اعلم وكان كلما
نظر الى نفسه على تلك الحال من الضعف والعجز عن القيام والقعود في الصلوة
وسائر الحركات ينشد

من يتمن العمر فليدرع ∴ صبرا على فقد احبابه
ومن يعمر ير في نفسه ∴ ما يتمناه لاعدائه

ثم وجدت هذين البيتين منسوبين الى الطهر ابى اسحق ابرهيم بن نصر بن عسكر
قاضى السلامية المقدم ذكره فى اوايل هذا الكتاب والله اعلم ذكر ذلك صاحبنا
الكمال بن الشعار الموصلى فى كتاب عقود الجمان فى ترجمة الطهر المذكور وهذا
ينظر الى قول ابى العلا المعرى

تدعو بطول العمر افواهنا ÷ لمن تناهى القلب فى وده
يسر ان مد بقاء له ÷ وكلما يكره فى مده

والاصل فى هذا قول الاخر

كانت قناتى لا تلين لغامز ÷ فالانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة جاهدا ÷ ليصحنى فاذا السلامة داء

وقد دخل عليه يوما رجل من اهل المغرب يقال له ابو الحجاج يوسف وكان قريب العهد
ببلاده وقد دخل حلب فى تلك الايام وكان فاضلا فى الادب والحكمة فلما راه
على تلك الهيئة من الهزال والضعف انشده

لو يعلم الناس ما فى ان تقيض لهم ÷ بكوا لانك من ثوب الضنى عار
ولو اطاقوا انتقاصا من حياتهم ÷ لما فدوك بشى غير اعمار

فاعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له وقال لى بعض اصحابنا سمعته يوما وهو يحكى
للجماعة الحاضرين عنده قال لما كنا فى المدرسة النظامية ببغداد اتفق اربعة من
الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلادر لاجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا ببعض
الاطبا وسالوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذى
قال لهم الطبيب وشربوه فى موضع خارج عن المدينة فحصل لهم الجنون وتفرقوا وتشتتوا
ولم يعلم ما جرى عليهم وبعد ايام جاء الى المدرسة واحد منهم وكان طويلا وهو عريان
ليس عليه شى يستر عورته وعلى راسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة وقد
القاها وراه فوصلت الى كعبه وهو ساكت ساكن عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا
يعبث فقام اليه من كان حاضرا من الفقهاء وساله عن الحال فقال لهم انا قد اجتمعنا
وشربنا حب البلادر فاما اصحابى فانهم جنوا وما سلم منهم الا انا وحدى وصار
يظهر العقل العظيم والسكون وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ويعتقد انه سالم
مما اصاب اصحابه وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت عليهم واخبرنى جماعة
ممن كانوا عنده قبل وصولنا اليه انه قدم عليه الاديب نظام الدين ابو الحسن على بن محمد
بن يوسف بن مسعود القيسى القرطبى المعروف بابن خروف الشاعر المشهور المعروف
فكتب اليه رسالة وفى اولها ابيات يستجديه فروة قرظ وهى

بهاء

بهاء الدين والدنيا ÷ ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا ÷ من نعماك جلد ابى
وفضلك عالم انى ÷ خروف بارع الادب
حلبت الدهر اشطره ÷ وفى حلب صفا حلبى

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر لبحب ذيول سيره السرا ويحب النعاء
من اجل الفرا ويمن على الخروف النبيه بجلد ابيه فان الصابغ قريب عهد
بالدباغ ما حل طالب قرظه ولا ضالع بل دابغ شانا نعم وضاع ابيت عابل الصوف
نهرا من الرياح بكل هوجا عصوف اذا اطهر اهابه بمخافة البرد بعايه ما فى الشتا
له ضرب اذا نزل الجليد والضريب ولا فى اللباس له نظير اذا اعرى من ورقه
الغصن النظير لا كطيلسان ابن حرب ولا جلد عمرو والممزق بالضرب كانه من جلد
حمل الحربا الذى يراعى البدر والنجم لا من جلد السخلة الجربا التى ترعا الشجر
والنجم فرحق النوع ارحى الضوع ليكون تارة لحافا وتارة بردا وهو فى كلا
الحالين يحيى حرا ويميت بردا لا زال مهديه سعيدا ينجز للاوليا وعدا وللاعادى
وعيدا ان شاء الله تعالى والسلام قلت وقد ذكر فى ترجمة ابى الفتح سبط ابن التعاويذى
رسالة كتبها الى عماد الدين الكاتب الاصبهانى المقدم ذكره يطلب منه فروة قرظ
ايضا وكل واحدة من الرسالتين بديعة فى بابها وفى هذه الرسالة كلام يحتاج الى
ايضاح وهو قوله لا كطيلسان ابن حرب وهذا مثل مشهور بين الادباء فاذا كان الشى
باليا شبهوه بطيلسان ابن حرب ولذلك سبب لا بد من ذكره وهو ان احمد بن
حرب ابن اخى يزيد المهلبى اعطى ابا على اسمعيل بن ابرهيم بن حمدويه البصرى الحمدوى
الشاعر الاديب طيلسانا خلقا فعمل فيه الحمدوى مقاطيع عديدة طريفة سارت
عنه وتناقلها الرواة فمن ذلك قوله من ابيات

يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا ÷ مل من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده الى الرفو حتى ÷ لو بعثناه وحده لتهدا

وقوله ايضا من ابيات

لقد خالف الرفاء حتى كانه ÷ يحاول منه ان يعلمه الرفوا

وقوله ايضا

يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا ÷ ابخلته الازمان فهو سقيم
فاذا ما رفوته قال سبحانك ÷ يحيى العظام وهى رميم

وهو ايضا

يا ابن حرب الملت وبرى برفوى ∴ طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو في الرفو الفوعون في العرض ∴ على الناد بكرة وعشيا

ولـه فيـه ايضًا

راينا طيلسانك يا ابن حرب ∴ يزيد المرء ذا الضعة اتضاعا
اذا الرفّا اصلح منه نقصا ∴ تداعى بعضه الباقي انصداعا
سلم صاحبي فيقد شبرًا ∴ به واقدّ في ددعي ذراعا
اجيل الطرف في طرفيه طولا ∴ وعرضا ما ارى الا رقاعا
فليت انك ان قد كان دهرا ∴ لنوح في سفينته شراعا
وقد غنيت اذ ابصرت منه ∴ بقاياه على كتفي تداعى
فقفي قبل التفرق يا ضباعا ∴ ولا يك موقف منك الوداعا

وقال فيه ايضا وكتب بها الى بعض الروسا

دعني ابكي كسوتي اذ ودعت ∴ فلا رمعن على البكا اذ رمعت
يا ابن الحسين اما ترى ذراعتي ∴ سملا ترددت بالبلا وتدرعت
فيها من التمزيق ما لو انه ∴ مرت بها ريح الصبا لتقطعت
تحكي بخرق طيلسان انها ∴ منه نعلت البلا فتضعضعت
لا فرج الرحمن عنه انه ∴ اعدى ثيابي كلها فتقطعت
فلتهد الله الجبال فانها ∴ لو قاربته تخشعت وتصدعت

وقال فيه ايضا

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا ∴ يزدع الرفو فيه وهو سباخ
مات رفاوه ومات بنو ∴ وبدا الشيب في بنيهم وشاخوا

وقال فيه ايضا

طيلسان لو كان لفظا اذا ∴ ما سأل خلق في انه بهتان
فهو كالطور اذ تجلى له الله ∴ فدكت قواه والاركان
كم دفوناه اذ تمزق حتى ∴ بقي الرفو وانقضى الطيلسان

ولـه فيه ايضا

يا ابن حرب اني ارى في زوايا ∴ بيتنا مثل من كسوت جماعه
طيلسان دفوته ودفوت ∴ الرفو منه وقد دفعت رقاعه
فاطال البلى فصار خليقا ∴ ليس يعطي الرفاق الرفو طاعه
فاذا سايل راني فيه ∴ ظن اني فتى من اهل الصناعه

ولـه فيه ايضا

قل لابن حرب طيلسانك ∴ قد قوم نوح منه احدث
هو طيلسان لم يزل عمن ∴ مضى من قبل يورث
فاذا العيون لحظنه ∴ فكانه باللحظ يحرث
يودي اذا لم ارثه ∴ واذا رفوت فليس يلبث

ويقال انه عمل في هذا الطيلسان مائة مقطوع في كل مقطوع معنى بديع وكان الاصل الذي حمل الحمدوي المذكور على عمل هذه المقاطيع انه وقف على ابيات عملها ابو حمران السلمي بضم الخاء المهملة في طيلسانه وكان قد خلق حتى بلي فقال فيه ∴ ∴ ∴

يا طيلسان ابي حمران قد برمت ∴ بك الحيوة فما تلتذ بالعمر
في كل يومين رفا يجدده ∴ هيهات ينفع تجديد مع الكبر
اذا ارتداه لعيد او لجمعته ∴ تنكب الناس لا يبلى من النظر

وهذا البيت الثالث اخذه من قول النظام بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة ابي اسحق ابرهيم بن سيار البلخي المتكلم المعتزلي في وصف غلام رقيق البشرة

رق فلو بزت سرابيله ∴ علقه الجو من اللطف
يجرحه الناس باللحظ ∴ ويشتكي الايماء بالكف

وانشدني بعض الادبا بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستماية هذا المعنى لبعض الشعراء ∴ ∴ ∴

توهمها طرفي فاصبح خدها ∴ وفيه مكان الوهم من نظري اثر
وصافحها قلبي فادمى بنانها ∴ فمن قلبي في انامل لها عقر

وانشدني الشيخ ابو الحرم الصوفي المنتقى ابن ابرهيم لنفسه دوبيت في هذا المعنى

كلفت صبا العراق لما خطرت ∴ ان تحمل لي تحية ما قدرت
قالت لي خفة على وجنته ∴ ان جزت بها جرحتها فاعتذرت

ولبعض الادبا الفقرا من جملة ابيات يشكو فيها رقة حاله ورثاثة ثيابه ما يقرب من هذا المعنى وهو ∴ ولي ثياب رثاث لست اغسلها ∴ اخاف اعصرها تجري مع الماء ∴

وقد قيل في هذا المعنى شي كثير والاختصار اولى والطيلسان بفتح اللام والله اعلم

واما قوله ولا جلد عمرو الممزق بالضرب فيريد به قول النحاة ضرب زيد عمرا فانهم ابدا يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره فكانهم يمزقون جلده بكثرة الضرب ∴ عدنا الى ما كنا عليه فكان القاضي ابو المحاسن المذكور يسلك طريق البغاد في ترتيبهم واوضاعهم وقيل انه كان يلبس ملبوسهم والروسا الذين كانوا يترددون اليه ينزلون عن دوابهم على قدر اقدارهم لكل واحد منهم مكان معين لا يتعداه ثم انه

تجهز الى الديار المصرية لاحضار ابنة الملك الكامل بن الملك العادل للملك العزيز
صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها فسار في اول سنة تسع وعشرين او اواخر
سنة ثمان وعشرين وستماية وعاد وقد جاء بها في شهر رمضان من السنة و
لما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الاتابك
طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب
الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه فاشتغل بهم ولم يرَ القاضي ابو المحاسن وجهًا
يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته وهو باق على الحكم واقطاعه جار عليه غاية
ما في الباب انه لم يبق له حديث في الدولة ولا كانوا يراجعونه في الامور فصار
يفتح بابه لاسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين وظهر عليه الخرف بحيث انه
صار اذا جاءه الانسان لا يعرفه واذا قام عاد يسال عنه ولا يعرفه واستمر على
هذه الحال مدة يسيرة ثم مرض اياما قلايل وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة
اثنتين وثلثين وستماية رحمه الله تعالى بحلب ودفن في التربة المقدم ذكرها
وحضرت الصلوة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك وصنف كتاب ملجاء الحكام
عند التباس الاحكام يتعلق بالاقضية في مجلدين وكتاب دلايل الاحكام يتكلم فيه
على الاحاديث المستنبط منها الاحكام في مجلدين وكتاب الموجز الباهر في الفقه و
غير ذلك وكتاب سيرة صلاح الدين بن ايوب رحمه الله تعالى وجعل داره خانقاه
للصوفية لانه لم يكن له وارث ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة يقرؤون عند
قبره وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين اللذين للتربة سبعة قراء
وكان غرضه ان يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة فكان كل واحد من القراء الاربعة
عشر يقرأ نصف سبع بعد صلوة العشاء الاخرة وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية
في الثالث والعشرين من جمادى الاخرة سنة خمس وثلثين وستماية والامور جارية على
هذه الاوضاع ثم بعد ذلك تغيرت تلك الامور وانفضت قواعدها وزال جميع ذلك
على ما بلغني وتوفي الشيخ نجم الدين بن الجبار المذكور في السابع من ذي الحجة سنة احدى
وثلثين وستماية بحلب ودفن بظاهرها خارج باب اربعين وحضرت الصلوة عليه ودفنه
رحمه الله تعالى وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة سبع و
خمسين وخمسماية بالموصل وتوفي الاتابك شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الاثنين
الحادي عشر من محرم سنة احدى وثلثين وستماية بحلب ودفن بمدرسته الحنفية
خارج باب اربعين وكان خادما ارمني الجنس ابيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت
الصلوة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول وتوفي

ابو الحسن

ابو الحسن بن خروف الاديب المذكور بحلب سنة اربع وستماية مترديا في رجب رحمه الله
تعالى ابو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود الثقفي وقد تقدم ذكره
بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي فانه ابن عم الحجاج يجتمعان في الحكم
بن ابي عقيل قال خليفة بن خياط ولى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر اليمن فقدمها
لثلث بقين من شهر رمضان سنة ست ومائة بولايته على العراق فاستخلف على اليمن
ابنه الصلت بن يوسف وقال البخاري كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة احدى
وعشرين ومائة الى سنة اربع وعشرين وقال غيره لما اراد هشام بن عبد الملك صرف
خالد بن عبد الله القسري عن العراق كان قد جاءه رسول يوسف بن عمر الثقفي من اليمن
فدعا هشام بالرسول وقال له ان صاحبك قد تعدى طوره وسال فوق قدره وامر
بتخريق ثيابه وضربه اسواطا وقال له امض الى صاحبك فعل الله به وصنع ودعا سالم
اليماني مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك وكان على ديوان الرسايل وقال له اكتب
الى يوسف بن عمر بشيء امره به واعرض علي الكتاب فمضى سالم ليكتب ما امره به وخلا
هشام بنفسه فكتب كتابا صغيرا بخطه الى يوسف بن عمر وفيه سر الى العراق فقد وليتك
اياه واياك ان يعلم بك احد واشفني من ابن النصرانية يعني خالدا ومن عماله وامسك
الكتاب بيده وحضر سالم بالكتاب الذي كتبه وعرضه عليه وغافله وجعل الكتاب
الصغير في طيه وختمه ودفعه الى سالم وقال له ادفعه الى رسول يوسف ففعل ذلك
وانفصل الرسول فلما وصل الى يوسف قال له ما وراءك قال الشر امير المؤمنين ساخط
عليك وقد امر بتخريق ثيابي وضربي ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب صاحب الديوان
ففض الكتاب وقراه فلما بلغ الى اخره وقف على الكتاب الصغير فاستخلف ابنه الصلت
وسار الى العراق وكان يخلف سالما الكاتب على ديوان الرسايل بشير بن ابي طلحة
من اهل الاردن وكان فطنا فلما وقف على ما كان من هشام قال هذه حيلة وقد ولى
يوسف بن عمر العراق فكتب الى عياض عامل احمد بن سالم وكان ذا دالة ان اهلك قد بعثوا
لك بالثوب اليماني فاذا اتاك فالبسه واحمد الله تعالى واعلم طارقا بذلك وكان عامل خالد
بن عبد الله القسري على الكوفة وما يليها ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب الى عياض ايضا
طارقا بذلك فقال طارق الخبر في الكتاب الاول ولكن صاحبك ندم وخاف ان يظهر امره و
ركب من ساعته الى خالد فخبره الخبر فقال له فما ترى فقال ارى ان تركب من ساعتك
هذه الى امير المؤمنين فانه اذا راك استحيى منك وزال شيء ان كان في نفسه عليك فلم يقبل
ذلك فقال له اتاذن لي ان اصير الى حضرته واضمن له مال جميع هذه السنة فقال وما مبلغ
ذلك قال مائة الف الف درهم واتيك بعهدك قال ومن اين هذه الاموال والله ما املك عشرة

الاف درهم فقال الحكم انا وسعيد بن راشد اربعين الف الف درهم وتفرق الباقي على باقي
العمال فقال له اني اذا للئيم ان اسوغ قوما شيئا ثم ارجع عليهم به فقال له انما نقيك و
نقي انفسنا ببعض مالنا ونبقي النعمة عليك وعلينا بك وتستانف طلب الدنيا خير من ان تطالب
الاموال وقد حصلت عند تجار اهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فنقتل وتذهب
انفسنا وتحصل الاموال لهم فياكلونها فابى خالد ذلك عليه فودعه وقال هذا اخر العهد
بك ووافاهم يوسف بن عمر فمات طارق في العذاب ولقي خالد وعماله كل شر ومات
منهم في العذاب بشر كثير وكان ما استخرج يوسف من خالد واشياعه تسعين الف الف
درهم قلت وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته فيطلب منه
وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف بن عمر المذكور وما جرى له
معه في الوديعة وقال ابو بكر احمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب انساب الاشراف
واخبارهم ان هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله القسري امير العراق
لامور نقلت عنه فحقد عليه منها كثرة امواله واملاكه ومنها انه كان يطلق لسانه في حق
هشام بما يكره وغير ذلك من الاسباب فعزم على عزله واخفى ذلك وكان يوسف بن عمر
الثقفي عامله على اليمن فكتب هشام اليه بخطه يامره ان يقبل في ثلثين من اصحابه الى الكوفة
وكتب مع الكتاب بعهده على العراق فخرج يوسف حتى صار الى الكوفة ~~وكتب مع الكتاب~~
بعهده على في سبعة عشر يوما فعرس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد القسري
على الخراج ولده فاهدى اليه الف عتيق والف وصيف والف وصيفة سوى المال والثياب
وغير ذلك فجاء رجل الى طارق وقال له اني رايت قوما انكرتهم وزعموا انهم سفار وصار
يوسف بن عمر الى دور بني ثقيف فامر بعض الثقفيين فجمع له من قدر عليه من مضر فدخل
يوسف المسجد مع الفجر فامر المؤذن بالاقامة فقال حتى ياتي الامام فانتهره فاقام و
تقدم يوسف فصلى وقرا اذا وقعت الواقعة وسال سايل ثم ارسل الى خالد وطارق
واصحابهما فاخذوا وان القدور لتغلي وقال ابو عبيدة حبس يوسف خالدا فصالحه
ابان بن الوليد عنه وعن اصحابه على تسعة الاف الف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم
تقبل هذا المال لاخذت منه ماية الف الف درهم فقال ما كنت لارجع عن شيء رضيت
به لساني واخبر اصحاب خالد خالدا فقال اساتم حين اعطيتموه هذا المال في اول
وهلة ما يومنني ان ياخذها ثم يرجع عليكم فارجعوا اليه فرجعوا فقالوا انا اخبرنا خالدا
بما فارقناك عليه من المال فذكر انه ليس عنده فقال انتم اعلم بصاحبكم فاما انا فلا ارجع
عليكم وان رجعتم لم امنعكم قالوا فانا قد رجعنا قال فوالله لا ارضى بتسعة الاف ولا بمثلها
ومثلها فذكر ثلثين الف الف درهم وقيل مائة الف الف وقال اشرس مولى بني اسد كان

تاجرا

تاجرا ليوسف بن عمر اتانا كتاب هشام فقراه يوسف فكتمنا ما فيه وقال اريد العمرة فخرج
وانا معه واستخلف ابنه الصلت على اليمن فما كلم احدا منا بكلمة واحدة حتى انتهى
الى العذيب فاناخ وقال يا اشرس ابن دليلك فقلت هو ذا فساله عن الطريق فقال
هذه طريق المدينة وهذه طريق العراق فقلت والله ما هي بايام عمرة فلم يكلمه حتى
اناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ثم استلقى على ظهره ورفع احدى رجليه على الاخرى وقال

فما لبثت العيس ان قذفت بنا ۞ نوى غربة والعهد غير قديم

يا اشرس ابغني انسانا اسايله فاتيته برجل فقال سله عن ابن النصرانية يعني خالد
القسري فقلت ما فعل خالد قال في الحمة اشتكى فخرج اليها فقال سله عن طارق فقال
ختن بنيه فهو يطعم الناس بالحيرة وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة قال خل
عن الرجل ثم ركب فاناخ بالرحبة ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره فمكثنا
بلا طويلا ثم جاء المؤذن وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذ على الكوفة خليفة لخالد
فاذن ثم سلموا وخرج زياد واقيمت الصلوة فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف يا اشرس
نحه فقلت يا زياد تاخر الامير فتاخر زياد وتقدم يوسف فصلى وكان حسن الصوت
والقراءة فصيحا فقرا اذا وقعت الواقعة وسال سايل بعذاب واقع فصلى الفجر وتقلد
القاضي فحمد الله واثنى عليه ودعا للخليفة وقال ما اسم اميركم فاخبر فدعا له بالصلاح
فما تفرق اهل الصلوة حتى جاءه الناس ولم يبرح يوسف حتى بعث الى خالد والى ابان
بن الوليد بفارس والى بلال بن ابي بردة بالبصرة والى عبد الله بن ابي بردة بسجستان
وامر هشام ان يعزل عمال خالد فقيل له الامير يوسف قال دعوني من اميركم اخي هو
امير المؤمنين قيل نعم فقال لا باس علي فلما قدم بخالد على يوسف حبسه وضرب زيد بن
خالد ثلثين سوطا فكتب هشام الى يوسف اعطي الله عهدا لئن شاكت خالدا شوكة
لاضربن عنقك فخلى سبيله بثقله وعياله فلحق الشام فلم يزل مقيما به يغزو الصوايف
حتى مات هشام وقيل ان يوسف استاذن هشاما في بسط العذاب على خالد فلم ياذن
له حتى الح عليه بالرسايل واعتل بانكسار الخراج لما صار اليه والى عماله منه فاذن
له فيه مرة واحدة وبعث حرسيا فشهد ذلك وحلف لئن اتى على خالد اجله ليقتلنه
به فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه العذاب فلم يكلمه خالد
حتى شتمه يوسف وقال يا ابن الكاهن يعني شقا احد اجداد خالد وهو الكاهن المشهور
قلت كما تقدم في ترجمته قال فقال له خالد انك لاحمق تعيرني بشرفي لكنك ابن
السبا انما كان ابوك يسبا الخمر قلت معناه يبيع الخمر قال ثم رد خالد الى محبسه فاقام
ثمانية عشر شهرا ثم كتب اليه هشام يامره بتخلية سبيله في شوال سنة احدى وعشرين

ومائة وخرج خالد وعمر جماعة من اهله وغيرهم حتى اتى القرية وهي من ارض الرصافة فاقام بها
بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر لا ياذن له هشام في القدوم عليه قال
القاسم بن علاق وخرج زيد بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه على يوسف بن عمر فكتب يوسف الى هشام ان اهل هذا البيت من بني هاشم ان
ان اهل البيت قد كانوا هلكوا جوعا حتى كانت همة احدهم قوت يومه فلما ولي خالد العراق
قواهم بالاموال حتى تاقت انفسهم الى طلب الخلافة وما خرج زيد الا باذن خالد وما مقامه
بالقرية الا لانها مدرجة الطريق فهو يسال عن اخباره فقال هشام للرسول كذبت وكذب
صاحبك ومهما اتهمنا به خالدا فانا لا نتهمه في طاعة وامر بالرسول فوجيت عنقه وبلغ
الخبر خالدا فصار الى دمشق وقال ابو الحسن المدايني امر يوسف بن عمر ببلال بن ابي بردة
بن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه وكان بلال عامل خالد القسري على البصرة فعذب
فضمن ثلثماية الف درهم واخذ منه كفلا فاحضرهم وهرب الى الشام فقال ان غلاما له
اراد ان يشتري له دارا فعرف ويقال بل شري له غلام مدراجا فاحرقه فضربه فوجي به [?]
فاتى به يوسف بن عمر فامر به فاقيم في الشمس فقال اذنوني من امير المؤمنين فله
علي ما طلب فابى ورده الى يوسف فضربه حتى قتله وقال اخوه عبد الله بن ابي بردة
للسجان ارفع اسمي في الموتى فرفعه فقال يوسف ارنيه ميتا فغمه السجان حتى مات و
يقال بل كان بلال الذي سال السجان رفع اسمه في الموتى والمقتول تحت العذاب عبد الله
والله اعلم بذلك وقال يونس النحوي ما قتل بلالا الا دهاه سال السجان ان يرفع اسمه
في الموتى ويعطيه مالا فرفع اسمه في الموتى فقال اعرض علي الموتى فغمه حتى مات و
عرضه عليه ميتا وقال المدايني ولي يوسف بن عمر ابن صالح بن كريز ولاية فخرجت
عليه ثلثون الفا فحبس بها وبلال بن ابي برده يومئذ محبوس فقال له بلال ان على العذاب
سالما وثعلب بن تبيل فاياك ان تقول لذي نبيل فانه يكره ذلك وجعل بلال يردد عليه
القول في ذلك فغدا به سالم فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له يا ذنبيل اتق الله فكرر
عليه القول في ذلك من الم العذاب وهو يقول اقتل من غيظه فلما خلي عنه قال له بلال
الم انهك عن ذنبيل فقال له وهل اوقعني في ذنبيل غيرك انا ما كنت اعرف ذنبيل
لولا انت وما تنح شرك في سر ولا جهر وقال المدايني ايضا كان على شرط يوسف بن عمر ا
العباس بن سعد المري وكان كاتبه مخلد ابن سليمن بن ذكوان وزياد بن عبد الرحمن
مولى ثقيف وعلى حرسه وحجابه جندب وفيه يقول الشاعر

اتانا امير شديد الحجاب ∴ لحاجب حاجبه حاجب

وقال الحافظ ابو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق بلغني ان يوسف بن عمر كان

قد اخذ مع ال الحجاج بن يوسف الثقفي ليعذب ويطلب منه المال فقال اخرجوني لا
سال فدفع الى الحارث بن مالك الجهضمي يطوف به وكان مغفلا فانتهى به الى دار
لها بابان فقال يوسف دعني ادخل هذه الدار فان فيها عمة لي اسالها فاذن له فدخل
وخرج من الباب الاخر وهرب وذلك في خلافة سليمن بن عبد الملك وكان يوسف
يسلك طرايق ابن عم ابيه الحجاج بن يوسف في الظلم والشدة في الامور واخذ
الناس بالمشاق ولم يزل على ذلك الى حين عزله وذكر عمر بن شبه النميري في كتاب
اخبار البصرة ان يوسف بن عمر وزن درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب في
العراق فضرب اهلها فاحصي في تلك الحبة ماية الف سوط ضرب بها الناس وكان
يوسف مذموما في عمله اخرق سيء السيرة وكان جوادا يطعم على خمس ماية خوان اقصاها
وادناها سوا ياكل منها الشامي والعراقي وعلى كل خوان مرتبة عليها السكر فنفد
السكر من مرتبة فلطم اهلها فضرب الخباز ثلثماية سوط والناس ياكلون وكان الخباز
يتخذ الخرايط فيها السكر وكلما انفد زاد واو روى الحكم بن عوانة الكلبي عن ابيه قال
لم يوتد الملك بمثل كلب ولم نقل المنابر مثل قريش ولم يطلب التراث بمثل تميم ولم ترع
الرعايا بمثل ثقيف ولم تسد الثغور بمثل قيس ولم تهج الفتن بمثل ربيعة ولم يجبا الخراج
بمثل اليمن وقال الاصمعي قال يوسف بن عمر لرجل ولاه عملا يا عدو الله اكلت مال الله
فقال له فما زلت من اكل منذ خلقت الى الساعة والله لو سالت الشيطان درهما واحدا
ما اعطانيه وكان يوسف بن عمر قد استعمل على خراسان نصر بن سيار الليثي وبقي
الى اخر ايام بني امية وقضاياه ووقايعه مع ابي مسلم الخراساني مشهورة في مواضعها
وفيه وفي يوسف يقول سوار بن الاشعر

اضحت خراسان بعد الخوف امنة ∴ من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما اتى يوسفا اخبار ما لقيت ∴ اختار نصرا لها نصر بن سيار

وقال سماك بن حرب بعث الي يوسف بن عمر وهو امير العراق ان عاملا لي كتب
الي اني قد زرعت لك كل حق ولق فما هما فقلت اما الحق ما اطمان من الارض واللق
ما ارتفع منها انتهى كلامه قلت ذكر الجوهري في كتاب الصحاح الحق الغدير اذا جف
وتقطع واللق الشق المستطيل وقيل الحق حفرة غامضة في الارض والحق بضم الحاء
المعجمة وتشديد القاف واللق بضم اللام وتشديد القاف والله اعلم وكان يوسف بن
عمر من اعظم الناس لحية واصغرهم قامة كانت لحيته تجوز سرته واستمر يوسف على
ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك فلما توفي يوم الاربعا لست خلون من
شهر ربيع الاخر سنة خمس وعشرين وماية بالرصافة من ارض قنسرين وبها قبره وكان عمر

خمسًا وخمسين سنة وقيل اربعًا وخمسين سنة وقيل اثنين وخمسين سنة والله اعلم وكنيته
ابو الوليد تولى ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده واقر يوسف بن عمر على
ولايته بالعراق وقتل الوليد المذكور لليلتين بقيتا من جمادى الاخرة سنة ست وعشرين
ومائة وكان قد عزم على عزل يوسف بن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج
بن ربان بن يوسف الثقفي وكانت ام الوليد بن يزيد المذكور ام الحجاج بنت محمد بن
يوسف الحجاج عمها فكتب الوليد الى يوسف بن عمر انك قد كتبت الي تذكر ان
خالد بن عبد الله القسري اخرب العراق وكنت مع ذلك تحمل الى هشام ما تحمل وينبغي
ان تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها الى ما كانت عليه فاشخص الينا وصدق ظننا
بك فيما تحمله الينا لعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بيننا وبينك من القرابة
فانك خالنا واحق الناس بالتوفير علينا وقد علمت ما زدنا لاهل الشام في العطاء وما
وصلنا اهل بيتنا به لجفوة هشام اياهم حتى اضر ذلك ببيوت الاموال فخرج يوسف بن عمر
بنفسه الى الوليد بن يزيد وحمل من الاموال والامتعة والانية ما لم يحمل من العراق مثله
فقدم وخالد بن عبد الله القسري محبوس فلقيه حسان النبطي ليلا واخبره ان الوليد قد عزم
على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج وانه لا بد له من اصلاح امر وزرائه فقال يوسف
ليس عندي شي فقال له حسان عندي خمسمائة الف درهم فان شئت فهي لك وان شئت فارددها
الي اذا تيسرت فقال له يوسف انت اعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد ففرقها على قدر علمك
فيهم ففعل وقدم يوسف والقوم يعظمونه وقرر يوسف بن عمر مع ابان بن عبد الرحمن النميري
ان يشتري خالد بن عبد الله القسري باربعين الف الف درهم فقال الوليد ليوسف ارجع
الى عملك فقال له ابان ادفع الي خالدا وادفع اليك اربعين الف الف درهم فقال الوليد
ومن يضمن عليك هذا المال فقال ليوسف اتضمن عنه فقال يوسف ادفعه الي فانا استاده
خمسين الف الف درهم فدفعه اليه فحمله في محمل بغير وطاء وقدم به العراق فقتله كما شرحته
في ترجمته ولما قتل الوليد بن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك في
الطاعة اهل الشام وانتشر له الامر ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هرون بن عبد الملك
بن دحية بن خليفة الكلبي فقال له عبد العزيز لو كان معي جند لقبلت فتركه وولاها منصور
بن جمهور واما ابو مخنف فانه قال قتل الوليد بن يزيد بالبخراء في التاريخ المذكور وبويع
يزيد بن الوليد بدمشق وسار منصور بن جمهور من البخراء اليوم الذي قتل فيه الوليد
الى العراق وهو سابع سبعة فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم منصور بن جمهور الحيرة
في ايام خلت من رجب فاخذ بيوت المال واخرج العطاء لاهل العطاء والارزاق وولى العمال
بالعراق واقام بقية ايام رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقيت منه ولما هرب يوسف بن

عمر

عمر سلك طريق السماوة حتى اتى البلقاء ثم استخفى بها وكان اهله مقيمين بها فلبس زي
النساء وجلس بين نسائه وبلغ يزيد بن الوليد خبره فارسل اليه من يحضره فوصل اليه فوجده
بعد ان فتش عليه كثيرًا على تلك الحال بين نسائه وبناته فجاء به في وثاق فحبسه يزيد
عند الحكم وعثمن ابني الوليد بن يزيد وكان يزيد بن الوليد قد حبسهما عندما قتل اباهما
بالخضراء وهي دار بدمشق مشهورة قبلي جامعها وقد خربت الان ومكانها معروف عندهم
ثم ان يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد
العزيز فاقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد الى ان مات في ذي الحجة
على الخلاف الكبير فيه هل مات في اول الشهر او في عاشره او بعد العاشر او في سلخ ذي القعدة
سنة ست وعشرين ومائة وجعل ولي عهده اخاه ابرهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز
بن الحجاج بن عبد الملك واستمر يوسف بن عمر في سجنه مدة ولاية ابرهيم بن الوليد
فجاء مروان بن محمد اخر ملوك بني امية باهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الامر
وخلع ابرهيم بن الوليد وتولى مكانه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكانت ولاية
ابرهيم اربعة اشهر وخلع في شهر ربيع الاخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل كانت
ولايته سبعين يومًا لا غير وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع ابرهيم بن الوليد
فلما ظهر امر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر ابرهيم وهرب عسكر ابرهيم ودخلوا دمشق
ومروان وراءهم خافت جماعة ابرهيم ان يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمن ابني الوليد من السجن
ويجعل لهما الامر فلا يستبقيان احدًا ممن اعان على قتل ابيهما فاجتمع رايهم على قتلهما فارسلوا
يزيد بن خالد القسري ليتولى ذلك فانتدب يزيد المذكور مولى لابيه وهو ابو الاسد في جماعة
من اصحابه فدخلوا السجن وشدخوا الغلامين بالعمد واخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه لكونه
قتل خالد بن عبد الله القسري والد يزيد المذكور كما شرحناه في ترجمة خالد وذلك في سنة
سبع وعشرين ومائة وهو ابن نيف وستين سنة ولما قتل اخذوا براسه عن جسده و
شدوا في رجليه حبلا فجعل الصبيان يجرونه في شوارع دمشق فمرت به امراة فرات جسدًا
صغيرًا فقالت في اي شي قتل هذا الفتى المسكين لما ترى من صغر جثته فقال بعضهم
رايت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ثم رايت بعد ذلك يزيد بن خالد
القسري قاتله في مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع وقد قيل انه قتل في العشر الوسطى
من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة والله اعلم **ابو يعقوب يوسف بن تاشفين** اللمتوني
امير المسلمين وملك الملثمين وهو الذي اختط مدينة مراكش وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد
بن عباد والمعتصم محمد بن صمادح الملكين ببلاد الاندلس طرف من اخباره وما جرى لهما
معه وكيف اخذ بلادهما واستاسر ابن عباد وحبسه في اغمات وقد استوفيت الكلام عليه هنا لكن

ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه ان هذا الملك هلك وانه عظيم الشان كبير السلطان فذكر
ارباب التواريخ شيئا من احواله فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب المعرب عن
سيرة ملوك المغرب لانه اوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى اذكره غير انه قال
في اول النسخة التي نقلت منها هذا الفصل انه كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسماية و
فرغ منها في غرة ذي القعدة من السنة بالموصل وهو في مجلد واحد لطيف فاخترت منه
مقتضبا ما مثاله كان بن المغاوير الجزولي لقبيلة تنتمي ديارها برابر فخرج عليهم من جنوب
المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون مقدمهم ابو بكر بن عمر منهم وكان رجلا
ساذجا خير الطباع موثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال الى الرفاهية وكانت ولاة المغرب
من زناتة ضعفاء الحال لم يقاوموا الملثمين فاخذوا البلاد من ايديهم من باب تلمسان الى
ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابي بكر بن عمر المذكور سمع ان عجوزا في بلاده ذهبت
لها ناقة في غارة فبكت وقالت ضيعنا ابو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب فحمله ذلك
على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من اصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع الى بلاده
الجنوبية وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما فاختط بالمغرب مدينة مراكش وكان
موضعها مكمنا للصوص وكان ملك العدوة معمودية بمدينة منها فلما تمهدت له البلاد تاق
الى العبور الى جزيرة الاندلس وكانت محصنة بالبحر فانشا سواني ومراكب فاراد العبور
اليها فلما علم ملوك الاندلس بما يرومه من ذلك اعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة و
كرهوا ان يحصلوا بين عدوين الفرنج من شمالهم والملثمين من جنوبهم وكانت الفرنج
تشتد وطاتها عليهم الا ان ملوك الاندلس كانت ترهب الفرنج باظهار موالاة ملك
المغرب يوسف بن تاشفين وكان له اسم كبير لنقله دولة زناتة وملك المغرب اليه في
اسرع وقت وكان قد ظهر لابطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس
وطعنات تنظم الكلى وكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم وكان
ملوك الاندلس يفيئون الى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على ملكهم مهما عبر اليهم
وعاين بلادهم فلما راوا عزيمته متقدمة على العبور ارسل بعضهم الى بعض وكاتبوهم يستنجدون
آراءهم في امره وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد لانه كان اشجع القوم واكبرهم مملكة
فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا انه يقصدهم بسلوكه الاعراض عنهم تحت طاعته فكتب
عنهم كاتب من اهل الاندلس كتابا هو اما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم
نسبك فانك بالمحل الذي لا يجب ان تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي البيت
ما ثبت من دوام لامرك وثبوته والسلام فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن
تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه كان يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين

العربية والمرابطية فقال له ايها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه و
يعرفونك انهم اهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك ان لا تجعلهم في منزلة الاعادي
فانهم مسلمون وهم من ذوي البيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار
وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عمن اطاعك من اهل المغرب فقال
يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى انت فقال ايها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجته
وشاهده الذي لا يرد بانه خليق بما حصل في يده من الملك ان يعفو اذا استعفي وان يهب
اذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان اعظم لقدره فاذا عظم قدره تاصل ملكه وان تاصل
ملكه شرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يجشم المشقة اليهم وكان وارث
الملك من غير اهلاك لآخرته واعلم ان بعض الملوك الاكابر والحكماء البصراء بطرق الملك قال
من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما القى الكاتب هذا الكلام الى يوسف
ابن تاشفين بلغته فهمه وعلم انه صحيح فقال للكاتب اجب القوم واكتب بما يجب من ذلك
واقرا علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التاييد والنصر فيما حكم عليكم وانكم
مما في ايديكم من الملك في اوسع اباحة مخصوصون منا باكرام وايثار وسماحة فاستديموا
وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتبه
قراه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به يوسف بن تاشفين درقا لمطية
مما لا يكون الا في بلاده قلت اللمطية بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة وفي اخرها ياء
مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة هذه النسبة الى لمطة وهي بليدة عند السوس
الاقصى بينها وبين سجلماسة عشرون يوما قاله ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك وهي
معدن الدرق اللمطية لا يوجد في الدنيا مثلها على ما يقال والله اعلم قال وانفذ ذلك
اليهم فلما قروا الكتاب احبوه وعظموه وفرحوا بولاية ملك المغرب وقويت نفوسهم على
دفع الفرنج وازمعوا ان راوا من ملك الفرنج ما يريبهم ان يجيزوا اليه يوسف بن
تاشفين ويكونوا من اعوانه على ملك الفرنج فتحصل ليوسف بن تاشفين براي وزيره
ما اراد من محبة اهل الاندلس له وكفاه الحرب وان الادفونش صاحب طليطلة قاعدة
ملك الفرنج اخذ يجوس خلال الديار ويفتتح بلاد الاندلس ويضع على ملوكهم يطلب
البلاد منهم وخصوصا المعتمد بن عباد فانه كان مقصودا فيه وقد تقدم في ترجمة
المعتمد ذكر تاريخ اخذه طليطلة والابيات التي قيلت في ذلك فنظر المعتمد في امره و
راى ان الادفونش قد اخذ يطمع فيما بقي بلاده فاجمع امره على استدعاء يوسف بن
تاشفين الى العبور على ما فيه من الخطر وعلم ان مجاورة غير الحبش مودية بالبوار ولان الفرنج

والملثمين ضدان له الا انه قال ان ذهبنا من بد الخلتين لا بد لنا فاهون الامرين
امر الملثمين ولان نرعى اولادنا جمالهم احب اليهم من ان يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل
هذا الراي نصب عينيه مهما اضطر اليه وان الادفونش خرج في بعض السنين يتخلل
بلاد الاندلس في جمع كثير من الفرنج فخاف ملوك الاندلس على البلاد واجفل اهل القرى
والرساتيق بين يديه ولجاوا الى المعاقل فكتب المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول
له ان كنت موثرا الجهاد فهذا اوانه فقد خرج الادفونش الى البلاد فاسرع في العبور اليه
ونحن معاشر الجزيرة بين يديك وكان يوسف بن تاشفين على اتم اهبة فشرع في عبور عساكره
فلما ابصر ملوك الاندلس عبور اهل المغرب يطلبون الجهاد وكانوا قد وعدوا من انفسهم
بالمساعدة اعدوا ايضا للخروج فلما راى الادفونش اجتماع العزايم على حربه علم انه عام
نطاح فاستنفر الفرنجية للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه الا الله تعالى ولم تزل الجموع
تتالف وتتدارك الى ان امتلات جزيرة الاندلس خيلا ورجلا من الفريقين كل الناس
قد القوا على ملكهم فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في اخرها وامر بعبور الجمال
فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع رغاوها الى عنان السما ولم يكن اهل الجزيرة راوا جملا
ولا كانت خيلهم قد رات صورها ولا سمعت اصواتها فكانت تذعر منها وتقلق وكان
ليوسف بن تاشفين في عبورها راي مصيب كان يحدق بها معسكره وكان يحضرها الحرب
وكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما تكاملت العساكر الجزيره قصدت الادفونش وكان نازلا
بمكان افيح من الارض يسمى الزلاقه بالقرب من بطليوس قال الشاشي بين المكانين اربعة
فراسخ وقال ايضا ان يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربه كتابا على مقتضى الشرع يعرض
عليه الدخول في الاسلام او الحرب او الجزية ومن فصول كتابه وبلغنا يا ادفونش انك دعوت في
الاجتماع بك وتمنيت ان يكون لك فلك تعبر البحر عليها الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في
هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعايك وما دعا الكافرين الا في ضلال فلما
سمع الادفونش ما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه واقسم لا يبرح من مكانه
حتى يلقاه ثم ان تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقه فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج
بها فاختار المعتمد بن عباد ان يكون هو المصادم لهم اولا وان يكون يوسف بن تاشفين اذا
انهزم المعتمد بعسكره بين ايديهم وتبعوه يميل عليهم بعساكره وبات الف معه عساكر الاندلس فلما
عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم فلم يفلت
منهم غير الادفونش في دون الثلثين من اصحابه فلحق ببلاده على اسوا حال فغنم المسلمون من
اسلحتهم وخيلهم واثاثهم ما ملا ايديهم خيرا فلت وكانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من
رجب سنة تسع وسبعين واربعماية وقيل في شهر رمضان في العشر الاول منه من السنة
والله اعلم

والله اعلم وقال الشاشي كان حلول العساكر الاسلامية بالجزيرة الخضرا في المحرم سنة
تسع وسبعين واربعماية فحكي ان موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم
الا على جسد او دم واقامت العساكر بالموضع اربعة ايام حتى جمعت الغنايم فلما حصلت
عف عنها يوسف بن تاشفين واثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده انما كان
الغزو لا النهب فلما رات ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنايم استكرموه و
احبوه وشكروا له ثم ان يوسف بن تاشفين ان مع الرجوع الى بلاده وكان عند قصده
ملاقاة الادفونش يجري المسير بالعدى من عبر ان يمر بمدينة او برستاق حتى نزل
الزلاقة تجاه الادفونش وهناك اجتمع بعساكر الاندلس وذكر ابو الحجاج يوسف بن محمد
الشاشي في كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل ان يوسف بن تاشفين نزل على اقل
من فرسخ من عسكر العدو في يوم الاربعا وكان الموعد في المناجزة يوم السبت الاداني
فغدر الادفونش ومكر فلما كان سحرا يوم الجمعة منتصف رجب من العام اقبلت الطلايع
ابن عباد والروم في اثارها والناس على طمانينة فبادر ابن عباد الركوب وانسل الخبر
في العساكر فماجت باهلها وتزعزع النهب ورجفت الارض وصار الناس فوصل الناس على
غير تعبيه ولا اهبة ودهمهم خيل العدو فغمرت ابن عباد واعظت ما تعرض لها و
تركت الارض حصيدا خلفها وصرع ابن عباد واصابه جراح اسواه وفر روس الاندلس
واسلموا محلاتهم وظنوا انها ذاهبة لا ترفع ونازلة لا تدفع وظن الادفونش ان امير
المسلمين في المنهزمين ولم يعلم ان العاقبة للمتقين فركب امير المسلمين واحدق به نجبا
جنده ورجاله من صنهاجه ورؤسا القبايل فقصد الى محلة الادفونش فاقتحموها
ودخلوها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول فاهتزت الارض وتجاوبت الافاق
وتراجع الروم الى محلتهم بعد ان علموا ان امير المسلمين فيها فقصدوا امير المسلمين فافرج
لهم عنها ثم كر فاخرجهم منها ثم كروا عليه فافرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى
الى ان امر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم اربعة الاف ودخلوا المعترك بدرق
اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت فرسانها واحجمت عن اقرانها
وتلاحق الادفونش باسود نفذت من اربعة بالقذف فاهوى ليضربه بالسيف فلصق به
الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان منطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه
وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال من ذلك اليوم فهبت ريح النصر وانزل الله
سكينته على المسلمين ونصر دينه وصدقوا الحملة على الادفونش واصحابه فاخرجوهم عن محلتهم
فولوا ظهورهم واعطوا اعناقهم بعضهم الى ان لجوا بربوة لجوا اليها واعتصموا بها واحدقت
بهم الخيل ~~الحملة على الادفونش~~ فلما اظلم الليل انسل الادفونش واصحابه من الربوة وافلتوا

بعد ما ثبت فيهم الكفار المنه فاستولى المسلمون على ما كان من محلتهم من الاثاث والابنية
والمضارب والاسلحة وامر ابن عباد بضم الروس فبنى الروم ونثر منها امامه كالتلال العظيم
ثم كتب ابن عباد الى ولده الرشيد كتابا واطاره الحمام في يوم السبت سادس عشر
المحرم يخبره بالقصة وقد روى ايضا ان امير المسلمين طلب من اهل البلاد المعونة على
ما هو بصدده فوصل كتابه الى المرية في هذا المعنى وذكر فيه ان جماعة افتوه بجواز طلب
ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اهل المرية لقاضي بلادهم وهو ابو عبد الله
بن الفراء ان يكتب جوابه وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي فكتب اليه اما
بعد ما ذكره امير المسلمين من اقتضاء المعونة وما جرى عن ذلك وان ابا الوليد الباجي
وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس افتوه بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها
وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا شك في عدله فليس امير
المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا ممن لا يشك في عدله
فان كان الفقهاء والقضاة انزلوك بمنزلته في العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك وما
اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم و
احد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هناك بحضرة اهل العلم و
تحلف ان ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام
ولما قضى امير المسلمين من هذه الوقعة ما قضى امر عساكره بالمقام وان تشن الغارات على
بلاد الفرنج وامر عليهم سير بن ابي بكر وطلب الرجوع في طريقه فتكرم له المعتمد بن عباد فعرج
به الى بلاده وساله ان ينزل عنده فاجابه يوسف الى ذلك فلما انتهى الى اشبيلية مدينة
المعتمد وكان من اجمل المدن منظرا وانظرا الى موضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن
بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل
على الاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا الموضع هو المسمى بشرف اشبيلية وتمير
بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف وفي جانب المدينة قصور المعتمد وابنه المعتضد في غاية
الحسن والبهاء وفيها انواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك
فانزل المعتمد يوسف بن تاشفين في احدها وقام من اكرامه وخدمته بما اوجب شكر ابن تاشفين
له وكان مع ابن تاشفين اصحاب له ينبهونه على تامل تلك الحال وما هي عليه من النعمة ولا
يزالون يغرونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة
كما هو المعتمد واصحابه وكان يوسف بن تاشفين مقتصدا في اموره غير متطاول ولا مسرف
في صنوف الملاذ بالاطعمة وغيرها وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شظف العيش
فانكر على مغويه بذلك الاسراف وقال الذي يلوح من امر هذا الرجل يعني المعتمد انه مضيع لما

في يده

في يده من الملك لان هذه الاموال التي تعينه في هذه الاحوال لا بد ان يكون لها ارباب
لا يمكن اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل ابدا فاخذه بالظلم واخرجه في هذه
الترهات وهذا من الفحش الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد من التطرف فيما
لا يعدو الاحرفين متى يستجد همته في حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفير
على مصالحها ثم ان يوسف بن تاشفين سال عن احوال المعتمد في اللذات وهل يختلف
فتنقص عما هي عليه في بعض الاوقات فقيل بل كل زمانه على هذا فقال افكل اصحابه
وانصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك قالوا لا قال فكيف ترون
رضاهم عنه قالوا لا رضى لهم عنه فاطرق يوسف وسكت فاقام يوسف عند المعتمد على تلك
الحال اياما وفي بعض تلك الايام استاذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان
من اهل البصائر فلما دخل عليه قال له اصلحك الله ايها الملك ان من اوجب الواجبات
شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح واني رجل من رعيتك حالي في دولتك
الاختلال اقرب منها الى الاعتدال لكني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه الملك على
الرعية فمن ذلك خبر وقع في اذني من بعض اصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل
على انهم يرون انفسهم وملكهم احق بهذه النعمة منك وقد رايت رايا وان اثرت انهيته
اليه قلته فقال له المعتمد قل فقال ارايت ان هذا الرجل الذي اطلعته على مملكتك رجل
متاسد على الملوك قد حطم بين العدوة زناته واخذ الملك من ايديهم ولم يبق على احد
منهم ولا بد من ان يطمع الى الطماعية في مملكتك بل في ملك جزيرة الاندلس كلها بما قد رأى
من تلهيك عيشك وانه لمتخيل في مثل حالك سائر ملوك الاندلس وان لك من الولد والاقارب
من يؤثر مسراتهم ومن توذلة الحلول بما انت فيه من خصب الجناب وقد اودى الادفونش
وجيشه واستاصل شافتهم واعدم منه اقوى عضد ناصر عليه لو احتجت اليه فقد
كان هذا القاضي لك منه اقوى عضد وادفع مجن وبعد ان فات الامر في الادفونش لا
نقيلك الحزم فيما هو ممكن اليوم قال له المعتمد وما هو الحزم اليوم قال ان تجمع امرك على
قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى تامر كل من بجزيرة الاندلس
من عسكره ان يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى بالجزيرة منهم طفل ثم تتفق انت وملوك الجزيرة
على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه لعداوة له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان
ان لا يهم في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتاخذ منه على ذلك رهنا
فانه يعطيك من ذلك ما شئت فنفسه اعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقنع هذا
الرجل ببلاده التي لا يصلح الا لها وتكون قد استرحت منه بعدما استرحت من الادفونش و
تقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وتنسب بهذا
الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعلم بعد هذا انما يفتضيه ورود ملك في مجا

من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيا لك من هذا الامر ما يساوي تفاني الامم وجري
بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز
هذه الفرصة وكان للمعتمد ندما قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم لهذا الرجل
الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام اهل المكرمات من يعامل بالحيف ويغدر بالضيف
فقال له الرجل انما الغدر اخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه الحذر واذا الصايح
به قال ذلك النديم كظم مع وفا خير من حزم مع جفا ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه
فشكره المعتمد ووصله بصلة وانصرف واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين فاصبح غاديا
فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضرا الى
سبتة قلت وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدي الناس فيه من احد البرين الى
الاخر اعني بر الاندلس وبر العدوة الحالم وقد تقدم الكلام على هذا المكان قال ولما عبر
يوسف الى بر العدوة اقام عسكره بجزيرة الاندلس ريثما استراح مع تتبع اثار الادفونش فتوغل
في بلاده ولما رجع الادفونش الى موضعه سال عن اصحابه وشجعانه وابطال عسكره فوجد اكثرهم
قد قتلوا ولم يسمع الا نياح الثكالا عليهم فلم ياكل ولم يشرب حتى مات هما وغما ولم يخلف الا ابنة
جعل الامر اليها فتحصنت بمدينة طليطلة واما عسكر ابن تاشفين فانهم في غاراتهم هذه
كسبوا من الغنايم ما لا يحد ولا يوصف وانفذوا ذلك الى بر العدوة واستاذن اميرهم
سير بن ابي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الاندلس واعلمه انه قد افتتح معاقل
في الثغور ورتب بها مستحفظين ورجالا يغزون فيها وانه لا يستقيم لهذه الجيوش ان
تقيم بالثغور في ضنك من العيش ومكابدة العدو وعساكره ويحظى ملوك الاندلس من
الارياف برغد العيش فكتب اليه ابن تاشفين يامره باخراج ملوك الاندلس من بلادهم والحاقهم
بالعدوة فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا يفض عنه حتى يخرجه وليبدا منهم بمجاوري
الثغور ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ثم تولى تلك البلاد امرا عسكره
واكابرهم فابتدا سير بن ابي بكر بملوك بني هود من ملوك الاندلس ليستنزلهم من معقلهم
وهي روطة قلت بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء قلعة منيعة من
عاصمات الدنيا ماوها ينبع في اعلاها وكان من الاقوات بها والذخاير المختلفات ما
تفنيه الازمان فلم يقدر عليها فرحل عنها ثم جند اجنادا على صور الفرنج وامرهم ان يقصدوا
هذه القلعة مغيرين عليها ويكمن هو واصحابه بالقرب منها ففعلوا ذلك فراهم صاحب القلعة
واستضعفهم ونزل في طلبهم فخرج سير بن ابي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة ثم نازل بني
صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة الا انهم لم يكن عندهم اجناد ولا انجاد من الرجال فحصر
عليهم وغلبهم فلما علم المعتصم بن صمادح انه مغلوب دخل قصره فادركه اسف فقضى عليه
فمات من ليلته فاشتغل اهله فملك المدينة ثم نازل المتوكل عمر بن الافطس ببطليوس وكان

رجلا شجاعا عظيم القدر كبير البيت كان ابوه المظفر بالله ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمه
التجيبي من فحول العلماء وكان ملكا له تصانيف اعظمها واشهرها الكتاب المنسوب اليه
وهو المظفري في علم التاريخ ومدينة بطليوس من اجمل البلاد لم يدن ولا اقبل على
غير المد الحصر والقتال الى ان غدر عليه اصحابه فقبض عليه باليد فقتلوا صبرا وحمل
اولاده الاصاغر الى مراكش وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا الى بر العدوة الا ما
كان من المعتمد ابي القسم بن عباد فان سير بن ابي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة كتب الى
يوسف بن تاشفين انه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد ابي القسم في امره بما تراه
فامره بقصده وان يعرض عليه التحول الى بر العدوة باهله وماله فان فعل فبها
ونعمت وان ابى فنازله فلما عرض عليه سير بن ابي بكر ذلك لم يعطه جوابا فنازله وحاصره
شهرا ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره قسرا فحمل الى العدوة مقيدا
فانزل باغمات واقام بها الى ان مات ولم يعتقل من ملوك الاندلس غيره وتم لسير بن
ابي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها فمات يوسف بن تاشفين في التاريخ الاتي ذكره ان
شاء الله تعالى وافضى الملك الى ولده ابي الحسن علي بن يوسف وكان رجلا حليما وقورا
صالحا عدلا منقادا للحق والعلما يجبى اليه الاموال من البلاد لم يزعجه عن سريره قط
حادث ولا طاف به مكروه قلت وقد تقدم في ترجمة ابي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله
بن خاقان القيسي صاحب قلايد العقيان انه جمع الكتاب المذكور باسم ابرهيم بن يوسف
بن تاشفين ~~المذكور ثم ولي بعده~~ وان الذي اشار بقتل الفتح هو علي بن يوسف بن تاشفين
المذكور ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وعلى يده انقرض ملكهم
وسياتي شرح ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى وقد تقدم في اوايل هذه الترجمة ان يوسف
بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه
هذه الترجمة في اخر الكتاب ان مراكش مدينة عظيمة بناها الامير يوسف بن تاشفين
هو الذي اختط مدينة مراكش قال صاحب بموضع كان اسمه مراكش معناه امش مسرعا
بلغة المصامدة كان ذلك الموضع ماوى اللصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقايهم هذه
الكلمة فعرف الموضع بها وقال غير مؤلف هذا الكتاب بنى ابن تاشفين مدينة مراكش
في سنة خمس وستين واربعماية قاله ابو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه النبراس
في خلافة القايم بامر الله قال وكانت مزرعة لاهل نفيس فاشتراها منهم بماله الذي خرج
به من الصحرا ونفيس بفتح النون وتشديد الفا وسكون اليا المثناة من تحتها جبل مطل
على مراكش قلت وهو بنواحي اغمات في الغرب الاقصى وذلك انه لما توطدت نفسه على
الملك واطاعته قبايل البربر وذهب من يخالفه من لمتونة سمت همته الى بنا هذه المدينة
وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى

بها القصور والمساكن الانيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها
جبل الابرال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها وفي سنة اربع وستين واربعمائة
نزل يوسف على مدينة فاس وكانت اذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام وضيق على
اهلها ثم اخذها فاقر العامة بها ونفى البربر والجند بعد ان حبس بعضهم وقتل بعضهم
فعند ذلك قوي شانه وتمكن بالمغرب الاقصى والادنى سلطانه مع ما صار بيده من بلاد
جزيرة الاندلس كما شرحناه وكان حازما سائسا للامور ضابطا لمصالح مملكته موثرا لاهل
العلم والدين كثير المشورة لهم وبلغني ان الامام حجة الاسلام ابا حامد الغزالي تغمده الله
برحمته لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى اهل العلم عزم على التوجه اليه
فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك
العزم وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا الوقت اين
وجدته وكان يوسف معتدل القامة اسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق
الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو اول من تسمى بامير المسلمين ولم يزل على حاله
وعزة سلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلث خلون من المحرم سنة خمسمائة وعاش تسعين
سنة ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير في
تاريخه الكبير ما مثاله سنة خمسمائة توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب
والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى اهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم
في بلاده ويصدر عن ارائهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان
ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى احدهم الف دينار يتجر بها وتمنى الاخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين
وتمنى الاخر زوجته وكانت من احسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم واعطى
متمني المال الف دينار واستعمل الاخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا
الذي لا تصل اليه ثم ارسله اليها فتركته في خيمة ثلاثة ايام يحمل اليه في كلها طعاما واحدا
فقالت كل النساء شيء واحد وامرت له بمال وكسوة واطلقته واما ولده علي المذكور فانه
توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ومولده حادي عشر رجب سنة
ست وسبعين واربعمائة وقد سبق ذكر طرف من حاله في ترجمة محمد بن تومرت المهدي
فيكشف منه ولما خرج عبد المومن بن علي المقدم ذكره قاصدا جهة البلاد الغربية لياخذها
من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور وكان مسيره على الجبال فبعث علي بن يوسف ولده تاشفين
ليكون في قبالة عبد المومن ومعه جيش فصاروا في السهل واقاموا على هذه مدة فتوفي علي بن
يوسف في اثنائها في التاريخ المذكور فقدم اصحابه ولده اسحق بن علي وجعلوه نائب اخيه
تاشفين على مراكش وكان صبيا وظهر امر عبد المومن ودانت له الجبال وفيها غمارة وبلاد
والمصامدة وهم امم لا يحصى فخاف تاشفين بن علي واستشعر القهر وتيقن ان دولتهم

ستزول

ستزول فاتى مدينة وهران وهي على البحر وقصد ان يجعلها مقره فان غلب على الامر ركب
في البحر الى جزيرة الاندلس يقيم بها كما اقامت بنو امية بالاندلس عند انقراض دولتهم بالشام
وبقية البلاد وفي ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وباعلاها رباط ياوي
اليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة
صعد تاشفين الى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه وكان عبد المومن
بجيشه في تاجرة وهي وطنه كما ذكرته في ترجمته واتفق انه ارسل سرية الى وهران فوصلتها
في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ومقدمهم الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى صاحب
المهدي فكمنوا عشية وعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط فقصدوه واحاطوا به واحرقوا
بابه فايقن الذي فيه بالهلاك فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب
الفرس النار وينجو فراى الفرس نارا روعته ولم يملكه اللجام من حرف هناك الى جهة
البحر على حجارة في وعر فتكسر تاشفين وهلك في الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه
وكان عسكره في ناحية اخرى لا علم لهم بما جرى في الليل وجاء الخبر بذلك الى عبد المومن
فوصل الى وهران وسمي الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك الوقت نزل عبد
المومن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان وهي مدينتان قديمة ومحدثة بينهما شوط
فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها واخذها في سنة اربعين وخمسمائة ثم قصد مراكش في
سنة احدى واربعين فحاصرها احد عشر شهرا وفيها اسحق بن علي وجماعة من مشايخ
دولتهم قدموه بعد موت ابيه علي بن يوسف بن تاشفين نائبا عن اخيه تاشفين فاخذها
وقد بلغ القحط من اهلها الجهد واخرج اليه اسحق بن علي ومعه سير بن الحاج وكان من
الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين واسحق دون البلوغ فعزم عبد المومن ان يعفو عن
اسحق لصغر سنه فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ثم نزل
عبد المومن في القصر وذلك في سنة اثنين واربعين وخمسمائة وانقرضت دولة بني
تاشفين قلت وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد ان يوسف بن تاشفين عاد الى الاندلس
في العام الثاني من وقعة الزلاقة وذكرت ههنا ما يدل على انه ما عاد اليها وانما نوابه
هم الذين اخذوا بلاد الاندلس له فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب ان هذا تناقض
والعذر في هذا اني وجدته في ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ووجدته في هذه الترجمة
على هذه الصورة والله اعلم ثم رايت في كتاب تذكير العاقل تاليف ابي الحجاج يوسف الكاتب
ان ابن تاشفين لما جاز البحر قصد اشبيلية فخرج ابن عباد الى لقائه ومعه الضيافة والاقامة
ثم خرج من اشبيلية بنفسه وقصيصه قاصدا بطليوس وجرت الواقعة المذكورة ثم عاد
ابن تاشفين الى بلاده وان ابن عباد جاز البحر ومضى اليه في سنة احدى وثمانين واستنجده
على ما يجاوره من بلاد العدو فاكرمه ابن تاشفين واجابه الى انجاده ثم عاد ابن عباد الى بلاده

واستعد للعدو ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة احدى وثمانين ثم خرج الادفونش
في جيش كثيف وكانوا ملوك الاندلس قد اجتمعوا عند ابن تاشفين فلما راى ما اهل من
الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه واوهمه خواصه ان ملوك الاندلس يفرون عنه
ويخلون بينه وبين الادفونش فاصغى الى كلامهم وعمل في نفسه قولهم فاخذ في الحركة الى
البربر وتحرك الجمع بحركته وجاز البحر عائدا الى بلاده وقد وغر صدره على ملوك الاندلس
ولهم تعقبوه عليهم وخافوه فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الاقوات وراسل بعضهم الادفونش
ليكون عونا له خوفا من ابن تاشفين فاجابه الادفونش بالمعاونة والمساعدة وكان قد سير
هدايا والطافا كثيرة فقبلها منه وحمل له على جميع ما التمس منه واتصل ذلك بابن تاشفين
فاغتاظ غيظا ثم ان ابن تاشفين جاز البحر ثالثة وقصد قرطبة وهي لابن عباد فوصلها في
جمادى الاولى سنة ثلث وثمانين وقد سبقه اليها ابن عباد فخرج اليه بالضيافة وجرى معه
على عادته ثم ان ابن تاشفين اخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن ماكسن بن بادليس بن
حبوس وحبسه فطمع ابن عباد في غرناطة وان ابن تاشفين يعطيه اياها فعرض له بذلك
فاعرض عنه ابن تاشفين وخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج منه فقال له انه جاءت كتب
من اشبيلية وهم خايفون من العدو المجاور لهم واستاذنه في العود اليها فاذن له فعاد
ثم رجع ابن تاشفين الى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان من سنة ثلث وثمانين واقام
ببلاده الى ان دخلت سنة اربع وثمانين بعثه عزم على العود الى الاندلس لمنازلة ابن
عباد وبلغ ذلك ابن عباد فاخذ في التاهب والاستعداد ووصل ابن تاشفين الى سبتة
وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن ابي بكر فجازوا البحر ونازلوا بلاد ابن عباد واستنصر
بالادفونش فلم يلتفت اليه وكان ما ذكرته والله اعلم وفي هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج
الى الكلام عليه والذي وجدته ان اصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا وهم اصحاب خيل وابل
وشاء ويسكنون الصحاري الجنوبية وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر
والوبر واول من جمعهم وحرضهم على القتال والحمهم في تلك البلاد عبد الله بن تاشفين
الفقيه وقتل في حرب جرت مع ابن عوالمه وقام مقامه ابو بكر بن عمر الصنهاجي الصحراوي
المقدم ذكره ومات في حرب السودان وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه
وهو الذي سمى اصحابه المرابطين وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم فلذلك سموهم
الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حمير كانت
تتلثم لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم وقيل كان
سببه ان قوما من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فياخذون
المال والحريم فاشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية و
يقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء فاذا اتاهم العدو وظنوهم النساء فيخرجون عليهم

ففعلوا

ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركا بما حصل لهم من الظفر
بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير ما مثاله وقيل
ان سبب اللثام لهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو
الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو
امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن
ذلك وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف
العدو راى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهم قتال
الموت والراي ان نسوق النعم ونمضي فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم
في جمع النعم من المراعي اذ اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو
كثيرا وكان من قتل النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف
الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا ومما قيل في اللثام

قوم لهم درك العلا في حمير ... وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم ابي بكر بن عمر الصنهاجي وخرج من سجلماسة
في سنة اربع وخمسين واربعمائة وكان ابو بكر بن عمر قد اتى سجلماسة في سنة ثلث
وخمسين وحاصرها وقاتل اهلها اشد قتال واخذها ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين
وكان ما كان والله اعلم **ابو يعقوب يوسف بن ابي محمد** عبد المؤمن بن علي القيسي
الكومي صاحب المغرب قد تقدم ذكر ابيه عبد المؤمن في حرف العين وذكر ولده يعقوب
قبل هذا ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع محمد بن عبد المؤمن ونقش
على الدنانير اسمه وكان ذلك باستخلاف ابيه وتحليفه الجند له فظهر منه اشتغال
بالراحة فانهماك في البطالة فخلعه يوسف وكان له اخ اخر اسمه ابو حفص عمر وولاه
جزيرة الاندلس وكان يوسف المذكور فقيها حافظا متقنا لان اباه هذبه وقرن به وباخوته
اكمل رجال الحرب والمعارف فنشا في ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفي قراءة العلم
بين افاضل العلماء وكان ميله الى الحكمة والفلسفة اكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم
وكان جماعا مناعا ضابطا للخراج بمملكته عارفا بسياسة رعيته وكان ربما يحضر حتى لا يكاد
يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر حتى لا يكاد يغيب بحضرة وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد
فوض الامور اليهم لما علم من صلاحهم لذلك والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه فلما
تمهدت له الامور واستقرت قواعد مملكته دخل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته
وتفقد احوالها وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة الف فارس
من العرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير ابو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد

بن محمد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها وحمل على
قلبه فوقع مرضا شديدا ومات وقيل ان امه سقته السم لانه كان قد اساء العشرة
مع اهله وخواصه وكبراء دولته فنصحته وغلظت عليه في القول فتهددها وخافت
بطشه فعملت عليه وقتلته بالسم وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة
سبع وستين وخمسمائة باشبيليه ومولده في سنة ثمان عشرة وخمسمائة في قلعة من
اعمال طرطوشه يقال لها بنشكله وهي من الحصون المنيعة ولما مات محمد بن سعد جا
اولاده وقيل اخوته الى الامير يوسف بن عبد المومن وهو باشبيليه فسلموا اليه جميع بلاد
شرق الاندلس التي كانت لابيهم وقيل لاخيهم فاحسن اليهم الامير يوسف فشرع في استرجاع
بلاد المسلمين من ايدي الفرنج وكانوا قد استولوا عليها فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت
سراياه تصل مغيره الى باب طليطله وهي كرسي بلادهم واعظم قواعدهم ثم انه حاصرها
فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلا في عسكره فرجع عنها وعاد الى مراكش وفي سنة
خمس وسبعين قصد بلاد افريقيه وفتح مدينة قفصه ثم دخل جزيرة الاندلس في سنة
ثمانين ومعه جمع كثيف وقصد غربي بلادها فحاصر مدينة شنترين شهرا فاصابه مرض فمات
منه في شهر ربيع الاول سنة ثمانين وخمسمائة وحمل في تابوت الى اشبيليه رحمه الله
تعالى وكان قد استخلف ولده ابا يوسف يعقوب بن يوسف المقدم ذكره وذكر شيخنا
ابن الاثير في تاريخه ان يوسف مات من غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتفق راي
قواد الموحدين واولاد عبد المومن على تمليك ولده يعقوب فملكوه في الوقت الذي مات
فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقرب العدو منهم وكان خلع اخيه ابي عبد
الله محمد بن عبد المومن في شعبان سنة ثمان وخمسين فاستبد يوسف حينئذ با
لامر واجمع اكابر اصحابهم على خلعه وتولية الامير يوسف وقد روى له شعر لكنه
ليس بالجيد فلم اذكر منه شيئا واما محمد بن سعد بن مردنيش المذكور فيروى له

وحقها انها جفون	يسيل من لحظها المنون
لا اصبر عنها ولا عليها	الموت من دونها يهون
لا ركبن الهوى اليها	يكون في ذاك ما يكون

قلت ثم وجدت هذه الابيات في كتاب لابن القطاع وقد نسبها الى ابي جعفر
احمد بن الحسين بن صمادح الغني والله اعلم وقال البياسي في حماسته هو
ابو جعفر احمد بن الحسين بن خلف بن البني الابدي النحوي والله اعلم
الا انه لم يذكر هذه الابيات ثم اورد البياسي لابي جعفر المذكور

صدني عن حلاوة التشييع	اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا	فرايت الصواب ترك الجميع

وله في صفة قنديل

وقنديل كان الضوء منه	محاسن من احب وقد تجلى
اشار الى الدجى بلسان افعى	فشمر ذيله فرقا وولى

ولما مات ابو يعقوب يوسف المذكور رثاه الاديب ابو بكر يحيى بن مجبر الاتي عمر
المقدم ذكره في ترجمة يعقوب بن يوسف هذا بقصيدة طويلة اجاد فيها واولها

جل الاسى فاسيل دم الاجفان	ماء الشوون لغير هذا الشان

ومردنيش بفتح الميم وسكون الرا وفتح الدال المهمله وكسر النون وسكون اليا المثناة
من تحتها وبعدها شين معجمه وهو بلغة الفرنج اسم العوزه وبنشكله بضم البا
الموحده والنون وسكون الشين المعجمه وضم الكاف وفتح اللام وبعدها هاء والباقي
معروف لا حاجة الى ضبطه والبني في نسب الشاعر المذكور بكسر البا الموحده و
تشديد النون والابدي بضم الهمزة وتشديد البا الموحده وبعدها دال مهمله
هذه النسبة الى بلدة بالاندلس من كوره جيان بناها عبد الرحمن بن الحكم وجددها
ابنه محمد قلت ولما فرغت من ترجمة يوسف بن عبد المومن صاحب الترجمة
وجدت مجموعا بخط العماد بن جبريل اخي العلم المصري ناظر بيت المال بالديار المصريه
وقد تقدم ذكره في ترجمة ابي اسحق العراقي الفقيه المذكور في اوايل هذا الكتاب
وفيه فوايد من اخبار المغاربة وغيرهم فنقلت منه ما يضاف الى هذه الترجمة وهو
ان عبد المومن كان في حياته قد عهد الى اكبر اولاده وهو محمد وبايعه الناس وكتب
بيعته الى البلاد فلما مات عبد المومن لم يتم له الامر لانه كان على امور لا يصلح معها
للمملكة من ادمان شرب الخمر واختلال الراي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه
مع هذا كان به ضرب من الجذام واضطرب امره واختلف الناس عليه فخلع وكانت مدة
ولايته خمسة واربعين يوما وذلك في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان
الذي سعى في خلعه اخويه يوسف وعمر ابني عبد المومن ولما تم خلعه دار الامر بين
الاخوين المذكورين وهما من نجبا اولاد عبد المومن ومن ذوي الراي فتاخر عنها ابو
حفص عمر وسلم الامر الى اخيه يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة وكان ابيض
تعلوه حمره شديد سواد الشعر مستدير الوجه افوه اعين الى الطول ما هو
في صوته جهاره رقيق حواشي اللسان حلو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسه اعرف
الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لايامها في الجاهلية والاسلام صرف عنايته
الى ذلك ولقي فضلاء اشبيليه ايام ولايته لها ويقال انه كان يحفظ صحيح البخاري و
كان شديد الملوكيه بعيد الهمة سخيا جوادا استغنى الناس في ايامه وكان يحفظ
القران الكريم مع جملة من الفقه ثم طمح الى علم الحكمة وبدا من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب
الحكمة شيئا كثيرا وكان ممن صحبه من العلما بهذا الشان ابو بكر محمد بن الطفيل كان

محققا لجميع اجزاء الحكمة قرا على جماعة من اهلها منهم ابو بكر محمد بن الصائغ المعروف بابن
ماجه وغيره ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة وكان حريصا على الجمع بين علم الشريعة
والحكمة وكان مفننا ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم ابو
الوليد محمد بن احمد بن رشد الاندلسي ولما استوثق ليوسف الامر وملك بلاد ابن
مردنيش من الاندلس خرج من اشبيلية قاصدا بلاد فرس من الاندلس ايضا فنزل على
مدينة لهم تسمى زبذه فاقام محاصرا لها شهورا الى ان اشتد عليهم الحصار واعطشوا
فراسلوه في تسليم المدينة اليه وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما
اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم واصوات هايله وذلك انهم
اجتمعوا باسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملا ما كان عندهم من الصهاريج
فارتووا وتقووا على المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين
وكان يرتفع اليه من خراج اشبيلية في كل سنة وقر مائة وخمسين بغلا خارجا عما يرتفع
اليه من خراج بقية البلاد في بر العدوة وفي بر الاندلس وفي سنة تسع وسبعين تجهز
للغزو في جيش عظيم وعبر الى جزيرة الاندلس ونزل اشبيلية كعادته في اصلاح شانهم
ثم رحل الى شنترين وهي بلده في غرب الاندلس وهي في غاية المنعة والحصانة فحاصرها
وضيق عليها فلم يقدروا عليها وهجم الشتا وخاف المسلمون من البرد وزيادة مد النهر
فلا يقدرون على العبور وتنقطع عنهم المادة فاشاروا عليه بالرجوع الى اشبيلية فاذا
طاب الزمان عاد اليها فقبل ذلك منهم وقال نحن راحلون غدا ان شاء الله تعالى ولم
ينتشر هذا الحديث فانه قاله في مجلس الخاصة فكان اول من قوض ورحل ابا الحسن علي
بن عبد الله بن عبد الرحمن المالقي الخطيب وكان من اهل العلم والفضل فلما راه الناس
قد قوض خيامه قوضوا ايضا ثقة به لمكانه من الدولة ومعرفته باسرارها فعبر تلك
الليلة اكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلب الجيد المنازل ولم يبق الا من كان بقرب
خبا الامير يوسف بن عبد المومن ولا علم لهم بذلك فلما راى الروم عبور العساكر وبلغهم
من جواسيسهم ما عزم عليه الامير يوسف خرجوا منتهزين الفرصة وحملوا حتى انتهوا
الى جهة الامير يوسف فقتل على بابه خلق كثير من اعيان الجند وخلصوا الى الامير يوسف
وطعنوه تحت سرته طعنة كانت سبب منيته وتداركهم الناس فانهزم الروم ورحل
الامير يوسف في محفه وعبر به النهر ولم يبرح به سوى ليلتين ومات في الثالثة
فلما وصلوا به الى اشبيلية صبروه وصيروه في تابوت وحملوه الى ابن رمل ودفن
هناك عند ابيه عبد المومن والمهدي محمد بن تومرت وكانت وفاته يوم السبت لسبع
خلون من رجب من سنة ثمانين وخمسمائة وكان قبل موته باشهر ينشد هذا البيت
ويردده في اوقات كثيرة وهو ؛ ؛ ؛ ؛

طوى

طوى الجديدان ما قد كنت انشره ؛ وانكرتني ذوات الاعين النجل

وقام بالامر بعده ولده ابو يوسف يعقوب بويع في حياة ابيه وقيل ان اشياخ الدولة
اتفقوا على تقديمه بعد وفات ابيه والله اعلم وكان الاديب ابو العباس احمد بن
عبد السلام الكراوي وكورا قبيلة من البربر منازلهم بنواحي مدينة فاس وقيل
ان هذه القبيله انما يقال لها جراوه بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافا فيقال لها كراوة
والنسبة اليها جراوي وكراوي وكان هذا الاديب نهاية في حفظ الاشعار القديمه
والمحدثه وتقدمه في هذا الشان وجالس به عبد المومن ثم ولده يوسف ثم ولده
يعقوب وجمع كتابا يحتوي على فنون الشعر على وضع كتاب الحماسة لابي تمام الطاي
وسماه صفوة الادب وديوان العرب وهو كثير الوجود بايدي الناس وهو عند اهل
المغرب كالحماسة عند اهل المشرق والمقصود من ذكر هذا الاديب انه كانت له نوادر
نادره وملح مستظرفه عند اهل الادب فمن ذلك انه حضر يوما الى باب دار الامير
يوسف المذكور وهناك الطبيب سعيد الغماري وغماره بضم الغين المعجمه قبيلة من
البربر ايضا فقال الامير يوسف لبعض خدمه انظر من الباب من
الاصحاب فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال احمد الكوراني وسعيد الغماري فقال
الامير يوسف من عجايب الدنيا شاعر من كورا وطبيب من غماره فبلغ ذلك الكوراني
فقال وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اعجب والله منهما خليفة من كوميه فقال ان الامير
يوسف لما بلغه ذلك قال انما اعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه نكايه ومن شعره من
جملة ابيات مدح بها الامير يوسف المذكور وهو معنى بديع غريب

ان الامام هو الطبيب وقد شفى ؛ علل البرايا ظاهرا ودخيلا
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه ؛ كالروح يوجد حاملا محمولا

ومن شعره ايضا في ذم اهل فاس وهي مدينة بالمغرب فيما بين سبتة ومراكش

مشي اللوم في الدنيا طريدا مشردا ؛ يجوب بلاد الله شرقا ومغربا
فلما اتى فاسا تلقاه اهلها ؛ وقالوا له اهلا وسهلا ومرحبا

وله كل شعر مليح وكان شيخا مسنا جاوز ثمانين سنة وتوفي في اخر ايام الامير يعقوب
بن الامير يوسف وقد ذكرت تاريخ وفاة الامير يعقوب في ترجمته فيكشف منها وله مدح
في الامير عبد المومن بن علي واولاده الى اخر زمنه رحمهم الله اجمعين واما شنترين
بفتح الشين المعجمه وسكون النون وفتح التاء المثناه من فوقها وكسر الراء وسكون الياء
المثناه من تحتها وبعدها نون فهي مدينة في غرب الاندلس ذكر ابن حوقل في كتاب
المسالك والممالك شنترين على البحر المحيط وبها يقع العنبر ولا يعلم ببلد الروم وفي
المحيط عنبر يقع في غير هذا الموضع وشي بالشام ويقع في شنترين في وقت من السنة ذا

يحل الحجارة في وسط البحر فتقع بها وبره في لين الخز ولون الذهب فيجتمع منه ما يغزل
و ينسج ثيابا ويتلون الثوب الوانا ويحجر عليه ملوك بني امية بالاندلس فلا ينقل ولا
يشترى ويزيد الثوب على الف دينار لعزته وحسنه والله اعلم قلت وحكى لي بعض الفضلا
من اهل الاندلس انه راى قطعة من هذه الثياب هناك واراد ان يصفها لي فما قدر ويعبر
عنها ثم قال لكنها ارفع وانعم من نسج العنكبوت فقال الله ما اجل قدره والطف حكمته واحسن
صنعته وكيف يخص كل صقع بنوع من الغرايب سبحانه وتعالى ولله ابي نواس حيث يقول

وفي كل شي له اية ÷ تدل على انه واحد

السلطان ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شادي الملقب الملك الناصر صلاح الدين
صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية وقد تقدم في هذا
الكتاب ذكر ابيه ايوب وجماعة من اولاده وعمه اسد الدين شيركوه واخيه الملك
العادل ابي بكر محمد وجماعة من اولاده وغيرهم من اهل بيته وصلاح الدين كان واسطة
العقد وشهرته اكبر من ان يحتاج الى التنبيه عليه اتفق اهل التاريخ على ان اباه واهله من
دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون اليا المثناة من تحتها وبعدها نون وهي
بلدة في اخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية بفتح الرا
والواو وبعد الالف دال مهملة ثم يا مثناة من تحتها مشددة وبعدها ها والروادية
بطن من الهذبانية بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الالف نون مكسورة ثم يا مشددة
مثناة من تحتها وبعدها ها وهي قبيلة كبيرة من الاكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما
يقول وهو من اهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها اجدانقان بفتح الهمزة و
سكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون مفتوحة وقاف مفتوحة وبعد الالف
الثانية نون اخرى وجميع اهلها اكراد روادية ومولد ايوب والد صلاح الدين بها وشادي
اخذ ولديه اسد الدين شيركوه ونجم الدين ايوب وخرج بهما الى بغداد ومن هناك نزلوا
تكريت ومات شادي بها وعلى قبره قبة داخل البلد ولقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم اجد
احدا ذكر بعد شادي ابا اخر حتى اني وقفت على كتب كثيرة باوقاف واملاك باسم شير
كوه وايوب فلم ار فيها سوى شيركوه وايوب بن شادي لا غير وقال لي بعض كبرا بيتهم
هو شادي بن مروان وقد ذكرت ذلك في ترجمة ايوب ولد شيركوه ورايت مدرجا رتبه
الحسن بن غريب بن عمران الحرشي يتضمن ان ايوب بن شادي بن مروان بن ابي علي
بن عنتره بن الحسن بن علي بن احمد بن ابي علي بن عبد العزيز بن هدبه بن الحصين
بن الحرث صاحب الحمالة بن عوف بن حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف
بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس
بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم رفع بعد عدنان في النسب حتى انتهى الى ادم

عليه السلام

عليه السلام ثم ذكر بعد ذلك ان علي بن احمد بن ابي علي بن عبد العزيز يقال انه ممدوح
المتنبي ويعرف بالخراساني وفيه يقول من جملة قصيدة

شرف الجو بالغبار اذا سار ÷ علي بن احمد القمقام

واما حارثة بن عوف بن ابي حارثة صاحب الحمالة فهو الذي حمل الدما بين عبس
وذبيان وشاركه في الحمالة حارثة بن سنان اخو هرم بن سنان وفيهما قال زهير
بن ابي سلمى المزني قصايد منها قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم ÷ وعند المقلين السماحة والبذل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه ÷ وتغرس الا في منابتها النخل

هذا اخر ما ذكره في المدرج وكان قدمه الى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن
الملك العادل صاحب دمشق وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين ابو
المفاخر داود بن الملك المعظم وكتب لهما بسماعهما عليه في اخر رجب سنة تسع عشرة
وستماية والله اعلم انتهى ما نقلته من المدرج ورايت في تاريخ حلب الذي جمعه
القاضي كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد المعروف بابن العديم الحلبي بعد ان ذكر
الاختلاف في نسبهم فقال وقد كان المعز اسمعيل بن سيف الاسلام بن ايوب ملك
اليمن ادعى نسبا في بني امية وادعى الخلافة وسمعت شيخنا القاضي بها الدين عرف
بابن شداد يحكي عن السلطان صلاح الدين انه انكر ذلك وقال ليس لهذا اصل اصلا
قلت ذكر شيخنا الحافظ عز الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير صاحب
التاريخ الكبير في تاريخه الصغير الذي صنفه للدولة الاتابكية ملوك الموصل في فصل
يتعلق باسد الدين شيركوه ومسيره الى الديار المصرية فقال كان اسد الدين شير
كوه ونجم الدين ايوب وهو الاكبر ابنا شادي من بلد دوين واصلهما من الاكراد الروادية
فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي شحنة العراق قلت
وهذا مجاهد الدين كان خادما روميا ابيض اللون تولى شحنكية العراق من جهة السلطان
مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي المقدم ذكره وذكر والده وجماعة من اهل
بيته وكان صاحب همة في عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد واصلاح الصدور والتصرف في البلاد
والارتفاقات والمطاولة والمراجعة اذا امتنع عليه الغرض وكانت تكريت اقطاعا له وكان خادم
السلطان محمد والد مسعود المذكور وبقي في بغداد دهرا طويلا ووقف عليه وقفا جليلا ومات
في يوم الاربعا الثالث والعشرين من رجب سنة اربعين وخمسماية وهو بكسر البا الموحدة
وسكون الها وضم الرا وسكون الواو وبعدها زاي وهو لفظ اعجمي معناه يوم جيد على
التقديم والتاخير على عادة كلام العجم قال شيخنا ابن الاثير فراى مجاهد الدين في نجم
الدين ايوب عقلا ورايا حسنا وحسن سيرة فجعله دزدارا بتكريت اذ هي له قلت

ددار بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الالف راء وهو
لفظ اعجمي حافظ القلعة وهو الوالي ودربا بعجمي القلعة ودار الحافظ فسار اليها ومعه اخوه
اسد الدين فلما انهزم اتابك الشهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا قلت وهي وقعة
مشهورة خلاصتها ان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي المقدم ذكره وعماد الدين زنكي صاحب
الموصل قصدا لحصار بغداد في ايام الامام المسترشد فارسل الى قراجا السلجوقي واسمه
برس صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجد به فاتاه وكبس عسكرهما وانهزما بين يديه
والنكسر واذكر في تاريخ الدولة السلجوقية انها كانت في شهر ربيع الاخر يوم الخميس ثاني عشر
الشهر المذكور من سنة ست وعشرين وخمسماية على تكريت وقال اسامة بن منقذ المقدم
ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها الذي كانوا في زمانه انه حضر هذه الوقعة مع
زنكي في التاريخ المذكور وذكر ذلك في موضعين احدهما في ترجمة اربل والثاني في ترجمة
تكريت رجعنا الى ما كنا فيه فوصل زنكي الى تكريت فخدمه نجم الدين ايوب واقام له السفن
فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن اسد الدين اليهم وسيرهم وبلغ ذلك بهروز فنقم
اليه وانكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدونا فاحسنت اليه واطلقته ثم ان اسد الدين قتل
انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما فارسل مجاهد الدين اليهما فاخرجهما من تكريت فقصدا
عماد الدين زنكي قلت فكان اذ ذاك صاحب الموصل قال فاحسن عماد الدين اليهما وعرف
لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة جنده فلما فتح عماد الدين زنكي
بعلبك جعل نجم الدين ددارا بها فلما قتل زنكي قلت وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته
قال حصر عسكر دمشق قلت وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين ابق بن محمد بن
بوري الاتابك ظهير الدين طغتكين وهو الذي حاصره نور الدين محمود بن زنكي في دمشق
واخذها منه قال شيخنا ابن الاثير فارسل نجم الدين ايوب الى سيف الدين غازي
بن زنكي صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهي اليه الحال ويطلب منه عسكرا
الموصل ليرحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في اول ملكه وهو
مشغول باصلاح ملوك الاطراف المجاورين له فلم يتفرغ له وضاق الامر على من في بعلبك
من الحصار فلما راى نجم الدين ايوب الحال وخاف ان يؤخذ قهرا ارسل في تسليم القلعة
وطلب اقطاعا ذكره فاجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة ووفى له
صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من اكبر الامرا واتصل اخوه
اسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل ابيه زنكي قلت هو نور الدين محمود
بن زنكي صاحب حلب وكان يخدمه في ايام والده فقربه نور الدين واقطعه وكان يرى
منه في الحروب اثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجراته فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله
مقدم عسكره قلت ثم خرج شيخنا ابن الاثير بعد هذا الى حديث سفر سيف الدين

الى الديار

الى الديار المصرية وما تجدد لهم هناك وليس هذا موضع هذا الفصل بل نتمم حديث
صلاح الدين صاحب الترجمة من مبتدا امره حتى يصير الى اخره وان كان قد سبق في
ترجمة اسد الدين شيركوه طرف من اخبارهم لكن ما استوفيته هناك اعتمادا على
استيفائه هاهنا ان شاء الله تعالى قلت اتفق ارباب التواريخ ان صلاح الدين
مولده سنة اثنتين وثلثين وخمسماية بقلعة تكريت لما كان ابوه وعمه بها والظاهر انهم
ما اقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين الا مدة يسيرة لانه قد سبق القول ان نجم الدين
واسد الدين لما خرجا من تكريت كما شرحناه وصلا الى عماد الدين زنكي فاكرمهما
واقبل عليهما ثم ان عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم يحصل له فرجع الى بعلبك
فحصرها اشهرا وملكها في رابع عشر صفر سنة اربع وثلثين وخمسماية كما ذكره اسامة
بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها وذكر ابو يعلى حمزة ابن
اسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلا على تاريخ ابي
الحسن هلال بن الصابي ان عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة
سنة ثلث وثلثين ثم ذكر في مستهل سنة اربع وثلثين انه ورد الخبر بفراغ عماد
الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها والله اعلم واذا كان كذلك
فيكون قد خرجا من تكريت في بقية سنة اثنتين وثلثين التي ولد فيها صلاح الدين
او في سنة ثلث وثلثين لانهما اقاما عند عماد الدين بالموصل ثم لما حاصر دمشق
وبعدها بعلبك واخذها رتب فيها نجم الدين ايوب وذلك في اوايل سنة اربع و
ثلثين كما شرحته فيتعين ان تكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة تقديرا والله
اعلم قلت ثم اخبرني بعض اهل بيتهم وقد سالته هل تعرف متى خرجوا من تكريت
فقال سمعت جماعة من اهلنا يقولون انهم خرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح
الدين فتشاموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال
والله اعلم ولم يزل صلاح الدين تحت كنف ابيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين
محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين ايوب خدمته
وكذلك صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لايحة والنجابة تقدمه من حالة الى
حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرايق الخير وفعل المعروف والا
جتهاد في امور الجهاد حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية كما سنشرحه ان
شاء الله تعالى ووجدت في بعض تواريخ المصريين ان شاور المقدم ذكره هرب من الديار
المصرية من الملك المنصور ابي الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين
اللخمي البدري لما استولى على الدولة المصرية وقهره واخذ مكانه في الوزارة كعادتهم في
ذلك وقتل ولده الاكبر طي بن شاور فتوجه شاور الى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين

ابى القاسم محمود بن زنكى وذلك فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسماية ودخل
دمشق فى الثالث والعشرين من ذى القعدة من السنة فوجه نور الدين معه الامير اسد
الدين شيركوه بن شادى فى جماعة من عسكره كان صلاح الدين فى جملتهم فى خدمة عمه
وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين فى ارسال هذا الجيش غرضان احدهما قضا حق
شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا والثانى انه اراد استعلام احوال مصر فانه كان
يبلغه انها ضعيفة من جهة الجند واحوالها فى غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة
ذلك وكان كثير الاعتماد على شيركوه ابن اخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم
فخرجوا من دمشق فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الامر
فى رجب من السنة قال شيخنا القاضى بهاء الدين ابو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد
المقدم ذكره فى كتابه الذى وضعه فى سيرة صلاح الدين انهم دخلوا مصر فى شهر جمادى
الاخرة سنة ثمان وخمسين وخمسماية والقول الاول اصح لان الحافظ ابا الطاهر السلفى
ذكر فى معجم السفر ان الضرغام بن سوار قتل فى سنة تسع وخمسين وخمسماية وزاد غيره
فقال يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الاخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة
رضى الله عنها بين القاهرة ومصر واحتزوا راسه وطيف به على رمح وبقيت جثته هناك
ثلثة ايام ياكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه قبة قلت والقبة
الى الان باقية فى موضعها تحت الكبش المستجد بناوه ورايت فيها جماعة من الفقراء
الجوالقية مقيمين وقد قيل ان الضرغام قتل عند قدوم اسد الدين وشاور الى مصر
مما يمكن ان يكون دخولهم مصر فى سنة ثمان وخمسين لان الضرغام لا خلاف فى قتله فى
سنة تسع وخمسين وانه كان فى اول وصولهم والحافظ السلفى اخبر بذلك لانه كان مقيما
فى البلاد وهو اضبط لهذه الامور من غيره لان هذا فنه وهو من اشغل الناس به ولما
وصل اسد الدين وشاور الى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل
لشاور مقصوده وعاد الى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت اموره غدر باسد الدين
شيركوه واستنجد بالفرنج عليه وحصروه فى بلبيس وكان اسد الدين قد شاهد البلاد
وعرف احوالها وانها مملكة بغير رجال تمشى الامور فيها بمجرد الايهام والمحال فطمع
فيها وعاد الى الشام فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وخمسين وقال شيخنا ابن
شداد فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين بناء على ما قرره اولا ان
دخولهم البلاد كان فى سنة ثمان وخمسين واقام اسد الدين بالشام مدة مفكرا فى تدبير
عوده الى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين الى سنة اثنتين و
ستين وخمسماية وبلغ شاور تحدثه وطمعه فى البلاد فخاف عليها وعلم ان اسد الدين لا
بد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر معهم انهم يجيئون البلاد ويمكنهم منها تمكينا كليا

ليعينوه

ليعينوه على استيصال اعدايه وبلغ نور الدين واسد الدين مكاتبة شاور للفرنج
وما تقرر بينهم فخافا على الديار المصرية ان يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد
فتجهز اسد الدين وانفذ معه نور الدين العساكر وصلاح الدين فى خدمة عمه
اسد الدين وكان توجههم من الشام فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين و
خمسماية وكان وصول اسد الدين مقاربا لوصول الفرنج اليها واتفق مع شاور
المصريون باجمعهم والفرنج على اسد الدين وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة و
انفصل الفرنج عن البلاد وانفصل اسد الدين ايضا راجعا الى الشام وكان سبب عود
الفرنج ان نور الدين جرد العساكر الى بلادهم واخذ المنيطرة منهم فى رجب من هذه السنة
وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا اليها وكان سبب عود اسد الدين الى الشام
ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين وما عانوه من الشدايد وعاينوه من
الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على ان ينصرفوا كلهم من مصر وعاد الى الشام فى
بقية السنة وقد انضاف الى شدة الطمع فى الديار المصرية شدة الخوف عليها من
الفرنج لعلمه بانهم قد كشفوها كما كشفها وعرفوها كما عرفها فاقام فى الشام على مضض
وقلبه قلق والقضا يقوده الى شى قد قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك وكان عوده فى ذى القعدة
من هذه السنة الى الشام وقيل انه عاد فى ثامن عشر شوال من السنة والله اعلم ورايت
فى بعض المسودات التى بخطى ولا اعلم من اين نقلته ان اسد الدين لما طمع فى الديار
المصرية توجه اليها فى سنة اثنتين وستين وسلك طريق وادى الغزلان وخرج عند
اطفيح وكانت فيها وقعة الناس عند الاشمونين وتوجه صلاح الدين الى الاسكندرية
فاحتمى بها وحاصره شاور فى جمادى الاخرة من السنة ثم عاد اسد الدين من جهة
الصعيد الى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فسار الى
الشام ثم ان اسد الدين عاد الى مصر مرة ثالثة قال شيخنا ابن شداد وكان سبب
ذلك ان الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين
لجميع ما استقر مع المصريين واسد الدين طمعا فى البلاد فلما بلغ ذلك اسد الدين و
نور الدين لم يسعهما الصبر دون ان سارعا الى قصد البلاد اما نور الدين فبالمال
والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الفرنج ولانه كان قد حدث له نظر
الى جانب الموصل بسبب وفاة على بن بكتكين قلت هو زين الدين والد السلطان
مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل وقد تقدم ذكره فى ترجمة ولده كوكبرى قال
فانه توفى فى ذى الحجة سنة ثلث وستين وخمسماية وسلم ما كان فى يده من الحصون
لقطب الدين اتابك ما عدا اربل فانها كانت له من اتابك زنكى واما اسد الدين فبنفسه
وماله واخوته واهله ورجاله لقد قال لى السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت

اكره الناس للخروج في هذه الوقعة وما خرجت مع عمي باختياري وهذا معنى قوله وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان شاور لما احس بخروج الفرنج الى مصر على
تلك الحال سير الى اسد الدين يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله
الى مصر في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين وخمسماية ولما علم الفرنج بوصول
اسد الدين الى مصر على اتفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على اعقابهم
ناكصين واقام اسد الدين بها يتردد اليه شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال
في مقابلة ما خسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيئا وعلقت مخالب اسد الدين في
البلاد وعلم انه متى وجد الفرنج فرصة اخذوا البلاد وان شاور يلعب به تارة و
بالفرنج اخرى وملاكها قد كانوا على البدعة المشهورة وتحقق اسد الدين انه لا سبيل
له على الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فاجمع رايه على القبض عليه اذا خرج اليه
وكان الامراء الواصلون مع اسد الدين يترددون الى خدمة شاور وهو يخرج في
الاحيان الى اسد الدين ويجتمع به وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق
والعلم ولم يتجاسر على قبضه احد من الجماعة الا السلطان بنفسه وذلك انه لما سار
اليهم تلقاه راكبا وسار الى جانبه واخذ بتلابيبه وامر العسكر بان يقصدوا اصحابه
ففروا ونهبهم العسكر وانزل شاور الى خيمة مفردة وفي الحال ورد توقيع على يد
خادم خاص من جهة المصريين يقول لا بد من راسه جريا على عادتهم في وزرائهم فحز
راسه وارسل اليهم وسيروا الى اسد الدين خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل
القصر وترتب وزيرا وذلك في سابع عشر ربيع الاول سنة اربع وستين وخمسماية
ودام امرا ونهيا وصلاح الدين رحمه الله مباشر الامور مقرر لها لمكان كفايته
ودرايته وحسن رايه وسياسته الى الثاني والعشرين من جمادى الاخرة من السنة
المذكورة فمات اسد الدين قلت وقد تقدم حديث اسد الدين وصورة موته
فلا حاجة الى شرحه ههنا وكذلك وفاة شاور وهذا كله نقلته من كلام شيخنا
ابن شداد في سيرة صلاح الدين لكنني اتيت منه بالمقصود وحذفت الباقي ورايت
بخطي في جملة مسودات ان اسد الدين دخل القاهرة يوم الاربعاء سابع شهر ربيع
الاخر من سنة اربع وستين وخمسماية وخرج اليه العاضد بالله عبد الله العبيدي
اخر ملوك مصر المقدم ذكره وتلقاه وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر الى الايوان
وجلس الى جانب العاضد وخلع عليه واظهر له شاور ودا كثيرا فطلب منه اسد
الدين مالا ينفقه في عسكره فدافعه فارسل اليه ان الجند تغيرت قلوبهم عليه
بسبب عدم النفقة فاذا خرجت فكن حذرا منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم ان
يعمل دعوة يستدعي اليها اسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم فاحس اسد

الدين

الدين بذلك فاتفق صلاح الدين وعز الدين جرديك النوري وغيرهما على قتل شاور
واعلموا اسد الدين فنهاهم عنه وخرج شاور الى اسد الدين وكانت خيامهم
على شاطئ النيل بالمقس فلم يجده في خيمته وكان قد راح الى زيارة تربة الامام
الشافعي رضي الله عنه بالقرافة فقال شاور نمضي اليه فالتقوه فساروا جميعا
فاكتنفه صلاح الدين وجرديك وانزلاه عن فرسه وكتفوه فهرب اصحابه
فاخذوه اسيرا ولم يمكنهم قتله بغير اذن نور الدين وحملوه في خيمة ووكلوا به
جماعة فارسل العاضد يامرهم بقتله فقتلوه وسيروا راسه على رمح الى العاضد
وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة
وقيل ان اسد الدين لم يحضر ذلك ومعهما بعض العسكر فسلم بعضهم على بعض و
تشاوروا ثم فعلا به هذه الفعلة والله اعلم ثم ان العاضد استدعى اسد الدين
عقيب قتل شاور وكان في الخيم فدخل القاهرة فراى جمعا كثيرا من العامة
فخافهم فقال لهم ان مولانا العاضد امركم بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا
لنهبها ودخل على العاضد فتلقاه وافاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور
امير الجيوش ثم انه مات يوم الاحد لسبع بقين من جمادى الاخرة من السنة
المذكورة بعلة الخوانيق وقيل انه سم في خلعة الوزارة لما خلع عليه وكانت
وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ثم نقل الى المدينة النبوية على ساكنها افضل
الصلوة والسلام وكانت مدة وزارته شهرين وخمسة ايام وقيل ان اسد الدين
دخل على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة
والله اعلم قلت قد تقدم في ترجمة شاور ذكر شيء من هذه الامور التي ذكرتها
ههنا وانما اعدت الكلام فيها لاني استوفيتها ههنا اكثر من هناك وايضا فان
المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من اول امره الى
اخره فاحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كيلا ينقطع الكلام فيبقى ابتر فنقول ذكر
المورخون ان اسد الدين لما مات استقرت الامور بعده للسلطان صلاح الدين
يوسف بن ايوب وتمهدت القواعد ومشى الحال على احسن الاوضاع وبذل الاموال
وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا بملكها وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر
واعرض عن اسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد وما زال على قدم الخير
وفعل ما يقربه الى الله تعالى الى ان مات قال شيخنا ابن شداد سمعته يقول رحمه
الله تعالى لما يسر الله تعالى لي الديار المصرية علمت انه اراد فتح الساحل لانه اوقع
ذلك في نفسي ومن حين استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج الى الكرك
والشوبك وبلادهما وغشي الناس من سحائب الافضال والانعام ما لم يورخ عن غير تلك

الايام وهذا الكلام وهو وزير متابع لكنه يقول بمذهب اهل السنة ما عادس في البلاد
اهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون
عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا الى سنة خمس وستين وخمس
ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الامور
التي بالديار المصرية علموا انه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما احدث له من
القوة والملك واجتمع الفرنج والروم جميعا فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما
يحتاجون اليه من العدد ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد امرهم فسرقوا حصن عكار
من المسلمين واسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يقال له خطلخ العلم دار وذلك
في شهر ربيع الاخر من سنة خمس وستين ولما راى يوسف نور الدين ظهور الفرنج و
نزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا في شعبان من السنة
المذكوره فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة
مجد الدين بن الداية وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين فاشتغل
قلبه لانه كان صاحب امره وعاد يطلب الشام فبلغه امر الزلازل بحلب التي اخربت كثيرا
من البلاد وكانت في ثاني عشر شوال منها فسار يطلب حلب فبلغه خبر موت اخيه قطب الدين
بالموصل قلت وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودود قال وبلغه الخبر وهو بتل
باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما بلغ صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد
لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات اليها ووعدهم بالامداد بالرجال ان نزلوا عليهم وبالغ في
العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد امره في شيء ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم
وقتالهم عليها وهو رحمه الله تعالى يشن الغارات عليهم من خارج العسكر يقاتلهم من
داخل ونصر الله المسلمين به وبحسن تدبيره فرحلوا عنها خائبين فاحرقت مناجيقهم
ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم خلق كثير واستقرت قواعد صلاح الدين وارسل
يطلب والده نجم الدين ايوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق
عليه السلام فوصل والده اليه في جمادى الآخرة من سنة خمس وستين قلت هكذا
ذكر ابن شداد وصوله الى مصر والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته وسلك معه من
الادب ما جرت به عادته والبسه الامر كله فابى ان يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك
الله لهذا الامر الا انت كفؤ له ولا ينبغي ان تغير موضع السعادة فحكمه في الخزاين كلها ولم
يزل وزيرا حتى مات العاضد في التاريخ المذكور قلت اكثر ما ذكرته في هذا الفصل
منقول من كلام شيخنا ابن شداد في سيرة صلاح الدين وفيه زوايد من غيرها والذي
ذكره شيخنا الحافظ عز الدين ابن الاثير المذكور قبل هذا في تاريخه الاتابكي ان كيفية ولاية
صلاح الدين ان جماعة من الامراء النوريه الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولايه

الوزاره

الوزاره يعني بعد موت اسد الدين منهم الامير عين الدولة الياروقي وقطب الدين
خسرو بن بلبل وهو ابن اخي ابي الهيجا الهذباني الذي كان صاحب اربل قلت
هو صاحب المدرسة القطبية التي بالقاهرة ومنهم سيف الدين علي بن احمد الهكاري
وجده كان صاحب قلاع الهكارية قلت هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين احمد
بن المشطوب وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة قال ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي
وهو خال صلاح الدين وكل واحد منهم يخطبها لنفسه وقد جمع ليغلب عليها فارسل
العاضد صاحب مصر الى صلاح الدين وامره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة و
يوليه الامر بعد عمه وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن
اذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر
على المخالفة وانه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم اليه فاذا صار معه البعض اخرج
الباقين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين
والقصة مشهورة اردت عمرا واراد الله خارجة قلت هذا المثل مشهور بين العلماء
وسياتي تمام الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمه ان شاء الله تعالى عدنا الى الكلام
الاول فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فالزمه واخذ كارها ان الله
ليعجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فلما حضر في القصر خلع عليه خلع الوزارة الجبة
والعمامة وغيرهما ولقب الملك الناصر وعاد الى دار اسد الدين فاقام بها ولم يلتفت
اليه احد من اولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خدموه وكان الفقيه
ضياء الدين عيسى الهكاري معه قلت وقد سبق ذكره في ترجمة مفرده قال
ابن الاثير فقصد مع سيف الدين علي بن احمد حتى اماله اليه وقال له ان هذا الامر
لا يصل اليك مع وجود عين الدوله والحارمي وابن بلبل فمال الى صلاح الدين ثم قصد
شهاب الدين الحارمي وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن اختك وملكه لك وقد استقام
الامر له فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه ولا يصل اليك ولم يزل به حتى احضره ايضا عنده
وحلفه له ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد اطاعه الناس ولم يبق
غيرك وغير الياروقي وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين ان اصله من
الاكراد فلا يخرج الامر عنه الى الاتراك ووعده وزاد في اقطاعه فاطاع صلاح الدين ايضا
وعاد الى عين الدولة الياروقي وكان اكبر الجماعة واكثرهم جمعا فلم تنفعه رقاه ولا نفذ فيه
سحره وقال انا لا اخدم يوسف ابدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فانكر عليهم فراقه وقد
فات الامر ليقضي الله امرا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب
عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن امره
وكان نور الدين كاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته في الكتب

تعظيما ان يكتب اسمه وكان لا يفرده في كتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين
وكافة الامرا بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس و
بذل الاموال مما كان اسد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيا يخرجه فلم يمكنه منعه
فمال الناس اليه واحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف امر
العاضد وكان كالباحث عن حتفه بظلفه وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين
ان يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال اخاف ان يخالف احد منهم عليك فتفسد البلاد
ثم ان الفرنج اجتمعوا ليسيروا الى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم اخوه صلاح الدين منهم
شمس الدولة توران شاه بن ايوب قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة قال وهو
اكبر من صلاح الدين فلما اراد ان يسير قال له ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى اخيك انه
يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وانت قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد واحضرك الى
عاقبك بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقايم مقامي وتخدمه بنفسك كما
تخدمني فسر اليه واشدد ازره وساعده على ما هو بصدده فقال افعل معه من الخدمة
والطاعة ما يصل بك ان شاء الله تعالى وكان معه كما قال شيخنا ابن الاثير بعد هذا
باوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية واقامة الدولة العباسية بها في المحرم
سنة سبع وستين وخمسماية فقال قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها
للامام المستضي بامر الله امير المومنين وكان السبب في ذلك ان صلاح الدين يوسف بن ايوب
لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له وضعف امر العاضد ولم يبق من العساكر المصرية
احد كتب اليه الملك العادل نور الدين محمد يامره بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة
العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب اهل مصر وامتناعهم من الاجابة الى ذلك
لميلهم الى الدولة المصريين فلم يصغ نور الدين الى قوله وارسل اليه يلزمه بذلك الزاما لا مفسخة
له فيه واتفق ان العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة فاستشار امراه كيف
الابتدا بالخطبة العباسية فمنهم من اقدم على المساعدة واشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه
لم يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان اعجمي يعرف بالامير العالم
وقد رايناه بالموصل كثيرا فلما راى ما هم فيه من الاحجام قال انا ابتدي بها فلما كان اول
جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضي بامر الله فلم ينكر احد ذلك فلما كانت
الجمعة الثانية امر صلاح الدين الخطبا بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد واقامة الخطبة للمستضي
بامر الله ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان فكتب بذلك الى ساير بلاد مصر وكان العاضد
قد اشتد مرضه فلم يعلمه اهله واصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي ان
تنغص عليه هذه الايام التي بقيت من اجله فتوفي يوم عاشورا ولم يعلم ولما توفي جلس
صلاح الدين للعزا ثم استولى على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد

بهاء

بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة ايضا قال
وجعله كالاستاذ دار للعاضد فحفظ ما فيه حتى سلمه صلاح الدين ونقل اهل العاضد
الى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل اولاده وعمومته وابناءهم في ايوان من
القصر وجعل عندهم من يحفظهم واخرج من كان فيه من العبيد والاما فاعتق
البعض ووهب البعض وباع البعض واخلى القصر من اهله وسكانه فسبحان من لا يزول
ملكه ولا يغيره ممر الايام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد ارسل
يستدعي صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم
على تخلفه عنه وكان ابتدا الدولة العبيدية بافريقية والمغرب في ذي الحجة
سنة تسعين ومايتين واول من ظهر منهم المهدي ابو محمد عبيد الله وبنى المهدية
وملك افريقية كلها قلت هكذا ذكر شيخنا ابن الاثير تاريخ استيلا المهدي عبيد
الله على افريقية والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته فيكشف منه ثم انه قال ولما
مات المهدي عبيد الله قام بالامر بعده ولده القايم ابو القسم محمد ثم ذكرهم واحدا
واحدا حتى انتهى الى العاضد المذكور فقال وانقرضت دولتهم وكان ملكهم مايتي سنة وثمانيا
وستين سنة وكان مقامهم بمصر مايتي سنة وثماني سنين وملك منهم
اربعة عشر منهم المهدي والقايم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر
والمستعلي والامر والحافظ والظافر والفايز والعاضد اخرهم قلت وقد ذكرت كل
واحد من هولاء بترجمة مستقلة في هذا الكتاب فمن اختار الوقوف على احوالهم
فليطلب في اسمه ولا حاجة الى ذكره هاهنا قال شيخنا ابن الاثير وقد اتينا على ذكر
ما اجملناه مستقصى في التاريخ الكبير يعني كتابه الذي سماه الكامل وهو مشهور من انفع
الكتب في بابه قال ولما استولى صلاح الدين على القصر وامواله وذخايره اختار منه ما اراد
ووهب اهله وامراه وباع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والاعلاق النفيسة ما لم يكن عند
ملك من الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله نحو
قبضة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط الجيدة نحو ماية
الف مجلد ولما خطب للمستضي بامر الله بمصر ارسل نور الدين اليه يعرفه ذلك فحل عنده
اعظم محل وسير اليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي اكراما له لانه
الذي كان كبير المحل في الدولة العباسية وكذلك ايضا سير خلع لصلاح الدين الا انها
اقل من خلع نور الدين وسيرت الاعلام السود لتنصب على المنابر وكانت هذه اول خطبة
عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العبيديين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الاثير
قلت ولما وصل الخبر الى الامام المستضي بامر الله ابي محمد الحسن بن الامام المستنجد
وهو والد الامام الناصر لدين الله ما تجدد من امر مصر وعود الخطبة والسكة بها باسمه

بعد انقطاعها عن مصر هذه المدة الطويلة فنظم ابو الفتح محمد سبط التعاويذي المقدم
ذكره قصيدة هنا به صلاح بها الامام المستضي وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد
اليمن ايضا وهلاك الخارجي بها الذي سمى نفسه المهدي وذلك في سنة احدى وسبعين
وخمسماية وكان صلاح الدين قد ارسل له من ذخاير مصر واسلاب المصريين شيئا كثيرا واولها

قل للصواب امرت به ربح الجنايب فادنجن
عج باللوى فاسجم بدمعك للمعاهد والدمن
يامنزل الانس الجميع وملعب الحي الاغن
سكنت بك الايام من بعد الاحبة والسكن
اين استقلت بالحبيب ركابه ومتى ظعن
شوق الى زمن الحمى سقى الغوادي من زمن
شوق المغرب شردته يد البعاد عن الوطن
ولقد عهدتك والزمان بشملنا بك ما فطن
وثراك ما اغبرت مسارحه وماولك ما اجن
وظباوك الاتراب لي وطر وتربك لي وطن
لام العذول وما دري وجدي وبليالي بمن
وجدي بمن فضح القضيب واخجل الرشا الاغن
ما ضر من هو فتنتي لوكان يرحم من فتن
يا محنتي اودى الصدود بعاشق بك مرتهن
غادرته وقفا على العبرات بعدك والحزن
كلف الفواد معذبا بين الاقامة والظعن
عطفا على قرح الجفون بعيد عهد بالوسن
لا تنحلي فالنحل يذهب بهجة الوجه الحسن
ولرب ليل بت فيه صريع بالجنة ودن
اختال من مرج واسحب فضل ذيلي والردن
مع مخطف لدن القوام اذا انثنى دخص المدن
لكنني كفرت ليلة زرته عنى وعن
بمدايحي للمستضي ابي محمد الحسن
المستقر من الخلافة في الشواهق والقنن
ومنها يا جاريا في العدل من سنن النبي على سنن
يا جامعا خلق النبوة والخلافة في قرن

ذات

دانت لهيبتك الممالك والمعاقل والمدن
بالمشرفيات الصوارم والمثقفة اللدن
واتتك اسلاب الملوك من الصعيد الى عدن
سلب الدعي بارض مصر والمضلل في اليمن
مما اقتناه ذو رعين في القديم وذو يزن
وشفيت منهم بالظبا تلك الضغاين والاحن
لم تغن عنهم حين رعتهم الحصون ولا الجنن
امست سبايا هم تقاد اذلة فرد البدن
عادت عراص بلادهم عرض النوايب والمحن
في كل يوم من جيوشك غارة فيها تشن
فكان دعوتهم على تلك المنابر لم تكن

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه ايضا
بقصيده اخرى اشار فيها الى هذا المعنى وليس على خاطري من هذه القصيدة
سوى غزلها فاحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة وهو قوله

اهلا بطلعة زاير فضح الدجى بضيا ثها
سمح الزمان بوصلها فقدرت على عدوايها
بانت تعاطيني المدام وكنت من اكفايها
فسكرت من الحاظها وغنيت عن صهبايها
بيضا فتلى دابها في نايها وثوايها
فاذا رنت بجفونها واذا نات بجفا ثها
لا يلتقي ابدا مواعدها بيوم وفايها
الشمس من ضراتها والبدر من رقبايها
والصبح فوق لثامها والليل تحت ردايها
بانت واطراف الرماح تجول حول خبايها
فالموت دون فراقها والموت دون لقايها
ولقد مررت بربعها بعد النوى وفنايها
والعين في الاطلال ساكبة على اطلايها
فوقفت انشد في مطالعها بدو رسمايها
وبكيت حتى كدت اعطف بانتي جو عايها
ياموحش العين التي انست بطول بكايها

غادرت بين جوانحي نفسًا تموت بدائها
تشتاق عيني ان تراك وانت في سودائها
فاذا بخلت بنظرة سمحت بمهجة مائها
فكانها كيف الخليفة اسلت بعطائها

وبعد هذا اشرع في المديح وابدع فيها جميعًا وساذكر بعد هذا عند اواخر
هذه الترجمة شيا من مدايحه في صلاح الدين ان شاء الله تعالى فقد كان يسير
قصايده اليه من بغداد فتصل اولًا الى القاضي الفاضل ومعها مديح للفاضل وهو
الذي يعرض قصايده على صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شيخنا ابن الاثير
هنا فصلا يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين وكان الحادث ان
نور الدين ارسل الى صلاح الدين يامره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلد
الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع ايضًا هو عساكره ويسير اليه ويجتمعا
هناك على حرب الفرنج والاستيلا على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين
من المحرم وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله برحيله ليرحل هو فلما اتاه الخبر
ذلك رحل عن دمشق عازمًا على قصد الكرك فوصل اليه واقام ينتظر وصول صلاح
الدين اليه فاتاه كتابه يعتذر فيه عن وصوله باختلال البلاد وانه يخاف عليها مع
البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب تقاعده ان اصحابه و
خواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل امر نور الدين شق ذلك عليه و
عظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين
فجمع اهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم ساير الامراء
واعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قصده واخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه احد
منهم بشي فقام تقي الدين عمر بن اخي صلاح الدين قلت وقد تقدم ذكره ايضًا في
ترجمة مستقلة قال وقال اذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من اهله
فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر عليهم ذلك واستعظمه وكان ذا راي ومكر وعقل و
قال لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا شهاب الدين
خالك اتظن ان في هولاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله
لو رايت انا وخالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الا ان نترجل ونقبل الارض بين
يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا
وكل من تراه من الامرا والعساكر لو راى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على
سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد اقامك فيها
وان اراد عزلك فاي حاجة الى المجي يامرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته وتولي

بلاده

بلاده من يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عنا ونحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا
ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب اكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا ايوب بابنه صلاح
الدين قال له انت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكبير وتطلعهم على ما في نفسك
فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه عن البلاد جعلك اهم الامور اليه واولاها
بالقصد ولو قصدك لم تر معك احدًا من هولاء العسكر وكانوا اسلموك اليه واما الان
بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولي وتكتب انت اليه وترسل في هذا
المعنى وتقول اي حاجة الى قصدي يجي نجاب ياخذني بحبل يضعه في عنقي فهو اذا
سمع هذا اعدل عن قصدك واستعمل ما هو اهم عنده والايام تندرج والله في كل
وقت في شان ففعل صلاح الدين ما اشار به والده فلما راى نور الدين الامر هكذا
عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين وتوفي نور الدين ولم يقصده وهذا كان
من احسن الاراء واجودها انتهى ما ذكره ابن الاثير وقال شيخنا ابن شداد في
السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الاحسان وافاضة الانعام
على الناس الى سنة ثمان وستين وخمسماية فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد
الكرك والشوبك وانما بدا بها لانها كانت اقرب اليه وكانت في الطريق يمنع من
يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن ان تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فاراد
توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات
وعاد ولم يظفر منها بشي ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين قبل وصوله
اليه قلت وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته قال ولما كان سنة تسع وستين راى
قوة عسكره وكثرة عدده وكان بلغه ان باليمن انسانًا استولى عليها وملك حصونها
يسمى عبد النبي بن المهدي فسير اخاه توران شاه اليه فقتله واخذ البلاد منه
وقد بسطت القول في ذلك في ترجمته ثم توفي نور الدين في سنة تسع وستين وخمسماية
حسبما شرحناه في ترجمته فلا حاجة الى اعادته وبلغ صلاح الدين ان انسانًا يقال له الكنز
جمع باسوان خلقًا عظيمًا من السودان وزعم انه يعيد الدولة المصرية وكان اهل مصر
يوثرون عودهم فانضافوا الى الكنز المذكور فجهز صلاح الدين اليه جيشًا كثيفًا وجعل
مقدمه اخاه الملك العادل وساروا فالتقوا وكسروهم وذلك في السابع من شهر
صفر سنة سبعين وخمسماية واستقرت له قواعد الملك وكان نور الدين رحمه الله
تعالى قد خلف ولده الملك الصالح اسمعيل المذكور في ترجمة ابيه وكان بدمشق عند
وفاة ابيه وكان بقلعة حلب شمس الدين علي بن الداية وساد ثمت وكان ابن الداية
قد حدث نفسه بامور فسار الملك الصالح من دمشق الى حلب فوصل الى ظاهرها في
المحرم من سنة سبعين ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين حسن بن الداية فقبض على

ـا بن الدين ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين واخيه حسن الكوكب
واودع الثلاثة السجن وفي ذلك اليوم قتل ابو الفضل بن الخشاب لفتنه جرت في
حلب وقيل بل قتل قبل قبض اولاد الداية بيوم لانهم تولوا تدبيره ذلك ثم ان صلاح
الدين بعد وفاة نور الدين علم ان ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالامر ولا
ينهض باعباء الملك واختلفت الاحوال بالشام وكاتب شمس الدين بن المقدم صلاح
الدين فتجهز من مصر في جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرًا
انه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها بالتسلم في يوم الثلاثا سلخ شهر ربيع الاخر
سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها وكان اول دخوله دار ابيه قلت وهي
الدار المعروفة بالشريف العقيقي وهي اليوم في قبالة المدرسة العادلية مشهورة
هناك بالعقيقي قال واجتمع الناس وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم مالًا جليلًا و
اظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة وسار الى حلب فنازل حمص واخذ
مدينتها في جمادى الاولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها وتوجه الى حلب ونازلها في يوم
الجمعة سلخ جمادى الاولى من السنة وهي الوقعة الاولى ثم ان سيف الدين غازي بن
قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل لما احس بما جرى علم ان الرجل
قد استفحل امره وعظم شانه وخاف ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه
في الملك وتعدى الامر اليه فانفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه اخاه عز الدين
مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ
صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائدًا الى حماه ورجع الى
حمص فاخذ قلعتها ووصل عز الدين مسعود الى حلب واخذ معه عسكر ابن عمه الملك
الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم ولما عرف صلاح الدين
بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماه وراسلهم وراسلوه واجتهد ان يصالحوه فما
صالحوه وراوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم والقضا يجر الى امور وهم بها
لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى انهم انكسروا بين يديه واسر جماعة منهم ومن
عليهم وذلك في تاسع عشر شهر رمضان من السنة عند قرون حماه ثم سار عقيب
كسرتهم ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية فصالحوه على اخذ المعرة وكفرطاب و
بارين ولما جرت هذه الواقعة كان سيف الدين غازي يحاصر اخاه عماد الدين زنكي
صاحب سنجار وعزم على اخذها منه فلما بلغه الخبر وان عسكره انكسر خاف ان يبلغ
اخاه عماد الدين الخبر فيشتد امره ويقوى جاشه فراسله وصالحه ثم سار من وقته
الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار الى البيرة وعبر الفرات و
خيم على الجانب الشامي وراسل ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب حتى

يستقر له قاعدة يعول عليها ثم انه وصل الى حلب وخرج الملك الصالح الى لقائه
واقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ثم نزل وسار الى تل السلطان قلت
وهي منزلة بين حلب وحماه قال ومعه جمع كثير وارسل صلاح الدين الى مصر يطلب
عسكرها فوصل اليه وسار به حتى نزل على قرون حماه ثم تقاتلوا بكرة نهار الخميس
العاشر من شوال سنة احدى وسبعين وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح
الدين بمظفر الدين بن زين الدين قلت وهو صاحب اربل المقدم ذكره قال فانه
كان على ميمنة سيف الدين فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم واسر منهم
جمعًا من كبار الامرا فمن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فاخذ منها
خزاينه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ونزل
في بقية ذلك اليوم في خيامهم فانهم تركوا اثقالهم وانهزموا ففرق صلاح الدين
الاصطبلات ووهب الخزاين واعطى خيمة سيف الدين لابن اخيه عز الدين فرخشاه
قلت هو ابن شاهان شاه بن ايوب وهو اخو تقي الدين عمر صاحب حماه وفرخشاه
صاحب بعلبك وهو والد الملك الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك قال وسار
الى منبج فتسلمها ثم سار الى قلعة عزاز يحاصرها وذلك في رابع ذي القعدة من سنة
احدى وسبعين وعليها وثب جماعة من الاسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله منهم
وظفر بهم واقام عليها حتى اخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ثم سار فنزل على
حلب في سادس عشر الشهر المذكور واقام عليها مدة ثم رحل عنها وكانوا قد اخرجوا
له ابنة صغيرة لنور الدين سالته عزاز فوهبها لها ثم عاد صلاح الدين الى مصر
ليتفقد احوالها وكان مسيره اليها في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين
وكان اخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل اليه من اليمن فاستخلفه بدمشق ثم
تاهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في اوايل جمادى
الاولى سنة ثلث وسبعين وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم قلت وذلك
لامر يطول شرحه قال فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب ياوون اليه فطلبوا جهة
الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا واسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى
الهكاري وكان ذلك وهنًا عظيمًا جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة واما الملك
الصالح صاحب حلب فانه تخبط امره وقبض على كمشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم
حارم اليه فلم يفعل فقتله ولما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم ~~فلم يفعل فقتله~~
طمعًا فيها وذلك في جمادى الاخرة من السنة فلما راى اهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج
سلموها الى الملك الصالح في العشر الاواخر من شهر رمضان من السنة فرحل الفرنج عنها
واقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثه وشعث اصحابه من اثر كسرة الرملة ثم بلغه

بحيط الشام فعزم على العود اليه واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج ارسلان صاحب
الروم يلتمس الصلح ويتضور من الارمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون قلت
وهي بلاد السيس الفاصله بين حلب والروم من جهة الساحل قال لينتصر قليج
ارسلان عليه فتوجه اليه واستدعى عسكر حلب لانه كان في الصلح انه متى استدعاه
حضر اليه ودخل بلاد ابن لاون واخذ في طريقه حصنا واخربه فرغبوا اليه في الصلح
فصالحهم ورجع عنهم ثم ساله قليج ارسلان في صلح الشرقيين باسرهم فاجاب الى ذلك
وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين وخمسماية ودخل في
الصلح قليج ارسلان والمواصله وعاد بعد تمام الصلح الى دمشق ثم منها الى مصر ثم توفي
الملك الصالح بن نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمة والده وكان قد استحلف امرا
حلب واجنادها لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل قلت وقد تقدم ذكره وهو
ابن قطب الدين مودود فلما مات سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته قام مقامه
اخوه عز الدين مسعود المذكور قال فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وانه
اوصى له بحلب بادر الى التوجه اليها خوفا ان يسبقه صلاح الدين فياخذها وكان
اول قادم اليها مظفر الدين بن زين الدين قلت هو صاحب اربل وكان اذ ذاك صاحب
حران وهو مضاف الى المواصله لان تلك البلاد كانت لهم قال فوصلها مظفر الدين
في ثالث شعبان سنة سبع وسبعين وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد
الى القلعه واستولى على ما بها من الحواصل وتزوج ام الملك الصالح في خامس شوال من
السنة قلت ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا امورا ذكرتها في ترجمة عز الدين
مسعود بن مودود وترجمة اخيه عماد الدين زنكي وترجمة تاج الدين الملوك بوري اخي صلاح
الدين فلا حاجة الى اعادته هاهنا فمن اراد الوقوف عليها يكشفها في هذه التراجم قلت
وحاصل الامر ان عز الدين مسعود قايض اخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار عن حلب بسنجار
وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكي فجاء صلاح الدين وحاصرها فلم يقدر
عماد الدين على حفظ حلب وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين
من المحرم من سنة تسع وسبعين وخمسماية وقال ابن شداد نزل عليها في سادس
عشر المحرم والله اعلم فتحدث عماد الدين زنكي مع الامير حسام الدين طمان بن غازي
بن سلى بن سعول من جبل سلو يعلب في السر بما يفعله فاشار عليه بان يطلب منه
بلادا وينزل له عن حلب بشرط ان يكون له جميع ما في القلعه من الاموال فقال له عماد
الدين وهذا كان في نفسي ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين في السر على تقرير
القاعدة في ذلك فاجابه صلاح الدين الى ما طلب ودفع له سنجار والخابور ونصيبين
وسروج ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر

صفر من

صفر من السنة وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار واخذها في ثاني شهر رمضان
سنة ثمان وسبعين واعطاها لابن اخيه تقي الدين عمر فلما جرى الصلح على
هذه الصورة اعطاها عماد الدين وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد اليها
يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسماية واقام بها
حتى رتب امورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة
وجعل ولده الملك الظاهر المقدم ذكره في ترجمة مستقلة وكان صبيا وولى
القلعه سيف الدين يازكوج الاسدي وجعله يرتب مصالح ولده ثم سار صلاح
الدين الى دمشق في التاريخ المذكور قال ابن شداد وتوجه من دمشق لقصد محاصرة
الكرك في الثالث من رجب من السنة وسير الى اخيه الملك العادل وهو بمصر
يستدعيه ليجتمع به على الكرك فسار اليه بجمع كثير وجيش عظيم واجتمع به على
الكرك في رابع شعبان من السنة فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا واخلفوا كثيرا وجاوا الى
الكرك ليكونوا في قبالة عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على الديار المصرية فسير اليها
ابن اخيه تقي الدين عمر ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة واستصحب
اخاه الملك العادل معه ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة
وخرج الملك الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق في يوم الاثنين الثامن والعشرين
من شوال من السنة وكان الملك الظاهر احب اولاد ابيه اليه لما فيه من
الخلال الجميلة ولم ياخذ منه حلب الا لمصلحة راها في ذلك الوقت وقيل ان العادل
اعطاه على اخذ حلب ثلثمايه الف دينار يستعين بها على الجهاد والله اعلم ثم
ان صلاح الدين راى ان عود الملك العادل الى مصر وعود الملك الظاهر الى حلب
اصلح قيل كان سبب ذلك ان الامير علم الدين سليمان بن جندر قال لصلاح
الدين وكان بينهما موانسة قبل ان يتملك البلاد وقد سايره يوما وكان من امرا
حلب والملك العادل لا ينصفه ويتقدم عليه عنوة وكان صلاح الدين قد مرض
على حصار الموصل وحمل الى حران واشفى على الهلاك فلما عوفي ورجع الى الشام
واجتمعا في المسير قال له وكان صلاح الدين قد اوصى لكل واحد من اولاده بشيء من
البلاد باي راي كنت تظن ان وصيتك تمضي كانك كنت خارجا الى الصيد وتعود
فلا يخالفك احد اما تستحي ان يكون الطاير اهدى منك الى المصلحة قال وكيف
ذاك وهو يضحك قال اذا اراد الطاير ان يعمل عشا لفراخه قصد اعالي الشجر ليحمي
فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب و
هي ام البلاد بيد اخيك وحماه بيد ابن اخيك تقي الدين وحمص بيد ابن اسد
الدين وابنك الافضل مع تقي الدين بمصر يخرجه متى شا وابنك الاخر مع اخيك في خيمه

يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا ثم اخذ حلب من اخيه واعطاها
ابنه الملك الظاهر واعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها وميا فارقين
ليخرجه من الشام وتوفر الشام على اولاده وكان ما كان وقد تقدم في ترجمة
عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل **فصل** يتعلق
بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرات ولم يقدر عليها قال شيخنا
ابن الاثير في تاريخه انه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء وعزم
على المقام واقطاع جميع بلاد الموصل وكان نزوله في شعبان من سنة احدى و
ثمانين وخمسمايه فبينما هم كذلك مرض صلاح الدين فعاد الى حران ولحقه الرسل
بالاجابة الى ما طلب وتم الصلح على ان يسلم اليه صاحب الموصل شهرزور واعمالها
وولاية القرابلي وما وراء الفرات من اعمال وان يخطب له على المنابر وينقش اسمه
على السكه فلما حلفا ارسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة
على تسليمها وطال مرض صلاح الدين بحران واشتد به حتى ايسوا منه فحلف الناس
لاولاده وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمن واخوه العادل جاءه من
حلب وهو ملكها يومئذ وجعل لكل واحد شيا من البلاد وجعل العادل وصيا
على الجميع ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم من سنة اثنين وثمانين ولما
كان مريضا بحران كان عنده ناصر الدين محمد بن عمه وله من الاقطاع حمص والرحبه
فسار من عنده الى حمص واجتاز بحلب واحضر جماعة من الاحداث ووعدهم واعطاهم
مالا ولما وصل الى حمص راسل جماعة من اهل دمشق ووعدهم على تسليم دمشق
اليه اذا مات صلاح الدين فعوفي ولم يمض قليل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد
النحر من السنة فانه شرب الخمر فاكثر منه فاصبح ميتا وقيل ان صلاح الدين وضع
عليه انسانا يقال له الناصح بن العميد فسقاه سما فلما اصبحوا من الغد لم يروا ذلك
الشخص وكان يقال له الناصح بن العميد فسالوا عنه فقالوا انه سار من ليلته وكان
هذا مما قوى الظن والله اعلم فلما توفي اعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنا عشرة
سنة وخلف من الاموال والدواب والاثاث شيا كثيرا فحضر صلاح الدين الى حمص
واستعرض تركته واخذ اكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه قال شيخنا بعد هذا
كله وبلغني ان شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت ابيه بسنة فقال له الى
اين بلغت في القران فقال الى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا فعجب الحاضرون وصلاح الدين من ذكائه والله اعلم بصحة ذلك قال ابن شداد و
لما وصل صلاح الدين الى دمشق عقيب ابلاله من مرضه سير طلب اخاه الملك العادل
فخرج من حلب جريدة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة اثنين

وثمانين

وثمانين ومضى الى دمشق فاقام في خدمة السلطان صلاح الدين وجرت بينهما احاديث
ومراجعات وقواعد تتقرر الى جمادى الاخرة من السنة فاستقر الامر على عود
الملك العادل الى مصر واخذت حلب منه وسار الملك الظاهر اليها فدخل قلعتها
يوم السبت سنة اثنتين وثمانين وخمسمايه وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر
انه دخل حلب ملكا لها في مثل يوم وفاته وعينت هناك التاريخ ولم اليوم فكل
وجدته وما ادري من اين نقلته وسلم السلطان ولده الملك العزيز الى العادل
وجعله اتابكه قال ابن شداد قال لي الملك العادل لما استقرت هذه القاعدة
اجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للملك العزيز
اعلم يا مولاي ان السلطان امرني ان اسير في خدمتك الى مصر وانا اعلم ان المفسدين
كثير وما يخلو ان يقال عني ما لا يجوز ويجيء قول من قال فان كان لك عزم ان تسمع
منهم فقل لي حتى لا اجيء فقال كيف ينبغي لي ان اسمع منهم او ارجع الى رايهم ثم التفت
الى الملك الظاهر وقلت له انا اعرف ان اخاك ربما سمع في اقوال المفسدين وانا
ما لي الا انت وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدري من جانبه فقال مبارك
وذكر كل خير ثم زوج السلطان ولده الملك الظاهر غازيه خاتون ابنة اخيه الملك
العادل ودخل بها يوم الاربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ثم
كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين قال وكانت في يوم السبت رابع عشر ربيع الاخر
سنة ثلث وثمانين وخمسمايه في وسط نهار الجمعه وكان كثيرا ما يقصد بلاد العدو
في يوم الجمعة عند الصلوة تبركا بدعاء المسلمين والخطبا على المنابر فسار في ذلك الوقت
لما اجتمع له من العساكر الاسلامية وكانت عدته يحرزها العدو والحصر على تعبية حسنه
وهيئة جميله وكان قد بلغه عن العدو انه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفوريه بارض
عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الاسلامية فسار ونزل على بحيرة طبريه على سطح
الجبل ينتظر قصد الفرنج اذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور يوم الاربعاء الحادي و
العشرين من شهر ربيع الاخر فلما راهم لا يتحركون نزل جريدة على طبريه وترك
الاطلاب على حالها قبالة العدو ونازل طبريه وهجمها واخذها في ساعة واحدة
وانتهب الناس ما بها واخذوا في القتل والسبي والحريق وبقيت القلعه محتمية بمن
فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا على ذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان
ذلك فترك على طبرية من يحاصرها وقلعتها ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية
الغربي منها وذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الاخر وحال الليل بين
العسكرين قياما على مصاف الى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه فركب العسكران و
تصادما والتحم القتال واشتد الامر وذلك بارض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق

بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون الى الموت وهم ينظرون وقد ايقنوا بالويل والثبور
واحست نفوسهم انهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم و
الفارس مع قرينه يصطدم ولم يبق الا الظفر ووقوع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل
بظلامه وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه الى صبيحة يوم السبت فطلب كل من
الفريقين مقامه وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين ايديهم العدو و
انهم لا ينجيهم الا الاجتهاد في الجهاد فحملت ابطال المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب
وصاحوا صيحة رجل واحد فالقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكان حقا عليه نصر
المؤمنين ولما احس القومص بالخذلان هرب منهم في اوايل الامر وقصد جهة صور و
تبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم وكفى الله شره واحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب و
اطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كاس الحمام وانهزمت طايفة منهم بتل
يقال له تل حطين وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون واشعلوا
حولهم النيران واشتد بهم العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا يستسلمون للاسر خوفا من
القتل فاسر مقدموهم وقتل الباقون وكان ممن سلم من مقدميهم الملك جفري و
اخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك وابن الهنفري وابن صاحب طبرية ومقدم
الداوية وصاحب جبيل ومقدم الاسبتار قال ابن شداد ولقد حكى لي من اثق به انه
راى بحوران شخصا واحدا معه نيف وثلاثون اسيرا قد ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم
من الخذلان ثم ان القومص الذي هرب في اول الامر وصل الى طرابلس فاصابه ذات
الجنب فهلك منها واما مقدما الاسبتار والداوية فان السلطان قتلهما وقتل
من بقي في صحبتهما حيا واما البرنس ارناط فان السلطان قد نذر ان ظفر به قتله وذلك
لانه قد عبر به بالشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه
الصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
ذلك السلطان فحملته حميته ودينه على ان نذر دمه ولما فتح الله تعالى عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة
لانها لم تكن ضربت بعد وعرضت عليه الاسارى وسار الناس يتقربون اليه بمن في ايديهم منهم وهو فرح بما فتح الله
تعالى على يده للمسلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما انعم به واستحضر الملك جفري واخاه و
البرنس ارناط وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على اشد حال من العطش ثم ناولها
البرنس فقال السلطان للترجمان قل للملك انت الذي سقيته واما انا فما سقيته وكان من جميل عادة
العرب وكريم اخلاقهم ان الاسير اذا اكل وشرب من مال من اسره امن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم امر
بمسيرهم الى موضع عينه لهم فمضوا بهم اليه فاكلوا شيئا ثم عادوا بهم اليه ولم يبق عنده سوى بعض الخدم
فاستحضرهم واقعد الملك في دهليزه واستحضر البرنس ارناط واوقفه بين يديه وقال له ها انا انتصر لمحمد
منك ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل فسل النمجاه فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر واخرجت جثته

ودخل على باب الخيمة فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك في انه يلحقه به فاستحضره وطيب
قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك واما هذا فانه تجاوز الحد وتجرى على الانبياء صلوات الله
عليهم وبات الناس في تلك الليلة على اتم سرور ترتفع اصواتهم بحمد الله تعالى وشكره وتهليله
وتكبيره حتى طلع الفجر فنزل السلطان على طبرية يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر
وتسلم قلعتها في ذلك النهار واقام عليها الى يوم الثلاثاء ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها
يوم الاربعاء سلخ شهر ربيع الاخر وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين
فاخذها واستنقذ من كان بها من اسارى المسلمين وكانوا اكثر من اربعة الاف نفس واستولى
على ما فيها من الاموال والذخاير والبضايع لانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل
ياخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعة فاخذوا نابلس لان القتل والاسر افنى كثيرا منهم ولما
استقرت قواعد عكا وقسم اموالها واسارها سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الاحد حادي عشر جمادى
الاولى وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف حصارها وكان فيها ابطال
معدودون في دينهم فقاتلوا قتالا شديدا فنصره الله سبحانه عليهم فتسلمها منهم يوم
الاحد ثامن عشره عنوة واسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد
يوم نزوله عليها وهو يوم الاربعاء العشرون من جمادى الاولى واقام عليها حتى قرر قواعدها وسار
حتى اتى بيروت فنازلها ليلة الخميس الثاني والعشرين من جمادى الاولى وركب عليها المناجيق وداوم الزحف
والقتال حتى اخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور وتسلم اصحابه جبيل وهو على بيروت
ولما فرغ بالدين من هذا الجانب راى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها ثم
راى ان العسكر قد تفرق في الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه وكانوا قد ضجروا من القتال وملازمة
الحرب والنزال وقد اجتمع في صور من بقي في الساحل من الفرنج فراى ان قصده عسقلان اولى لانها
ايسر من صور فاتى عسقلان ونزل عليها يوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخرة من السنة وتسلم
في طريقه عليها اليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم واقام على عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا
وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الاخرة من السنة واقام عليها الى ان تسلم اصحابه غزة وبيت جبريل
والنطرون بغير قتال وكان بين فتح عسقلان واخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة
فانهم كانوا اخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة ثمان واربعين وخمسمائة
هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في السيرة وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك
وضعا المختلف صقعا انهم اخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الاخرة من السنة قال ابن شداد
ولما تسلم عسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك
واجتمعت اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا امره اليه
منتهزا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب خير فلينتهزه
فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه في يوم الاحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين

وخمسمائة وكان نزوله بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وحزر اهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين الفا خارجا عن النساء والصبيان ثم انتقل لمصلحة راها الى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضايق البلد بالزحف والقتال حتى اخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم ولما راى اعداء الله ما نزل بهم من الامر الذي لا يدفع عنهم وظهرت امارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على ابطالهم وحماتهم من القتل والاسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم وتحققوا انهم صايرون الى ما صار اولئك اليه فاستكانوا واخلدوا الى طلب الامان و استقرت القاعدة بالمراسلة من الطايفتين وكان تسليمه في يوم الجمعة السابع و العشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها بالقران الكريم فانظر الى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله تعالى عوده الى المسلمين في مثل زمان الاسرى بنبيهم صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من اهل العلم خلق ومن ارباب الخرق والزهد عالم وذلك ان الناس لما بلغهم ما يسر الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف احد منهم وارتفعت الاصوات بالضجيج والدعا والتهليل والتكبير وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب قلت وقد تقدم في ترجمة القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة التي خطب بها ذلك اليوم فيكشف منه ورايت في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسية ان الخطبة اقيمت يوم الجمعة رابع شعبان والله اعلم واذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد تقدم ذكر الخطبة التي خطب يوم الجمعة بها يليق ان يذكر الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل الى الامام الناصر لدين الله تعالى ابي العباس احمد بن الامام المستضي بالله يتضمن الفتوح فانها بديعة بليغة في بابها ولم اذكرها بكمالها بل اخترت منها احسنها وتركت الباقي وهي

ادام الله ايام الديوان العزيز النبوي ولا زال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن راي كل راي موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ النصر والنصل في جفن راقد وارد الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعي الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي الا سل عنه ودس وراسد ولا زالت غيوث فضله الى الاولياء انواء الى المرابع والى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح هذه العزمة والعنوان لكتاب وصف النعمة فانها بحر الاقلام فيه سبح طويل ولطف يحمل الشكر فيه

عب ثقيل

عب ثقيل ويشرى للخواطر في شرحها مارب ويسرى للاسرار في اظهارها مسارب ولله في اعادة شكره رضى وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا امضى وقد صارت امور الاسلام الى احسن مصايرها وقد استتب عقايد اهله على بصايرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله اهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الان في وطنه والفوز معروضا فقد بذلت الانفس في ثمنه وامر امر الحق وكان مستضعفا واهل ربعه وكان قد عفى عفا وجاء امر الله وانوف اهل الشرك راغمة وادلجت السيوف الى الاجال وهي نايمة وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين واستطارت له انوار ابانت ان الصباح عنده هاجان الجبين واسترد المسلمون تراثا كان عنهم ابقا وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النار طارقا واستقرت على الاعلا اقدامهم وخفقت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وان كانت صخرة كما يشتفى بالما غللهم ولما قدم الدين عليها عرف منها سويدا قلبه وهنا كفوها الحجر الاسود بتت عصمتها من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه الا لهذه العظمى ولا تقاسى تلك البوسى الا رجاء هذه النعمى ولا يناخر من يستطيله في حربه ولا يعاتب باطراف القنا من يتمادى في عتبه الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا وليفوز بجوهر الاخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فانضج قلوبها بالاحتقار وكانت الخواطر ربما غلت عليه من اجلها فاطفاها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة حاسر ومن سمى لان يجلى غمرة غامر والا فان القعود يلين تحت موت الاعداء المعاجم فعصيها وتضعف في ايديها مهر القوايم فصعفها هذا الى كون القعود لا يقضي به فرض الله في الجهاد ولا يرعى به حقه في العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من ايمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وخلفاء كانوا في مثل هذا اليوم يسالون لا جرم انهم اوروثوا سريرهم وسريرتهم خلفهم الاطهر ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفة وطليعتهم المنيفة وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة فما غابوا لما حضر ولا نقصوا لما نظر بل وصلهم الاجر لما كان به موصولا وشاطروه العمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا وخلص اليهم الى المضاجع ما اطمانت به جنوبها والى الصفايح ما عبقت به جيوبها وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهتدي بانواره بل ان بدا نوره من ذاته ذهب به الغرب بانواره فانه نور لا تكنه اغساق الشرق

وذكر لا تواريه اوراق الصحف وكتاب الخادم هذا وقد اظفر الله بالعدو الذي
بلغت فيا به سقفا وطارت فرقه هرعا وفل سيفه فصار عصا وصدعت
حصاته وكان الاكثر عددا وحصى وكلت حملاته وكان قدره انه يصرف فيه العنان
بالعنان وعقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان وعثرت قدمه وكانت
الارض لها خليفة وغضت عنه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ونام
جفن سيفه وكانت يقظته بريق يطرق الكرى من الجفون وجدعت انوف رماحه
وطالما كانت شامخة بالمنى او راعفة بالمنون واصبحت الارض المقدسة الطاهرة
وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيوت الكفر مهدومة
ونيوب الشرك مهتومة والطايفة الخامية مجموعة على تسليم القلاع الحامية و
شجعانه المتوافية مل عشرات ال القطايع الوافية لا يجدون في ماء الحديد لهم عصمة
ولا في نار لا تعرف لهم نصرة قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة
الحسنة ونقل بيت عبادته من ايدي اصحاب المشأمة الى ايدي اصحاب الميمنة وقد
كان الخادم لقيهم اللقاة الاولى فامده بمدد الركزة وانجده بملايكته فكسرهم كسرة
ما بعدها جبرة وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشية الله كفره واسر منهم من اسرت
به السلاسل وقتل منهم من قتلت به المناصل واجلت المعركة عن صرعى من الخيل و
السلاح والكفار وعن انصاف نخل فانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار فنيلوا
اثار من السلاح فالوه ايضا بثار فكم اهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كا
لعراجين وكم انجم رماح تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين وكم فارس دكضوا عليها
اليهم الى اجل فاختلسه وغمرت تلك الفرس فاها فاداه فوها فلما نهش القرن على بعد المسافة
وافترس وكان اليوم مشهودا وكانت الملايكة شهودا وكان الضلال صارخا وكان
الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا واسر الملك وبيده اوثق وثائقه
واكد وصله بالدين وعلايقه وهو صليب الصلبوت وقايد اهل الجبروت ما دهموا قط
بامر الا وقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه لا
جرم انهم تهافتوا على ناره فراشهم وتجمع في ظل ظلاله حشاشهم ويقاتلون تحت ذلك
الصليب اصلب قتال واصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه اشد عهد واوثقه ويعدونه
سورا تحفر حوافر الخيل خندقه وفي هذا اليوم اسرت سراتهم وذهبت دهاتهم ولم
يفلت منهم معروف الا القومص وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ومليا يوم الخذلان
بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار خوفا من ان يلحقه منسر الرمح او جناح السيف ثم اخذه الله
تعالى بعد ايام بيده واهلكه لموعده وكان لعدتهم بذلك وانتقل من ملك الموت الى
مالك وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السود

صبغا

صبغا البيضا صنعا الخافقة هي وقلوب اعدائها العالية هي وعزايم اوليائها
المستضاء بانوارها اذ فتح عليها البشر واشارت بانامل العذبات الى وجه النصر
فافتتح بلدا كذا وكذا وهذه كلها امصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع
ومدن وكل هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزاير وجوامع ومنابر وجموع
وعساكر يتجاوزها الخادم بعد ان يحرزها ويتركها وراءه بعد ان ينتهزها و
يحصد منها كفرا ويزرع ايمانا ويحط من جوامعها صلبانا ويرفع اذانا ويبدل
المذابح منابر والكنايس مساجد ويبوي اهل القران بعد اهل الصلبان
للقتال عن دين الله مقاعد ويقر عينه اهل الاسلام ان تعلق النصر منه ومن
عسكره بجار ومجرور وان يظفر سور ما كان يخاف زلزاله وزلزاله الى يوم النفخ
في الصور ولما لم يبق الا القدس وقد اجتمع اليها كل شريد منهم وطريد واعتصم
بمنعتها كل قريب منهم وبعيد وظنوا انها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله
شافعتهم فلما نازلها الخادم راى بلدا كالبلاد وجمعا كيوم التناد وعزايم قد تالبت
وتالفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد السيف وان تموت بغصته
فزاول البلد من جانب فاذا اودية عميقة ولجج وعرة غريقة وسور قد انعطف
عطف السوار وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار فعدل الى جهة
اخرى كان المطامع عليها معرج وللخيل فيها متولج فنزل عليها واحاط بها وقرب
منها وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بالحرافة ويزاحمه السور بالكثافة وقابلها
ثم قاتلها ونزلها ثم نازلها وبرز اليها ثم بارزها وحاجزها ثم ناجزها وضمها
ضمة ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فاذا هم لا يصبرون على عبودية الحد عن
عتق الصفح فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة وقصدوا نظرة من شدة وانتظارا
للنجدة فعرفهم الخادم في لحن القول واجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي
يتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها واوتر لهم قسيها التي تضرب ولا تفارقها
سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها فصافحت السور فاذا سهمها في ثنايا شرفاته
سواك وقدم النصر نسرا من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض ويعلو علوه الى السماك
فشج مرادع ابراجها واسمع صوت عجيجها ختم اعلاجها ورفع مثار عجاجها فاخلى
السور من السيارة والحرب من النظارة وامكن النقاب ان يسفر للحرب النقاب وان
يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب فتقدم الى الصخر فمضغ سرده بانياب معوله
وحل عقده بضربه الاحرف الدالة على لطائف عمله واسمع الصخرة الشريفة انينه
واستغاثته الى ان كادت ترق لمقلبه وتبرا بعض الحجارة من بعض واخذ الخراب
عليها موثقا فلن تبرح الارض وفتح من السور بابا سد من نجاتهم ابوابا واخذ في

فى حجره قال عنده الكافر يا ليتنى كنت ترابا • فحينئذ يئس الكفار من اصحاب الدنيا
العبور • كما يئس الكفار من اصحاب القبور • وجاءهم امر الله وغرهم بالله الغرور •
وفى الحال خرج طاغيه كفرهم • وزمام امرهم ابن بارزان سائلا ان يوخذ البلد بالسلم
لا بالعنوه • وبالامان لا بالسطوه • والقى بيده الى التهلكه • وعلاه ذل المملكه بعد
عز المملكه • وطرح جنبه على التراب • وكان جنبا لا يتعاطاه طامح • وبذل مبلغا من
القطيعه لا يطمح اليه طرف امل طامح • وقال ههنا اسارى مسلمون يتجاوزون
الالوف وقد تعاقد الفرنج على انه ان هجمت عليهم الدار • وحملت الحرب على ظهورهم
الاوزار • بدى بهم فعجلوا وثنى بنسا الفرنج واطفالهم فقتلوا ثم استقلوا بعد ذلك
ولا تقبل خصم الا بعد ان سمعه • ولا نصل سيف من يد الا بعد ان يقطع او يقصف
فاشار الامرا بالاخذ الميسور • من البلد الماسور • فانه ان لو اخذ حربا فلا بد ان تهجم
الرجال الانجاد • وتبذل نفوسها فى اخر امرها فلا يقتل من اقله المراد وكانت الجراح فى
العساكر قد تقدم منها ما اعتقل العقاب • واثقل الحركات • فقبل منهم المبذول
عن يد وهم صاغرون • وانصرف اهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون • وملك الاسلام
خطه كان عهده بها دمنه سكان • فخرمها الكفر الى ان صارت روضه جنان • ثم
لا جرم ان الله اخرجهم منها واهبطهم • وارضى اهل الحق واسخطهم فانهم حدوها الله حموها
بالاسل والصفاح • وبنوها بالعمد والصفاح • واودعوا الكنايس بها وبيوت الدويه
والاستباريه فيها كل غريبه من الرخام الذى يطرد ماوه • ولا يطرد لالاوه • قد
لطف الحديد فى تجزيعه • وتفنن فى توشيعه الى ان صار الحديد الذى فيه باس
شديد • كالذهب الذى فيه نعيم عتيد • فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من بياض
الرخيم رقراق • وعمدا كالاشجار لها من التنبيت اوراق • واوعز الخادم برد الاقصى
الى عهده المعهود • واقام له من الايمه من يوفيه ورده المورود • واقيمت الخطبه
يوم الجمعه رابع شعبان • فكادت السموات يتفطرن للسجوم لا للوجوم • والكواكب منها تنتثر للطرب
لا للرجوم • ورفعت الى الله كلمه التوحيد وكانت طريقها مسدوده وظهرت قبور الانبيا
وكانت بالنجاسات مكدوده واقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها وجهرت
الالسنه بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم امير المومنين فى وطنه
الاشرف من المنبر • فرحب به ترحيب من بر • وخفق علماه فى حفافيه
فلو طار سرورا لطار بجناحيه • وكتاب الخادم وهو مجد فى استفتاح الثغور واستشراح
ما ضاق بتمادى الحرب من الصدور • فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها و
ايام الشتا قد مرجت مواردها • والبلاد الماخوذه المشار اليها • قد جابت العساكر
خلالها ونهبت ذخايرها • واكلت غلالها • فهى بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا

يستنفد

يستنفد • ينفق عليها ولا ينفق منها • وتجهز الاساطيل البحريه وتقام المرابط
ساحلها • وبدات فى عماره اسوارها ومرمات معاقلها • وكل مشقه بالاضافه
الى نعمه الفتح محتمله • واطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجيه ولا معتزله • فان يدعوا
دعوه يرجو الخادم من الله انها لا تسمع • وان لا تعلوا ايديهم من اطراق البلاد
حتى تقطع • وهذه البشاير لها تفاصيل لا تكاد من غير الالسنه تتشخص فلذلك
نفذ الخادم لسانا شارحا • ومبشرا صادحا • يطالع بالخبر على سياقته ويعرض
جيش السرور من طليعته الى ساقته • وهو فلان والله الموفق • هذا اخر الكتاب
الفاضليه وكان فى عزمى اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها
قلت فى نفسى عسى ان يقف عليها من يوثر الوقوف على جميعها فاكملها ورجعت
عن الراى الاول وهى قليله الوجود فى ايدى الناس وكانت النسخه التى نقلتها
منها سقيمه ولقد اجتهدت فى تحريرها حتى صحت على هذه الصوره حسب الامكان
وقد عمل عماد الدين الاصبهانى الكاتب رساله فى فتح القدس ايضا فلم ار التطويل
بكتابتها وجمع كتابا سماه الفتح القسى فى الفتح القدسى وهو فى مجلدين ذكر فيه جميع
ما جرى فى هذه الواقعه ورايت منذ زمان رساله مليحه انشاها ضياء الدين
ابو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزرى المقدم ذكره فى حرف النون يتضمن فتح
القدس ايضا وكل واحد من ارباب صناعه الانشا كان يرتد عجز خاطره مما
يعمل فى ذلك والقاضى الفاضل رييس هذا الفن واذا شرع فى شى من هذا الباب
لا يستطيع احد ان يجاريه ولا يباريه فلهذا ذكرت رسالته ورفضت غيرها خوف
الاطاله وكان قد حضر الرشيد ابو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج
النابلسى الشاعر المشهور هذا الفتح فانشد السلطان صلاح الدين قصيدته المشهوره التى
اولها • هذا الذى كانت الامال تنتظر • فليوف لله اقوام بما نذروا •
وهى طويله تزيد على مايه بيت يمدحه ويهنيه بالفتح واذ قد نجز المطلوب من
هذا الامر فلنرجع الى تتمه ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد فى السيره الصلاحيه
قال ونكس الصليب الذى كان على قبه الصخره وكان شكلا عظيما ونصر الله الاسلام
على يده نصرا عزيزا قلت وقد تقدم فى ترجمه ارتق طرف من اخبار القدس وان
الافضل امير الجيوش بمصر اخذه من ولديه سقمان وايل غازى ثم ان الفرنج استولوا
عليه يوم الجمعه الثالث والعشرين من شعبان سنه اثنتين وتسعين واربعمايه وقيل
فى ثانى شعبان وقيل يوم الجمعه السادس والعشرين من شهر رمضان من السنه ولم
يزل بايديهم حتى استنقذه منهم السلطان صلاح الدين فى التاريخ المذكور ونعود
الى كلام ابن شداد وكانت قاعده الصلح انهم قطعوا على انفسهم عن كل رجل عشرين دينارا

وعن امراة خمسة دنانير صورية عن كل صغير ذكرا وانثى دينارا فمن احضر قطيعته نجا بنفسه
والا اخذ اسيرا وافرج عمن كان بالقدس من اسارى المسلمين وكانوا خلقا
عظيما واقام به يجمع الاموال ويفرقها على الامراء والرجال ويحبو بها الفقهاء و
العلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم بايصال من قام بقطيعته الى مامنه وهي مدينة
صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جبي شيء وكان يقارب مائتي الف دينار وعشرين
الفا وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس
حسن عنده قصد صور وعلم انه ان اخر امرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى اتى
عكا فنزل عليها ونظر في امورها ثم رحل عنها متوجها الى صور في يوم الجمعة خامس
من شهر رمضان من السنة فنزل قريبا منها وسير لاحضار آلات القتال ولما تكاملت
عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور وضايقها وقاتلها قتالا عظيما واستدعى
اسطول مصر فكان يقاتلها في البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت في ثالث
والعشرين من شوال من السنة ثم خرج اسطول صور في الليل فكبس اسطول المسلمين
واخذوا المقدم والريس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المسلمين و
وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره
وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الامطار وامتنع الناس من القتال لكثرة الامطار فجمع
الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال
فرحل عنها وحملوا من آلات الحصار ما امكن واحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة
الوحل والمطر وكان رحيله يوم الاحد ثاني ذي القعدة من السنة وتفرقت العساكر
واعطى كل طايفة منها دستورا وسار كل قوم الى بلادهم واقام هو مع جماعة من خواصه
بمدينة عكا الى ان دخلت سنة اربع وثمانين وخمسماية ثم نزل على كوكب في اوايل المحرم
من السنة ولم يبق معه من العسكر الا القليل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والاقوات
فعلم انه لا يوخذ الا بقتال شديد فرجع الى دمشق ودخلها في سادس شهر ربيع الاول
من السنة قال ابن شداد ولما كان على كوكب وصلت اليه خدمته ثم فارقته ومضيت
لزيارة القدس والخليل عليه السلام ودخلت دمشق يوم دخول السلطان اليها قلت وقد
ذكرت هذا في ترجمته قال واقام بدمشق خمسة ايام ثم بلغه ان الفرنج قد قصدوا جبيل و
اغتالوها فخرج مسرعا وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل
فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار و
مظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل الى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه فعاد
نحو حصن الاكراد قال ابن شداد في السيرة انه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى
الاولى من سنة اربع وثمانين وجميع ما ذكرته فهو برواية عمن اثق به ومن هنا ما اسطره الا

ما شاهدته

ما شاهدته او اخبرني به من اثق اليه خبرا يقارب العيان قال لما كان يوم الجمعة رابع
جمادى الاولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الاطلاب وسار ميمنة
الميمنة اولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الاخير ومقدمها
عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الاخير ومقدمها مظفر الدين بن
زين الدين فوصل الى انطرطوس ضاحي نهار الاحد سادس جمادى الاولى فوقف
على قبالتها ينظر اليها لان قصده كان جبلة فاستهان بامرها وعزم على قتالها
فسير من رد الميمنة وامرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الاخر ونزل هو
موضعه والعساكر محدقة بها من البحر الى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كا
لقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم نصب
الخيام حتى صعد المسلمون سورها واخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع من بها و
ما بها واحرق البلد واقام عليها الى رابع عشر جمادى الاولى وسلم احد البرجين الى
مظفر الدين فما زال يحاربه حتى اخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لانه كان قد طلبه
فجاء في عسكر عظيم ثم سار يريد جبلة وكان وصوله اليها في ثامن عشر جمادى الاولى وما استتم
نزول العسكر عليها حتى اخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتل
القلعة قتالا شديدا ثم سلمت بالامان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الاولى من
السنة واقام عليها الى الثالث والعشرين منه ثم سار عنها الى اللاذقية وكان نزوله عليها
يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الاولى وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور
وله مينا مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال الى
اخر النهار فاخذوا البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لانه كان بلد
التجار وجدوا في امر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعا
وعرضه اربعة اذرع فلما راى اهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الامان وذلك في
عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم
وذراريهم ونسايهم واموالهم ما خلا الغلال والذخاير والسلاح وآلات الحرب فاجابهم
الى ذلك ورفع العلم الاسلامي عليها يوم السبت واقام عليها الى يوم الاحد السابع
والعشرين من الشهر فرحل عنها الى صهيون فنزل عليها يوم الثلثا التاسع والعشرين
من الشهر واجتهدوا في القتال فاخذوا البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرة ثم تقدموا
الى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا الامان فاجابهم اليه بحيث يوخذ
من الرجل عشرة دنانير ومن المراة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران الذكر والانثى
سوا واقام السلطان بهذه الجهة حتى اخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها من الحصون
ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلثا سادس جمادى الاخرة وقاتلوها

قتالاً شديداً الى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله فتحها عنوة فقتل الاكثر من بها
واسر الباقون وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ولها قلعة تسمى الثغر وهي في غاية
المنعة يعبر اليها منها بجسر وليس عليها طريق فسلطت المجانيق عليها من جميع الجوانب
وراوا انه لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك يوم الثلثا ثالث عشر الشهر ثم سالوا
المهلة ثلثة ايام فامهلوا ثلثة ايام وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على
قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر ثم سار الى برزيه وهي من الحصون المنيعة في غاية
القوة يضرب بها المثل في بلاد الفرنج يحيط بها اودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة
ونيف وسبعون ذراعاً وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم اخذها
عنوة يوم الثلثا السابع والعشرين منه ثم سار الى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة
ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالاً شديداً ورقي العلم الاسلامي عليها يوم الجمعة
الثاني والعشرين من رجب واعطاها الامير علم الدين سليمان بن جندر وسار عنها
بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة
بالقرب من انطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصعد العلم الاسلامي عليها في ثاني
شعبان وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر من البكار
وكان الصلح معهم على ان يطلقوا كل اسير عندهم والصلح الى سبعة اشهر فان جاءهم
من ينصرهم والا سلموا البلد ثم رحل السلطان فساله ولده الملك الظاهر صاحب
حلب ان يجتاز به فاجابه الى ذلك فوصل الى حلب في حادي عشر شعبان واقام بالقلعة
ثلاثة ايام وولده يقوم بالضيافة حق القيام وسار من حلب فاعترضه تقي الدين
عمر بن اخيه واصعده الى قلعة حماه وصنع له طعاماً واحضر له سماعاً من جنس ما يعمل
الصوفية وبات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك و
دخل دمشق قبل شهر رمضان بايام يسيرة ثم سار في اوايل شهر رمضان يريد صفد
فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالامان في رابع شهر شوال وفي شهر رمضان المذكور
سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك لانه كان في الاسر من نوبة حطين
قلت هذا ذكره وهذا لا يلايم ما قاله فيما تقدم قبل هذا انه البرنس ارناط
صاحب الكرك والشوبك اسر في وقعة حطين ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن ذلك
من مكان اخر ليتحقق قال ثم سار الى كوكب ونصب عليها وقاتلوها مقاتلة شديدة و
الامطار مترادفة والوحول متضاعفة والرياح عاصفة والعدو متسلط بعلو مكانه فلما
تيقنوا انهم ماخوذون طلبوا الامان فاجابهم اليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة
من السنة ثم نزل الغور واقام بالمخيم بقية الشهر واعطى الجماعة دستوراً وسار مع اخيه
العادل يريد زيارة القدس في ذي الحجة وصلى بها العيد وتوجه في حادي عشر ذي الحجة

الى

الى عسقلان لينظر امورها واخذها من اخيه العادل وعوضه عنها الكرك ثم مر على
بلاد الساحل يتفقد احوالها ثم دخل عكا فاقام بها معظم المحرم من سنة خمس و
ثمانين يصلح احوالها ورتب الامير بهاء الدين قراقوش واليا عليها وامر بعمارة
سورها وسار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنة واقام بها الى شهر
ربيع الاول من السنة ثم خرج الى شقيف ارنون وهو موضع حصين فخيم في
مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشر شهر ربيع الاول واقام اياماً يباشر
قتاله كل يوم والعساكر يتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف انه لا طاقة له
به نزل اليه بنفسه فلم يشعر به الا وهو قايم على باب خيمته فاذن له في دخوله
اليه واكرمه واحترمه وكان من اكابر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية و
عنده اطلاع على شيء من التواريخ والاحاديث وكان حسن التاني لما حضر بين
يدي السلطان واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه
يسلم اليه المكان من غير تعب واشترط ان يعطى موضعاً يسكنه بدمشق فانه بعد
ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعاً بدمشق يقوم به وباهله وشروطاً غير
ذلك فاجابه الى ذلك وفي اثناء شهر ربيع الاول وصله الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان
وكان السلطان قد اقام عليها جمعاً يحاصرونها مدة سنة كاملة الى ان نفدت
اقوات من كان فيه فسلموه بالامان وظهر للسلطان بعد ذلك ان جميع ما قاله صاحب
الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم بلغه ان الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم
الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف
الى دمشق بعد الاهانة الشديدة واتى عكا ودخلها ليقوي قلوب من بها وسير لاستدعاء
العساكر من كل ناحية فجاءته وكان العدو مقدار الفي فارس وثلثين الف راجل ثم
تكاثر الفرنج واستفحل امرهم واحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل اليها ويخرج وذلك يوم
الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق اليها لتستمر
السابلة بالمبرة والنجدة وشاور الامراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق
ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فاشرف على امورها
ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة ايام وتاخر الناس الى تل العياضية و
هو مشرف على عكا وفي هذه المنزلة توفي الامير حسام الدين طمان المقدم ذكره في
هذه الترجمة وذلك ليلة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسماية وكان
من الشجعان ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا واقعات ليس لنا غرض في
ذكرها ويطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها اذ ليس الغرض سوى المقاصد
لا غير وانما ذكرت فتوحات هذه الحصون لان الحاجة قد تدعو الى الوقوف على

ثم لك دمحها مع انى لم اذكر الا ما يكثر التطلع الى الوقوف عليه واضربت عن الباقى
قال ابن شداد وسمعت السلطان ينشد وقد قيل له ان الوخم قد عظم بمرج عكا
وان الموت قد فشا فى الطايفتين اقتلانى ومالكا واقتلا مالكا معى يريد بذلك
انه قد رضى ان يتلف اذا اتلف الله اعداه قلت وهذا البيت له سبب
يحتاج الى شرح وذلك ان مالك بن الحرث المعروف بالاشتر النخعى كان من
الشجعان الابطال المشهورين وهو من خواص اصحاب على بن ابى طالب رضى الله عنه
تماسك فى يوم وقعة الجمل المشهوره هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان ايضا
من الابطال وابن الزبير يوميذ مع خالته عايشة ام المومنين وطلحة والزبير
رضى الله عنهم كانوا يحاربون عليا رضى الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما
اذا اقوى على صاحبه جعله تحته وركب على صدره وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير
ينشد ؛ اقتلانى ومالكا ؛ واقتلا مالكا معى ؛ يريد بذلك الاشتر النخعى
هذه خلاصة القول فى ذلك وان كانت القصة طويلة وهى فى التواريخ مبسوطه
وقال عبد الله بن الزبير لاقيت الاشتر النخعى يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى
ضربنى ستا او سبعا ثم اخذ برجلى فالقانى فى الخندق وقال والله لولا قرابتك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى عضو ابدا وقال ابن
ابى شيبه اعطت عايشة رضى الله عنها الذى بشرها بسلامة ابن الزبير لما لا
قى الاشتر عشرة الاف درهم وقيل ايضا ان الاشتر دخل على عايشة رضى الله عنها
بعد وقعة الجمل فقالت له يا اشتر انت الذى اردت قتل ابن اختى
يوم الوقعة قال فانشدها ؛ ؛ ؛ ؛

اعايش لولا اننى كنت طاويا ؛ ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادى والرماح تنوشه ؛ باخر صوت اقتلونى ومالكا
فنجاه منى اكله وشبابه ؛ وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال رجل بن قيس دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فاذا راسه ضربة
لو صب فيها قارورة من دهن لاستقر فقال لى اتدرى من ضربنى هذه الضربة
قلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعى رجعنا الى ما كنا فيه قال ابن شداد ثم
ان الفرنج جاتهم الامداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الاسلامية
بعكا وكان فيهم الامير سيف الدين على بن احمد المعروف بالمشطوب الهكارى
والامير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحى وضايقوهم اشد مضايقة الى ان
غلبوا عن حفظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة من سنة سبع وثمانين
وخمساية خرج من عكا رجل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم

فيه وانهم

فيه وانهم قد تيقنوا الهلاك ومتى اخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وانهم صالحوا
على ان يسلموا البلد وجميع ما فيه من الالات والعدة والاسلحة والمراكب ومايتى
الف دينار وخمسماية اسير مجاهيل وماية اسير معينين من جهتهم وصليب الصلبوت
على ان يخرجوا بانفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم
ونسائهم وضمنوا للمركيس لانه كان الواسطة فى هذا الامر اربعة الاف دينار و
لما وقف السلطان على الكتب المشار اليها انكر ذلك انكارا عظيما وعظم عليه هذا
الامر وجمع اهل الراى من اكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت اراوه وتقسم
فكره وتشوش حاله وعزم على ان يكتب فى تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة
على هذا الوجه وهو متردد فى هذا فلم يشعر الا وقد ارتفعت اعلام العدو و
صلبانه وناره وشعاره على سور البلد وذلك فى ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر
جمادى الاخرة من السنة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين
واشتد حزنهم ووقع فيهم الصياح والعويل والبكاء والنحيب ثم ذكر ابن شداد
بعد هذا ان الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان لياخذوها وساروا على
الساحل والسلطان وعساكره فى قبالتهم الى ان وصلوا الى ارسوف فكان بينهما قتال
عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل
من مسيرهم من عكا فاتى السلطان الرملة واتاه من اخبره بان القوم على عزم عمارة يافا
وتقويتها بالرجال والعدد والالات فاحضر السلطان ارباب مشورته وشاورهم
فى امر عسقلان وهل الصواب خرابها ام بقاوها فاتفقت اراوهم ان يبقى الملك
العادل فى قبالة العدو ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفا من ان يصل العدو اليها و
يستولى عليها وهى عامره وياخذ بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر
من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا وراوا ان حفظ القدس اولى فتعين
خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلثا سابع عشر شعبان من سنة
سبع وثمانين وخمسماية فسار اليها سحره يوم الاربعا ثامن عشر الشهر قال ابن شداد
وتحدث معى فى معنى خرابها بعد ان تحدث مع ولده الملك الافضل فى امرها
ايضا ثم قال لان افقد ولدى جميعهم احب الى من ان اهدم منها حجرا ولكن اذا
قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة المسلمين فما الحيلة فى ذلك قال ولما اتفق
الراى على خرابها اوقع الله تعالى فى نفسه ذلك وان المصلحة فيه لعجز المسلمين عن
حفظها وشرع فى خرابها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم
على الناس السور وجعل لكل طايفة من العسكر بدنة معلومة وبرجا معينا يخربونه ودخل

الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكا وكان بلدًا خفيفًا على القلب محكم الاسوار عظيم
البنا مرغوبًا في سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم وعظم عويل اهل البلد
عليه لفراق اوطانهم وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة
دراهم بدرهم واحد وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد واختبط البلد وخرج
الناس باهليهم واولادهم الى الخيم وتشتتوا وذهب قوم الى مصر وقوم الى الشام
وجرت عليهم امور عظيمة واجتهد السلطان واولاده في خراب البلد كيلا يسمع العدو
فيسرع اليه ولا يتمكن من خرابه وبات الناس على اصعب حال واشد تعب مما
قاسوه في خرابها وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من اخبر ان الفرنج
تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فراى ان ذلك مصلحة لما علم من
نفس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب اليه باذن له
في ذلك وفوض الامر الى رايه واصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على
الخراب واستعمل الناس عليه وحثهم على العجلة فيه واباحهم ما في الهرى الذي
كان مدخرا للميرة خوفًا من هجوم الفرنج والعجز عن نقله وامر باحراق البلد فاضرمت
النيران في بيوته وكان سورها عظيمًا ولم يزل الخراب يعمل في البلد الى سلخ شعبان
من السنة واصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان امر ولده الملك الافضل ان
يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رايته يحمل الخشب بنفسه لاجل الاحراق وفي يوم
الاربعا ثالث شهر رمضان اتى الى الرملة واشرف عليها وامر باحراقها واخراب
قلعة الرملة ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تاخر السلطان بالعسكر
الى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لاحضار ما يحتاجون اليه ودار
السلطان حول النطرون وهي قلعة منيعة فامر باخرابها وشرع الناس في ذلك ثم
ذكر ابن شداد بعد هذا ان الانكتار وهو من اكابر ملوك الفرنج سير رسوله الى الملك
العادل يطلب الاجتماع به فاجابه الى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة
وتحادثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة اكيدة والتمس الانكتار من العادل
ان يسال السلطان ان يجتمع به فذكر العادل ذلك السلطان فاستشار اكابر دولته في
ذلك ووقع الاتفاق على انه اذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم وصل رسول
الانكتار وقال ان الملك يقول اني احب صداقتك ومودتك وانت تذكر انك
اعطيت هذه البلاد الساحلية لاخيك واريد ان تكون حكمًا بيني وبينه وتقسم البلاد بيني
وبينه ولا بد ان تكون لنا علقة بالقدس واطال الحديث في ذلك فاجابه السلطان
بوعد جميل واذن له في العود في الحال وتاثر لذلك تاثرًا عظيمًا قال ابن شداد وبعد

انفصال

انفصال الرسول قال لي السلطان متى صالحناهم لم تومن غايلتهم ولو حدث بي حادث
الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر ويقوى الفرنج والمصلحة ان لا نزول عن الجهاد
حتى نخرجهم من الساحل او ياتينا الموت هذا كان رايه وانما غلب على الصلح قال ابن
شداد ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح وطال القول في ذلك وتركته اذ لا حاجة اليه
وجرت بعد ذلك وقعات اضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها وحاصل الامر انه تم
الصلح بينهم وكانت الايمان يوم الاربعا الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين
وخمسماية ونادى المنادي بانتظام الصلح وان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة
في الامن والمسالمة فمن شاء من كل طايفة ان يتردد الى بلاد الطايفة الاخرى من غير
خوف ولا محذور وكان يومًا مشهودًا نال الطايفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه الا الله
تعالى وقد علم الله تعالى ان الصلح لم يكن عن مرضاته وايثاره لكنه راى المصلحة في الصلح
لسامة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته
بعد الصلح فلو اتفق ذلك في اثنا وقعاته كان الاسلام على خطر ثم اعطى العساكر الواردة
عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دستورًا فساروا عنه وعزم على الحج لما فرغ باله من قبل
الجهة وتردد المسلمون الى بلادهم وجاؤوا هم الى بلاد المسلمين وحملت البضايع والمتاجر
الى البلاد وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس وتوجه السلطان الى القدس ليتفقد
احوالها واخوه الملك العادل الى الكرك وابنه الملك الظاهر الى حلب وابنه الافضل
الى دمشق واقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستورًا ويتاهب للمسير
الى الديار المصرية وانقطع شوقه عن الحج ولم يزل كذلك الى ان صح عنده مسير مركب الانكتار
متوجها الى بلاده في مستهل شوال فعند ذلك قوي عزمه على ان يدخل الساحل جريدة
يتفقد القلاع البحرية الى بانياس ويدخل دمشق يقيم بها اياما قلايل ويعود الى
القدس ومنه الى الديار المصرية قال شيخنا ابن شداد وامرني بالمقام في القدس الى
حين عوده لعمارة بيمارستان انشاه وتكميل المدرسة التي انشاها وسار منها ضحى
نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسماية ولما فرغ من افتقاد
احوال القلاع وازاحة خللها دخل دمشق بكرة يوم الاربعا سادس عشر شوال وفيها
اولاده الملك الافضل والملك الظاهر والملك الظافر ومظفر الدين الخضر المعروف
بالمشمر واولاده الصغار وكان يحب البلد ويوثر الاقامة فيه على ساير البلاد و
جلس للناس في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه وحضروا عنده وبلوا شوقهم منه و
انشدوه الشعرا ولم يتخلف احد من الخاص والعام واقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب
انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة
عمل الملك الافضل دعوة للملك الظاهر لانه لما وصل الى دمشق وبلغه حركة السلطان

اقام بها ليتملا بالنظر اليه ثانيًا وكان نفسه كانت احست بدنو اجله فودعه في تلك
الدفعة مرارًا متعدده ولما عمل الملك الافضل الدعوه اظهر فيها من الهمم العالية
ما يليق بهمته وكانه اراد بذلك مجازاة عمه عما اخدمه به حين وصل الى بلاده وحضر
الدعوة المذكوره ارباب الدنيا والاخرة وسال السلطان الحضور فحضر جبرًا لقلبه
وكان يومًا مشهودًا على ما بلغني ولما تفصح الملك العادل احوال الكرك واصلح
ما قصد اصلاحه فيه سار قاصدًا للبلاد الفراتيه فوصل الى دمشق في يوم الاربعا
سابع عشر ذي القعده وخرج السلطان الى لقائه واقام يتصيد حوالي غباغب الى
الكسوه حتى لقيه وسارا جميعًا يتصيدان وكان دخولهما الى دمشق اخر نهار يوم الاحد
حادي عشر ذي القعده سنة ثمان وثمانين واقام السلطان بدمشق يتصيد هو
واخوه واولاده ويتفرجون في اراضي دمشق ومواطن الصبا وكانه وجد راحة مما
كان فيه من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل وكان ذلك كالوداع لاولاده ومرابع
نزهته ونسي عزمه الى مصر وعرضت له امور اخر وعزمات غير ما تقدم قال ابن شداد
ووصلني كتابه الى القدس يستدعيني لخدمته وكان شتا شديدًا ووحلا عظيمًا
فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين و
كان الوصول الى دمشق في يوم الثلثا ثاني عشر صفر من السنة وركب السلطان لملتقى
الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر وكان ذلك اخر ركوبه ولما كان ليلة السبت وجد
كسلا عظيمًا وما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراويه وكانت في باطنه اكثر منها
في ظاهره واصبح يوم السبت متكسلا عليه اثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده
انا والقاضي الفاضل ودخل ولده الملك الافضل وطال جلوسنا عنده واخذ يشكو
قلقه في الليل وطاب له الحديث الى قريب الظهر ثم انصرفنا وقلوبنا عنده فتقدم
الينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الملك الافضل ولم يكن للقاضي الفاضل
في ذلك عادة فانصرف ودخلت الى الايوان القبلي وقد مد السماط وابنه الملك الافضل
قد جلس في موضعه فانصرفت وما كانت لي قوة في الجلوس استيحاشًا له وبكى في ذلك اليوم
جماعة تفاؤلا لجلوس ولده في موضعه ثم اخذ المرض يتزايد من حينئذ ونحن نلازم التردد
في طرفي النهار وندخل اليه انا والقاضي الفاضل في النهار مرارًا وكان مرضه في راسه وكان
من امارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي عرف مزاجه سفرًا وحضرًا وراى الاطبا
فصده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه
اليبس ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى الى غاية الضعف واشتد مرضه في السادس والسابع
والثامن ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدث له غشية وامتنع من
تناول المشروب واشتد الخوف في البلد وخاف الناس ونقلوا اقمشتهم من الاسواق

وعلا

وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته ولما كان العاشر من مرضه حقن
دفعتين وحصل من الحقن بعض الراحه وفرح الناس بذلك ثم اشتد مرضه وايس منه
الاطباء ثم شرع الملك الافضل في تحليف الناس ثم انه توفي بعد صلوة الصبح من يوم
الاربعا السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمايه وكان يوم موته يومًا
لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم اجمعين
وغشي الملك والقلعه والدنيا وحشة ما يعلمها الا الله تعالى وبالله لقد كنت اسمع
من الناس انهم يتمنون فدا من يعز عليهم بنفوسهم وكنت اتوهم ان هذا الحديث
على ضرب من التجوز والترخص الى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري انه لو
قبل الفدا لفدي بالانفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزا وغسله الدولعي
قلت الدولعي المذكور هو ضياء الدين ابو القاسم عبد الملك بن زيد بن قايد بن جبل
التغلبي الارقمي الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق توفي في ثاني عشر ربيع الاول
سنة ثمان وتسعين وخمسمايه وسئل عن مولده فقال في سنة سبع وخمسمايه ثم ذكر
غير هذا والله اعلم ودفن بمقابر الشهدا بباب الصغير قال واخرج بعد صلوة
الظهر رحمه الله تعالى في تابوت مسجى بثوب فوط وارتفعت الاصوات عند مشاهدته
وعظم الضجيج واخذ الناس في البكاء والعويل وصلوا عليه ارسالا ثم اعيد الى الدار
التي في البستان وهي التي كان ممرضًا بها ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله
في حفرته قريبًا من صلوة العصر ثم اطال ابن شداد القول في ذلك فحذفته خوفًا من
الملالة وانشد في اخر السيره بيت ابي تمام الطائي وهو هذا ∴ ∴

ثم انقضت تلك السنون واهلها ∴ فكانها وكانهم احلام

رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها وذكر سبط ابن
الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمسماية ما مثاله وفي خامس المحرم
خرج صلاح الدين من مصر فنزل البركه قاصدًا الشام وخرج اعيان الدولة لوداعه
وانشده الشعرا ابياتًا في الوداع فسمع قايلا يقول في ظاهر الخيمه ∴

تمتع من شميم عرار نجد ∴ فما بعد العشية من عرار ∴

فطلب القايل فلم يوجد فوجم السلطان وتطير الحاضرون فكان كما قال فانه اشتغل
ببلاد الشرق والفرنج ولم يعد بعدها الى مصر قلت وهذا من جملة ابيات
في الحماسه في باب النسيب وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير في تاريخه الكبير هذه
القصه على صورة اخرى فقال ومن عجيب ما يحكى عن الظفر انه لما برز عن القاهرة
اقام بخيمته حتى يجتمع العسكر وعنده اعيان دولته والعلما وارباب الاداب فمن بين مودع
له وساير معه وكل واحد منهم يقول شيئًا في الوداع والفراق وفي الحاضرين معلم لبعض

اولاده فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد هذا البيت فانقبض صلاح الدين
وتطير بعد انبساطه وتكدر المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول
المدة وذكر ابن شداد ايضا في اوايل السيرة انه مات ولم يخلف في خزانته من الذهب
والفضة الا سبعة واربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا ولم يخلف ملكا
لا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة وفي ساعة موته كتب القاضي
الفاضل الى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة ان زلزلة الساعة شي عظيم كتبت الى مولانا السلطان الملك
الظاهر احسن الله عزاه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكوره وقد
زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر
وقد ودعت اباك ومخدومي وداعا لا تلاقي بعده وقبلت وجهه عني وعنك واسلمته
الى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله ولا حول ولا قوة الا بالله و
بالباب من الجنود المجندة والاسلحة المعدة ما لم يدفع البلا ولا يملك رد القضا وتدمع
العين ويخشع القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا عليك لمحزونون يا يوسف واما
الوصايا فلا يحتاج اليها والاراء فقد شغلني المصاب عنها واما لايح الامر فانه ان وقع
اتفاق فما عدمتم الا شخصه الكريم وان كان غيره فالمصايب المستقبلة اهونها موته وهو الهول
العظيم والسلام قلت لله دره فلقد ابدع في هذه الرسالة الوجيزة مع ما تضمنته
من المقاصد الشديدة في مثل تلك الحالة التي يذهل فيها الانسان عن نفسه قلت وقد
ذكرت كل واحد من اولاده المذكورين وهم الافضل والظاهر والعزيز في ترجمة مستقلة
وعينت تاريخ مولده وموته سوى الملك الظافر المشهور بالمشمر فاني لم اذكره في ترجمة
مستقلة وقد ذكرته هاهنا فاحتاج الى ذكر شي من احواله فاقول لقبه مظفر الدين وكنيته
ابو الدوام وابو العباس الخضر وانما قيل له المشمر لان اباه رحمه الله تعالى لما قسم البلاد بين
اولاده الكبار قال وانا مشمر فغلب عليه هذا اللقب وكان مولده بالقاهرة في سنة
ثمان وستين وخمسماية في خامس شعبان وهو شقيق الملك الافضل وتوفي في جمادى
الاولى سنة سبع وعشرين وستماية بحران عند ابن عمه الملك الاشرف بن الملك العادل
ولم يكن الاشرف يوميذ ملكها وانما كان مجتازا بها عند دخوله بلاد الروم لاجل الخوارزمي
قال غير ابن شداد ثم ان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقي مدفونا بقلعة دمشق
الى ان بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ولها بابان احدهما
الى الكلاسة والاخر في زقاق غير نافذ وهي مجاورة المدرسة العزيزية قلت ولقد دخلت
الى هذه القبة من الباب الذي من الكلاسة وقرات عنده وترحمت واحضر لي القيم
متولي القبة مخدة فيها ملبوس بدنه وكان في جملته قبا اصفر قصير وراس كمه بالتوى

فتبركت

فتبركت به قال ثم نقل من مدفنه بالقلعة الى هذه القبة في يوم عاشورا وكان
يوم الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسماية ورتب عنده القرا ومن يخدم المكان
ثم ان ولده الملك العزيز عماد الدين عثمن المقدم ذكره لما اخذ دمشق من اخيه الملك
الافضل بنى الى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية ووقف عليها وقفا جيدا و
للقبة المذكوره شباك الى هذه المدرسة وهي من اعيان مدارس دمشق قلت
ولما ملك السلطان صلاح الدين ديار مصر لم يكن بها شي من المدارس فان الدولة
المصرية كان مذهبها مذهب الامامية فلم يكونوا يقولون بهذه الاشيا فعمر
بالقرافة الصغرى المدرسة المجاوره لضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد
تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الخبوشاني وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد
المنسوب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما وجعل عليه وقفا كبيرا وجعل دار سعيد
السعدا خادم المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا طويلا وجعل دار عباس المذكور
في ترجمة الظافر العبيدي والعادل ابن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد
ايضا والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفا على الشافعية ووقفها جيد ايضا
وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا وله وقف جيد وله بالقدس مدرسة ايضا
ووقفها كبير وخانقاه بها ايضا وله بمصر مدرسة للمالكية ولقد افكرت في نفسي في
امور هذا الرجل وقلت انه سعيد في الدنيا والاخرة فانه فعل في هذه الافعال المشهورة
من الفتوحات الكثيرة وغيرها ورتب هذه الاوقاف العظيمة وليس فيها شي منسوبا
اليه في الظاهر فان المدرسة التي في القرافة ما يسميها الناس الا الشافعي والمجاورة
للمشهد لا يقولون الا المشهد والخانقاه لا يقولون الا مدرسة السيوفية والتي بمصر لا يقولون
الا مدرسة زين التجار والتي بمصر ايضا مدرسة المالكية وهذا هو السر على الحقيقة
والعجب ان له بدمشق في جوار البيمارستان النوري مدرسة يقال لها الصلاحية فهي
منسوبة اليه وليس لها وقف وله بها مدرسة للمالكية ايضا ولا تعرف به وهذا من النعم
من الطاف الله تعالى به وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع
واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة وكان يحب العلما
واهل الخير ويقربهم ويحسن اليهم وكان يميل الى الفضايل ويستحسن الاشعار الجيدة و
يرددها في مجالسه حتى قيل انه كان كثيرا ما ينشد قول ابي منصور محمد بن الحسين
بن احمد بن الحسين ابن اسحق الحميري وقيل انها لابي محمد احمد بن علي بن خيران
العامري وكان اميرا من بلاد الاندلس وكان جده خيران من سبي المنصور بن ابي عامر
فنسب اليه والله اعلم

وزارني طيف من اهوى على حذر ❊ من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت اوقظ من حولي به فرحًا ٭ وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي ٭ نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

وقيل انه كان ايضًا يعجبه قول تاج الملوك ابي الحسين علي بن مفرج المعروف بابن المنجم المعري الاصل المصري الدار والوفاة وهو في خضاب الشيب ولقد احسن فيه

وما خضب الناس البياض لقبحه ٭ واقبح منه حين يظهر ناصله
ولكنه مات الشباب فسودت ٭ على الرسم من حزن عليه منازله

قالوا وكان اذا قال مات الشباب يمسك كريمته وينظر اليها ويقول اي والله مات الشباب وذكر العماد الكاتب الاصبهاني في كتابه الخريدة ان السلطان صلاح الدين في اول ملكه كتب الى بعض اصحابه بدمشق

ايها الغائبون عنا وان كنتم ٭ لقلبي بذكركم جيرانا
انني مذ فقدتكم لاراكم ٭ بعيون الضمير عندي عيانا

واما القصيدتان اللتان ذكرت ان سبط ابن التعاويذي انفذهما اليه من بغداد فان احداهما واولها قصيدة صدرها الشاعر المقدم ذكره وقد ذكرت منها ابياتًا في ترجمة الوزير البلدي واولها اكذا يجازى ود كل قرين
وقصيدة سبط ابن التعاويذي

ان كان دينك في الصبابة ديني ٭ فقف المطي برملتي يبرين
والثم ثرى لو شارفت بي هضبه ٭ ايدي المطي لثمته بجفوني
وانشد فؤادي في الظباء معرضا ٭ فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وانما ٭ غالطت عنها بالظباء العين
لولا العدى لم اكن عن الحاظها ٭ وقدودها بجآذر وغصون
سقيا لما اشتملت عليه قبابهم ٭ يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على اترابها ٭ في الحسن غانية عن التحسين
خود ترى قمر السماء اذا بدت ٭ ما بين سالفتيها والجبين
غادين ما لمعت بروق ثغورهم ٭ الا استهلت بالدموع شؤوني
ان تنكروا نفس الصبا فلانها ٭ مرت بزفرة قلبي المحزون
واذا الركائب في الفلا تلفتت ٭ فحنينها لتلفتي وحنيني
يا سلم ان ضاعت عهودي عندكم ٭ فانا الذي استودعت غير امين
او عدت مغبونا فما انا في الهوى ٭ لكم باول عاشق مغبون
وقفا نقد غنى الفراق بمطلق ٭ العبرات في اسر الغرام رهين
مالي ووصل الغانيات ارومه ٭ ولقد بخلن علي بالماعون

وعلام

وعلام اشكو والدماء مطاحة ٭ بلحاظهن اذا لوين ديوني
هيهات ما للبيض في ود امرئ ٭ ارب وقد اربى على الخمسين
ومن البلية ان تكون مطالبي ٭ جدوى بخيل او وفاء خؤون
ليت الضنين على المحب بوصله ٭ لقن السماحة من صلاح الدين

واما القصيدة الثانية فهي

حتام ارضى في هواك وتغضب ٭ والى متى تجني علي واعتب
ما كان لي لولا ملالك زلة ٭ لما مللت زعمت اني مذنب
خذ في افانين الصدود فان لي ٭ قلبا على العلات لا يتقلب
اتظنني اضمرت بعدك سلوة ٭ هيهات عطفك من سلوي اقرب
لي فيك نار جوانح لا تنطفي ٭ حرقا وماء مدامع ما ينضب
انسيت ايامًا لنا ولياليا ٭ للهو فيها والبطالة ملعب
ايام لا الواشي يعد ضلالة ٭ لهوي عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفني المودة راكبا ٭ في الحب من اخطاره ما اركب
واليوم اقنع ان يمر بمضجعي ٭ في النوم طيف خيالك المتاوب
ما خلت ان جديد ايام الصبا ٭ يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى ٭ سار الدجى وانجاب ذاك الغيهب
وتنافر البيض الحسان فاعرضت ٭ عني سعاد وانكرتني زينب
قالت وقد راعت بياض معارفي ٭ ونحول جسمي بان منك الاطيب
ان تنكري سقمي فخصرك ناحل ٭ او تنكري شيبي فثغرك اشنب

قلت لله دره فلقد اجاد في هذا المعنى كل الاجادة غير انه قد ظن ان الشنب بياض الثغر وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده فانها لما عيرته بالسقم قابلها بنحول الخصر فقال لها ان كنت نحيلا فخصرك ايضا نحيل فلما انكرت شيبه قابلها بان ثغرها اشنب فكانه قال لها بياض شيبي في مقابلة ثغرك الاشنب وليس كما ظن فان الشنب في اللغة ليس البياض وانما هو حدة الاسنان ويقال بردها وعذوبتها والصحيح انه حدتها وهو دليل على الحداثة لان الاسنان في اول طلوعها تكون حادة فاذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتها وهذا المعنى ينظر الى قول النابغة الذبياني في جملة قصيدته المشهورة وهو ٭

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب

وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك ومثله ايضا ما انشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره لنفسه من ابيات

و هو قوله ما فيه من عيب سوى فتور عينيه فقط رجعنا الى شعر ابن التعاويذي

يا طالباً بعد المشيب غضارة ∴ من عيشه ذهب الزمان المذهب
اتروم بعد الاربعين تعدها ∴ وصل الدمى هيهات عز المطلب
ومن السعادة وقد سال لحاله ∴ نفعاً تطلبه وفودك اشيب
لولا الهوى العذري يا دار اللوى ∴ ما هاج لي طرباً وميض خلب
كلا ولا استخدمت اخلاق الحيا ∴ ويدي صلاح الدين هام صيب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد فمنهم العلم الشاتاني واسمه
الحسن وقد تقدم ذكر مدحه بقصيدته الرائية التي اولها ∴ ∴ ∴

ارى النصر مقروناً برايتك الصفرا ∴ فسر واملك الدنيا فانت بها احرى

ومدحه المهذب ابو حفص عمر بن محمد بن علي بن ابي نصر المعروف بابن الشحنه
الموصلي الشاعر المشهور بقصيدته التي اولها ∴ ∴ ∴ ∴

سلام مشوق قد براه التشوق ∴ على جيرة الحي الذين تفرقوا

وعدد ابياتها مائة وثلثة عشر بيتاً وفيها البيتان السائران احدهما

واني امرؤ احببتكم لمكارم ∴ سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد اخذه من قول بشار بن برد المقدم ذكره وهو ∴ ∴

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ∴ والاذن تعشق قبل العين احيانا

والبيت الثاني من قصيدة ابن الشحنه قوله ∴ ∴ ∴

وقالت لي الامال ان كنت لاحقاً ∴ بابنا ايوب فانت الموفق ∴

ومدحه ابن قلاقس وابن الذروي وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتي و
الجراني والاربلي وابن دهن الحصا الموصلي ومحمد بن اسمعيل بن حمدان والخبزارزي
وغيرهما وقد ذكرت اكثر هذه الجماعة في هذا التاريخ وعذري في تطويل هذه الترجمة قول المتنبي

وقد اطال ثنائي طول لابسه ∴ ان الثناء على التنبال تنبال

التنبال الرجل القصير وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون قلت
قد تقدم في هذه الترجمة عند ذكر رسال العاضد الى صلاح الدين وطلبه اياه ليخلع
عليه وتولية الوزارة ذكر المثل السائر المشهور وهو اردت عمراً واراد الله خارجه وقد
يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ولا المراد منه فاحببت ان اشرحه كيلا
يحتاج من يقف عليه الى كشفه من مكان اخر فاقول عمرو المذكور وهو عمرو بن
العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي
القرشي السهمي كنيته ابو عبد الله وقيل ابو محمد احد الصحابة رضي الله عنهم اسلم سنة
ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ومكة فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر

رمضان

رمضان من هذه السنة وقيل بل اسلم بين الحديبية وخيبر والاول اصح وقدم
هو وخالد بن الوليد المخزومي وعثمن بن طلحة القرشي العبدري على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسلمين فلما دخلوا عليه ونظر اليهم قال لهم
قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها وقال الواقدي قدم عمرو بن العاص مسلما على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد اسلم عند النجاشي ملك الحبشة وقدم معه عثمن بن
طلحة وخالد بن الوليد فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة وقيل انه
لم يات من ارض الحبشة الا معتقدا الاسلام وذلك ان النجاشي قال له يا عمرو وكيف
يعزب عن ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال انت تقول ذلك قال اي والله
فاطعني فخرج من عنده مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على سرية الى الشام يدعوا اخوال ابيه الى الاسلام فبلغ السلاسل
من بلاد قضاعة وهو ماء بارض جذام وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل
وكان معه ثلثماية رجل فخاف عمرو فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده
فامده بجيش مائتي فارس من المهاجرين والانصار اهل الشرف فيهم ابو بكر وعمر
رضي الله عنهم وامر عليهم ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فلما قدموا على عمرو
بن العاص قال انا اميركم وانما انتم مددي فقال ابو عبيدة بل انت امير من معك
وانا امير من معي فابى عمرو فقال ابو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي اذا
قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتني اطعتك قال عمرو فاني اخالفك
فسلم اليه ابو عبيدة وصلى خلفه الجيش كله فكان خمسمايه وولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمرو بن العاص على عمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي سنة اثنتي عشرة بعث ابو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاص ويزيد بن
ابي سفيان الاموي وابا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة الى الشام بعد ما تجلا
وتوفي ابو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى ابا عبيدة
على الجيش وفتح الله تعالى عليه الشام فولى يزيد بن ابي سفيان على فلسطين و
هي كورة الرملة ولما مات ابو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف يزيد
بن ابي سفيان ومات يزيد بن ابي سفيان فاستخلف اخاه معوية بن ابي سفيان وكتب
اليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان عليه اخوه يزيد وكان موت هؤلاء
كلهم في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة للهجرة وعمواس بفتح العين المهملة و
الميم وفي اخرها سين مهملة وهي قرية بالشام بين نابلس والرملة كان الطاعون بها
في العام المذكور وقيل بل مات يزيد بن ابي سفيان في ذي الحجة من سنة تسع عشرة
بدمشق والله اعلم وذلك بعد فتح قيسارية وكان عمر رضي الله عنه قد ولى عمرو بن العاص

بعد موت يزيد بن ابي سفين فلسطين والاردن وولي معوية دمشق وبعلبك والبلقا
وولي سعيد بن ابي عامر بن حذيم حمص ثم جمع الشام كلها لمعوية وكتب الى عمرو فسار الى
مصر فافتتحها في سنة عشرين للهجرة فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر رضي الله عنه
فاقره عثمن رضي الله عنه عليها اربع سنين او نحوها ثم عزله وولي عبد الله بن ابي سرح
العامري وكان اخا عثمن رضي الله عنه من الرضاعة فاعتزل عمرو بن العاص في ناحية
فلسطين وكان ياتي المدينة احيانا فلما قتل عثمن رضي الله عنه سار الى معوية
باستجلاب معاوية اياه وشهد صفين مع معوية وكان منه في صفين وقضية
التحكيم ما هو مشهور عند اهل العلم بهذا الفن وكان قد طلب من معوية انه
اذا تم له الامر توليه مصر وكتب اليه في بعض ايام طلبه ⁂ ⁂ ⁂

معاوي لا اعطيك ديني ولم انل ⁂ به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فاربح بصفقة ⁂ اخذت بها شيخا يضر وينفع

ثم ولاه معوية مصر فلم يزل بها اميرا الى ان مات يوم عيد الفطر من سنة ثلث
واربعين للهجرة وقيل سنة اثنتين واربعين وقيل سنة ثمان واربعين و
قيل سنة احدى وخمسين والاول اصح وعمره تسعون سنة ودفن بسفح المقطم
وصلى عليه ابنه عبد الله ولما رجع صلى بالناس العيد ثم عزل معوية عبد الله
بن عمرو بن العاص وولي اخاه عتبة بن ابي سفيان فمات عتبة بعد سنة او
نحوها فولى معوية مسلمة بن مخلد وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وابطالهم
في الجاهلية وكان من الدهاة في امور الدنيا المتقدمين في الراي فكان عمر رضي الله
عنه اذا استضعف رجلا في رايه قال اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد يريد
خالق الاضداد وذكر ابو العباس المبرد في كتاب الكامل ان عمرو بن العاص لما
حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال له يا ابا عبد الله كنت
اسمعك كثيرا ما تقول وددت لو رايت رجلا عاقلا حضرته الوفاة حتى اساله عما يجد
فكيف تجد فقال اجد كان السماء مطبقة على الارض وكاني بينهما وكانما اتنفس
من خرم ابرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى فدخل عليه ولده عبد الله فقال له يا
ولدي خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لي به فقال انه مملوء مالا فقال لا حاجة لي
به فقال ليته مملوء بعرا ثم رفع يديه وقال اللهم انك امرت فعصينا ونهيت فارتكبنا
فلا بري فاعتذر ولا قوي فانتصر ولكن لا اله الا انت ثم فاظ قلت يقال فاض وفاظ
بالظاء والضاد اي مات قال الشاعر ⁂ لا يدفنون منهم من فاظا ⁂ واما خارجة المذكور
في هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن
عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي شهد فتح مصر واختط بمصر وكان امير ربع

المدد

المدد الذي امد بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر
وكان على شرط مصر في امرة عمرو بن العاص لمعوية بن ابي سفيان الاموي قتله
خارجي بمصر في سنة اربعين للهجرة وهو يحسب انه عمرو بن العاص هكذا قاله ابن
يونس في تاريخ مصر وذكره في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وساق
نسبه على هذه الصورة ثم قال يقال انه كان يعدل بالف فارس ذكر بعض اهل
النسب والاخبار ان عمرو بن العاص كتب الى عمر رضي الله عنه يستمده بثلاثة الاف
فارس فامده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وشهد
خارجة فتح مصر وقيل انه كان قاضيا لعمرو بن العاص بها وقيل انه كان على شرطة
عمرو ولم يزل بها الى ان قتل قتله احد الخوارج الثلثة الذين كانوا انتدبوا لقتال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعوية بن ابي سفين وعمرو بن العاص فاراد الخارجي
قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمرا وذلك انه كان استخلفه عمرو بن العاص
على صلوة الصبح ذلك اليوم فلما قتله اخذ وادخل على عمرو فقال من هذا الذي
ادخلتموني عليه فقالوا عمرو بن العاص فقال ومن قتلت فقالوا خارجة فقال اردت
عمرا واراد الله خارجة والله اعلم من قال ذلك منهما والذي قتل خارجة هذا رجل من
بني العنبر ابن عمرو بن تميم يقال له داذويه وقيل انه مولى لبني العنبر وقد قيل ان
خارجة الذي قتله الخارجي بمصر على انه عمرو بن العاص رجل يسمى خارجة من بني سهم
رهط عمرو بن العاص وليس بشيء انتهى ما قاله صاحب الاستيعاب وقال غيره ان
عمرو بن العاص اصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله تلك الليلة وكان خارجة يعني ان
فضربه الخارجي فقتله فكان عمرو يقول ما نفعني بطني قط الا في تلك الليلة قلت
فهذا اصل المثل في قولهم اردت عمرا واراد الله خارجة والى هذا اشار ابو محمد عبد
المجيد بن عبدون الاندلسي في قصيدته التي رثى بها بني الافطس ملوك بطليوس
واولها الدهر يفجع بعد العين بالاثر بقوله ⁂ ⁂ ⁂

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة ⁂ فدت عليا بمن شاءت من البشر

وهي من غرر القصائد جمعت تاريخا كبيرا وشرحها الاديب ابو مروان عبد الملك بن
عبد الله بن بدرون الحضرمي الشلبي شرحا مستوفى وهذا البيت يحتاج الى شرح
ايضا وهو من تتمة الكلام على المثل المذكور لكني اذكره مختصرا فانه طويل ذكر اهل
التاريخ ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه
عثمن بن عفان رضي الله عنه خرج عليه من قاتله في وقعة الجمل وقد ذكرت طرفا من هذه
الوقعة في ترجمة يموت بن المزرع ساقنا الكلام هناك فذكرت المقصود منه ثم كانت وقعة
صفين عند خروج معوية بن ابي سفين الاموي وعمرو بن العاص على علي بن ابي طالب رضي الله عنه

عند قدومهم اليهم من العراق وجاؤه من الشام والتقوا على صفين وهو موضع على شاطئ الفرات
بالقرب من الرحبة وهي واقعة مشهورة وكانت في سنة سبع وثلثين من الهجرة
ولما غلب اهل الشام طلبوا من علي رضي الله عنه التحكيم فاجابهم اليه بعد معاودات
كثيرة فخرج على علي رضي الله عنه جماعة من اصحابه وقالوا احكمت في دين الله ورحلوا الى
النهروان فمضى اليهم وقاتلهم واستاصلهم الا اليسير منهم وهي ايضًا واقعة مشهورة
بقتال الخوارج ولما طال الامر في ذلك اجتمعوا وقالوا ان عليًا ومعوية وعمرو بن العاص
قد افسدوا امر هذه الامة فلو قتلناهم لعاد الامر الى حقه فقال عبد الرحمن بن ملجم
المرادي انا اقتل عليًا قالوا وكيف لك بذلك قال اغتاله وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي
انا اقتل معوية ويعرف هذا الصريمي بالبرك وقال داذويه بن نحل الفرانا اقتل عمرًا
واجمعوا اراءهم على ان يكون ذلك في ليلة واحدة فدخل ابن ملجم الكوفة وعلي رضي الله
عنه بها واشترى سيفًا بالف درهم وسقاه السم حتى لفظه فلما خرج علي لصلوة الصبح
كان ابن ملجم قد كمن له فضربه على راسه وقال الحكم لله يا علي لا لك وقيل انه ضربه في
صلوة الصبح وذلك في صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة
اربعين للهجرة وقيل غير هذا التاريخ وقدم البرك الصريمي على معوية بدمشق فخرج
اليه وهو في الصلوة ويقال انه مر قطع النسل فما احبل بعدها واما عمرو فقد
سبق الكلام عليه عند قتل خارجة فهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار
والله اعلم ابو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب الموفق صاحب
ديوان الانشاء بمصر في دولة الحافظ ابي الميمون عبد المجيد العبيدي المقدم ذكره
ومن بعده قال عماد الدين الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة في حقه هو ناظر
مصر وانسان ناظره وجامع مفاخره وكان اليه الانشاء وله قوة على الترسل يكتب كما
شاء عاش كثيرًا وعطل في اخر عمره ولزم بيته الى ان تعوض منه القبر وتوفي بعد تملك
الملك الناصر مصر بثلث او اربع سنين وذكر له عدة مقاطيع من الشعر نورد شيئًا منها
بعد هذا ان شاء الله تعالى وذكره ضياء الدين ابو الفتح نصر الله المعروف بابن
الاثير الجزري ثم الموصلي المقدم ذكره في الفصل الاول من كتابه الذي سماه الوشي
المرقوم في حل المنظوم فقال حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني
رحمه الله تعالى بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسماية وكان اذ ذاك كاتب
الدولة الصلاحية فقال كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضًا طريًا
وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من راس يرأس مكانًا وبيانًا ويقيم لسلطانه بقلمه
سلطانًا وكان من العادة ان كلا من ارباب الدواوين اذا انس له ولد وسد اشياء
من علم الادب احضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع قال

فارسلني

فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيًا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في ايام الحافظ
وهو احد خلفائها وامرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذي يراس فيه
في تلك الايام رجلا يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته
من انا وطلبتي رحب بي وسهل ثم قال لي ما الذي اعددت لفن الكتابة من
الالات فقلت ليس عندي شيء سوى اني حفظت القران الكريم وكتاب الحماسة
فقال في هذا ابلاغ ثم امرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت بين يديه
امرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من اوله الى اخره ثم امرني ان احل
من ثانيه فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير قلت وبعد ان نقلت ما قاله ضياء
الدين ابن الاثير على هذه الصورة اجتمع بي من له عناية بالادب خصوصًا هذا
الفن وهو من اعرف الناس باحوال القاضي الفاضل وقال في هذا الفن الذي
ذكره ابن الاثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل فان القاضي الفاضل لم
يدخل الى الديار المصرية الا في ايام الظافر بن الحافظ وكان وصوله اليها مع ابيه
في امر يخصهم ثم اني وجدت في بعض تعاليق بخطي وما ادري من اين نقلته
ان القاضي الاشرف والد القاضي الفاضل كان من اهل عسقلان وكان ينوب
في الحكم والنظر بمدينة بيسان فدخل الى في زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى
بينه وبين والي الناحية من اهل كيد كبير وكان عندهم له قيمة كبيرة فنافى
الوالي في حقه واطلقه فاستدعى الوالي الى مصر لذلك وطولب بمال طائل
فاحتمى ببعض امراء الدولة وجعلوا الاقاويل في حق القاضي الاشرف فاستدعي
وصودر الى ان لم يبق له شيء ولم يكن معه من الاولاد سوى القاضي الفاضل فحمل
على قلبه وتوفي بالقاهرة ليلة الاحد حادي عشر شهر ربيع الاول من سنة ست
واربعين وخمسماية ودفن بسفح المقطم ثم توجه القاضي الفاضل الى ثغر الاسكندرية
وحضر عند ابن حديد قاضي البلد وناظره فعرفه بوالده فعرف به واستخدمه واستكتبه
واذن له في التوجه الى عسقلان فحضر اخوته اليه وكانت مكاتبات ابن حديد ترد الى
مصر بخطه وهي في غاية البلاغة فحسده كتاب الانشاء بها على فضله وخافوا
من تقدمه عليهم فسعوا الى الظافر به وقالوا انه قصر في الكتابة وكان صاحب
ديوان الانشاء القاضي الاثير بن بيان فحكي انه دخل على الظافر فقال له
تكتب الى ابن حديد ليرسله الينا ويكتب لنا قال ابن بيان كنت بعد ذلك في
مجلس الظافر فرايت القاضي الفاضل وقد حضر وهو قائم بين يديه ثم استخدمه
والله اعلم وقال العماد في الخريدة انشدني مرهف بن اسامة بن منقذ قال انشدني
الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة

عذبت لياليَّ بالعذيب حوالي ∴ وحلت مواقف بالوصال حوالي

ومضت لنا ادان تقضى ذكرها ∴ تصبي الخلي وتستهيم السالي

وحلت موردة الخد وداوثقت ∴ في الصبوة الحالي بحسن الحال

قالوا اشراة بني هلال اصلها ∴ صدقوا لان البدر فرع هلال

قال العماد في الخريده ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الاذهان قلت هو تاليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره من شعر ابن الجلال قوله ∴

واغن سيف لحاظه بفري الحسام فعده ∴

فضح الصوارم والقنا ان بقده وبعده ∴

عجب الورى لما حبيت وقد فنيت بصده ∴

وتقاحي ناحلا يصلى بوقدة صده ∴

كيفاء عنبر خاله في نار صفحة خده ∴

وله ايضا اصبتم بسهام اللحظ مهجته ∴ فهل يلام اذا اجرى الدموع دما

قد صار بالسقم من تعذيبكم علما ∴ ولم يبح بالذي من جوركم علما

فما على ما لقت ايدي لصدكم ∴ في كل جارحة منه السقام فما

واورد له في الشمعه

وصحيحة بيضا تطلع في الدجا ∴ صبحا وتشفي الناظرين بدايها

شابت ذوايبها اوان شبابها ∴ واسود مفرقها اوان فنايها

كالعين في طبقاتها ودموعها ∴ وسوادها وبياضها وضيايها

وذكر ايضا العماد في الخريده ايضا في ترجمة القاضي ابي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب ابياتا كتبها ابن الحباب المذكور وقال العماد وكان خاله ولم يذكر ايهما خال الاخر وكان ابن الحباب قد حصل له بسبب نكبة ابن الجلال صلح والابيات المشار اليها دمع مقال يا ابن الزبير ∴ فانت خليق بان دمعه

بلينا بدي نسب نايل ∴ قليل الجدى في زمان الدعه

اذا ناله الخير لم نرتجه ∴ وان صفعوه صفعنا معه

وهذا من قول حصين بن حصفه العلدي الخارجي يخاطب قطري بن الفجاه رئيس الخوارج المقدم ذكره ∴ ∴ ∴ ∴ ∴

وانت الذي لا نستطيع فراقه ∴ حياتك لا تنفع وموتك ضاير

ثم اني كشفت عن قول العماد وكان خاله ولم ينسبه فوجدت ابن الجلال المذكور خال ولم ينسبه ابن الحباب المذكور وذكر العماد ايضا في كتاب السيل والذيل الذي جعله ذيلا على كتابه الخريدة ابن الجلال ايضا واورد له ∴

وغزال نا

وغزال ناروجنته ∴ ادكت النيران في كبدي

وله طرف لواحظه ∴ نصبت شوقي على جلدي

قدفت عيني سوالفه ∴ فتوارت منه بالزرد

والبيت الاخير ماخوذ من قول ابي محمد الحسن بن حكينا البغدادي الشاعر المشهور وقد روي لغيره والله اعلم ثم وجدت في كتاب خريدة القصر تاليف العماد الكاتب الاصبهاني لعبد السلام الحكيم المعروف بابن الصوفي الواسطي

لو كان امري الي او بيدي ∴ اعددت لي قبل بينك العددا

طرفك يرمي قلبي باسهمه ∴ فالحذ لك تلبس الزردا

ريقته الشهد والدليل على ∴ ذلك نمل بخده صعدا

وذكر ابو الحسن علي بن ظافر الازدي المصري في كتاب بدايع البدايات ان ابا القسم بن هاني الشاعر الشاعر هجا ابن الجلال المذكور وبلغه هجوه فاضمر له حقدا وانفق بعض المراسم التي جرت عادة ملوك مصر الحضور فيه لاستماع المدايح فجلس الحافظ ابو الميمون عبد الحميد ملك مصر اذ ذاك فانشده الشعرا وانتهت النوبة الى ابن هاني المذكور فانشد واجاد فيما قاله فقال الحافظ للموفق المذكور كيف تسمع فاثنى عليه واستجاد شعره وبالغ في وصفه ثم قال له ولو لم يكن له ما يمت به الا انتسابه الى ابي القاسم بن هاني شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم ماثرها لولا بيت الظهرة منه الضجر عند دخوله هذه البلاد فقال له الحافظ ما هو فتحرج من انشاده فابى الحافظ الا ان ينشده وفي اثناء ذلك صنع بيتا وهو

تب لمصري فقد صارت خلافتها ∴ عظما تنقل من كلب الى كلب

فعظم ذلك على الحافظ وقطع صلته وكاد يفرط في عقوبته والله اعلم ولم يزل ابن الجلال بديوان الانشا الى ان طعن في السن وعجز عن الحركة وانقطع في بيته ويقال ان القاضي الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم وكان يجري عليه ما يحتاج اليه ان مات في الثالث والعشرين من جمادى الاخرة سنة ست وستين رحمه الله تعالى ابو عمر يوسف بن هرون الكندي المعروف بالرمادي الشاعر المشهور ذكره الحافظ ابو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس فقال الحق احدا بانه كان من اهل رمادة موضع بالمغرب شاعر قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك بسلوكه في فنون من المنظوم مسالك يتفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكنده وختم بكنده يعنون امرء القيس والمتنبي ويوسف بن هرون وكانا متعاصرين واستدلت على ذلك بمدحه ابا علي اسمعيل بن القسم القالي عند دخوله الاندلس بالقصيدة التي اولها ∴ ∴ ∴

مَن حاكمٌ بيني وبين عذولي ∴ الشجو شجوي والعويل عويلي

وكان وصول ابي على القالي الاندلسي في سنة ثلثين وثلثمايه قلت وقد
سبق ذكر ذلك في ترجمته ثم ذكر له الحميدي وقايع وعدة مقاطيع وعدة من الشعر
وانه الف كتابًا في الطير وسجن مدة قلت وقد ذكر ابو منصور الثعالبي في
كتاب يتيمة الدهر الابيات التي مدح بها يوسف بن هرون القالي فاورد
بعد البيت المذكور قوله ∴ ∴ ∴

في اي جارحة اصون معذبي ∴ سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في بصري فثم مدامعي ∴ او قلت في كبدي فثم غليل
وثلث شبابات نزلن بمفرقي ∴ فعلمت ان نزولهن رحيلي
طلعت ثلثا في نزول ثلثة ∴ واتت بوجه مراقب وثقيل
فعزلنني عن صبوتي فلئن ذلك ∴ لقد سمعت بذلة المعزول

قلت ثم خرج بعد هذا الى المدح وكان ∴ وصف الصيد والروض فقال

روض تعاهده السحاب كانه ∴ متعاهد من عهد اسمعيل
قسه الى الاعراب تعلم انه ∴ اولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبايلهم لغات فرقت ∴ فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده وكانما ∴ نزل الخراب بربعه الماهول
وكانه شمس بدت في غربنا ∴ وتغيبت عن شرقهم بافول
يا سيدي هذا ثناي لم اقل ∴ زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يامل نايلا فانا امرؤ ∴ لم ادع غير القرب في تاميلي

وله في غلام الثغ من جملة ابيات ∴ ∴ ∴ ∴

لا الراء تطمع في الوصال ولا انا ∴ الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها في راحتي ∴ وبكيت منتحبا انا والراء

وله فيه ايضا

اعد لثغة في الراء لو ان واصلا ∴ تسمعها ما اسقط الراء واصل

قلت وهذا واصل هو ابن عطا المقدم ذكره في حرف الواو وقد ذكرت هناك هذا
الشاعر وشيا من شعره قلت وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة فقال يوسف بن
هرون الرمادي الشاعر من اهل قرطبة يكنى ابا عمر كان شاعر اهل الاندلس المشهور
المقدم ذكره على الشعرا روى عن ابي علي البغدادي يعني القالي كتاب النوادر من
تاليفه وقد اخذ عنه ابو عمر بن عبد البر قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض
تواليفه قال ابن حيان توفي سنة ثلث واربعمايه يوم العنصرة فقيرا معدمًا

ودفن

ودفن بمقبرة كلع انتهى كلامه قلت يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الاندلس وهو موسم
للنصارى كالميلاد وغيره وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران فيه ولد يحيى بن
زكريا عليهما السلام والعنصرة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة
والراء في اخرها هاء وفي هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون
عليه السلام حين بعثه موسى عليه الصلوة والسلام وكان يوشع ابن اخيه الى
اريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية فخشي ان يحول الليل بينه
وبينهم فسال الله عز وجل ان يحبس عليه الشمس حتى يفرغ منهم فحبسها بدعا
وقد ذكر الشعرا ذلك في اشعارهم كثيرا فقال ابو تمام الطاي الشاعر المشهور من جملة
قصيدة طويلة فردت علينا الشمس والليل راغم ∴ بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

ضا ضوها صبغ الدجنة وانطوى ∴ لبهجتها ثوب السماء المجزع
فوالله ما ادري احلام نايم ∴ المت بنا ام كان في الركب يوشع

وقال ابو العلا المعري من جملة قصيدة طويلة ايضا ∴ ∴ ∴

ويوشع رد يوحا بعض يوم ∴ وانت متى سفرت رددت يوحا

ويوح بالباء الموحده المضمومة وسكون الواو وبعدها حا مهمله اسم من اسما
الشمس وكذلك يوح بالياء المثناة من تحتها واريحا بفتح الهمزه وكسر الراء ثم
ياء ساكنه وبعدها حاء مهمله ثم الف مقصوره بلدة بين القدس والشريعه
من ارض الشام وهي قريبة من مداين لوط عليه السلام والرمادي بفتح الراء
والميم وبعد الالف دال مهمله بعدها ياء هذه النسبه الى الرمادي قال
ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا في باب
الرماده عشرة مواضع وعدها فقال الثالث رمادة المغرب ينسب اليها يوسف
بن هرون الكندي الرمادي الشاعر القرطبي وكلع بفتح الكاف واللام وبعدها
عين مهمله وهي مقبرة قرطبه والله اعلم وذكر ابن سعيد في كتاب المغرب في
اشعار اهل المغرب ان الرمادي المذكور اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي
بكر يحيى بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القايل ∴ ∴ ∴ ∴

لا تلحني على الوقوف بدار ∴ اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي الى هواهم سبيلا ∴ ثم سدوا علي باب الرجوع

ثم قال وتوفي يحيى بن هذيل المذكور في سنة ست او خمس وثمانين وثلثمايه
وهو ابن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى يوسف بن يوسف بن دره الشاعر
المشهور المعروف بابن الدر الموصلي الاصل كان شابا ذكر ما ذكره ابو الشجاع
محمد بن علي بن الدهان في تاريخه وقال انه هلك مع الحاج سنة خمس واربعين

وخمسمائة لما خرجت عليهم زعب وقد ذكره عماد الدين الكاتب الاصفهاني
في كتاب خريدة القصر وذكره ابو المعالي سعد بن علي الحظيري المقدم ذكره
في كتاب زينة الدهر ومن مشهور شعره قوله في رجل ارجل وقد احسن فيه

مدور الكعب فاخذه ❊ ليل عرس وليل عرش
لو نظرت عينه الثريا ❊ اخرجها في بنات نعش

وله غيره هذا اشيا حسنة قال شيخنا الحافظ عز الدين ابو الحسن علي بن
محمد المعروف بابن الاثير الجزري في مختصر كتاب الحافظ عز الدين ابي سعد
عبد الكريم بن السمعاني الذي عمله في الانساب ما مثاله قلت فاما الزعبي
بكسر الزاي وسكون العين المهملة واخره باء موحدة نسبة الى زعب ابن مالك
بن حسان بن امرء القيس بن بهثة بن سليم بطن مشهور من سليم وهذه
زعب هي التي اخذت الحاج سنة خمس واربعين وخمسمائة فهلك منهم منهم
خلق عظيم قتلا وجوعا وعطشا ثم ان الله تعالى رمى زعبا بالقلة والذلة فبقيت
الى الان ابو المحاسن يوسف بن اسمعيل بن علي بن احمد بن الحسين بن ابرهيم
المعروف بالشوا الملقب شهاب الدين الكوفي الاصل الحلبي المولد والمنشا
والوفاة كان اديبا فاضلا متقنا لعلم العروض والقوافي شاعرا يقع له في
النظم معان بديعة في البيتين والثلثة وله ديوان شعر كبير يدخل في اربع
مجلدات وكان زيه على زي الحلبين الاوايل في اللباس والعمامة المشفوهة
وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين ابي القسم احمد بن هبة الله بن سعد
الله بن سعيد بن سعد بن مقلد المعروف بابن الجبراني الحلبي النحوي اللغوي الفاضل
واكثر ما اخذ الادب عنه وبصحبته انتفع وعاشر التاج ابا الفتح مسعود بن ابي الفضل
النقاش الحلبي الشاعر المشهور زمانا طويلا وتخرج عليه في عمل الشعر وكان بيني وبين
الشهاب المذكور مودة اكيدة ومؤانسة كثيرة ولنا اجتماعات في مجالس نتذاكر
فيها الادب وانشدني كثيرا من شعره وما زال صاحبي منذ اواخر سنة ثلث وثلثين
وستمائة الى حين وفاته وقبل ذلك كنت اراه قاعدا عند ابن الحراني المذكور في موضع
تصدره بجامع حلب وكان يكثر المشي في الجامع ايضا على جاري عادتهم في ذلك كما يعملون
في جامع دمشق ولم تكن بيننا اذ ذاك معرفة وكان حسن المحاورة مليح الايراد مع السكون
والثاني واول شي انشدني من شعره قوله ❊ ❊ ❊ ❊

هاتيك يا صاح ربا لعلع ❊ ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا ❊ فقد غدت اهله البلقع
متى يطيل اليوم وقفا على ❊ الساكن او عطفا على الموضع

وانشدني

وانشدني لنفسه ايضا

ومهفهف عني الزمان بخده ❊ فكساه ثوبي ليله ونهاره
لا مهلت عذري بمحاسن وجهه ❊ ان عص عندي منه عض عذاره

وانشدني يوما في اثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين ابي المحاسن محمد المعروف
بابن عنين الدمشقي المقدم ذكره في صدر حرف الميم ان المعروف بابن ماره البخاري
وقيل الترجمي مال ابن ماره دون لعفاته ❊ حرط القتادة او منال الفرقد
مال الزوم الجمع يمنع صرفه ❊ في راحة مثل المنادي المفرد
فقال هذا البيت يحتمل فقلت له ولم ذلك فقال ليس من شرط المنادي المفرد
ان يكون مضموما ولا بد فقد يكون المنادي مفردا ولا يكون مضموما بل
يكون نكرة غير معين كما تقول يا رجلا ولكن انا اعمل في هذا شيئا ثم انا
اجتمعنا بعد ذلك في الجامع فقال قد عملت في ذلك المعنى شيئا فاسمعه ثم انشد

لنا خليل له خلال ❊ تغرب عن اصله الاخس
اضحت لنا مثل حيث لكن ❊ وددت لو انها كامس

فقلت له وهذا ايضا فيه كلام فقال وما هو فقلت حيث فيها لغات فمن
العرب من يبنيها على الضم ومنهم من يبنيها على الفتح ومنهم على الكسر وفيها لغات
اخر غير هذه واما امس فمنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يقول انها اسم معرب
لكنه لا ينصرف وانشد وا على هذه اللغة ❊ ❊ ❊

لقد رايت عجبا مذ امسا ❊ عجايزا مثل السعالي خمسا

هذا اذا كانت امس معرفة فاما اذا كانت نكرة فانها معربة قولا واحدا فكنت
وكان كثيرا ما يستعمل العربية فمن ذلك قوله ولا ادري هل انشدنيه ام لا
فانه انشدني شيا كثيرا من شعره وما ضبطت كلما انشدني ولكن لكل
شي اذكره بعد هذا الا تحقق الحال في سماعي منه فاورده مهملا فيه

وكنا خمس عشرة في التئام ❊ على رغم الحسود بغير افه
فقد اصبحت تنوينا واضحى ❊ حبيبي لا تفارقه الاضافه

وله ايضا في غلام ارسل احد صدغيه وعقد الاخر ❊ ❊ ❊ ❊

ارسل صدغا ولوى قاتلي ❊ صدغا فاعيى بهما واصفه
فخلت ذا في خده حية ❊ تسعى وهذا عقربا واقفه
ذا الف ليست لوصل وذا ❊ واو ولكن ليست العاطفه

ومن هذا النمط ما انشدنيه بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره
رحمه الله تعالى لنفسه من جملة ابيات ❊ ❊ ❊ ❊

عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه ❊ علي فاني اعرف الواو تعطف

ولابى المحاسن الشوا ايضا

ناديت وهو الشمس فى سهوه ÷ والجسم للخفية كالفى
يا زاهيا اعرف من مضمر ÷ صل واهيا انكر من شى

وله ايضا فى شخص بلا يكتم السر

لى صديق غدا وان كان لا ÷ ينطق الا بغيبة او محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثه ÷ حديثا اعادة فى الحال

وله فى المدح

فتى فاق الورى كرما وباسا ÷ عزيز الجار مخضر الجناب
ترى فى السلم منه غيث جود ÷ وفى يوم الكريهة ليث غاب
اذا ما سل صارمه لحرب ÷ اراك البرق فى كف السحاب
قالوا جبينك قد تضوع نشره ÷ حتى غدا منه الفضاء معطرا
فاجبتهم والخال يعلو خده ÷ او ما ترون النار تحرق عنبرا

قلت وقد تقدم فى ترجمة يحيى بن نزار المنبجى عدة مقاطيع من شعر العماد الحلى وغيره
وفيها المام بهذا المعنى ولابى المحاسن ايضا ÷ ÷ ÷ ÷

هواك يا من له اختيال ÷ مالى على مثله احتيال
قسمة افعاله لحيتى ÷ ثلثة ما لها انتقال
وعندك مستقبل وصبرى ÷ ماض وشوقى اليك حال
فديت بنفسى راس عين ومن فيها ÷ وبعض السواقى حول نهر فى سواقيها
اذا دافق منها جوارى عيونها ÷ اراق دمى منها عيون جواريها
ان كان قد حجبوه عن عينى ÷ منهم عليه فقد فنيت بذكره
كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه عنا فاغنى نشره عن نشره ÷ وله فى غلام قد ختن
هنأت من اهواه عند ختانه ÷ فرحا وقلت وقد عراه وجوم
يفديك من الم الم بك امرؤ ÷ يجنى عليك اذا اتاك نسيم
امعذبى كيف استطعت على الاذى ÷ جلدا واجزع ما يكون الريم
لو لم يكن هذى الطهارة سنة ÷ قد سنها من قبل ابرهيم
لفتكت جهدى بالمزين اذ غدا ÷ فى كفه موسى وانت كليم

ومعظم شعره على هذا الاسلوب وقد اوردت منه انموذجا فيه كفاية وكان من الغالين
فى التشيع واكثر اهل حلب ما كانوا يعرفونه الا بمحاسن الشوا والصواب فيه الذى
ذكرته ههنا وان اسمه يوسف وكنيته ابو المحاسن وبعد هذا رايت فى كتاب عقود
الجمان الذى صنفه صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلى وقد بنى ترجمة المذكور على
يوسف وكنيته ابو المحاسن وكان صاحبه واخذ عنه كثيرا من شعره وهو من اخبر الناس

بحاله

بحاله واعلم بذلك فى وقتنا لكانا مصطحبين وكان مولده تقديرا فى سنة اثنتين
وستين وخمسماية فانه كان لا يتحقق مولده وتوفى يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة
خمس وثلثين وستماية بحلب ودفن بظاهرها بمقبرة باب انطاكية غربى البلد ولم
احضر الصلاة عليه لعذر عرض لى فى ذلك الوقت رحمه الله تعالى فلقد كان نعم
الصاحب واما شيخنا ابن الخباز المذكور فهو طاى بحترى وكان من قرية من اعمال
عزاز يقال لها فاخرين فور سلطانا فنسب اليها هكذا اخبر عن نفسه وكان متضلعا
فى علم الادب خصوصا اللغة فانها كانت غالبة عليه وكان متبحرا فيها وكان له
تصدر فى جامع حلب فى المقصورة الشرقية المشرفة على صحن الجامع قبالة
المقصورة التى يصلى فيها قضاة حلب يوم الجمعة ولقد كنت يوما قاعدا فى هذه
المقصورة عند الدرابزين الذى الى جهة الصحن واذا به قد حضر ومعه جماعة
من اصحابه وفيهم الشهاب ابو المحاسن الشوا المذكور وجلس فى المحراب الصغير الذى
فى هذه المقصورة وهو موضع تصدره فجعلت بالى فى كلامه وانا فى ذلك الوقت مشتغل
بالادب فسمعته يتكلم فى قاعدة الافعال الثلاثية التى اولها واو وهى على فعل بكسر
العين مثل وجل وغيره وان مضارعه فيه اربع لغات يوجل وييجل وياجل وبيجل
الا ما شذ من الافعال الثمانية التى هى ورم وورث وودع وورى وومق ووثق
ووهى وولى فان مضارعها ايضا بالكسر كماضيها وشذ من ذلك قولهم وسع يسع و
وطى يطا وانما انفتح هذان الفعلان فى المضارع لاجل حرف الحلق وطال الكلام
فى ذلك بما لم اقدر على حفظه فى الوقت ولم اسمع منه غير هذا الفصل وكان مولده
يوم الاربعا الثانى والعشرين من شوال سنة احدى وستين وخمسماية وتوفى يوم
الاثنين سابع رجب من سنة ثمان وعشرين وستماية بحلب ودفن فى سفح جبل جوشن
رحمه الله تعالى ابو الحجاج يوسف بن محمد بن ابرهيم الانصارى البياسى احد فضلا الاندلس
وحفاظها المتقنين كان اديبا بارعا فاضلا مطلعا على اقسام كلام العرب من النظم
والنثر وراويا لوقايعها وحروبها وايامها بلغنى انه كان يحفظ كتاب الحماسة تاليف
ابى الطاى والاشعار الستة وديوان ابى تمام المذكور وديوان ابى الطيب المتنبى
وسقط الزند ديوان ابى العلا المعرى الى غير ذلك من الاشعار من شعر الجاهلية
والاسلام وتنقل فى بلاد الاندلس وطاف باكثرها ولما قدم من جزيرة الاندلس الى
مدينة تونس جمع للامير ابى زكريا يحيى بن ابى محمد عبد الواحد بن ابى حفص عمر
صاحب افريقية رحمهم الله اجمعين كتابا سماه كتاب الاعلام بالحروب الواقعة
فى صدر الاسلام ابتدا فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وختمه بخروج
الوليد بن طريف الشارى على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية وقد ذكرت

ترجمة الوليد وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن يزيد الشيباني
وذكرت يزيد في ترجمة مستقلة قبل هذا واستوفيت القصة في الترجمتين
ورأيت هذا الكتاب وطالعته وهو في مجلدين اجاد في تصنيفه وكلامه
فيه كلام عارف بهذا الفن ورأيت له ايضا كتاب الحماسة في مجلدين وقد قرئت
النسخة عليه وعليها خطه كتبه في اواخر شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستمائة
وقال في آخر الكتاب وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس حرسها الله تعالى
في شوال سنة ست واربعين وستمائة ونقلت من اوله بعد الحمد له ما مثاله اما
بعد فاني كنت في اوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالادب ومحبة في كلام
العرب ولم ازل متبعا لمعانيه ومفتشا عن قواعده ومبانيه الى ان حصلت لي منه
جملة لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح بالناظر في هذا العلم ان لا يكون عنده
مثلها وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على ان جمعت ما اخترته واستحسنته
من اشعار العرب جاهليها ومخضرمها واسلاميها ومولدها ومن اشعار المحدثين
من اهل المشرق والاندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة ويجمل عليه المذاكرة ثم اني
رأيت ان ابقاها دون ان تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها مؤذن بذهابها
ومؤد الى فسادها فرأيت ان اضم مختارها واجمع مستحسنها تحت ابواب تقيد
نافرها وتضم نادرها ونظرت في ذلك فلم اجد اقرب تبويب ولا احسن ترتيب مما
بوبه ورتبه ابو تمام حبيب بن اوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة
وحسن الاقتداء به والتوخي لمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده منها
باوفر حظ واوفى بضاعة فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه ووفيت الشعر
بما يجانسه ووصلته بما يناسبه ونقحت ذلك واختصرته على قدر استطاعتي ومبلغ جهدي
وطاقتي قلت واطال القول بعد هذا مما لا حاجة بنا الى ذكره ونقلت منه شيئا
فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي قال ابو علي القالي البغدادي انشدنا ابو بكر بن دريد انشدنا
ابو حاتم السجستاني
الا في سبيل الله ماذا تضمنت ÷ بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور اذا الدنيا دجت اشرقت لهم ÷ وان اجدبت يوما فايديهم القطر
فيا اسفا ما للموت لا تتقي بهم ÷ حياتهم فخر وموتهم ذكر
حياتهم كانت لاعدائهم عمى ÷ وموتهم للفاخرين بهم فخر
اقاموا بظهر الارض فاخضر عودها ÷ وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر
ونقلت من باب النسب قول العباس بن الاحنف
تحمل عظيم الذنب للهوى ÷ يفارقك من تهوى وانفك راغم
فانك وقول الواثق الدمشقي هكذا قال وغالب ظني انها لابي فراس بن حمدان

والله

والله اعلم
بالله ربكما عوجا على سكني ÷ وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ÷ ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ÷ ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب ÷ فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون

تعلقت ليلى وهي غر صغيرة ÷ ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا ÷ الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم
البهم الصغار من اولاد الضأن الواحد بهمة بفتح الباء الموحدة وهذان البيتان
يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول بهما معا بلفظ واحد فان
صغيرين انتصب على الحال من التاء في قوله تعلقت وهي فاعله ومن ليلى وهي مفعولة
ومثله قول عنترة العبسي: متى تلقني فردين ترجف ÷ روانف أليتيك وتستطارا
نصب فردين على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في تلقني ذكره ابن الانباري في
كتاب اسرار العربية في باب الحال وقال الواثق الدمشقي ايضا ذكره في الحماسة الآتي
المذكور ايضا
وزائر راع كل الناس منظره ÷ احلى من الامن عند الخائف الوجل
القى على الليل ليلا من ذوائبه ÷ فهابه الصبح ان يبدو من الخجل
اراد بالهجر قتلي فاستجرت به ÷ فاستل بالوصل روحي من يدي اجلي
فصرت فيه امير العاشقين وقد ÷ صارت ولاة اهل العشق من قبلي

وقال علي بن عطية البلنسي ابن الزقاق

ومرتجة الارداف اما قوامها ÷ فلدن واما ردفها فرداح
المت فبات الليل من قصر بها ÷ يطير وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بانعم ليلة ÷ يعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل ÷ وفي خصرها من ساعدي وشاح
وقال احمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن البني اليعمري قلت هو المقدم ذكره في
ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب وكان قد اخرجه صاحب ميورقة وقصد
تسييره في البحر فسار وابعدهم ثم هبت عليهم الريح فردتهم فقال
احبتنا الاولى عتبوا علينا ÷ فاقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا ÷ فهل في العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم ÷ اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم ÷ كان قلوبنا فيها شراع
وقال الواثق بالله وله فيها غناء

ما كنت اعرف ما في البين من حزن ٭ حتى تنادوا بان قد جي بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها ٭ فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت على تفديني وترشفني ٭ كما يميل نسيم الريح بالغصن
فاعرضت ثم قالت وهي باكية ٭ يا ليت معرفتي اياك لم تكن

واورد في باب القرى والاضياف والخبز والمبخ قول ابي الحسن جعفر بن ابرهيم بن الحاج اللورقي ٭ عجبا لمن طلب المحامد ٭ وهو يمنع ما لديه ولباسط امال ٭ للمجد لم يبسط يديه ٭ لم لا احب الضيف او ارتاح من طرب اليه والضيف ياكل رزقه ٭ عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال حين كف بصره
ان ياخذ الله من عيني نورهما ٭ ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وذهني غير ذي دخل ٭ وفي فمي صارم كالسيف مطرور

وذكر في باب الهجا والعتاب وما يتعلق بهما لابي العالية احمد بن مالك الشامي
اذم بغداد والمقام بها ٭ من بعد ما خبرة وتجريب
ما عند املاكها لمرتقب ٭ رفده فرجة لمكروب
خلوا سبيل العلا لغيرهم ٭ ونازعوا في الفسوق والحروب
يحتاج راجي النجاح عندهم ٭ الى ثلاث من بعد تقريب
كنوز قارون ان تكون له ٭ وعمر نوح وصبر ايوب

وانشد ابو بكر بن محمد الصولي لابي العطاف الكوفي في صالح بن عبد الرحمن بن بليط
يا ابن الوليد ابن لنا ٭ ان البيان له حدود
ما لي اراك مسبتا ٭ بين السلاسل والقيود
اغلا الحديد بارضكم ٭ ام ليس يضبطك الحديد

قلت الى ههنا نقلت من كتاب الحماسة المذكور وفيه كفاية اذ كان الغرض ايراد شي من اخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته في الشعر وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلث وسبعين وخمسماية وتوفي يوم الاحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلث وخمسين وستماية بمدينة تونس رحمه الله تعالى ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي

قال ابو عبد الله يونس بن حبيب المرزباني في كتابه المقتبس في اخبار النحويين هو مولى ضبة وقيل مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة وهو من اهل جبل مولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين وماية وكان يقول اذكر موت الحجاج وقيل مولده سنة ثمانين ولم ير الحجاج وعاش ماية سنة وستين وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة وقال غير المرزباني اخذ يونس الادب عن عمرو بن العلا

وحماد بن

وحماد بن سلمة وكان النحو اغلب عليه وسمع من العرب وروى سيبويه عنه كثيرا وسمع منه الكساي والفرا وله قياس في النحو ومذاهب انفرد بها وكان من الطبقة الخامسة في الادب وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الادبا وفصحا العرب واهل البادية قال ابو عبيدة معمر بن المثنى اختلفت الى يونس اربعين سنة املا كل يوم الواحي من حفظه وقال ابو زيد الانصاري النحوي جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس اليه قبلي خلق الاحمر عشرين سنة وقال يونس قال لي روبة بن العجاج حتام تسالني عن هذه البواطل وازخرفها لك اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك وليونس من الكتب التي صنفها كتاب معاني القران الكريم وكتاب اللغات وكتاب الامثال وكتاب النوادر الصغير وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي عاش يونس ثمانيا وثمانين سنة لم يتزوج ولم يتسر ولم يكن له همة الا طلب العلم ومحادثة الرجال وقال يونس لو تمنيت ان اقول الشعر لتمنيت ان اقول احسن الامثال قول عدي بن زيد العبادي ٭ ايها الشامت المعير بالدهر ٭ انت المبرا الموفور ٭

قلت وهذا البيت من جملة ابيات سايرة بين الادبا فيها مواعظ وعبر وبعد هذا البيت
ام لديك العهد الوثيق من الايام ٭ بل انت جاهل مغرور
من رايت المنون خلدن ام من ذا ٭ عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشروان ٭ ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم ٭ لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة ٭ تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا ٭ فللطير في ذراه وكور
لم يهبه صرف الزمان فباد ٭ الملك عنه فبابه مهجور
وتفكر رب الخورنق اذ اشرف ٭ يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك ٭ والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وما ٭ غبطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك ٭ والامة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف ٭ فالوت به الصبا والدبور

قلت وهذه الابيات تحتاج الى تفسير طويل ولو شرعت فيه لطال الكلام وخرجنا عن المقصود فان اكثرها يتعلق بالتاريخ وفيها شي يتعلق بالادب فاقتصرت على الاتيان بالغرض وتركت الباقي خوفا من الاطالة فلعل الشرح يدخل في اربع خمس كراريس وليس هذا موضعه وروى محمد بن سلام الجمحي عن يونس انه قال ما بكت العرب على شي في اشعارها كبكايها على الشباب وما بلغت كنهه فاتبع هذا الكلام منصور النمري فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هرون الرشيد بيتا وهو ٭

ما كنت اوفي شبابي كنه غرته ❊ حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وقال يونس تقول العرب فرقة الاحباب سقم الالباب وانشد ❊ ❊ ❊

شتان لو بكت الدماء عليهما ❊ عيناي حتى يوذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما ❊ فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال يونس لم يقل لبيد في الاسلام سوى بيت واحد وهو ❊ ❊ ❊

الحمد لله الذي لم ياتني اجلي ❊ حتى لبست من الاسلام سربالا

وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى قدم جعفر بن سليمن العباسي من عند المهدي الخليفة فبعث الى يونس بن حبيب فقال اني وامير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت

والشيب ينهض في الشباب كانه ❊ ليل يصيح بجانبيه نهار

فما الليل والنهار فقال الليل الليل الذي يعرف والنهار النهار الذي يعرف فقال زعم المهدي ان الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى فقال ابو عبيدة القول في البيت ما قاله يونس والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة وقال يونس كان جبلة بن عبد الرحمن يخرج الى طباخ الرقاع يستدعي بها الطعام وفيها الالفاظ الغريبة الحوشية فلا يدري الطباخ ما فيها حتى يمضي بها الى ابي اسحق يحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الالفاظ فاذا عرف الطباخ ما فيها اتاه بما استدعاه فقال له يوما ويحك اني اصوم معك فقال له الطباخ سهل كلامك حتى يسهل طعامك فقال يا ابن اللخنا افادع عربيتي لعيك وكان يونس من اهل جبل وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط وكان لا يوثر ان ينسب اليها فلقيه رجل من بني ابي عمير فقال له يا ابا عبد الرحمن ما تقول في جبل اينصرف ام لا فشتمه يونس فانصرف العبدي فلم ير احدا يشهد عليه حتى اذا كان من الغد وجلس للناس اتاه العبدي فقال له يا ابا عبد الرحمن ما تقول في جبل اينصرف ام لا فقال له يونس الجواب ما قلته لك امس وجبل بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة كذا قال الحافظ ابن السمعاني في كتاب الانساب وهذه جبل منها ابو الخطاب الجبلي الشاعر المشهور ومن شعره قوله ❊

كم جبت مهمها لو لم يعن ❊ شوقي عليه لما قدرت اجوبه

وركبت اخطارا اليك مخوفة ❊ ولحبك اخطر اليك ركوبه

قال السمعاني توفي ابو الخطاب المذكور في ذي القعدة سنة تسع وثلثين واربعمائة وكان بينه وبين ابي العلا المذكور المعري مشاعرة وكتب اليه ابو العلا القصيدة التي اولها غير مجد في ملتي واعتقادي قلت هذا غلط منه بل كتبها ابو العلا المعري الى ابي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي المعري قاضي منبج وكان قد ذكر ذلك القاضي كمال الدين عرف بابن العديم الحلبي في تاريخ حلب وحبيب اسم امه ولهذا لا يصرفه

لانه لا يعرف له اب ويقال انه ولد ملاعنة ويقال انه اسم ابيه فيصرف والله اعلم وكذلك محمد بن حبيب النسابة ايضا ودخل يونس المسجد يوما وهو يتهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان يتهمه في مودته بلغت ما ارى يا ابا عبد الرحمن فقال هو الذي ترى كلا بلغته فاخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه وقال ابو الخطاب زياد بن يحيى مثل يونس كمثل كوز ضيق الراس لا يدخله شي الا بعسرة فاذا دخله لم يخرج منه يعني انه لا ينسى شيئا وقد ذكرت تاريخ مولده وموته في اول الترجمة وقد قيل انه توفي سنة ثلث وثمانين وقيل خمس وثمانين وقال عبد الباقي بن قانع سنة اربع وثمانين ومائة والله اعلم وقيل انه عاش ثمانيا وتسعين سنة والله اعلم

ابو موسى يونس بن عبد الاعلا بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي المصري الفقيه الشافعي احد اصحاب الشافعي رضي الله عنه والمكثرين في الرواية عنه والملازمين له وكان كثير الورع متين الدين وكان علامة في علم الاخبار والصحيح والسقيم لم يشاركه في زمانه في هذا احد وقد سبق في هذا الكتاب ذكر حفيده ابي سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس المذكور صاحب تاريخ مصر وذكرت له هذا الحفيد ابا الحسن علي بن ابي سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس وهو المنجم المشهور صاحب الزيج وكل واحد منهم امام في فنه واخذ القراة عرضا عن ورش وسقلاب بن سنة ومعلى بن دحية عن نافع وعن علي بن كيسة عن سليم بن حمزة بن حبيب الزيات وسمع سفين بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري وروى القراة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع واسامة بن احمد ومحمد بن اسحق بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم وكان محدثا جليلا وذكره ابو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر فقال كان من افضل اهل زمانه وكان من العقلاء وروى عن الشافعي رضي الله عنه انه قال ما رايت بمصر اعقل من يونس بن عبد الاعلا وصحب الشافعي رضي الله عنه واخذ عنه الحديث والفقه وحدث بهما عنه وله حبس في دار الحكم وعقب وداره في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين وكان احد الشهود بمصر اقام شاهدا ستين سنة وذكر غير القضاعي ان يونس بن عبد الاعلا روى عنه الامام مسلم بن الحجاج القشيري وابو عبد الرحمن النساي وابو عبد الله بن ماجه وغيرهم وقال ابو محمد الحسن بن زولاق في كتاب اخبار قضاة مصر ان القاضي بكار بن قتيبة لما ولي قضا مصر وتوجه اليها من بغداد لقي في طريقه محمد بن الليث قاضي مصر كان قبله بالجفار خارجا من مصر الى العراق معزولا فقال له بكار انا رجل غريب وانت قد عرفت البلد فدلني على من اشاوره واسكن اليه فقال له عليك برجلين احدهما عاقل وهو يونس بن عبد الاعلا فاني سعيت في دمه فقدر علي فحقن دمي والاخر ابو هرون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فانه رجل زاهد فقال له بكار صف الرجلين فقال اما يونس فرجل طويل ابيض ووصفه ووصف موسى

فلما دخل بكار مصر ودخل الناس اليه دخل شيخ فيه صفة يونس فرفعه بكار واقبل
يحدثه ويقول يا ابا موسى في كل حال شرفتنا بكار كذلك اذ قيل له قد جاء يونس فاقبل
على الرجل وقال له يا هذا من انت وما شكونك كذا الوافيت اليك سترا لي ثم دخل يونس
فاكرمه ورفعه واتاه موسى بن عبد الرحمن فاختص به واخذ برايهما وقيل ان موسى المذكور
اختص بالقاضي بكار وكان يتبرك به فقال يوما يا ابا هرون من اين المعيشة قال من وقف
وقفه ابي فقال له بكار ايكفيك قال قد تكفيت به وقد سالني القاضي فاردت ان اسله
قال سل قال هل ركب القاضي دين بالبصرة حتى تولى بسببه القضا قال لا قال فهل رزق
ولدا احوجه الى ذلك قال لا ما نكحت قط قال فلك عيال كثير قال لا قال فهل اجبرك السلطان
وعرض عليك العذاب وخوفك قال لا قال فضربت اباط الابل من البصرة الى مصر لغير حاجة ولا
ضرورة لله علي لا دخلت عليك ابدا فقال يا ابا هرون اقلني قال انت بدات بالمسئلة ولو
سكت لسكت ثم انصرف عنه ولم يعد اليه بعدها قال يونس رايت في المنام قايلا يقول لي
ان اسم الله ونقلت من كتاب المنتظم في اخبار من سكن المعظم قال في ترجمة يونس المذكور
ومن حكاياته التي حكاها عن غيره ان رجلا جاء الى نخاس فقال له اسلفني الف دينار الى اجل
فقال له النخاس من يضمن المبلغ قال الله تعالى فاعطاه الف دينار فسافر بها الرجل يتجر فلما
بلغ الاجل اراد الخروج اليه فحبسه عدم الريح فعمل تابوتا وجعل فيه الف دينار وغلقه وسمره
والقاه في البحر وقال اللهم هذا الذي ضمنته علي وخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي عليه
المال فراى سوادا في البحر فقال ائتوني به فاتي بالتابوت ففتحه فاذا هو بالف دينار ثم ان
الرجل جمع الفا بعد ذلك وطابت الريح فجاء الى النخاس وسلم الى النخاس فقال النخاس من انت
قال صاحب الالف وهذه الالف فقال لا اقبلها منك حتى تخبرني ما صنعت بها فاخبره بالذي
صنع وان الريح انقطعت فقال له النخاس قد ادى الله عز وجل عنك الالف ووصلت وله اخبار
كثيرة وروايات ماثورة وكان يونس يروي للشافعي رضي الله عنه

ما حك جلدك مثل ظفرك ÷ فتول انت جميع امرك
واذا قصدت لحاجة ÷ فاقصد لمعترف بقدرك

وقال يونس قال لي الشافعي رضي الله عنه يا يونس دخلت بغداد قلت لا قال ما رايت
الدنيا ولا رايت الناس وقال يونس سمعت من الشافعي كلمة لا تسمع الا من مثله وهي رضى
الناس غاية لا تدرك فانظر ما فيه صلاح نفسك في امر دينك ودنياك فالزمه وقال علي بن
قديد كان يونس بن عبد الاعلا يحفظ الحديث ويقوم به وذكره ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب
النسوي فقال هو ثقة وقال غيره ولد يونس في ذي الحجة سنة اربع وسبعين ومائة وتوفي في
يوم الثلاث ليومين بقيا من شهر ربيع الاخر سنة اربع وستين ومائتين وهي السنة التي
مات فيها المزني رحمهما الله تعالى وكان وفاته بمصر ودفن في مقابر الصدف وقبره مشهور

بالقرافة

بالقرافة واما ابوه عبد الاعلا فانه يكنى ابا سلمة وكان رجلا صالحا ومن كلامه من اشترى
ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه وقال ولده يونس والامر عندي كما قال وتوفي
عبد الاعلا المذكور في المحرم سنة احدى وثمانين ومائة ومولده سنة احدى و
عشرين ومائة واما ابنه ابو الحسن احمد بن يونس والد ابي سعيد عبد الرحمن بن احمد صاحب
تاريخ مصر فان ابنه ابا سعيد عبد الرحمن بن احمد ذكر في تاريخه انه ولد في ذي
القعدة سنة اربعين ومائتين وتوفي يوم الجمعة اول يوم من رجب سنة اثنتين و
ثلثمائة وقال هو عديد للصدف وليس من انفس الصدف ولا من مواليهم والصدف
بفتح الصاد والدال المهملتين وبعدها فاء هذه النسبة بكسر الدال وذكر السهيلي انه
بكسر الدال وفتحها وانما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في غير النسب كيلا يتوالى
كسرتين قبل يا بين كما قالوا في النسبة الى النمر نمري واختلفوا في اسم الصدف فقيل هو
مالك بن سهيل بن عمرو بن قيس هكذا قاله القضاعي في كتاب الخطط وزاد السمعاني
في كتاب الانساب على هذا النسب فقال الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس
بن معوية بن خثم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب
بن زهير بن ايمن بن هميسع بن حمير بن سبا وقال الدارقطني واسم الصدف سهال
بن دعمي بن زياد بن حضرموت وقال الحازمي في كتاب العجالة في النسب هو عمرو
بن مالك والله اعلم وقال القضاعي دعوتهم مع كندة وانما سمي الصدف لانه صدف
بوجهه عن قومه حين اتاهم سيل العرم فاجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه تلقاء
حضرموت فسمي الصدف ويقال انما سمي الصدف لانه كان رجلا شجاعا لا يدعن لاحد
من العرب فبعث اليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه فعدا على الرسول فقتله
وخرج هاربا فبعث الملك اليه خيلا عظيمة فكان كلما جاء من احياء العرب سال عن الصدف
فيقولون صدف عنا وما راينا له وجها فسمي الصدف من يومئذ ثم لحق بكندة فنزل فيهم
قال ارباب علم النسب اكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب والله اعلم قلت قد خرجنا عن المقصود
لكنه ما يخلو من فائدة **ابو الفضل** يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن
سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس الملقب رضي الدين والد الشيخين عماد الدين
ابي حامد محمد وكمال الدين ابي الفتح موسى وقد تقدم ذكرهما قلت هكذا وجدت نسبه
بخط بعض اصحابنا المتادبين ولم اعلم من اين له هذه الزيادة والذي اعرفه من نسبه هو الذي
ذكرته في ترجمة ولديه والله اعلم كان الشيخ يونس المذكور من اهل اربل ومولده بها وقدم
الموصل فتفقه بها على تاج الاسلام ابي عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي
الجهني المقدم ذكره في حرف الكاف وسمع عليه كثيرا من كتبه ومسموعاته ثم انحدر الى بغداد
وتفقه بها على الشيخ ابي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز في مدرسة

الظاهرية ثم اصعد الى الموصل وتدبرها وصادف بها قبولاً تاماً عند المتولي بها الامير
زين الدين ابي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل
المقدم ذكره في حرف الكاف وفوض تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره اليه وكان
يدرس ويناظر ويفتي ويقصده الطلبة للاشتغال عليه والمباحثة معه ولديه المذكورين
ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة الى ان توفي بالموصل يوم الاثنين سادس
المحرم سنة ست وسبعين وخمسماية وسمعت بعض خواصهم يقول توفي سنة خمس وسبعين
واما ولده الشيخ كمال الدين كان يقول توفي سنة ست وسبعين وهو اعلم بذلك ودفن بتربة
المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمة الله عليه وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وقد
تقدم ذكر حفيده ايضا شرف الدين احمد بن الشيخ كمال الدين موسى المذكور رحمه الله تعالى
وعلى الجملة فانه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء وانتفع بهم اهل تلك البلاد وغيرهم
وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرهما رحمهم الله اجمعين ومن قوله

لها زورة في كل عام وزارة ∴ تمر شهور الحول لا يتجمع
وصال وصد لا لشيء غير انها ∴ على خلق الدنيا تجود وتمنع

وله غير ذلك قال القاضي القضاة شمس الدين احسن الله اليه نجز الكتاب الذي سميته وفيات
الاعيان وانباء ابناء الزمان بحمد الله ومنه وكرمه وذلك يوم الاثنين العشرين من
جمادى الاخرة سنة اثنتين وسبعين وستماية بالقاهرة المحروسة يقول الفقير الى الله
تعالى احمد بن محمد بن ابرهيم بن ابي بكر بن خلكان مؤلف هذا الكتاب اني كنت قد شرعت
في هذا الكتاب في التاريخ المذكور في اوله على الصورة التي شرحتها هناك مع استغراق
الاوقات في فصل القضايا الشرعية والاحكام الدينية بالقاهرة المحروسة فلما انتهيت فيه
الى اخر ترجمة يحيى بن خالد البرمكي حصلت لي حركة الى الشام المحروس في خدمة الركاب
العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي الثاغري المؤيدي المنصوري الغياثي النجمي
الحنفي الملكي الظاهري ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابي الفتح بيبرس
قسيم امير المؤمنين خلد الله سلطانه وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت اركانه وكان
الخروج من القاهرة المحروسة يوم الاحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستماية ودخلنا
دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكورة وقلدني الاحكام بالبلاد الشامية
يوم الخميس ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة فتراكمت الاشغال وكثرت الموانع الصارفة عن تمام
هذا الكتاب فاقتصرت على ما كان قد اثبت من ذلك وختمت الكتاب واعتذرت في اخره
بهذه الشواغل عن اكماله وقلت ان قدر الله تعالى مهلة في الاجل وتسهيلا في العمل استانفت
كتابا يكون جامعا لجميع ما تدعو الحاجة اليه في هذا الباب ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع
الى الديار المصرية وكان مدة المقام بدمشق المحروسة عشر سنين كوامل لا تزيد يوما ولا تنقص

يوما

يوما فاني دخلتها في التاريخ المذكور وخرجت منها بكرة يوم الخميس ثامن ذي القعدة
من سنة تسع وستين وستماية فلما وصلت الى القاهرة صادفت بها كتبا كنت
اوثر الوقوف عليها وما كنت اتفرغ لها فلما صرت افرغ من حجام ساباط بعد ان كنت
اشغل من ذات النحيين كما يقال في هذين الصوره وانا على عزم الشروع في الكتاب
الذي وعدت به ان قدر الله تعالى ذلك والله يعين عليه ويسهل الطريق المؤدية
اليه فمن وقف على هذا الكتاب من اهل العلم ورأى فيه شيئا من الخلل فلا يعجل
بالمؤاخذة فيه فاني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي مع انه كما يقال ابى الله ان يصح
الا كتابه لكن هذا جهد المقل وبذل الاستطاعة وما يكلف الانسان الا ما تصل
قدرته اليه وفوق كل ذي علم عليم وقد تقدم في اول هذا الكتاب الاعتذار
عند الدخول في هذا الامر والحامل عليه فاغنى عن الاعادة ههنا والله يستر
عوراتنا بستر كرمه الضافي ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع عطاياه النمير
الصافي بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير والحمد لله
رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه كما يحب ربنا ويرضى
وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا امين

